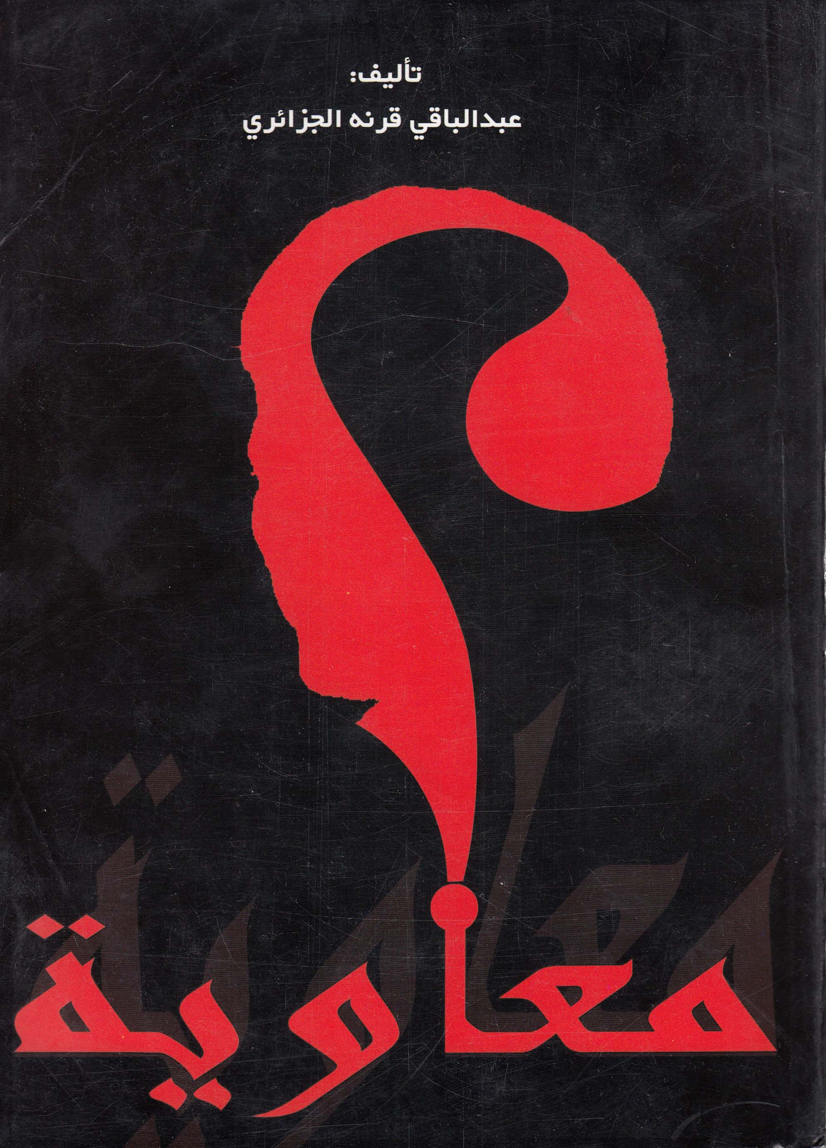


تأليف:
عبدالباقي قرنه الجزائري
معاوية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُعاوية

معاوية



المؤلف:

عبد الباقي قرنه الجزائري



آدرس: قـــم - خـــیابان مـــعلم، مـــیدان روح الله - تـــلفن:۷۷٤٤۲۱۲ - تـــلفاکس:۷۷٤۱٦۲۱

❄ اسم الكتاب: معاوية

❄ المؤلف: عبدالباقي قرنه الجزائرى

❄ الطبعة: الاولى

❄ تاريخ النشر: ۱۳۸٤هـ. ش ۱٤۲٦هـ.ق

❄ شابك: ۱-۷۷-۷۸٦٦-٩٦٤

المطبعة: نينوى ❄

عدد المطبوع: ۳۰۰۰ مجلد ❄

❄ *ISBN: 964-7866-77-1*

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين،والصلاة والسّلام على خير خلقه أجمعين محمّد و آله الطيبين الطاهرين،وبعد؛

تمهيد

كنا ذات ليلة من ليالي شهررمضان منذ أكثر من عشرين عاماً جلوساً في المسجد،وأحسستُ ساعتها من الحاضرين شيئاً من الصّفاء ونحنُ في شهْر صفّدتْ فيه الشياطين،فخطرلي أن أتحدّثَ عن شيء طالما وددتُ الحديث عنه؛فذكرتُ للحاضرين أنّني إلى ليْلتنا تلك لم أتقبّلْ تصرّفات معاويةَ بن أبي سُفْيان في حقّ الإمام عليّ عليه السلام مع أنّي قرأت عن ذلك ماقرأتُ وأبديتُ عجْزي عن الجمْع بيْن سلوك مُعاويَة وبين ما يسكُن خيالَنا حوْل مَن صحبوا النّبيّ صلى الله عليه وآله وعاينُوا الوحْي وشهدُوا المُعجزات؛وكــأنّني كنتُ أرفضُ إضفاءَ الشّرعيّة على سلوك مُعاويَة.كنتُ أتوقّع من الحاضرين أن يُدْلُوا بما لديْهم لَعلّي أستفيدُ شيئاً يبدّد الإبْهام والغُموض،لكنّني فوجئْت بتصرّفٍ ما كان يخْطر ببالي،فقد انبرى لي أحدُهم وهومن الدّعاة الكبارالذين يتصوّرون أنّ شهادة أحدهم تعدلُ شهادةَ خُزيمةَ بن ثابت الأنْصاريّ،وقال لي بكلّ صرامة وحزْم:"لوْلا أنّنا نعْرفك لكانَ لنا معك شأن،وــ ابتداءً من اليوم ــ لاحقَّ لك في أن تَطرحَ مثْلَ هذه المواضيع،وهذا أولُ إنْذاروآخرُإنْذار"!!وأنا الذي كنت أتصوّرأنّني سأجدُ في طرْحي للقضيّة ما يبرّرما كنت قد اطّلعْتُ عليهْ من أعْمال مُعاوية التي

تشمئزّ منها النّفوس،مع أنّني لم أزدْ على أن استبْعدْتُ سهولةَ تقبّل سلوك مُعاويَة،لأنّ اعتقاد عدالة جميع الصّحابة لا يسمحُ بالقدْح في واحد منهم،ولم يكن القصدُ من سؤالي قدْحاً ـ شهد الله ـ وإنّما كنتُ أريدُ إرْضاءَ ضميري والتوفيقَ بين مُعْتقَدي وسُلوكي؛وقدْ كنّا أيّامها نشنّع على الحاكمين بأعْمال لا تبْلغ عُشرما وصلَ إليه مُعاويَة.كلٌّ ما في المسألة أنّ وجْداني لا يسْمح لي بالكيْل بمكْياليْن.

لقد كان إنذار صاحبنا في محلّه،لأنّه أيقظني من نوْمٍ ونبّهني من غفْلة وشعرْتُ ساعتَها أنّني في سجن فكريّ كبير،وتداعَت الأفْكار،ورحتُ أفكّرفي الخروج من الوطن!لأنّه إذا كان هذا هو الردّ،ولا حقّ لي ابتداءً من ذلك اليوْم في طرح الإشْكالات،فمعْناه أنّ البحْث ممْنوع،وأنّ الحوارالنّزيه المتحرّرمن التقْليد الأعْمى ممْنوع،ولا أدْري ما الفرق حينئذ بين ذلك وبين استبداد العسكريّين الذي طالما ندّدنا به،وماقيمة الحياة إذا كان أمْسُ المرْء خيْراً من يوْمه وغَده.هنالك رُحْتُ أسائلُ نفْسي متعجّباً من حال هؤلاء الذين يردّدون لنا دائما "متى استعْبدْتم النّاس وقد ولدتْهم أمّهاتُهم أحْراراً "وفي نفْس الوقْت يُمارسون في حقّنا وصايةً فكريّةً ما أنْزلَ اللهُ بها من سلْطان،وقد نصبوا أنْفسهم حُماةً للشّريعة مُدافعين عن السّنّة.ومرّت السّنُون،وكتب الله في العمر بقيّة فرأيْنا حماة الشّريعة المُدافعين عن عَدالة جميع الصّحابة يسُبّ بعضُهم بعضاً ويطعنُ بعضُهم في بعض وهم يتنافسون في الانْتخابات ويتسابقُون إلى مُصافحة من كانُوا يُسمّونه الطّاغوت!ولله في خلْقه شؤون .

لا أعتقد أنّ صاحبنا كان مقتنعاً بمايقول حينما أجابني بتلك الطريقة،ولا أعتقد أنّه كان لديه معلوماتٌ كافيةٌ عن مُعاويَة والذين في قلوبهم مرض،لكنّه ـ في مايبدوـ ردّد ماعلّموه من أنّ الخوض في مثل تلك الأموريُؤثّرعلى عقائد النّاس ويزرع الفرقة ويفتح الأبواب أمام الزّنادقة

وأعداء الدّين.ولست أدري كيف صار الحديث عن مُعاويَة من عقائد المسلمين!ولعلّ أساتذته يدرون؛لكنّني اليوم،بعد مرور أكثر من عشرين عاماً،أُدركُ سبب تصرّفه بتلك الطّريقة وفي وُسعي أن أُثبتَ له أنّ الحديث عن الصّحابة لاعلاقةَ له بالعقائد،وأنّه هو نفسه ضحيّة لُعْبة شُرِع فيها في حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله ،ولم ينقَض منهاإلاّ شوط أو بعض شوط.

الحديث عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان،لا يعني الحديث عن شخصيّة تاريخيّة معيّنة فحسب،بل هو يعني الحديث عن حقْبة من تاريخ المسلمين تجلّت فيها التّضاربات والتّناقضات بين المُعتقَد والسّلوك،كما يعني الحديث عن أشخاص كان لهم دورفي تثبيت الاستبداد ووُصول مُعاويَة إلى ما وصل إليه ورسْم صورته الحكوميّة التي عرفها النّاسُ بعد رحيله.هذا مع أنّ القرآن الكريم حرص على قرْن الإيمان بالعمل،وجعلَ العمل الصالحَ دليلا على صحّة الإيمان،والعمل الفاسدَ دليلا على فساد قلب صاحبه.ويمكن القول أنّ مثقفي المسلمين لم يختلفوا في مُعاويَة بن أبي سُفْيان جهلاً بحقيقته وواقع أمره،لأنّ أخباره أوسع من أن تخفى،وإنّمااختلفوا فيه لكونه يمثّل عند طائفة منهم حارسَ الحدود في قضيّة عدالة جميع الصحابة.وسيبقى مُعاوية بن أبي سُفْيان حارس الحدود طالما بقي شيء اسمُه عدالة جميع الصحابة.وقد كنتُ أيّام كنت على المذهب السّابق أجد في كتب التّاريخ أعمالاً لمُعاويَة بن أبي سُفْيان تدَعُني في حيْرة من أمري أبحث عن حلّ،لأنّني من جهة ملزمٌ بالاعتقاد بعدالة جميع الصّحابة،ومن جهة أخرى ملزمٌ بتقديم كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله على كلام كلّ آدميّ،وطالما ردّدوا لنا قول مالك – ونحن في المغرب العربي على مذهب مالك – :" كلّ واحد يؤخذ من قوله ويُردّ إلاّ

صاحب هذا القبر"[1]،وقول أحد كبار رؤساء المذاهب الإسْلاميّة:" إذا صحّ الحديث مخالفاً لكلامي فاضربوا بكلامي عرض الحائط"،وهذه من عويصات القضايا،وليس يسلم منها إلاّ من رحم الله.وأذكرعلى سبيل المثال قصّةً وقعت لي مع بعض من دَرَسوا في جامعات المملكة العربية السعودية من الحريصين على الدّقّة في التّعبير،وهو نفسه ذكرلنا مرّةً حديث "لوسرقتْ فاطمةُ بنتُ محمّد لقطعتُ يدَها.."ولأنّني مُولعٌ بمُطالعة كُتب التّاريخ وتتبّع قصص الشّخصيّات المؤثّرة فقد وقعتْ عيْني على شيء رهيب في أحد مجلدات تاريخ ابن كثير،ولا أبالغ إن قلت إنّه صدمني! نعم،يروي ابن كثير قصّة سارق جيء به ليقام عليه الحدّ فاستعطفَ مُعاويَة ومدحَه بأبيات فعفا عنه وأمرَ بتخلية سبيله! [2]

بعد قراءتي للقصّة أكثرَمن مرّة لم يكن همّي إلا ملاقاة صاحبنا لعلّه يبدّد الشكوك التي داهمتني،لأنّ هذا العمل مُنافٍ تماماً لحديث "لوسرقت فاطمة بنت محمّد لقطعت يدَها "[3].وكنتُ أرجُو أن يكون لدى الأستاذ المذكوردليلٌ أو شبْهُ دليل،والتَقيْنا،ورويتُ له القصّة،وفوجئت بأنّه لم يطّلع عليها،وقبل أن يتحقّقَ من ذلك ويتثبّتَ قال لي بكلّ بساطة "هذا غيرُصحيح[!] ووعدني أن ينظُرَفي المسألة.وانتظرتُ يوماً فأسبوعاً فشهراً فسَنةً فإلى يومنا هذا.

---

[1] يعني النّبيّ (صلى الله عليه وآله

[2] القصة مذكورة في البداية والنهاية ج8 ص 154 نقلها ابن كثيرعن الماوردي، وستأتي مفصلة في فصل (مُعاويَة وإبطال الحدود).

[3] مسند أحمد ج3 ص 386 و سنن الدارمي ج2 ص173 و صحيح البخاري ج4ص151 وصحيح مسلم ج5ص114و سنن ابن ماجه ج2ص851 و سنن أبي داوود ج2ص332و سنن الترمذي ج2ص442وسنن النسائي ج8ص71 و المُستَدرك ج4 ص 379 و السنن الكبرى للبيهقي ج8ص254و صحيح ابن حبان ج10 ص248 .

والحديث عن مُعاويَة يمثّل أيضا الصّراعَ القائم بين أنصار القيم والمبادئ السّامية وبين أنصار المنافع والمصالح الشخصيّة.ولا أتصوّر أن يكون مُعاويَة لدى العقلاء صالحاً ليُعرَض نموذجاً للمسلم المعتدل المؤتمَن على الدّين،وقد تحقّق عندي- وعند كثير ممّن عرفت ــ أنّ الرّجلَ مع تأخُّر إسلامه لم يترك حرمة من حرمات الإسْلام إلاّ وهتكها أومهّد لهتْكها،وأظهر استخفافه بأحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله في كثير من المواطن،وإنما شفع له عند كثيرين كونُه استلم القيادة وتربّع على كرسيّ الحكم.ولأنّ مسألة الحكم عند المسلمين تمثّل أهمّ قضيّة سُلّت لأجْلها السيوفُ فإنّ الحقّ يصيردائراً مدارها.وخيردليل على ذلك أنّ فيهم من يقول عن الخارج على الحاكم إنّه إذا تغلّب صارهو الحاكمَ الشرعيّ وتجبُ مبايعتُه ولا يحلُّ الخروجُ عليه،هذا مع أنّه استحلّ الخروج ونقض البيعةَ وقاتل الحاكمَ،وهذا لعمري مما تَحارُله العقول.فمسألة الاستيلاء على الحكم سهّلت كثيرا من الأمورولمّعت كثيرا من الوجوه وما أكثرما همّشت كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله وفعلَه وتقريرَه.تُرى أكان مُعاويَة بن أبي سُفْيان يحظى بكل هذا التّسامح لولَمْ يكنْ حاكماً؟!

إنّه لاخلاف بين المسلمين في تأخّر إسلام مُعاويَة بن أبي سفْيان،ولا خلاف بينهم في سفكه لدماء كثيرمن الصّحابة،وتعدّيه على حرمةَ النّبيّ صلى الله عليه وآله في ما يصعب تبريره،ولكنه الخليفة!ولابدّ من المحافظة على مقام وسُمعة الخليفة،لأنّه رمز الشّريعة وظلّ الله تعالى في الأرض!ومن تجرّأ

وذكرَه بما لا يُناسب مقام الخلافة دفع ثمن ذلك كائنا من كان،ولا يشفع له عمل صالح و لا سابقة جهاد.[1]

وقد بيّن الله تعالى في القرآن الكريم الهدف من جعل الخليفة في الأرض فقال في سورة "ص": يا داوود إنّا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين النّاس بالحقّ ولاتتّبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب." فتبيّن من ذلك أنّ الهدف هوالحُكم بالحقّ واجتناب الهوى،ويعجزالمؤرّخون وعلماءُ الرّجال عن إثبات شيء من ذلك لمُعاويَة.إضافة إلى أنّه خرج على من لا يختلف المسلمون في أنّه مِن النّبيّ صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى،لم يُعارضه إلاّ بنو أُميّة،وبنوأُميّة معروفون ومواقفهم من الإسْلام معلومة.فإذا كان الدّفاع عن الحاكم المسلم دفاعا عن الشّريعة فإنّ معنى ذلك أنّ الشّريعة متقلّبة ذات أطوار،لأنّ العقلاء يفهمون معنى الدّفاع حينما يتعلّق الأمربرجُل يحاولُ جهدَ طاقَته أن يهتديَ بهدْي النّبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ أموره،ولا يتجرّأ على المقدّسات ولا يتجاسر على الحُرمات؛أمّا حينما يصبح الحاكم مُعلناً باستخفافه بالدّين فإنّ الدّفاع عنه ليس من الإسْلام في شيء .

ولايعجل القارئ الكريم في الحكم عليّ قبل أن يطّلع على ما في الصفحات التّالية،ولا يَتَصوّرأنّني ورثتُ بغض مُعاويَة،فإنّ ولادتي وتربيتي ودراستي كلّها كانت في مجتمع سنّيّ،والمجتمع السنّيّ- في الغالب – لا يذكر مُعاويَة إلاّ بخير،ولا يذكرأبا طالب إلاّ بالموت على الكفر.ولا يفوتني هُنا بالمناسبة أن أخبرالقارئ الكريم أنّني كنت دائماً أشعربمرارة تعترض حلقي

[1] خير دليل على ذلك أبو الأعلى المودودي بعد صدور كتابه (الخلافة والملك) وسيّد قطب بعد صدور كتابه (كتب وشخصيات).

حينما أمرّ أثناء مطالعاتي بذكرأبي طالب عمّ النّبيّ صلى الله عليه وآله ،لأنّ الحسرة كانت تعصرقلبي إذ أرى رجلاً مثلَه يبذل مابذَلَ من نصرة للنبيّ صلى الله عليه وآله ودفاع عنه،ويتولّى كفالته ويقدّمه على أولاده ويفضّله عليهم،ومع ذلك لايستحقّ التفاتةً ممّن وسعتْ رحمتُه كلّ شيء ويموت على غيرالإسْلام!أليس هذا أشبه بجزاء سنمّار؟! بينما لايألُوأبوسُفْيان جهداً في محاولةإطفاء نورالله تعالى،فيجيّش الجيوش ويدبّرالمُؤامرات ليل نهار،ويهتف هتافه المعلوم "اُعلُ هُبَل"،ويقول يوم حنين ماقال،ويقول يوم اليرموك ماقال،ومع ذلك يُسلم ويحسُن إسلامه ويموت على الإسْلام!!لقد قالوا لنا إنّها حكمة الله يهدي من يشاء،ولكن أليس غريباً أن تكون حكمةُ الله دائماً تصبُّ لمصلحة بني أُميّة دون غيرهم؟!

قلت:إنّ الحديث عن مُعاويَة يقتضي الكلام عن(بني أُميّة)لأنّهم عشيرته وعن أبي سُفْيان وهند بنت عتبة لأنّهماوالداه،وعن(يزيد) ابنه لأنّه يمثّل محطّة مهمّة في مسارالمسلمين.كما يقتضي ذلك الحديثَ عن أيّام مُلكه،وما جرى فيها من الأحداث التي لا تزال آثارها تمزّق المسلمين وتشتّت صفوفهم إلى اليوم.وقداعتمدت في البحث على كتب المخالفين لأهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله من باب "شَهدَ شاهدٌ منْ أهلها "،وخصصتُ بذلك منهم من لا يُشكّ في مباينته للإماميّة كابن تَيْميَة وابن قيّم الجوزية وابن كثيروالذّهبيّ وابن خَلْدُون وابن حجرالعسقلانيّ،أخذتُ على نفسي ألاّ أرجعَ إلى كُتُب أتْباع مدرسة الإماميّة إلاّ في ما تقتضيه الضّرورة الملحّة التي لا مفرّمنها،وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب.وأنبّه إلى أنّ بعض الأحاديث الواردة في الكتاب تعدّدت بألفاظ مختلفة طالت بعضَها أيدي المحرّفين من المتقدّمين أو المتأخّرين،والخوضُ في ذلك أبعدَ ممّا تقتضيه الضّرورة يُخرجنا عن موضوع الكتاب ويحوّل البحث إلى أخذ وردّ ليْسا من غرض الكتاب،على

أنّني أُشيرإلى ورود الحديث بلفظ آخرويبقى لمن أراد التحقّق والبحثَ أكثر أن يطالع ويخلص بنفسه إلى النتّيجة التي ترضي ضميرَه؛كما لا يفوت التّنبيه إلى حذْف الأسانيد الطويلة رَوْماً للاختصار،مع ذكْر أوّل الإسناد وآخره بينهما علامة [..]ويبقى لمن يريد التّثبّت والتحقيق أن يطالعها كاملة في المراجع المشارإليها بالهامش.

ولايخفى أنّ لمُعاويَة بن أبي سُفْيان شخصيّة جذبت اهتمام الباحثين،فكتب حوله مَن كَتب،مِن مدارس وانتماءات مختلفة،إسلاميّة وغيرإسلاميّة؛منهم من خصّص له بحثا مستقلاً كما هو شأن العقّاد وابن عقيل،ومنهم من خصّص له فصلاً أو فصليْن ضمْن إطاربحْث معيّن؛وكتب عنه المُستشرقون أيضا،فكان منهم مَن التزم بمنهج معيّن اضطرّ معه إلى مناقشة الحقائق بما يناسب القواعد التي تبنّاها،وكان منهم من حمَلَتْهُ عداوته للإسلام على أن يُمارس التحريف والتزييف،والنّقدُ العلميّ النزيه كفيلٌ بالغرْبَلة والتّصفية ليذهب الزّبد جفاء ويبقى ما ينفع النّاس.وأتصوّر– والله أعلم– أنّه ينبغي للمستبصرين الملتحقين بأهل البيت عليهم السّلام أن يكتبوا حول مُعاويَة ويحقّقوا،لأنّهم كانوا ضحاياه يوما من الأيام،ولا يليق بهم أن يتفرّجوا على ذويهم وأصدقائهم وهم يستطيعون أن يؤدّوا إليهم خدمة ولو من باب إقامة الحجّة.وقولي"ضحاياه"لايعني أنّني أحْكم على الرّجل من البداية،وإنّما هو تعبيرعن تجربة شعوريّة يعرفها كلّ من سارَعلى ذلك الدّرب،وإخبارعن آثار تيّار فكريّ عملَ قروناً متطاولة لجعْل عداوة آل النّبيّ صلى الله عليه وآله شيئاً مقبولاً لدى أهل القبلة،وهوأخطرما وجدت إلى الآن نظراً لما تؤول إليه عاقبة مُعتقدِه ومَن يعمل على نشره.

ثمّ إنّ مِن المتقدّمين من وقع في شبهة مفادُها أنّ الدّفاع عن مُعاويَة هو دفاع عن الإسْلام،وروَوا لذلك أموراً منها ما ذكره المزّيّ في تهذيب الكمال

ج 1 ص 339: .... عن أبي الحسن علي بن محمّد القابسي،قال:سمعت أبا علي الحسن بن أبي هلال يقول:سُئل أبو عبد الرحمن النسائي عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان صاحب النّبيّ صلى الله عليه وسلم،فقال:إنّما الإسْلام كَدَارٍ لها بابٌ،فباب الإسْلام الصّحابة،فمن آذى الصّحابة إنّماأراد الإسْلام،كمن نقر الباب إنّما يريد دخول الدّار،قال:من أراد مُعاويَة فإنّماأراد الصحابة(اهـ).[1] وهذا لعمري مما يحيّرعقول المتدبّرين،لأنّ قائلَه مطّلع على أعمال مُعاويَة فكيف يقول بعد ذلك عمّن فرّق المسلمين وجعل بأسهم بينهم إنّ من أراده فقد أراد الدّين؟!وهل أرادَ الدّينَ غيرُه؟وهل ترك مُعاويَةَ حرمةً من حرمات الدّين لم يستخففْ بها؟وكيف يكون لذلك معنى وقد ثبت أنّ اليهود كانوا يستخفّون بشخص النّبيّ صلى الله عليه وآله في مجلس معاوية ولا يغيّربقول ولا فعل؟

ثمّ إنّ هذا الكلام لاينفع معاوية لأنّه حجّةٌ عليه؛فإنّ مُعاويَة ينطبق عليه أنّه آذى الصّحابة،بل آذى خيرة الصّحابة عليّاً والحسن والحسين عليهم السّلام

و أبا ذرّ وعمّاراً وعمروبن الحمق وحجْر بن عديّ.فمن آذى الصّحابة إنمّا أراد الإسْلام،ومُعاويَة قد آذى الصّحابة فإذاً مُعاويَة قد أراد الإسْلام.ولا يجرمنّكم شنآن قوْمٍ على ألاّ تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى.

وليت شعري كيف يهضم النّاس مثل هذا بعد أن علم المسلمون أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله سمّى جماعة مُعاويَة "القاسطين"وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم:"وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطبا"؟! وسمّاهم الفئة الباغيةَ والبغيُ مُحرّم بنصّ الكتاب العزيز" قُلْ إنَّمَا حَرَّمَ رَبّي الفَواحشَ ماظهرَمنها وما بَطَنَ والإثْمَ والْبَغْيَ بغَيْرِالحقّ وأنْ تُشْركُوا بالله ما لمْ يُنَزلْ به سُلطاناً وأنْ

[1] العلامة (اهـ) تشير إلى نهاية النّصّ

تقولوا على الله مالاتَعلمُون"[1].على أنّه يُفترَضُ أن يكونَ تراثُ المسلمين أبعدَ ما يكونُ من المجاملةِ والانْسيَاق خَلْفَ الهوى والعواطِف،لأنَّ الحقّ لا يُعرَف بالرّجَال وإنّما يُعرف الرّجالُ بالحق.وللحَقّ قوانينُ وقَواعدُ يَستوى فيها الكبيرُ والصّغيرُوالعربيّ والأعجميّ.وقد تظافرت الآيات القرآنية والأحاديث النبويّة للحثّ على اتّباع الحقّ وتحرّيه ولوعلى النّفس،وتُحذّرمن الحُكم بغيرالحقّ ومن اتّباع الهوى لمافي ذلك من اضطراب الحال في الدّنْيا وسوء المآل في الآخرة،لكنّ نخبةَ المسلمين من مُحدّثين ومُؤرّخين ورجاليّين ومُفسّرين لم يَلْتقوا حول هذه النّقطة،إلاّمن رَحم الله،وصاربعضُهم يصرّح أنّ الحقّ ما عليه هو وجماعتُه،وماعدا ذلك من آية أو حديث فهو إمّا منسوخٌ أو مؤولٌ!وصار النّبيّ صلى الله عليه وآله بذلك تابِعاً لامَتبُوعاً.ولايَفُوتني هنا أنْ أؤكّدَ أنَّ الذين نَهوا النّاس عن الحديث عمّا جرى في صدْرالإسْلام زعماً منهم أنّ ذلك أسْلَمُ لدينِ المرْء إنّما أسْدَوا إلى الشّيطان خدْمة وحَرموا أجيالاً من المسلمين من إعْمال الفكروالتدبّروالتبصّر،وهذا بنفسه يكشف عن تعصّبهم وانْسيَاقهم خلْفَ الهوى وعَدم مُبالاتهم بمَصيرمَن يأتي بعدهم،إذ لَوأنّ البحثَ في ذلك بدأ من القَرْن الأوّل ثمّ أثراه من جاء فيما بعدُ لكان بين أيدينا اليومَ مادّة علميّةٌ غزيرةٌ كفيلةٌ بتَبْديد كثيرمن الشّبهات واستئصال كثيرمن العداوات والحزازات،ولكنْ يَظْهر أنّ أولئك كانت تهمُّهُمْ مَراكزُهُم ومَواقعُهم الاجتماعيّةُ وما يحصّلونه من جاه وهميّ أكثرَمما يهمّهم تاريخُ الإسْلام والمسلمين ونصرةُ الحقّ ومُبَاينةُ الباطل وأهْلِه؛وقد مرّعلى النّاس زمانٌ كان نجاح الفَقيه فيه متوقّفاً على مدى دفاعه عن مُعاويَة وطائفته ومُحاربةِ شيعَة أهْل البيت عليهم السّلام،[2]وتعاظمَ ذلك في القرن الثامن حتى أنتج لنا أمثالَ ابن تَيْمية

---

[1] سورة الأعراف 33

[2] المقصود بنجاح الفقيه شهرته واستقرار وضعيته الاجتماعية وربّما تقلّب في المناصب الرفيعة .

وابن قيّم الجوزيّة وابن كثير والذّهبيّ وآخرين يأتي الحديث عنهم إنْ شاء الله تعالى.واليوم أيضاً تتعالى أصواتٌ مُشابهَة ناسية أومُتناسية أنّ حولها من وسائل الاتّصال ما يسمح للمرء أن يطّلع على كثيرممّاجرى وما يجري دون مغادرة بيتَه،وبدلَ أن يستفيد أصحاب تلك الأصوات من ذلك تراهم يقلّدون أسلافهم ويدعون إلى التّعامي والتّغافل وتجاهل القيَم وتهميش من يدعو إلى الدّفاع عنها وهُمْ يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً."قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا*الذين ضل سعيهم في الحياة الدّنْياوهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ".[1]لقد وردت في صحاح المسلمين أحاديث تدعوإلى طاعة وُلاة الأمر وَإنْ فَجرُوا وفَسقُوا،ووردت أيضاً أحاديث تدعوإلى مُحاربة الحاكم الجائروتحذّرمن الرّكون إليه،والقسم الثّاني أقرب إلى التّعاليم القرآنية التي تؤكّد أنّ العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين.وتحذّرمن الركون إلى الطالمين[2]،والأمّة في زماننا أحوج ما تكون إلى أحاديث العزة والإباء،ومن بين الأحاديث ما جاء في صحيح ابن حبان[3] قال : ...عن عامربن السمط عن معاوية بن إسحاق بن طلحة قال حدثني ثم استكتمني أن أحدّث به ماعاش معاوية فذكرعامر قال سمعه وهو يقول حدثني عطاء بن يسار وهو قاضي المدينة قال سمعت بن مسعود وهو يقول قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم سيكون أمراء من بعدي يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يقولون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهومؤمن لا إيمان بعده.قال عطاء فحين سمعت الحديث منه انطلقت به إلى عبد الله بن عمرفأخبرته فقال أنت سمعت ابن مسعود يقول هذا كالمدخل عليه في حديثه

---

[1] سورة الكهف (103/104)

[2] ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون (هود 113)

[3] صحيح ابن حبان – ابن حبان البستي ــ ج 1ص 403 مؤسسة الرسالة 1414 تحقيق شعيب الأرنؤوط

قال عطاء فقلت هومريض فما يمنعك أن تعودَه قال فانطلقْ بناإليه فانطلقَ وانطلقتُ معه فسأله عن شكواه ثم سأله عن الحديث قال فخرج ابنُ عمروهو يقلّب كفّه وهويقول ما كان ابن أم عبْد يكذب على النّبيّ صلى الله عليه وسلم(اهــ)[1].أقول:وأنت ترى في هذا الحديث كيف يستكتم الصحابة والتابعون بعضهُم بعضاً في الحديث تقيّةً من معاوية ما عاش.

---

[1] علامة (اهــ) أو(انتهى) إشارة إلى نهاية النص .

الفصل الأول

بنو أُميّة

بنو أميّة

مُعاويَة بن أبي سُفْيان من بني أُميّة،وبنو أُميّة قبيلة من قُريْش عُرفت على وجه الخصوص بعداوتها لبني هاشم قبيلة النّبيّ صلى الله عليه وآله .وقد وردت أحاديث في مُستَدرك الحاكم وتفْسير القُرْطبيّ وكتاب الفتن[1] تفيد أنّهم لم يكونوا يستثنون النّبيّ صلى الله عليه وآله من تلك العداوة. قال ابن أبي الحديد[2]:وبنو أُميّة صنفان:الأعياص والعنابس فالأعياصُ،العاص وأبو العاص والعيص وأبو العيص.والعنابِس:حرب،وأبو حرب،وسُفْيان،وأبو سُفْيان.فبنو مَرْوان وعثمانُ من الأعياص،ومُعاويَة وابنُه من العنابس،ولكلّ واحد من الصّنفين المذكورين وشيعتهم كلامٌ طويلٌ واختلافٌ شديدٌ،في تفضيل بعضهم على بعض .اهـ

وفي لسان العرب[3]:والعنابس من قُريْش أولاد أُميّة بن عبد شمس الأكبر وهم ستّة حَرْب وأبو حَرْب وسُفْيان وأبو سُفْيان وعمْرو وأبو عمْرو وسُمُّوا بالأسد والباقون يقال لهم الأعياص.اهـ

[1] مُستَدرك الحاكم ج4ص534، تفْسير القرطبي ج14 ص239 ، كتاب الفتن ص131

[2] شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ ج 1 ص 335

[3] لسان العرب ـ ابن منظور ـ ج6ص129

وقد جاء في وصف أُميّة[1] جدّ القبيلة أقوالٌ منْ بيْنها أنّه كان صاحب عهار وفُجور،وأنّه كان فيه نَكد. قال ابن أبي الحديد في شرح النهج(ج3 ص467):إنّ عثمان بن عفان تمنّى رجُلاً يُحدّثه عن المُلوك وعمّا مضى فذُكر له رجلٌ بحضْرموْت،فأحْضرهُ وكان له مَعهُ حديثٌ طويلٌ كان منه أنْ سألَه:أرأيتَ عبدَ المطّلب؟فقال:نعم رأيْتُ رجلاً قعداً أبيضَ طويلاً مقرونَ الحاجبين بين عيْنيْه غُرّة يقال إنّ فيها بركةً،وإنّ فيه بَركَةً،قال:أفرأيْتَ أُميّة؟قال:نعمْ رأيْت رجلاًآدمَ دَميماً قصيراً أعْمى يُقال إنّه نكِدٌ ـــوإنّ فيه نكَداًـــ فقال عثمانُ: يكْفيك منْ شرّسماعُه،وأمرَ بإخْراج الرّجُل.اهـــ

والإنْصافُ يقْتضي أنْ نتساءل عنْ مدى شرْعية تصرّف عثمان ههنا،فإنّه يُخالف ماعليْه الأدْيانُ والأعْرافُ والثّقافات ممّا ينْبغي أنْ يُعامَل به الضّيْفُ.فالحضْرميّ شيْخ كبيرٌلم يأْتِ من تلْقاء نفْسه وإنّما أحْضرهُ الخليفةُ عُثمان منْ حضْرموْت ،وحضْرموْتُ باليَمَن، وقطعُ مثْلِ تلْك المسافةِ ليْس بالشيْء اليسيرعلى شيْخ كبيروفي مثْل مناخ الحجاز واليَمَنِ.و لعلّ الشيْخ اعْتبرهذه الدّعْوة شرفاً أدْركَهُ في آخرعُمره إذْ ليْس كلّ واحد في اليَمَن يحْظى بأنْ يُوَجّهَ إليْه الخليفةُ دَعْوةً.

تُرى أكان عُثْمانُ يأْمرُ بإخْراج الرّجل لو أنّه حرّف وزخْرف في وصْف أُميّة وادّعى له من الأوْصاف ما يدّعيه المتملّقون ؟!

[1] وأمية ابن أخي هاشم بن عبد مناف جد النبي صلى الله عليه و آله قال ابن هشام : " فولد عبد مناف بن قصي أربعة نفر هاشما وعبد شمس والمطلب وأمهم عاتكة بنت مرة بن هلال ونوفل بن عبد مناف وأمه واقدة بنت عمرو المازنية قال ابن هشام وولد لعبد مناف أيضا أبو عمرو وتماضر وقلابة وحية وريطة وأم الأخثم وأم سفيان ".

وفي تاريخ مدينة دمشق[1]:قال أبو حاتم قال ابْنُ الكلْبيّ سمعْتُ أبي يقولُ أدرك ثوب بن تلدةَ[2] مُعاويَة فدخل عليه فقال له:ما أدركت وكمْ عُمرك قال:لا أدري إلاأنّي أدركت بني والبةَ ثلاثَ مرّات يُريد أفْنيت ثلاثةَ قُرون قال:فكيْف بصرُك اليوْم قال:أحدّ ما كان قطّ كنتُ،أرى الشّخْص واحداً فأنا أراه اليوْم شخْصيْن قال:فكيف مشيُك قال أمْشى ما كنْت قطّ،كنْت أمْشي تائداً فأنا اليوْم أُهرولُ هرْولةً.فقال:أدركْت أُميّة بنَ عبْد شمْس؟ قال:نعمْ،وهوأعْمى وعبدٌ له يقُوده.قال له مُعاويَة:كُفّ فقدْ جاء غيرُما ذكرْتَ!ثمّ قال مُعاويَة:ليس في البيْت إلاّ أمويّ فأنظرْ أيّ هؤلاء أشْبه بأُميّة.قال:هذا لعمْروبن سعيد بن العاص وهو عمْروالأشْدق وقيل له الأشْدق لأنّه كان خطيباً مفلقا.اهـ [3]

وقد سبق كلامُ الرّجل الّذي قال لعثْمان ما قال بخُصوص أُميّة،والعبارتان تتّفقان على أنّ أُميّة كان أعْمى.والمتمعّنُ في القصّتيْن يجدُ موْقفَ الخليفة عثْمانَ وموْقفَ مُعاويَة مُتشابهيْن مُتناغميْن.

وعلى فرْض أنّ أُميّة لمْ يكُنْ أعْمى فيه نَكد،وعلى فرْض أنّهُ كان في جمال يوسف عليه السلام،فهل ينفعُه ذلك وهو صاحب عهاروفجُور؟ثمّ إنّ المرء لا يُعاب بالعمى إذْليس العمى بنفسه عيْباقادحاً في المُروءة،وقد عَميَ جماعةٌ من الصّحابة والتّابعين[4]،وإنّما يظْهرالنّقْص إذا انْضمّ إلى العمى سفاسفُ الأخْلاق وماتشْمئزّمنْه النّفوس،فيجْتمع العمَيَان عمَى الظّاهروعمى البَاطن. ولماذا ينْزعج عثْمانُ ومُعاويَة منْ عمى أُميّة والحالُ أنّ لدى الجمْهور رواياتٍ تُشيرإلى أنّ من الأنْبياء مَنْ كان فاقداً للبصر!

---

[1] تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ـ ج11 ص181

[2] اختلفوا في ضبط اسمه .

[3] عمروالأشدق هذا هوالذي ذبحه عبد الملك بن مَرْوان بعدما أعطاه الأمان.طالع شذرات الذهبج1ص77

[4] كان عبد الله بن أمّ مكتُوم أعْمى،وكان النبيّ (صلى الله عليه وآله يستخلفه على المدينة.

على كلّ حال، ليس في كُتب التّاريخ والأدب والتّراجم ما يُشيرإلى فضائلَ تحلّى بها أُميّة،ولم تنفع الأمْوالُ العريضةُ في اختْلاق شيءٍ مِنْ ذلك ونشْرِه،ولا يملك العاقلُ المُنْصف إلاّ أنْ يضعَ أُميّة حيْثُ وضعَ نفسَهُ . وقد جرت العادة عند العرب أنهّم يفتخرون بمآثر آبائهم وأجدادهم،ويعتبرونها رصيداً مهمّا في سجلّ الشّرف يتوارثونه جيلاً بعد جيل،وليس في آباء النّبيّ صلى الله عليه وآله إلاّ من هو فخرٌلا يُضاهى،وعزّ لا يتناهى،أقرّلهم بالفضل موالف ومخالف،وإنّما لا أبسط القول في ذلك لأنّ الموضوع يتعلّق بمُعاويَة وبني أُميّة.

وقد ذكر المؤرخون والأدباء من أخبار أمية وأوصافه ما تمجّه الأسماع،وأعرضت عن إيراد ذلك لأنّه لا يصحّ محاكمة بني أميّة بما كان في الجاهلية،وإن كان فيه ما يُعين على تشخيص ما يندرج تحت مقولة العرق الدّسّاس؛وأمّا مايستوي في الموقف منه المسلمُ والكافر فلا أرى حَرَجاً في ذكره.

1- بنو أُميّة في القرآن الكريم

في تفْسير القُرْطبيّ (ج 10 ص 283/282):

وقال في رواية ثالثة إنّه عليه السلام رأى في المنام بني مَرْوان ينْزون على منْبره نزْو القِرَدَةِ فساءَه ذلك فقيل إنّما هي الدّنْيا أعْطُوها فسُرِيَ عنْه وما كان له بمكّة منْبرٌ ولكنّه يجوزأنْ يرى بمكّة رؤيا المنْبر بالمدينة.وهذا التّأويل الثّالث قاله أيْضا سهْل بْن سعْد رضي الله عنه قال سهْل إنّماهذه الرّؤْيا هي أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم كان يرى بني أُميّة ينْزون على منْبره نزْوَالْقِرَدَةِ فاغْتمّ لذلك وماماستجْمع ضاحكاً منْ يوْمئذ حتّى مات صلّى الله عليه وسلّم،فنزلتْ هذه الآية مُخْبرةً أنّ ذلك منْ تملّكِهمْ وصُعودِهمْ يجْعلها الله فتْنةً للنّاس وامْتحاناً.

وفي الدّرّ المَنْثُر(ج5ص310):وأخْرج ابْن مرْدويْه عن الحسيْن بن عليّ رضي الله عنهما أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أصْبح وهو مهْموم فقيلَ مالكَ يا نبيّ فقال إنّي رأيْت في المنام كأنّ بني أُميّة يتعاوَرُون منْبري هذا فقيل يا نبيّ لا تهتمّ فإنّها دنْيا تنالهمْ فأنْزل الله وما جعلْنا الرّؤْيا التي أريْناك إلاّ فتنةً للنّاس.وأخْرج ابْن أبي حاتم وابْن مرْدويْه والبيْهقيّ في الدّلائل وابْن عساكرعن سعيد بْن المُسيّب رضي الله عنه قال رأى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بني أُميّة على الْمنابرفساءَه ذلك فأوْحى الله إليْه إنّماهي دنْيا أُعْطوها فقرّت عيْنه وهي قوْله وما جعلْنا الرّؤيا التي أريْناك إلاّ فتْنةً للنّاس يعْني بلاءً للنّاس..اهـ .

وحديثُ رُؤْيا النّبيّ(ص)بني أُميّة ينْزون على منْبره مذْكُورفي شُعب الإيمان (ج3ص324)عن يوسف بن مازن الرّاسبيّ .

وفي تفْسير القُرْطبيّ(ج11 ص351):ورُويَ أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى بني أُميّة في منامه يَلُونَ النّاس فخرج الحَكَمُ منْ عنْده فأخْبربني أُميّة بذلك

فقالوا له:ارْجع فسلْه متى يكون ذلك فأنزل الله تعالى وإنْ أدْري أقريبٌ أمْ بعيدُ ما تُوعدُون وإنْ أدْري لعلّه فتْنة لكمْ ومتاعٌ إلى حين يقول لنبيّه عليه السلام قُلْ لهُم ذلك.

وقال ابْن كثيرفي تفْسيره عنْد ذكْرالآية منْ سورة القدر (ج4 ص530): قال أبوعيسى التّرمذيّ عنْد تفْسيرهذه الآية حدّثنا محمود... عنْ يوسف بن سعْد قال قام رجل إلى الحسن بْن عليّ بعْدما بايعَ مُعاويَة فقال سوّدْتَ وُجوه الْمُؤْمنين أوْيا مُسوّدَ وُجوه المؤمنين فقال لا تؤنّبْني رَحمَك الله فإنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أُرِيَ بني أُميّة على منْبره فساءَهُ ذلك فنزلتْ إنّاأعْطيْناك الكوْثر يا مُحمّد يعْني نهْراً في الجنّة ونزلتْ إنا أنزلْناه في ليْلة القدْروما أدْراك ما ليْلة القدْر ليلةُ القدْرخيْرمنْ ألْف شهْر يملكُها بعْدك بنُو أُميّة.اهـ

أقول:وقد تعقّب ابْن كثيرهذا بكلام جرى فيه على عادته في الدّفاع عن بني أُميّة، وتلْك شنْشنة أعْرفها منِ أخْزم.[1]والدّليل على بطلان كلام ابْن كثيرروايةُ الحاكم للقصّة في المُستَدْرك (ج3ص186)وقوله بعد ذلك"هذا إسْناد صحيح "!وأمّا ما زعمُوه منْ وجوب تصْحيح الذّهبيّ لما يرْويه الحاكم فتحكّم ما أنزل الله به من سلطان .

ولم يخْتلف المفسّرون في أنّ سورة "المسد " نزلت في حقّ أبي لهب وزوْجته.وأرباب السّيَروالتّراجم متّفقون أنّ زوْجةَ أبي لهب حمّالة الحطب هي أمّ جميل بنت حرْب بن أُميّة،أخْت أبي سفْيان،وهي عمّة مُعاويَة بن أبي سفْيان.وقد كان حنقها على النّبيّ صلى الله عليه وآله من شدّته لا يكاد يُوصَف،حتّى إنّها كانتْ تسمّي النّبيّ صلى الله عليه وآله مُذمّما!!قال

---

[1] " قولهم شنشنة أعرفها من أخزم " يضرب مثلا للرجل يشبه أباه (جمهرة الأمثال لأبي هلال العسكري ج1ص541).

السّيوطيّ[1]:امْرأته امْرأة أبي لهب أمّ جميل العوْراء بنْت حرب بن أُميّة.وقال البغويّ في تفسيره[2]:وامْرأتُه أمّ جميل بنْت حرْب بن أُميّة أخْت أبي سُفْيان حمّالة الحطب قال زيْد والضحّاك كانتْ تحْمل الشّوك والعضاه فتطْرحه في طريق النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأصْحابه لتعقّرهم وهي رواية عطيّة عن ابْن عبّاس وقال قتادة ومجاهد والسّديّ كانت تمْشي بالنّميمة وتنْقل الحديث فتلْقي العداوة بيْن النّاس وتوقد نارها كما توقد النّارالحطب يقال فلان يحْطب على فلان إذا كان يُغْري به وقال سعيد بْن جُبيْر حمّالة الخطايا دليله قوله وهم يحْملُون أوْزارهم على ظهورهم.وقال الشوكاني في الفتح[3]:وقد ذهب جمهورالمُفسّرين إلى أنّهم كفار مكّة وأنّ الآية [ألم ترإلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار..الآية] نزلتْ فيهم وقيل نزلت فى الذين قاتلوا النّبيّ صلى الله عليه و آلهوسلم يوْم بدْر، وقيل نزلتْ فى بطْنين منْ بُطون قُريْش بني مخْزوم وبني أُميّة.اهــ

وفي فتح القدير أيضاً [4]: وأخرج البخاريّ فى تاريخه وابن جرير وابنُ المنْذر وابْن مرْدويَه عنْ عمر بْن الخطّاب فى قوْله ألمْ تر إلى الذين بدّلوا نعْمة الله كفْراً قال هُما الأفْجرَان منْ قُريْش بنو المغيرة وبنوأُميّة فأمّا بنو المغيرة فكُفيتُمُوهمْ يوْم بدر وأمّا بنو أُميّة فمُتّعوا إلى حين. وأخْرج ابنُ مرْدويْه عن ابْن عبّاس عنْ عمر نحْوَه .وأخرح ابنُ جريروابْنُ المنْذروابْن أبى حاتم والطّبرانيّ فى الأوْسط والحاكم وصحّحه وابْن مرْدويْه منْ طرق عنْ عليّ فى الآية نحوَه أيضا. وأخرج عبد الرّزاقوالفريابيّ والنّسائيّ وابْن

---

[1] الإتقان ــ السيوطي ج2ص395 تحت رقم5772

[2] تفسير البغوي ج4ص543

[3] فتح القدير ــ الشوكاني ــ ج3 ص108

[4] فتح القدير ــ الشوكاني ــ ج3ص111/110

جرير وابْن أبى حاتم وابْن الأنْباريّ والحاكم وصحّحه وابن مرْدويْه والبيْهقيّ عن أبي الطّفيل أنّ ابن الكوّاء سأل عليّاً عن الذين بدّلوا نعْمة الله كُفْراً قال هو الفجّار من قُريْش كُفيتَهُم يوْم بدْر.اهـ

والعجبُ من البُخاريّ يرْويه في تاريخه ولايرويه في صحيحه،ولعلّ القارئ يتصوّرأنّ شرْط الصّحيح لمْ يتوفرفيه،والأمْرُخلافُ ذلك ،فقد استدْركه عليْه الحاكم ضمن عدد هائل من الأحاديث؛ففي المُستَدرك [1]:حدّثنا أبوالعبّاس محمّد ... عن عمرو ذي مرّ عن عليّ رضي الله عنه ثمّ في قوله عزّوجلّ وأحلّوا قومهم دارالبوارقال هم الأفْجران منْ قُريْش بنو أُميّة وبنو المغيرة. فأمّا بنوالمغيرة فقدْ قطع الله دابرَهم يوْم بدْروأمّا بنوأُميّة فمُتّعوا إلى حين.هذا حديث صحيح الإسْناد ولمْ يُخْرجاه .اهـ

وفي زاد المسير[2]:فأمّا الأحْزابُ فهُم الكفّارالذين تحزّبوا على النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالمُعاداة وفيهم أرْبعة أقْوال أحدُها أنّهم اليهُود والنّصارى قاله قتادة والثّاني أنّهم اليهود والنّصارى والمجوس قاله ابن زيد والثالث بنو أُميّة وبنو المغيرة وآل أبي طلحة بن عبد العزّى قاله مقاتل والرّابع كُفّار قُريْش ذكره الماورديّ. اهـ

وقال السيوطي [3]: وأخْرج ابْن مرْدويْه والبيْهقيّ في الدّلائل منْ وجْه آخرَ عنْ أسْماء بنْت أبي بكْر رضي الله عنهما أنّ أمّ جميل دخلتْ على أبي بكْر وعنْده النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقالت ياابْن أبي قحافة ما شأْن صاحبك ينْشد فيّ الشِّعْرفقال والله ما صاحبي بِشاعرٍ وما يدْري ما الشّعْر فقالتْ أليْس قد قال

---

[1] المُستَدرك على الصحيحين ـــالحاكم النيسابوري ـــ ج2ص 383 تحت رقم 3343
[2] زاد المسير ـــ ابن الجوزي ـــ ج4ص335
[3] الدّرّالمنْثور ـــ السيوطي ـــ ج5 ص296

في جيدها حبْل من مسد فما يُدْريه ما في جيدي؟ فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم قل لها هل تريْن عندي أحداً فإنّها لنْ تراني جعل بيْني وبيْنها حجاباً.فقال لها أبو بكْررضي الله عنه فقالتْ أتهْزأ بي والله ما أرى عنْدك أحداً.وأخْرج ابن مرْدويْه عن أبي بكْر الصّدّيق رضي الله عنه قال كنْت جالساً عنْد المقام والنّبيّ صلى الله عليه وسلم في ظلّ الكعْبة بيْن يديّ إذْ جاءت أمّ جميل بنْت حرْب بْن أُميّة زوْجة أبي لهب ومعها فهْران[1] فقالت أيْن الذي هجاني وهجا زوْجي والله لئنْ رأيْته لأرُضّن أنْثييْه بهذيْن الفهْريْن وذلك عنْد نزول تبّتْ يدا أبي لهب قال أبوبكْر رضي الله عنه فقلْت لها ياأمّ جميل ما هجاك ولا هجا زوْجك.قالت والله ما أنْت بكذّاب وإنّ النّاس ليقولون ذلك ثمّ ولّتْ ذاهبة فقلْت يا نبيّ إنّها لمْ ترَك فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم حال بيْني وبيْنها جبْريل.وأخْرج ابْن أبي شيْبة والدّارقطْنيّ في الأفْراد وأبو نعيم في الدّلائل عن ابْن عبّاس رضي الله عنهما قال لمّا نزلتْ تبّتْ يدا أبي لهب جاءت امْرأة أبي لهب فقال أبو بكْر رضي الله عنه يا نبيّ لو تنحّيْت عنْها فإنّها امْرأة بذيّة فقال إنّه سيُحَالُ بيْني وبيْنها فلا تراني فقالت يا أبا بكر هجانا صاحبك.اهـ

وقال ابن كثير[2]: وامْرأته حمّالة الحطب وكانتْ زوْجته من سادات نساء قُريْش وهي أم ّجميل واسْمها أروى بنت حرب بن أُميّة،وهي أخت أبي سُفْيان وكانتْ عوْنا لزوْجها على كفْره وجُحوده وعناده،فلهذا تكُون يوم القيامة عوْناً عليْه في عذابه في نارجهنّم ولهذا قال تعالى حمّالة الحطب في جيدها حبْل من مسد يعني تحْمل الحطب فتلْقى على زوْجها ليزْداد على ماهو فيه وهي مهيّأةٌ لذلك مُستعدّة له.وقال السيوطي:[3]وأخرج ابْن جريرعن سهْل بن سعْد

---

[1] الفهر الحجر قدر ما يدق به الجوز ونحوه أنثى (لسان العرب ج5ص66)
[2] تفْسير ابن كثيرج4 ص 565
[3] الدّرّ المنْثر السيوطي ج 5ص309

رضي الله عنه قال رأى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بني فلان[1] ينْزون على منْبره نزوَ القردة فساءه ذلك فما استجْمع ضاحكاً حتّى مات وأنْزل الله وما جعلْنا الرّؤيا التي أريْناك إلاّ فتْنة للنّاس.وأخْرج ابْن أبي حاتم عن ابْن عُمر رضي الله عنهما أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال رأيْت ولد الحكَم بْن أبي العاص على المَنابر كأنّهم القردة وأنْزل الله في ذلك وما جعلْنا الرؤْيا التي أريْناك إلاّ فتنة للنّاس والشّجرة الملْعُونة يعني الحكَم وولدَه.وأخْرج ابْن أبي حاتم عن يعلى بن مرّة عنْ علي رضي الله عنه قال قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أُريتُ بني أُميّة على منابر الأرْض وسيتملّكونكم فتجدُونَهم أرْبابَ سوء.واهْتمّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لذلك فأنْزل الله وما جعلْنا الرّؤْيا التي أريْناك إلاّ فت ْنةً للنّاس .وأخْرج التّرمذيّ والحاكم عن الحسن بْن عليّ أنّ النّبيّ رأى بني أُميّة على منْبره فساءه ذلك فنزلتْ إنّا أعْطيْناك الكوثر ونزلتْ إنّا أنْزلْناهُ في ليْلة القدْر..الحديث.لكنّ المزّيّ يقول:هو حديث مُنْكر،ولاعجب منْ قوْل المزّيّ[2]وغيره من الشاميّين،فكم من حديث صحيح عدّوه في الموضوعات وكم من حديث موضوع أحاطوه بهالة من التّقْديس.

قال البيْضاويّ[3]:والله سريع الحساب لا يشغله حساب عن حساب رُوي أنّها نزلتْ في عتْبة بْن ربيعةَ بْن أُميّة تَعبَّدَ في الجاهليّة والْتمَس الدّين فلمّا جاء الإسْلام كَفَر.وفي تفْسير الطّبريّ[4]: ...عن ابْن عبّاس قال كان أُبيّ بْن

---

[1] " بني فلان " ليس فيه تصريح باسم القبيلة، فإن كان تعمّداً فهو من كتمان العلم،وإن كان تقيّة فإنّما يدلّ على إرهاب فكري رهيب في زمن الصحابة!

[2] المزّيّ نسبة إلى المزّة قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ج 5ص 122 قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق بينها وبين دمشق نصف فرسخ وبها فيما يقال قبر دحية الكلبي صاحب النّبيّ صلّى اللّه عليْه وسلّم ويقال لها مزة كلب.

[3] تفْسير البيضاوي ج4ص193

[4] تفْسير الطّبريّ ج 19 ص 8

خَلَف يحْضر النّبيّ صلى الله عليه وسلم فزَجَرهُ عُقْبة بْن أبي معيط فنزل ويوْم يعضّ الظّالم على يديْه يقولُ ياليْتني اتّخذْتُ مع الرّسول سبيلاً إلى قوله خذولاً قال " الظّالمُ " عقْبة و" فُلاناً خليلاً " أبيّ بْن خلَف. حدّثنا ابن حميد قال حدّثنا جرير عن الشّعبيّ في قوله ليْتني لمْ أتّخذْ فلاناً خليلاً قال كان عقْبة بْن أبي معيط خليلاً لأُميّة بْن خَلَف فأسْلم عقْبة فقال أُميّة وجْهي منْ وجْهك حرام إنْ تابعْتَ محمّداً فكفروهو الذي قال ليْتني لمْ أتّخذْ فلاناً خليلاً.حدّثنا الحسنُ قال أخبرَناعبد الرّزاققال أخبرَنا معمر عنْ قتادةَ وعثْمان الجزريّ عنْ مقسم في قوْله ويوْم يعضّ الظّالم على يديْه يقُول يا ليْتني اتّخذْت مع الرّسول سبيلاً قال اجْتمع عقْبة بْن أبي معيط وأُبيُّ بْن خَلَف وكانا خليليْن فقال أحدُهما لصاحبه بلغَني أنّك أتيْتَ محمّداً فاستمعْتَ منْه والله لا أرْضَى عنْك حتّى تتفُل في وجْهه وتكذّبه فلمْ يسلّطْه الله على ذلك فقُتل عقْبة يوْم بدْرصبراً،وأمّا أُبيُّ بْن خلَف فقتله النّبيّ صلى الله عليه وسلم بيدِه يوْم أُحُد في القتال وهُما اللّذان أنْزلَ اللهُ فيهما ويوْم يعضُّ الظّالمُ على يديْه يقولُ يا ليْتني اتّخذْت مع الرّسول سبيلاً.والقصّة مذْكورة في زاد المَسيرج6ص86.وقال القرطبي في قوله تعالى"وإذا دُعُوا إلى الله وَرَسُولِه لِيَحْكُمَ بيْنَهُمْ..."[1]:وقيلَ نزلتْ في المُغيرة بْن وَائل منْ بني أُميّة كان بيْنه وبيْن عليّ بْن أبي طالب خُصومةٌ في ماء وأرْض فامْتنع المُغيرةُ أنْ يحاكمَ عليّاً إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم وقال إنّه يبْغضُني فنزلتْ الآية ،وذَكَرهُ الماورْديّ وقال ليحْكُم ولمْ يقُلْ ليحْكُما لأنّ المعْنيَّ به الرسولُ صلى الله عليه وسلم وإنّما بدأ بذكْر الله إعْظاماً لله واستفتاحَ كَلاَمٍ.

وقالَ في تفْسير قوْله تعالى " ويوْم يعض الظّالم على يديْه....":قوْله تعالى ويوْم يعضّ الظّالم على يديْه الماضي عَضَضْت وحكَى الكسائيّ

---

[1] تفسير القُرطبيّ ج 12 ص293

عضضْتَ بفتْح الضّاد الأولى وجاء التوْقيف على أهْل التفْسيرمنْهم ابْن عبّاس وسعيد بْن المُسيّب أنّ الظّالم ها هُنا يُراد به عُقْبة بْن أبي معيط وأنّ خليلَه أُميّة بْن خلَف فعُقبة قتَلَهُ عليّ بْن أبي طالب رضيَ الله عنه وذلك أنّه كان في الأُسارى يوْم بدْر فأمرَ النّبيّ صلى الله عليه وسلم بقتْله فقال أأُقْتَلُ دُونَهُم فقال نعمْ بكُفْرك وعُتُوّك فقال مَنْ للصبْيةِ فقال النّارفقام عليّ رضيَ الله عنه فقتله وأُميّة قتَلَهُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم فكانَ هذا منْ دَلائل نبوّة النّبيّ صلى الله عليه وسلم لأنّهُ خبّر عنْهُما بهذا فقُتلا على الكُفْرولمْ يُسمّيا في الآية لأنّه أبْلغ في الفائدة ليُعْلم أنّ هذا سبيلُ كلّ ظالم قَبلَ منْ غيْره في معْصية الله عزّ وجلّ قال ابْن عبّاس وقتادة وغيْرُهما وكان عُقْبة قدْ همّ بالإسْلام فمنَعَهُ منْه أُبيُّ بْن خلَف وكانا خدنيْن وأنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قتلهُما جميعاً قتلَ عُقْبَةَ يوْم بدْر صبْراً وأُبيّ بْن خلَف في المُبارزة يوْم أُحُد ذكرَهُ القُشيْريُّ والثّعلبيّ والأوّل ذَكَره النّحّاسُ وقال السُّهيْليّ ويوْم يعضّ الظّالم على يديْه هو عُقْبة بْن أبي معيط وكانَ صديقاً لأُميّة بْن خَلَف الجُمَحي ويرْوى لأُبيّ بْن خلَف أخي أُميّة وكان قدْ صنع وليمةً فدعا إليْها قُريْشاً ودعَا النّبيّ صلى الله عليه وسلم فأبى أنْ يأْتيَه إلاّ أنْ يُسْلمَ وكَرِهَ عُقْبة أنْ يتأخرعنْ طَعامه منْ أشْراف قُريْش أَحدٌ فأسْلم ونَطَق بالشّهادتيْن فأتاهُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأكلَ منْ طعامه فعاتَبَه خَليلُه أُميّة بْن خلَف أوأُبيّ بْن خلف وكان غائباً فقال عُقْبة رأيْتُ عظيماً ألاّ يحضُر طعامي رجلٌ منْ أشْراف قُريْش فقال له خَليلُه لا أرْضى حتّى تَرْجعَ وتَبْصقَ في وجْهه وتَطأَ عُنُقَه وتقولَ كيْت وكيْت ففَعلَ عدوّ الله ما أمَرَهُ به خَليلُه فأنْزل اللهُ عزّ وجلّ ويوْم يعضّ الظّالم على يديْه.اهـ

وروى مثْله البغويّ في تفْسيره ج3ص 367 .

وفي تفْسيرابْن كثيرعنْد قوله تعالى "ألمْ تَرَإلى الذينَ بَدّلُوا نِعْمَةَ الله كُفْراً وأحلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَالبَوار..":قال البُخاريّ قوْله ألمْ ترَإلى الذين بدّلُوا نِعْمةَ الله

كُفْراً ألمْ تعلّمْ كقولِه ألمْ ترَ كيْفَ ألمْ تر إلى الذين خرجُوا البوارُ الهلاكُ بارَ يبُورُبوْراً وقوماً بُوراً هَالكِينَ حدّثنا عليّ بْن عبْد الله حدّثنا سُفْيان عن عمْرو عن عطاء سمع ابْن عبّاس ألمْ ترّ إلى الذين بدّلوا نِعْمةَ الله كُفْراً قال هم كُفّارأهْل مكّة وقال العَوْفيّ عن ابْن عبّاس في هذه الآية هو جبلَةُ بْن الأيْهم والذين اتّبعوه من العرب فلحقُوا بالرّوم[1] والمشهورُ الصّحيح عن ابْن عبّاس هو القوْل الأوّل وإنْ كان المعْنى يعمّ جميعَ الكُفّار فإنّ الله تعالى بَعثَ محمّداً صلّى الله عليه وسلم رحْمةً للعالَمين ونعْمةً للنّاس فمَنْ قَبِلَها وقامَ بشُكْرِها دخَل الجنّةَ ومَنْ ردّها وكَفَرَهَا دخَل النّار.وقدْ رُوِيَ عنْ عليٍّ نحْوُ قوْل ابْن عبّاس الأوّل وقال ابْن أبي حاتم حدّثَنا أبي... أبي الطُّفيْل أنّ ابْن الكوّاء سأل عليّاً عن الذين بدّلُوا نعْمة الله كُفْراً وأحلّوا قوْمهم دارَالبوَارقال هُم كُفّار قُريْش يوْم بدْر.حدّثنا المُنْذر بْن شاذان ...عن أبي الطّفيْل قال جاء رجل إلى عليّ فقال يا أميرَ المؤْمنين من الذين بدّلوا نعْمة الله كُفْراً وأحلّوا قوْمهُم دارَ البوَار قال مُنافقو قُريْش وقال ابْن أبي حاتم حدّثَنا أبي حدّثَنا ابْن نُفَيْل قال قرأْت على معقل عن ابْن أبي حُسين قال قام عليّ بْن أبي طالب رضي الله عنه فقال ألا أحدٌ يسْألُني عن القرْآن فوالله لوْ أعْلَمُ اليوْم أحداً أعْلم به منّي وإنْ كان منْ وراء البحار لأتيْته فقام عبْد الله بْن الكوّاء فقال من الذين بدّلوا نعْمة الله كُفْراً وأحلّوا قوْمهُم دار البوار قال مُشْركو قُريْش أتتْهم نعْمة الله فبدّلوا نعْمة الله كُفْراً وأحلّوا قوْمهم دارَ البَوار وقال السديّ في قوْله ألمْ تر إلى الذين بدّلوا نعْمةَ الله كُفْراً الآية ذكر مُسلم المُسْتوْفي عن عليّ أنّه قال هم الأفْجَرانِ منْ قُريْش بنُو أُميّة وبنو المُغيرة فأمّا بنو المغيرة فأحلّوا قوْمهم دارالبوار يوْم بدْر وأمّا بنُو أُميّة فأحلّوا قوْمهم دار البوار يوْم أُحُد وكان أبو جهْل يوْم بدْر وأبو سُفْيان

---

[1] هذا لا يصحّ لأنّ جبلة بن الأيهم أسلم في خلافة عمر، ثم ارتدّ بعدذ ذلك إثر قصة له معه، ولم يعرف أهل الشام الإسلام على عهد النّبيّ (صلى الله عليه وآله .

يوْم أُحُد وأمّا دار البوار فهيَ جهنّم وقال ابْن أبي حاتم رَحِمَهُ الله حدّثنا محمّد بْن يحْيى .. عنْ عمْرو بْن مرّة قال سمعْت عليّاً قرأ هذه الآية وأحلُّوا قوْمهم دارَالبَوارقال هم الأفْجران منْ قَريْش بنُو أُميّة وبنو المُغيرة فأمّا بنوالمغيرة فأُهْلكوا يوْم بدْر وأمّا بنو أُميّة فمُتّعوا إلى حين ورواه أبو إسْحاق عنْ عمْرو ذي مرعن عليّ نحْوه ورُوِي منْ غيْر وجْه عنْه وقال سُفْيان الثوْريّ عنْ عليّ بْن زيْد عنْ يوسُف بْن سعْد عنْ عُمر بْن الخطّاب في قوْله ألمْ ترإلى الذين بدّلوا نعْمة الله كفراً قال هم الأفْجران منْ قُريْش بنو المُغيرة وبنوأُميّة فأمّا بنو المُغيرة فكُفيتُموهم يوْم بدْروأمّا بنوأُميّة فمُتّعوا إلى حين.وكذا رواه حمْزة الزيّات عنْ عمْرو بْن مرّة قال قال ابْن عبّاس لعمربن الخطّاب يا أميرالمؤْمنين هذه الآية ألمْ تر إلى الذين بدّلوا نعْمة الله كفْراً وأحلّوا قوْمهم دارالبوارقال هم الأفْجران منْ قُريْش أخْوالي وأعْمامك فأمّا أخوالي فاستأصلهم الله يوْم بدْروأمّا أعْمامك فأملى الله لهُم إلى حين .اهـ

وفي زاد المسير[1]:قوله تعالى ألمْ تر إلى الذين بدّلوا نعْمة الله كفْراً في المُشارإليْهم سبْعة أقْوال أحدها أنّهم الأفْجران منْ قُريْش بنو أُميّة وبنو المغيرة روي عنْ عُمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب والثاني أنّهم منافقو قُريْش رواه أبو الطّفيل عنْ عليّ والثالث بنو أُميّة وبنوالمغيرة ورؤساء أهْل بدْر الذين ساقوا أهْل بدْر إلى بدْر رواه أبو صالح عن ابن عبّاس.والرّابع أهْل مكّة رواه عطاء عن ابْن عبّاس وبه قال الضّحّاك والخامس المشْركُون منْ أهْل بدْر قاله مجاهد وابْن زيْد.والسّادس أنّهم الذين قتلوا ببدْرمنْ كفّار قُريْش قاله سعيد بْن جُبيروأبو مالك.والسّابع أنّها عامّة في جميع المُشْركين قاله الحسن.اهـ

وفي تفْسير الطّبريّ[1]: وقيل إنّ الذين بدّلوا نعْمة الله كُفْراً بنو أُميّة وبنو مخْزوم ذِكْرُ مَنْ قال ذلك: حدّثنا ابْنُ بشّار وأحْمد بن إسْحاق قالا حدّثنا أبو أحمد قال حدّثنا سُفْيان عن علي بن زيْد عنْ يوسُف بْن سعْد عنْ عُمَر بْن الخطّاب في قوْله ألمْ ترَ إلى الذين بدّلوا نعْمة الله كُفْراً وأحلّوا قوْمهُم دار البوار جهنّم قال هُما الأفْجران منْ قُريْش بنو المُغيرة وبنُو أُميّة فأمّا بنو المغيرة فكُفيتُموهم يوْم بدْر وأمّا بنو أُميّة فمُتّعوا إلى حين. اهـ

وروى مثله في ص220 و ص222.

وقال السّيوطيّ في الدّرّ المَنثُر ج 5ص 41 : وأخْرج البُخاريّ في تاريخه وابْن جرير وابْن المنْذر وابْن مرْدويْه عنْ عُمَر بْن الخطّاب رضي الله عنه في قوْله ألمْ ترَ إلى الذين بدّلوا نعْمة الله كُفراً قال هُما الأفْجران منْ قُريْش بنو المغيرة وبنو أُميّة فأمّا بنو المغيرة فكُفيتُموهم يوْم بدْر وأمّا بنو أُميّة فمُتّعوا إلى حين .اهـ وفيه ج 5 ص 42 :

وأخرج ابن مرْدويْه عن عليّ رض ي الله عنه أنّه سُئل عن الذين بدّلوا نعْمة الله كُفراً قال بنو أُميّة وبنو مخزوم رهْط أبي جهْل .اهـ

***

2- الشجرة الملعونة في القرآن :

هذا تعبيرورد في القرآن الكريم،وذكرأكثرالمفسّرين أنّ المقصود به بنو أميّة،والذين ذكروا ذلك غيرُ متّهمين على بني أميّة إذْ ليس فيهم من يُنسب إلى التّسيّع،وقد جرت العادة لدى المفسّرين أنْ يذْكروا أكثرمن قول ليرجّحوا

---

[1] تفْسير الطّبريّ ج13ص219

واحداً في آخرالأمرأويترْكوا الاخْتيارللقارئ،لذلك تراهم في تفْسيرهم للآية ذكروا أيْضاً أشجاراً احتملوا أنْ تكون مقصودةً باللّعن ، ولا أدْري ما ذنْب شجرةٍ لم تَخْلُقْ نفْسَها ولمْ تخْترلونَها ولامكانَها ، ولم تُكلّفْ ولم تخالف التكْليف ــ لا أدري ــ ما ذنبها حتّى تُلعن ؛ واللّعْن هو الطّرْد والإبْعاد من رحْمة الله ولا يكون إلاّ باستحْقاق ! وبناءً على القوْل الذي يُشير إلى بني أميّة يكونُ أخْذُ الحيطة والحَذر منْهم أمراً مطلوباً لأنّه لا يُرْجى من الملْعون خيْر.وإليْك بعضَ ما قاله المفسّرون :

قال الشوكاني[1]:وقيل إنّ الشجرة الملْعونة هى الشّجرة التى تلْتوى على الشّجر فتقْتلها وهى شجرة الكشوث وقيل هى الشّيطان وقيل اليهود وقيل بنوأُميّة .ونخوّفهم فما يزيدهم إلاّ طُغيانا كبيراً أىْ نخوّفهم بالآيات فما يزيدهم التّخويفُ إلا طُغْياناً متجاوزا للحدّ متمادياً غايةَ التّمادي..اهـ

وقال السيوطي[2]:أخْرج ابْن مرْدويْه عن عَائشَة رضي الله عنها أنّها قالتْ لمَرْوانَ بْن الحكَم سمعْتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول لأبيك وجدّك إنّكم الشّجرة الملْعونة في القرْآن.اهـ

وفي فتْح القدير[3]:أخْرج ابْن أبى حاتم عن ابْن عمرو أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قال رأيْت ولدَ الحكَم بْن أبى العاص على المنابر كأنّهم القردةُ فأنْزل الله وما جعلْنا الرؤيا التى أريْناك إلاّ فتْنةً للنّاس والشّجرة الملْعونة يعنى الحكَم وولدَه .اهـ

---

[1] فتح القدير ــ الشوكاني ــ ج3ص239

[2] الدّرّالمنْثور ــ السيوطي ــ ج5ص31

[3] فتْح القدير ــالشوكاني ــ ج3ص240

وقال ابن الجوزي[1]:وروى ابنُ الأنْباريّ أنّ سعيد بن المُسيّب قال رأى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قوماً على منابر فشقّ ذلك عليْه وفيه نزل والشّجرة الملْعونة في القرْآن. وفي الدّرّ[2]:وأخرج ابن مرْدويْه عن عليّ قال سورة محمّد آية فينا وآية في بني أُميّة.وفي تفْسير الصنعاني في حوار طويل بين عليّ بن أبي طالب عليه السلام وابن الكوّاء [3]: قال فمن الذين بدّلوا نعمة الله كُفراً وأحلوا قومهم دارالبوار قال الأفْجران من قُريْش بنو أُميّة وبنو مخزوم كفيتَهم يوْم بدْر.اهـ. وفي تفْسيرالثّوريّ[4]: حدّثنا أبو حذيفة حدّثنا سفين عن أبي إسحق عن عمرو عن عليّ بن أبي طالب في قوله ألم ترإلى الذين بدّلوا نعمة الله كُفراً وأحلّوا قومهم دارالبوارجهنّم قال هما الأفْجران من قُريْش بنو أُميّة وبنو المغيرة فأما بنو المغيرة فقطع الله أدْبارَهم وأمّا بنو أُميّة فمُتّعوا إلى حين.وفي تفْسيرأبي السّعود[5]: وعنْ عمر وعليّ رضي الله عنهما هم الأفْجران من قُريْش بنو المغيرة وبنوأُميّة أمّا بنو المغيرة فكُفيتُموهُم يوْم بدْر وأما بنو أُميّة فمُتّعوا إلى حين كأنّهما يتأوّلان ما سيتلى من قوْله عزّوجلّ قل تمتّعوا الآية.اهـ

وفي لباب النّقول[6]: أخْرج التّرمذي والحاكم وابن جرار عن الحسن بن عليّ قال إنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم رأى بني أُميّة على منْبَره فساءه ذلك فنزلتْ إنّا أعْطيْناك الكوْثر ونزلتْ إنا أنْزلْناه في ليْلة القدْر وما أدْراك ما ليْلة القدْر

---

[1] زاد المسير ــ ابن الجوزي ــ ج5ص54
[2] المَنثُورالدّرّ المَنثُور ــ السيوطي ــ ج 7 ص456
[3] تفْسير الصنعاني ج 3 ص 242
[4] تفْسيرالثّوريّ ج1ص 157
[5] تفْسيرأبي السّعود ج5ص45
[6] لباب النّقولــ السيوطي ــ ج1 ص 233

ليْلة القدْر خيْرمنْ ألْف شهْرتملّكها بعْدك بنو أُميّة قال القاسم الحرّانيّ فعددْنا وإذا هي ألْف شهْر لا تزيد ولا تنْقص قال التّرمذيّ غريب وقال المزَنيّ وابْن كثير منْكرجدّاً.اهـ

أقول:ليْست هذه أولَ مرّة يقول فيها ابْن كثير "مُنْكَرٌ جدّاً " إذا تعلّق الأمْر بذَمّ بني أُميّة، لأن ابن كثير على أثَر شيخه ابن تَيْميَة،وابنُ تَيْميَة ردّ أحاديثَ صحيحةً لأنّها تَهدم مبانيه، ومن يشابه أبه فما ظلم!

وقال السيوطي [1]: أخرج الخطيب في تاريخه عن ابْن عبّاس قال رأى النّبيّ صلى الله عليه وسلم بني أُميّة على منْبره فساءه ذلك فأوْحى الله إليْه إنْما هومُلْك يُصيبُونه ونزلتْ إنّا أنْزلْناه في ليْلة القدْر وما أدْراك ما ليْلة القدْر ليْلة القدْرخيْرمنْ ألْف شهْر.وأخْرج الخطيب عن ابْن المُسيّب قال قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم أُرِيتُ بني أُميّة يصْعدون منْبري فشقّ ذلك عليّ فأنْزل الله إنّا أنْزلناه في ليْلة القدر.وأخْرج التّرمذيّ وضعّفه وابنُ جريروالطبرانيّ وابْن مرْدويَه والبيْهقيّ في الدّلائل عن يوسف بْن مازن الرؤاسيّ قال قام رجلٌ إلى الحسن بْن عليّ بعد ما بايعَ مُعاويَةَ فقال سوّدْتَ وُجوهَ المُؤْمنين فقال لا تُؤنّبْني رحمَك الله فإنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم رأى بني أُميّة يخْطبون على منْبره فساءه ذلك فنزلتْ إنّا أعْطيْناك الكوْثر سورة الكوثر(الآية) يا محمّد يعني نهراً في الجنّة ونزلتْ إنّا أنْزلْناه في ليْلة القدْر وما أدْارك ما ليْلة القدر ليلْة القدْر خيْر منْ ألْف شهْر يملكها بعدك بنو أُميّة يا محمّد قال القاسم:فعددْنا فإذا هي ألْف شهْر لا تزيد يوْماً ولا تنْقص يوْماً.

---

[1] الدّرّ المنْثور_ السيوطي _ ج 8 ص569

وفي زاد المسير[1]:والثاني أنّه أري بني أُميّة على المنابر فساءَه ذلك فقيل له إنّها الدّنْيا يُعْطَوْنَهَا فَسريَ عنْه.وفي تفْسيرأبي السعود ج7ص31 عند قوله تعالى"ووصّيْنا الإنسانَ بوالدَيْه حُسْناً...":والآية نزلت في سعْد بن أبي وقّاص رضي الله تعالى عنه عند إسلامه حيث حلفتْ أمّه حمْنة بنْت أبي سُفْيان بن أُميّة أنْ لا تنتقل من الضح الى الظّلّ ولا تطْعم ولا تشْرب حتّى يرتدّ فلبثتْ ثلاثة أيّام كذلك.اهـ

وفي تفْسيرالبغويّ[2]: وقال عمر بن الخطّاب هم الأفْجران منْ قُريْش بنو المغيرة وبنو أُميّة أما بنو المغيرة فكُفيتُمُوهم يوْم بدْر وأما بنو أُميّة فُمتّعُوا إلى حين .وفيه أيضاً[3]:قال مقاتل نزلتْ هذه الآية [حتّى إذا جاءه لمْ يجدْه شيْئا ووجد الله عنْده فوفاه حسابه...الآية] في عتّبة بْن رَبيعَة بن أُميّة كان يلْتمس الدّين في الجاهليّة ويلْبس المسُوح فلمّا جاء الإسْلام كفر والأكْثرون على أنّه عامّ في جميع الكفّار.اهـ

وفي فتح القدير[4]: وأخْرج ابن أبي خثيمة وابْن عساكر عن الرّبيع بن أنس قال لما أسري بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم رأى فلاناً وهو بعْض بني أُميّة على المنْبر يخْطب الناس فشقّ ذلك على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأنْزل الله وإن أدْري لعلّه فتْنة لكمْ ومتاع إلى حين يقول هذا المُلْك.

***

---

[1] زاد المسير ــ ابن الجوزي ــ ج5ص54
[2] تفْسيرالبغويّ ج 3 ص 35
[3] نفس المصدر ج3ص350
[4] فتح القدير ج 3 ص433

3- بنو أُميّة في الأحاديث والآثار:

قال المقريزي في كتاب " النزاع والتخاصم "[1]: وقد خرج الحاكم من حديث سُفْيان عن أبي إسحاق عن عمرو ذي مر عن عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه في قوله عز وجل:واحلّوا قومهم دارالبوارقال:هما الأفْجران من قُريْش بنوا أُميّة وبنو المغيرة ، فأمّا بنو المغيرة فقد قطع الله دابرهم يوْم بدْر،وأمّا بنو أُميّة فمُتّعوا إلى حين.قال الحاكم:هذا حديث صحيح.

أقول: الحديث في المُستَدرك ج2ص 383تحت رقم 3343 قال في ذيْله الحاكمُ :هذا حديث صحيح الإسناد ولمْ يخْرجاه!

وفي معجم الصحابة[2]::حدّثنا محمّد بن إسماعيل البندار... عن عبد الله بن بدر عن أبيه عن جدّه أنّ سالماً قال سمعت النّبيّ صلى الله عليه سلم يقول ويل لبني أُميّة ثلاثا .اهـ

وهذا جدير بالتأمّل والتّمعّن، فإنّ قوله صلى الله عليه وآله " ويل لبني أميّة " يدلّ على سوء منقلبهم، وكلمة (ويْل) في القرآن الكريم وردت في حقّ الكفار والمنافقين وأهل العاقبة السّيّئة.

وفي معجم الصحابة[3]:... عن عبد الله بن مطرف قال كان أبغضَ النّاس إلى النّبيّ صلى الله عليه و سلم أو أبغضَ الأحياء بنو أُميّة وثقيف وبنو حنيفة. اهـ

---

[1] النزاع والتخاصم ــ المقريزي ــ ص72:

[2] معجم الصحابة ــ ابن قانع ــ ج1ص284

[3] نفس المصدر ج2ص129

وهو في مجمع الزوائد كما يلي[1]:وعنْ أبي برْزة قال كان أبغض النّاس أو أبغض الأحْياء إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ثقيف[2] وبني حنيفة رواه أحمد وأبو يعلى وزاد إلاّ أنّه قال بنو أُميّة وثقيف وبنو حنيفة وكذلك الطبرانيّ ورجالهم رجال عبدالله بن مطرف بن الشخير وهو ثقة.اهـ

قلت:لعلّ أبا بْرزة حدّث به في زمان دولة بني أُميّة فكان عليه أن يتغاضى عن أن يصرّح باسم القبيلة الحاكمة حقناً لدَمِه،وقد كان أبو هُرَيْرَة يقول: وأمّا الوعاء الثّاني فلوْ حدّثْتُ به لقُطع منّي هذا البلْعُوم.وقد بقي أبو برْزة إلى أيّام الحرّة التي كان فيها ماكان وتوفّي بعْدها.قال ابْن حبّان[3]: أبوبرزة الأسلميّ اسمُه نضلة بن عُبيد بن الحارث من المتعبّدين، مات في إمارة يزيد بن مُعاويَة بعد الحرّة في المفازة بين سجستان وهراة غازيا.اهـ

ويؤيّد ماقُلتُه بخُصوص خوْف أبي برزة على نفسه ما جاء في كتاب الفتن[4]:

حدّثنا محمّد بن جعفر... عن بجالة بن عبد أو عبد بن بجالة قال قلْت لعمْران بن حصيْن حدّثْني عنْ أبْغض النّاس إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال تكتم عليّ حتّى أموت قال قلت نعم قال بنو أُميّة وثقيف وبنو حنفية.اهـ

وفي كتاب الفتَن أيضاً[5]: حدّثنا بقيّة بن الوليد وعبْد القُدّوس ...عن أبي ذرّ رضى الله عنه قال سمعْت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول إذا بلغتْ بنو أُميّة أرْبَعين

---

[1] مجمع الزوائد ــ الهيثمي ــ ج10ص71
[2] كذا في مجمع الزوائد
[3] مشاهيرعلماء الأمْصار ــ ابن حبّان البستيّ ص 68
[4] الفتن ــ نعيم بن حماد ــ ج1ص132 تحت رقم320
[5] نفس المصدر ج1ص130 تحت رقم 314

اتّخذوا عبادَ الله خولاً ومالَ الله نحلاً وكتابَ الله دغلاً.وأيضاً تحت رقم 315: حدّثنا عبد الصمد بن عبد الوارث ...يزيد بن شريك أنّ الضحّاك بن قيْس أرْسلَ معَه إلى مَرْوان بكسْوة فقال مَرْوانُ مَنْ على الباب فقال أبو هُرَيْرَة فأذن له فسمعْتُه يقول بعْد ما دخلَ سمعتُ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقُول يكُون هلاكُ هذه الأمّة على يدي أغَيْلمةٍ[1] من قُريْش.اهـ

وقال المقريزي[2]: وقد جاء من طرق عن أبي هُرَيْرَة رضي الله عنه أن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال :(رأيت في النّوم بني الحكم أو بني أبي العاص ينزون على منبري كما تنزوالقردة) قال:فما رؤي النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مستجمعا ضاحكا حتى توفي. [الحديث فيمسند أبي يعلى ج11 ص348 تحت رقم 6461 صحيح ، وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص13]. وعن سعيد بن المسيب قال:رأى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بني أُميّة على منابرهم فساءه ذلك فأوحى إليه:إنما هي دنيا أعطوها فقرت عينه وهي قوله تعالى:وما جعلنا الرؤيا التي اريناك إلا فتنة للناس يعني بلاء للناس [الحديث في تاريخ بغداد ج9 ص 45 وتاريخ الخلفاء للسيوطي:13].

وفي مستدرك الحاكم[3]: حدّثنا أبو العبّاس محمّد بن يعقوب ثنا أبو عتبة أحمد بن الفرج الحجازي بحمْص ثنا بقيّة بن الوليد عن أبي بكْر بن أبي مرْيم عن راشد بن سعْد عنْ أبي ذرّ رضي الله عنه قال سمعْت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول

---

[1] الغلام معروف ، وتصغيره غليم ، والجمع غلمة وغلمان . واستغنوا بغلمة عن أغلمة . وتصغير الغلمة أغيلمة على غير مكبره ، كأنهم صغروا أغلمة وإن كانوا لم يقولوه ، كما قالوا أصيبية في تصغير صبية . وبعضهم يقول غليمة على القياس .(الصحاح - الجوهري - ج 5 ص 1997).

[2] النزاع والتخاصم ــ لمقريزي ــ ص 82

[3] المستدرك على الصحيحين ــ الحاكم النيسابوري ــ ج4ص525تحت رقم 8475

ثمّ إذا بلغت بنو أُميّة أربَعينَ اتّخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلاً وكتابَ الله دغلاً.اهـ

وهذا الحديث بحقّ منْ دلائل النّبوّة،فإنّهمْ لمّا بلغُوا أرْبعينَ رجُلاً كان منْهُمْ ما كان،واستوْلَوا على الخلافة وفعلُوا بالمُسلمين الأفاعيل، وأرْسل بعضُهم جاريتَه سَكْرَى جُنُباً تصلّي بالنّاس!!

وقد روى الحاكمُ هذا الحديث في الجُزْء الرّابع من المُستَدرك وذَكَر له شواهدَ لا تَرُوقُ للذّهبيّ. قال الحاكم[1]: قال أبو بكْر بْن أبى مرْيم وحدّثني عمّار بن أبى عمّار أنّه سمع أبا هُرَيْرَة رضى الله عنه يقول سمعْتُ النّبيّ صلى الله عليه وآله يقولُ هلاكُ هذه الأمّة على يديْ أغيْلمَةٍ منْ قُريْش.هذا حديثٌ صحيحٌ على شرْط الشّيْخيْن ولمْ يُخْرجاه ولهذا الحديث توابعُ وشواهدُ عنْ النّبيّ صلى الله عليه وآله وصحابَته الطّاهرين والائمّة من التّابعين لمْ يسعْني إلاّ ذكْرُها فذكرْتُ بعْضَ ما حَضرني منها (فمنها ما حدّثَناه) أبو عبْد الله محمّد بن عليّ بن عبد الحميد الصّنعاني بمكّة حرسها الله تعالى (قالوا) حدثنا عبد الرّزاق بن همّام الإمام قال حدّثنى أبى عن ميناء مولى عبد الرحمن بن عوف عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال كان لا يولد لأحد مولود الا أتى به النّبيّ صلى الله عليه وآله فدعا له فأُدْخل عليه مَرْوان بْن الحَكَم فقال هُو الوَزَغ ابْن الوَزَغ المَلْعُون ابن الملعون . هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه . ومنْها ما حدّثَناه أبو الحسن عليّ بن محمّد بن عقبة الشّيبانيّ بالكُوفة ...عن حلام بن جذل الغفاريّ قال سمعتُ أبا ذرّ جندبَ بْن جنادةَ الغفاريّ يقولُ سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه و سلم يقولُ إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا مال الله دُوَلاً وعباد الله خَوَلاً ودين الله دَغَلاً قال حلام فأنكر

[1] نفس المصدر ج 4 ص 479

ذلك على أبي ذرّ فشهد عليّ بن أبى طالب رضي الله عنه إني سمعْت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول ما أظلّت الخضْراء ولا أقلّت الغبْراء على ذي لهْجة أصْدق من أبي ذرّ وأشهد أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قاله.هذا حديث صحيح على شرْط مسْلم ولمْ يخْرجاه .وشاهده حديث أبي سعيد الخدريّ (حدّثنا) أبو بكْر محمّد بن أحمد بن بالويه ...عن عطيّة عن أبى سعيد الخدري رضى الله عنه قال قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلاً اتّخذوا دين الله دغلاً وعباد الله خولاً ومال الله دولاً . هكذا رواه الأعمش عن عطيّة . حدّثنا أبو بكر بن بالويه ...عن الأعمش عن عطيّة عن أبى سعيد رضي الله عنه قال قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم إذا بلغ بنو أبى العاص ثلاثين رجلا اتخذوا مال الله دولا ودين الله دغلا وعباد الله خولا . اهـ

ومنها[1] ما حدّثناه أبو بكر محمّد بن أحمد بن بالويه ...عن عبد الله بن مطرف عن أبي برزة الأسلمي قال ثمّ كان أبغض الأحياء إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم بنو أُميّة وبنو حنيفة وثقيف.هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.اهـ

ومن أمعن النظر تحقق لديه صحّة هذا الحديث، فإنّ أعمال بني أُميّة في حياة النّبيّ صلى الله **عليه و آله** وبعد وفاته لم تكن لتثير في نفسه إلا الاشمئزاز والنفور.

وفي كتاب الفتن ج1ص129 "باب آخر من ملك بني أُميّة ": ...راشد بن سعد أنّ مَرْوان بن الحكم لما ولد دفع إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم ليدعو له فأبى أن يفعل ثم قال: ابن الزرقاء هلاك عامة أمتي على يديه ويدي ذريته.اهـ

---

[1] المُستَدرك ج 4 ص 529 تحت رقم 8482

وفي كتاب الفتن ج1ص130 : ...عن ابن موهب أنّ مُعاويَة بينا هوجالس وعنده ابن عبّاس إذ دخل عليهم مَرْوان بن الحكم في حاجة فلمّا أدْبرقال مُعاويَة لابن عبّاس أما تعلّم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال إذا بلغ بنو الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله تعالى بينهم دولاً وعباده خولاً وكتابه دغلاً قال ابن عبّاس اللّهم نعم ثمّ إنّ مَرْوان ردّ عبد الملك إلى مُعاويَة في حاجته فلمّا أدْبرعبد الملك قال مُعاويَة أنشدك بالله ياابن عبّاس أما تعلم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم ذكرهذا فقال أبو الجبابرة الأربعة قال اللّهم نعم فعند ذلك ادّعى مُعاويَة زيادَ بن عُبيد.اهـ

وفي كتاب الفتن[1]: ...عن مكحول قال بلغني أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال يكون من قُريْش أربعة زنادقة[2]. قال أبوه فسمعت سعيد بن خالد يذكرُ عن ابن أبي زكريّا نحوَ ذلك ثمّ قال هو مَرْوان بن محمّد بن مَرْوان بن الحكم والوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مَرْوان بن الحكم ويزيد بن خالد بن يزيد بن مُعاويَة بن أبي سُفْيان وسعيد بن خالد الذي كان بخراسان.اهـ

أقول:ذكرهؤلاء الأربعة لا ينفي وجود غيرهم ،فقد كان عبد الملك بن مَرْوان راضياً بأقوال الحجّاج التي يفضّله فيها على النّبيّ صلى الله عليه وآله وكان مَرْوان راسخا في الباطل حتّى سمّوْه " خيط باطل " وقال مُعاويَة بن أبي سُفْيان للمغيرة بن شعبة:"وإنّ ابن أبي كبشة ليُهتف باسْمه كلّ يوْم خمْس مرّات أشْهد أنّ محمّدا النّبيّ " ؟!

---

1 كتاب الفتن ج1ص133

2 في تداول مفردة الزندقة على عهد النّبيّ نظر ...ظالع لسان العرب ج10ص147وتاج العروس ج 6 ص373 وشرح شافية ابن الحاجب ج2 ص188 .

وفي سنن الترّمذيّ[1]:...عن يوسف بن سعد قال قام رجلٌ إلى الحسن بن عليّ بعد ما بايع مُعاويَةَ فقال سوّدْت وجوهَ المؤمنين أو يا مسوّدَ وجوهِ المؤمنين فقال لا تؤنّبْني رحمك الله فإنّ النّبيّ أُري بني أُميّة على منْبره فساءه ذلك فنزلتْ إنا أعطيناك الكوثر يا محمّد يعني نهراً في الجنّة ونزلتْ إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خيرمن ألف شهر يملكُها بنو أُميّة يا محمّد قال القاسم فعددْناها فإذا هي ألْف لا يزيد يوم ولا ينقص .قال أبو عيسى هذا حديث غريب لا نعرفه إلاّ من هذا الوجه من حديث القاسم بن الفضل وقد قيل عن القاسم بن الفضل عن يوسف بن مازن والقاسم بن الفضل الحداني هو ثقة وثّقة يحيى بن سعيد وعبد الرّحمن بن مهديّ ويوسف بن سعد رجل مجهول ولا نعرف هذا الحديث على هذا اللفظ إلا من هذا الوجه.اهـ

وفي مسند الشاميين [2]: عن راشد بن سعد قال قال أبو ذرّ سمعتُ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول ثم إذا بلغت بنو أُميّة أربعين اتّخذوا عباد الله خولاً ومال الله دخلاً وكتاب الله دغلاً .اهـ

وفي مسند أبي يعلى[3]:... عن أبي إسحاق عن عبد الله بن الزّبير قال قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثمّ لا تقوم السّاعة حتى يخرج ثلاثون كذّابا منهم مسيلمة والعنسي والمختار وشرّ قبائل العرب بنو أُميّة وبنو حنيفة وثقيف.وفيه أيضا[4]:حدّثنا أحمد بن إبراهيم الدّورقي قال حدّثني حجّاج بن محمّد حدّثنا شعبة عن أبي حمْزة جارهم عن حميد بن هلال عن عبد الله بن

---

[1] سنن التّرمذي ج1ص444تحت رقم 3350

[2] مسند الشاميّين ــ الطبراني ــ ج2ص338

[3] مسند أبي يعلى ج12ص 197

[4] نفس المصدرج13ص417

مطرف عن أبي برْزة قال ثمّ كان أبغضَ الأحياء إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم بنو أُميّة وثقيف وبنو حنيفة .اهـ

وفي المُستَدرك [1]:... عن عمرو بن مرة الجهنيّ وكانت له صحبة أنّ الحكم بن أبي العاص استأذن على النّبيّ صلى الله عليه وآله فعرف النّبيّ صلى الله عليه وآله صوته وكلامه فقال ايذنوا له عليه لعنة الله وعلى من يخرج من صلبه إلاّ المؤمن منهم وقليل ماهم يشرفون في الدّنْيا ويضعِون في الآخرة ذوو مكْر و خديعة يُعطوْن في الدّنْيا وما لهم في الآخرة من خلاق .هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .اهـ

وقد ختم الحاكم حديثه في هذا الباب بعبارة يفْتقِرُ إليها الذّهبيّ وابنُ كثير ومَن على شاكلتهما، قال[2]:قال الحاكم رحمه الله تعالى ليعلم طالب العلم أنّ هذا باب لم أذكرْ فيه ثلثَ ما رُوي وأنّ أوّل الفتن في هذه الأمّة فتنتُهم ولم يسعْني فيما بيْني وبين الله تعالى أن أخلي الكتاب من ذكرهم . اهـ

وعبارة "فيما بيني و بين الله تعالى " كاشفةٌ عن مدى تحكّم تقوى الرّجل في علمه، فإنّه برّر إيراده للأحاديث في بني أُميّة مع أنّه غير محتاج إلى تبْرير، ولعلّه من وراء هذه الكلمة يريد تذكير الباحثين والمحقّقين بمضمْون قوله تعالى " ولا يجرمنّكم شنآن قوْم على ألاّ تعْدلوا اعدلوا هوأقرب للتّقوى " غير أنّ الذّهبيّ وابن كثيروابن القيّم وابن حجر وابن تيمية لم يلْتفتوا إلى هذا المبدإ فتحكّمت فيهم أمْزجتُهم وانتماءاتُهم المذهبيّة وجنحُوا إلى أساليب صرّح القرآن الكريم أنها من أعمال اليهُود،ولم تجْن الأمّةُ من أساليبهم إلاّ المزيد من الشحناء والبغضاء بين المسلمين، وخلَفَهم في ذلك خلْفٌ أضاعُوا الحقّ

[1] المُستَدرك ــ الحاكم النيسابوري ــ ج 4ص 481
[2] المُستَدرك ج 4ص 482

واتّبعوا الباطل وسنّوا للنّاس سنّة تُسخط الله تعالى،ومن سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزْرها ووزْرُ من عمل بها.

وفي تفْسير الطّبريّ[1]: وقال آخرون في ذلك ما حدّثني أبو الخطّاب الجاروديّ سهيل ...عن عيسى بن مازن قال قلت للحسن بن عليّ رضي الله عنه يا مسوّد وجوه المؤمنين عمدْتَ إلى هذا الرّجل فبايعْت له يعْني مُعاويَةَ بن أبي سُفْيان فقال:إنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم أُري في منامه بني أُميّة يعْلون منْبره خليفةً خليفةً فشقّ ذلك عليه فأنزلَ الله إنّا أعطيناك الكوثروإنا أنزلناه في ليلة القدروما أدراك ما ليلة القدرليلة القدرخيرمن ألف شهر يعني ملك بني أُميّة قال القاسم فحسبْنا ملكَ بني أُميّة فإذاهوألْف شهْر.اهـ

وفي الفائق[2]:عن علي بن أبي طالب عليه السلام:إنّ بنى أُميّة لا يزالون يطْعنون فى مسْحل ضلالة سحل ولهم فى الأرض أجل ونهاية حتى يهريقوا الدّم الحرام في الشّهر الحرام والله لكأنّي أنظر إلى غرنوق من قُريْش يتشحّط فى دمه فإذا فعلوا ذلك لم يبق لهم فى الأرض عاذر ولم يبق لهم ملك على وجه الأرْض بعد خمس عشرة ليلة.اهـ

ولعلّ قائلا يقول: إنّ شهادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حقّ بني أُميّة غيرُ جائزة،لأنّه خصمٌ لهم،وشهادة الخصم لا تجوز باتّفاق.والجواب على ذلك من جهات :

أُولاها أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قد أخْبر أنّ عليّا عليه السلام دائما مع الحقّ والحقّ دائما معه، يدور معه حيث دار،وسواء كان الضمير في "يدور" عائداً إلى عليّ عليه السلام أم إلى الحقّ، فإنّ ذلك يجعل شهادة عليّ عليه السلام نافذة غير

---

[1] تفْسير الطّبريّ ج30ص260 ط [دار الفكر 1405 هـ]

[2] الفائق في غريب الحديث الزمخشري ج2ص161

قابلة للنّقاش أيّاً كان الطّرف المشهود عليه.ومن عجائب الدّهر أنّ ابن تَيْميَة أنْكرَفي منهاجه وجودَ هذا الحديث في كتب المسلمين وقال "لم يرْوه أحدٌ لا بأسنادٍ صحيح ولا ضعيف " مع أنّه موجود في عشرين مصدراً من بيْنها مُستَدرك الحاكم والرياض النضرة[1]،وكل أصحابها إمّا معاصرٌلابن تَيْميَة أو متقدّم عليه !

الجهة الثانية أنّ علياً عليه السلام لم يُؤثَرعنه تناقضٌ في الكلام أوافتراءٌ على بريءٍ،وهذا إنْ لم يكنْ دليلاًعلى عصْمته فهُوعلى الأقلّ دليلٌ على بُلوغه مرتبةً عاليةً من التحلّي بمكارم الأخلاق.ويكفي لتأكيد ذلك أن أعْدى أعدائه الذين سبّوه ولعَنُوه على المنابرلم ينْسبوا إليه كذباً أو زوراً،ولوأنّهم وجدُوا شيئاً من ذلك لشنّعوا به عليه.ولم يشكّك أحدٌ في كلامه بخصوص بني أُميّة،والأصْل تصديقُ المُخبر الذي لم يُعهد عنه الكذب،فيُستصحب صدقه .

الجهة الثالثة:أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال عن عليّ عليه السلام إنّه مع القرآن والقرآن معه ولن يفترقا حتّى يَرِدَا عليه الحوْض،ومن كانت هذه حالُه فكيْف تُردّ شهادته؟أليس في ردّها ردٌّ للقرآن الكريم؟!! فإنّه معه لا يُفارقُه،فمن ردّ عليّا عليه السلام ردّ القرآن الكريم ـــ و العياذ بالله تعالى ـــ من ذلك.

---

[1] حديث " علي مع الحق ورد في مستدرك الحاكم ج3ص134ومجمع الزوائدج7ص235وتاريخ بغدادج14ص320وسنن الترمذي ج5ص633ومسند البزارج3ص52وفيض القديرج2ص236وج4ص13وتذكرة الحفاظج3ص844وسير أعلام النبلاءج15ص279والكامل في ضعفاء الرجال ج6ص445وضعفاء العقيلي ج4ص210وكتاب المجروحين ج3ص10وتهذيب الكمال ج10ص402والعلل المتناهيةج1ص255والرياض النضرةج1ص243وقال المحبّ الطّبريّ بعده أخرجه الترمذي و الخلعي وابن السمان.

الجهة الرابعة:أنّ قرآناً نزل في حقّ بني أُميّة يشْهد عليهم بالضّلال،وأنّهم الشّجرة الملْعونة،وهذا يؤكّد حديث النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ عليّا مع القرآن والقرآن معه.

الجهة الخامسة:أنّ الأحاديث المأثورة عن النّبيّ صلى الله عليه وآله بخُصوص بني أُميّة تشهد بضلالهم،ومعْنى ذلك أنّ الغرَض من كلام عليّ عليه السلام في حقّ بني أُميّة متحقّق من طرف النّبيّ صلى الله عليه وآله ،وبذلك ينتفي الغرض من إبطال شهادة عليّ عليه السلام.

الجهة السادسة:أنّ كلام عليّ عليه السلام في حقّ بني أُميّة تضمّنَ قضايا غيبيّةً،حدثتْ بعد رحيله من الدنيا بسنين طويلة،وهذه دون إبطالها خرط القتاد أو الانسلاخ من القيم والأعراف الآداب.

الجهة السابعة:أنّ أعمال بني أُميّة في حياة الإمام علي عليه السلام وبعده تُطابق أقْوالَه فيهم انْطباق الظلّ على شخْصه،ومن تتبّع ما جرى على أيديهم لم يشكّ في صدْق ذلك.

الجهة الثامنة:أنّ أقوال صحابةٍ ممّن ثبتتْ تزكيتُهم من طرف النّبيّ صلى الله عليه وآله تنضمّ إلى شهادة عليّ عليه السلام،ويلزم من ردّها نفْي تزْكية النّبيّ صلى الله عليه وآله لهم، وفي ذلك تكذيبٌ له صلى الله عليه وآله .

الجهة التاسعة:أنّ كتبَ المُفسّرين حافلةٌ بما نزل في حقّ عليّ عليه السلام من المدح والثّناء،وليس في وسع العاقل أن يردّ شهادة من مُدح في السماء قبل الأرض.لأنّ الله تعالى لا يَمدح كاذباً.

الجهة العاشرة:أنّه أفضل من خُزيمة بن ثابت الأنصاريّ ذي الشّهادتين من جميع الحيثيّات باتّفاق المسلمين،فيلزمُ منه أن يكون له ثلاث شهادات وإلاّ

كان مساوياً له.ولازمُ كونه كذلك أنّه على فرض ردّ شهادةٍ تبقى شهادتان ، وقد اقتصر الشّارع على شهادتين في الدَّيْن والوصيّة والطّلاق.

* * *

4- بنو أميّة في أشعار العرب:

من الأشعار التي قيلت في بني أميّة ما جاء في تاريخ السيوطي[1]:

يا قوم لا تغلبوا عن رأيكم فلقد　　جربتم الغدر من أبناء مَرْوانا
أمسوا وقد قتلوا عمرا وما رشدوا　　يدعون غدرا بعهد الله كيسانا
ويقتلون الرجال البزل ضاحية　　لكي يولوا أمور الناس ولدانا
تلاعبوا بكتاب الله فاتخذوا　　هواهم في معاصي الله قرآنا

وفي شرح القصائد الهاشميات [2]:

فقلْ لبني أُميّة حيث حلّوا　　وإنْ خفْت المهنّد والقطيعا
ألا أفٍّ لدهْر كنت فيه　　هدانا طائعا لكم مطيعا
أجاع الله من أشبعْتموه　　وأشْبعَ من بجَوْركم أُجيعا
ويلعنُ فذّ أمّته جهاراً　　إذا ساس البرية والخليعا
مرضي السياسة هاشمي　　يكون حيا لأمته ربيعا

---

[1] تاريخ الخلفاء ــ السيوطي ــ ج1ص218
[2] شرح القصائد الهاشميات - الكميت بن زيد الأسدي ص 80

وليثا في المشاهد غير نكس لتقويم البرية مستطيعا

يقيم أمورها ويذب عنها ويترك جدبها أبدا مريعا

و قال عبد الرحمن بن الحكم [أخو مَرْوان]:

سُميّة أمْسى نسلها عددُ الحصا * وبنْت النّبيّ ليس لها نسلُ

وقال غيره [1]:

لعن الله من يسبّ عليّاً * وحسيناً من سوقة وإمام

وقال أبو دهبل الجمحي ،في حمية سلطان بني أُميّة وولاية آل بني سُفْيان :

تَبيت السُّكارى من أُميّة نُوّماً * وبالطّفّ قتْلَى ما ينامُ حميمُها

وقال ابوالفضل محي الدين يحيى بن محمّد بن علي القرشي الدمشقي ، المتوفى سنة 668. وكان شيعيا يفضل عليّاً على عُثْمان،مع كوْنه ادّعى نسباً إلى عثمان [2]:

أدين بما دانَ الوصيُّ ولا أرى........ سواه وإنْ كانتْ أُميّةُ محْتَدِي

ولو شَهدَتْ صفّينَ خيْلي لأعذرتْ...وساءَ بني حرْبٍ هُنالك مَشْهَدي

وروى البلاذري أيضا في عن يزيد ابن مقرع قوله [3] :

ألا أبلغْ مُعاويَة بن حرْب * مغلْغلةً من الرّجل اليماني

---

[1] هو كثير عزّة لم يصرّح به.

[2] توجد ترجمته في مرآة الجنان 4 / 169 و النجوم الزاهرة 7 / 230 و البداية والنهاية 13 /257و شذرات الذهب 5 / 325.

[3] أنساب الأشراف ج4ص78

أتغْضبُ أنْ يُقال أبوك عفٌّ * وتَرضى أنْ يُقالَ أبوك زاني

فأُقْسم إنّ رحْمك منْ زيادٍ * كرحْم الفيل منْ ولَد الأَتَان[1]

وقال في عبيد الله بن زياد [2]:

شهدت بأن امك لم تباشر * أبا سُفْيان واضعة القناع

ولكن كان أمر فيه لبس * على وجل شديد وارتياع

قال المقريزي في كتابه النزاع والتخاصم ص 50: .....قال نفيل بن عبد العزى جد عمر بن الخطاب حين تنافر إليه حرب بن أُميّة وعبد المطلب بن هاشم فنفرعبد المطلب وتعجب من إقدامه عليه وقال :

أبوك معاهر وأبوه عف *** وذاد الفيل عن بلد حرام

ودكر أيضا قصّة يقول فيها وهب بن عبد مناف بن زهرة :

مهلا أميّ فإن البغي مهلكة *** لا يكسبنك ثوبا شره ذكر

تبدو كواكبه والشمس طالعة*** يصب في الكأس منه الصاب والمقر

وأورد ابن منظور في لسان العرب ج5ص148 وصفا لحال بني أميّة على لسان الفرزدق فقال :ومنه قول الفرزدق :

هيهات قد سفهت أُميّة رأيها*** فاستجهلت حلماءها سفهاؤها

حرب تردد بينها بتشاجر *** قد كفرت آباءها أبناؤها

---

[1] الأتان:الحمارة، والجمع آتن مثل عناق وأعنق وأتن وأتن [لسان العرب / ابن منظور/ ج13 ص 6]

[2] أنساب الأشراف ج4 ص 79

والأشعارفي هذا الباب كثيرة تُراجَع في كتب الأدب،وإنّما ذكرت منها ما ذكرتُ وتركْتُ ما قيل في مدْح بني أميّة لأنّه لا يعبّرعن مواقف إنسانيّة مشرّفة،ولا يصوّرفضائل تحلّى بهاالممدوحون حقّاً،وإنّما تزلّف به الشعراء لبني أميّة طمعاً في ما في أيديهم،وليس فيهم من عرف بتديّن أو ورع،فكان ترك ذلك أولى من إيراده.

***

5- صفات بني أميّة و أعمالهم :

كان بنو أُميّة على علم تامّ بنقائص جدّهم الذي ينتمون إليه،والذي كان خالياً من مكارم الأخلاق،لذلك أنفقوا الكثير من الأموال في شراء المديح من الشّعراء،وعرف المرتزقة ذلك فتسابقوا إليهم يصفونهم بما لس فيهم رجاء النّوال. ومع ذلك فقد بقيت صورة بني أُميّة مشوّهة مصدِّقةً قولَ الشاعر:وهل يصلح العطّار ما أفسد الدهر[1].فلمْ تنْفع الأموالُ والهباتُ في تبييض الصّورة.روى ابن الأثيرمن طريق عبد الرحمن بن أبي بكر[2]أنّ الحَكَمَ بنَ أبي العاص بن أُميّة أبا مَرْوان كان يجْلسُ خلْف النّبيّ صلى الله عليه وسلم فإذا تكلّم اخْتلجَ بوجْهه فرآه فقال له:كُنْ كذلك.فلمْ يزلْ يخْتلج حتّى مات.وفي رواية:فضرب به شهْريْن ثُمّ أفاق خليجاً،أي:صرُع،ثمّ أفاق مُخْتلجا قد أُخذ لحْمُه وقوّته.وقيل:مرْتعشا.وروى ابن حجرفي الإصابة من طريق الطبرانيّ والبيْهقيُّ في الدلائل،والسيوطيُّ في الخصائص الكبرى (ج2ص79)عن الحاكم وصحّحه وعن البيْهقيّ و الطبرانيّ عن عبد الرّحمن بن أبي بكر الصدّيق قال:كان الحكم بن أبي العاص يجلس إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم فإذا تكلّم النّبيّ

[1] تمام البيت : وراحت إلى العطّارتبغي جمالها***وهل يصلح العطّارما أفسد الدهر
[2] النهاية في غريب الحديث ــ ابن الأثير ــ ج1ص 345

صلى الله عليه وسلم اخْتلج بوجْهه فقال له النّبيّ:كُنْ كذلك.فلم يزل يختلج حتّى مات .. وفي الإصابة[1]: أخرج البيْهقيّ من طريق مالك بن دينار حدثني هند بن خديجة زوج النّبيّ صلى الله عليه وسلم:مرّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم بالحَكَم فجعل الحَكَمُ يغمز النّبيّ صلى الله عليه وسلم بأصبعه فالتفت فرآه فقال:اللّهماجعله وزغاً.فزحف مكانه . اهـ

وقال القُرْطبيّ [2]: فقد آذى بنو أُميّة النّبيّ صلى الله عليه وسلم في أحبابه وناقضوه في محابّه.وروى الحاكم حديثاً تركَه الشّيْخان تعمّداً كما جرت عادتهما بخصوص ما من شأنه كشفُ حقيقة بني أُميّة فقال [3]: أخبرني محمّد بن المؤمل بن الحسن حدّثنا الفضل بن محمّد حدّثنا نعيم بن حماد حدّثنا الوليد بن مسلم عن أبي رافع إسماعيل بن رافع عن أبي نضرة قال قال أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم :إنّ أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمّتي قتلاً وتشريداً وإنّ أشدَّ قومنا لنا بغْضاً بنو أُميّة وبنو المغيرة وبنو مخزوم. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.اهـ

وفي هذا تصريح من النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ بني أُميّة يبْغضونه،فإنّهصلى الله عليه وآله قال " وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضاً" ولم يقلْ "وإنّ أشدّ قومنا بغضاً لأهْل بيْتي " كيْما يتأوّل مُتأوّل.ومعلوم أنّ بغض النّبيّ صلى الله عليه وآله يخرج صاحبه من دائرة الإيمان،فكيف يسوغ الدّفاع عن بني أُميّة بعد أن علم المسلمون بغضهم للنّبيّ صلى الله عليه وآله ؟!

---

[1] الإصابة ــ ابن حجر ــ ج 1ص346

[2] تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ج14ص239

[3] المُستَدرك ــ الحاكم ــ ج4ص534

والحديث نفسه في كتاب الفتن ص 131 تحت رقم 319 : ...عن أبي رافع إسماعيل بن رافع قال:قال أبو سعيد الخدريّ رضي الله عنه قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم إنّ أهل بيتي سيلقون مِن أمّتي بعدي قتلاً شديداً وإنّ أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أُميّة وبنو المغيرة من بني مخزوم.اهـ

ويقول الإمام عليعليه السلام[1]::..حتى يظنَّ الظّانّ أن الدّنْيا معقولة على بني أُميّة تمنحهم درّها.وتوردهم صفوها.ولا يرفع عن هذه الأمّة سوطها ولا سيفها.وكذب الظّانّ لذلك،بل هي مجّة من لذيذ العيش يتطعّمونها برهة ثم يلفظونها جملة.اهـ

ويُفهم منه أنّه كان لبني أُميّة على الأمّة سيف وسوط،والتّاريخ يشهد بصحّة ذلك،وهذا منهج الجبابرة لا غير،لأنّ العاقل المتّصف بمكارم الأخلاق لا يسوق النّاس بسوطه وسيفه،وإنّما يحاكمهم إلى العقل.

ومن ذلك أيضا قوله:[2]" ألا إنّ أخْوف الفتن عندي عليكم فتْنة بني أُميّة،فإنّها فتْنة عمْياء مظْلمة عمّت خطّتها وخصّت بليّتها،وأصاب البلاء مَن أبصر فيها. وأخطأ البلاء من عمي عنْها.وأيْم الله لتجدنّ بني أُميّة لكمْ أرْباب سوء بعدي كالنّاب الضّروس تعْذم بفيها وتخْبط بيدها،وتزْبن برجْلها،وتمْنع درّها . لا يزالون بكمْ حتى لا يتْركوا منْكمْ إلاّ نافعا لهمْ أوغيْرضائربهمْ.ولايزال بلاؤهم حتّى لايكون انْتصارأحدكم منْهم إلاّ كانْتصارالعبْد مِنْ ربّه والصّاحب مِنْ مسْتصْحبه.تردعليكم فتْنتهم شوْهاء مخْشية وقطعا جاهليّة.ليس فيها منار هُدى،ولاعلمٌ يُرى نحْن أهْل البيت منْها بمنْجاة ولسْنا فيها بدعاة.ثم يفرّجها الله عنكم كتفْريج الأديم بمَنْ يسومهم خسْفاً

---

[1] نهج البلاغة ج 1 ص 154

[2] نهج البلاغة ج1ص183

ويسوقهم عنفا، ويسقيهم بكأس مُصبّرة لا يعطيهم إلا السّيْف.ولا يحلسهم إلاّ الخوْف. فعنْد ذلك تودّ قُريْش بالدّنْيا وما فيها لوْ يروْنني مقاماً واحداً ولوْ قدْر جزْرجَزُور لأقْبل منْهم ما أطْلب اليوْم بعْضه فلا يعْطونني.اهـ

ويُفْهم ممّا سبق أنّ بني أُميّة أصْحاب فتْنة شوْهاء مخْشية ترد قطعا جاهليّة، وقد عظّم القرآن أمْرالفتْنة فجعلها أشدّ من القتْل،وآثارفتْنة بني أُميّة لاتزال إلى اليوْم،لأنّهم ما تركوا شيئا من مجالات الحياة لمْ يتدخلوا فيه بهواهم وطيشهم، حتى صلّى بعضهم بالناس سكران.[1]

ومن ذلك قوله عليه السلام[2]:والله لا يزالون حتّى لا يدعوا لله محرماً إلاّ استحلّوه ولا عقدا إلاّ حلّوه.وحتّى لا يبْقى بيْت مَدَرٍولا وَبَرٍ إلاّ دخلَه ظلْمهم ونبا به سوء رعْيهم وحتىّ يقوم الباكيان يبْكيان باكٍ يبْكي لدينه وباكٍ يبْكي لدنْياه.وحتّى تكون نُصْرة أحدكم من أحدهم كنصْرة العبْد من سيّده إذا شهد أطاعَه،وإذا غاب اغْتابَه.وحتّى يكون أعْظمُكم فيها غناءً أحْسنكم بالله ظنّا. فإنْ أتاكم الله بعافيةٍ فاقْبلوا.وإنْ ابْتليتم فاصبْروا.فإنّ العاقبة للمتّقين.اهـ

قال الشيخ محمّد عبْده بخصوص هذه الخطْبة:الكلامُ في بني أُميّة.والمحرّم ما حرمه الله.واستحلاله استباحته.اهـ

وأنت ترى قول الإمام عليّ عليه السلام[حتّى لا يدعوا محرماً إلا استحلّوه] وقوله عليه السلام:[حتّى لا يبْقى بيْت مَدَرولا وَبَرإلاّ دخله ظلْمهم]،وهذا تصْوير لمَنْ أبْعد في الظّلْم والباطل،ولمْ يستثْن منْهم عليه السلام أحداً،وقوْله [حتى يقوم الباكيان باك يبْكي لدينه وباك يبكي لدنْياه]،وهو تصْويرلحياة لا تُطاق،لا ينجو فيها صاحب الدّين ولا صاحب الدّنْيا.ومع ذلك نجد في زماننا هذا وفي

---

[1] يأتي فصل خاص بأعمال بني أميّة لاحقا إن شاء الله تعالى

[2] في نهج البلاغة ج 1ص 190

الأزمنة السابقة من يدافع عنْ بني أُميّة ويزْعم أنّهم خدمُوا الإسْلام،ولا أدْري ماالذي دفع أحْمد شوقي ــ سامحه الله ــ إلى أنْ عثْرعثْرة الجَمل في قصيدته في دمشْق حيث يقول:

مررْت بالمسْجد المحْزون أسْأله   هلْ في المصلّى أو المحْراب مَرْوان

فمتى كان مَرْوان صاحب مُصلّى ومحْراب؟!وهل يُعقل أن يجْهل أمير الشّعراء أحْمد شوْقي أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله في مَرْوان؟!

سيأتي لاحقاً في الفصْل الخاصّ بأنْصارمُعاويَة ما يصوّربعْض جوانب شخْصيّة مَرْوان بْن الحكم ودوْره في الفتْنة التي مزّقتْ صفوف المسلمين.ولا يفوت الباحثَ ما ذكره المؤرّخون بخصوص قضيّة قتل طلْحة بن عبيد الله من قِبَل مَرْوان يوم الجمل أخذاً بثأرعثمان،ومن بينهم على سبيل المثال لا الحصْر المسْعودي في مروج الذّهب،وابْن عبْد ربّه في العقْد الفريد،والحاكم في المُستَدرك وابن الأثيرفي الكامل وأسد الغابة، وابن حجر العسقلانيّفي تهذيب التهذيب وابن الجوْزي في صفْوة الصّفْوة وابن كثير في تاريخه وسبط ابْن الجوْزيّ في تذْكرته ، واليافعيّ في مرآة الجنان.

وفي المُستَدرك [1]من طريق عبد الرحمن بن عوف- وصحّحه- أنه قال : كان لا يولد لأحد بالمدينة ولد إلاّ أتى به إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم فأدخل عليه مَرْوان بن الحكمِ فقال:هوالوزغ ابن الوزغ،الملْعون ابن الملْعون.وذكره أيضاً ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة ص 108.

---

[1] مُستَدرك الحاكم ج4 ص 479

وفي الصواعق المحرقة ص33: قال مَرْوان بن الحكم:ما كان أحد أدفع عن عثمان من عليّ،فقيل له:ما لكم تسبّونه على المنابر ؟قال:إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلاّ بذلك.اهـ

وهذا من أعْجب ما يطْرق أسْماع العقلاء،فإنّ الدّول إنّما تستقيم أمورها بالقوّة العسْكريّة والقوّة الاقْتصاديّة والانْسجام بيْن الحاكم والمحْكوم،وردْع المُجْرمين والمُفْسدين؛ أمّا أن تستقيم بسَبّ رَجُلٍ قدْ خرج من الدّنْيا فلم يقُلْ به أحدٌ ممّن يُعتمَد قولُه، خصوصاً إذا أضفْنا إلى ذلك قولَ النّبيّ صلى الله عليه وآله " من سبّ عليّاً فقدْ سبّني " .

قال ابْن حجر الهيتميّ في تطْهير الجنان[1]:وبسندٍ رجالُه ثِقَات أنّ مَرْوان لما ولي المدينة كان يَسُبّ عليّاً على المنْبر كلّ جمعة،ثمّ ولي بعده سعيد بن العاص فكان لا يسبّ،ثم أعيد مَرْوان فعاد للسبّ،وكان الحسن يعلم ذلك ولا يدْخل المسجد إلاّ عنْد الإقامة،فلمْ يرْض بذلك مَرْوان حتى أرْسل للحسن في بيته بالسبّ البليغ لأبيه وله،ومنْه:ما وجدْت مثلك إلا مثل البغْلة يقال لها:من أبوك؟فتقول:أبي الفرس.فقال للرسول:ارْجعْ إليه فقلْ له:والله لا أمْحو عنْك شيْئا ممّا قلْت بأني أسبّك،ولكن موعدي وموعدك الله،فإنْ كنتَ كاذبا فالله أشدّ نقْمة،قد أكرم جدّي أن يكون مثلي مثل البغلة.إلخ .] .

أقول:إنّ مَنْ بلغه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال عن الحسن والحسين إنهما سيّدا شباب أهْل الجنّة،وإنّهما ريحانتاه من الدّنْيا،لايَسمح له دينه أن يشبّه أحدهما بالبغْلة،ومدْرسة الجمهور لا تقْبل مجرّد انتقاد مَن رأى النبيّ صلى الله عليه وآله وسمعَ منْه ولَوْ ساعةً من نهار،لكنّها تلْتزم الصمْت حينما يتعلّق الأمْر بسبّ سيّديْ شباب أهل الجنّة وإهانتهما وتشبيههما بالبغال !!

[1] تطْهير الجنان (بهامش الصواعق المحرقة) ـ ابن حجر الهيتميّ- ص 142

ثمّ إنّ فقهاء المسلمين لمْ يختلفوا في أنّ سبّ الإمام عليّ عليه السلام ولعْنَه من الموبقات،وإذا صحّ ما قاله ابن معين كما حكاه عنْه ابن حجر [1] من أنّ كلّ مَنْ شتمَ عثْمان أو طلْحة أو أحداً من أصْحاب النّبيّ صلى الله عليه و آله دجّالٌ لا يُكتب عنْه وعليْه لعْنةُ الله والملائكة والنّاس أجْمعين فما بالُ مَرْوان يلْعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويبْقى يتمتّع بحصانة ،ويُروى عنه الحديث مع أنّ حُكم الأمْثال في ما يجوز و ما لا يجوز واحد.؟!

وقال ابن عساكر في تاريخه ج 4 ص227: أبى مَرْوان أن يُدْفَن الحسن في حُجْرة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقال : ما كنْت لأدع ابنَ أبي تُراب يُدفن مع النّبيّ ،قد دُفن عثمان بالبقيع . ومَرْوان يومئذ معزولٌ يريدُ أن يُرضِيَ مُعاويَة بذلك ، فلم يزل عدوّاً لبني هاشم حتّى مات .اهـ

ومن حقّ كلّ مُسلم أنْ يسْأل مَرْوان عن علاقة دفْن عثْمان بدفْن الحسن عليه السلام،هلْ كان الحسن عليه السلام من قَتَلة عثمان ؟وما ذنْب الحسن عليه السلام إذا كان المهاجرون والأنصاروعلى رأسهم طلحة بن عبيد الله والزّبيربن العوّام يرْفضون دفْن عثْمان في مقْبرة المسْلمين ؟!

وفي هذا الباب أيْضا ما ذكره ابْن حجر العسْقلاني في فتْح الباري [2] حيْث يقول:" قلتُ وذكرابْن سعْد منْ طُرق أنّ الحسنَ بنَ عليّ أوصى أخاه أنْ يدْفنه عنْده إنْ لمْ يقعْ بذلك فتْنة فصدّه عنْ ذلك بنو أُميّة فدُفن بالبَقيع.اهـ

أقول:الدّين دينُ محمّد صلى الله عليه وآله والمدينةُ مدينتُه والبيْت بيْته والتّصرّف لبني أُميّة الذين حاربُوه ولم يدْخلوا في الإسْلام إلاّلحقن دمائهم!

---

[1] تهذيب التّهذيب ابن حجر العسقلاني ج 1ص509

[2] فتْح الباري ـ ابن حجر ـ ج13ص308

ولم يكنْ للصّحابة عنْد مَرْوان حُرْمَةٌ لا في دولة عثْمان ولا في دولة مُعاويَة ولا في دولتّه هو.ففي حلْية الأولياء[1]:"..قال ثمّ قال [أيْ النّبيّ صلى الله عليه وسلم]أنا وأصْحابي حيز والنّاس حيزولا هجْرة بعْد الفتْح قال أبو سعيد فحدّثْتُ بهذا الحديث مَرْوانَ بْن الحَكم وكان أميراً على المدينة فقال كَذبْتَ وعنْده زيْد بْن ثابت ورافع بْن خديج وهُما معه على السّرير فقال أبو سعيد أمَا إنّ هذيْن لوْ شاءا لحدّثاك ولكن هذا يخْشى على عرافة قوْمه[!] وهذا يخْشى أنْ تنْزعه عن الصّدقة[!] يعْني زيْد بْن ثابت فرفع عليْه الدّرّة فلمّا رأيا ذلك قالا صدقَ.رواه النّاس عن شُعْبة.اهـ

هذا بخصوص الأحياء من الصحابة أمّا الأموات فقد جاء في تاريخ المدينة ما يلي[2]:قال أبو غسّان،وأخبرني عبد العزيز،عن الحسن بن عمارة،عن شيخ من بني مخزوم يدعى عمر،قال:كان عثمان بن مظعون رضي الله عنه من أوّل من مات من المهاجرين،فقالوا ياالنّبيّ أين ندفنه؟قال:بالبقيع.قال،فلحد له النّبيّ صلى الله عليه وسلم،وفضل حجرمن حجارة لحده،فحمله النّبيّ صلى الله عليه وسلم فوضعه عند رجليه.فلما ولي مروان بن الحكم المدينة مرّ على ذلك الحجر،فأمر به فرمي به وقال:والله لا يكون على قبرعثمان بن مظعون حجر يعرف به.فأتته بنو أمية فقالوا:بئس ما صنعت ؟عمدت إلى حجروضعه النبي صلى الله عليه وسلم فرميت به.بئس ما عملت به فأمرْ به فليردّ.قال:أماوالله إذْ رميتُ به فلا يردّ !

---

[1] حلْية الأولياء ـــ أبو نعيم ـــ ج4ص385

[2] تاريخ المدينة - ابن شبة النميري ـــ ج1ص 101:

وفي تاريخ دمشق [1]: في سنة ثلاثين غزا سعيد بن العاص طَبرستان فحاصرَهم فسألوه الأمان على أنْ لا يقتلَ منهم رجلاً واحداً فقتلَهم كلَّهم إلاّ رجُلاً واحداً.اهـ

قلتُ:أميرُ جيشِ المسلمين يُعطي الأمانَ ثمّ يغدُر ويخْفرالذّمّة،ولا يعنّفه الخليفةُ ولا يعْزله ولا يعزّره لأنّ المهمّ هو تقْوية أمْر بني أُميّة،ولازمُه التّغاضي عنْ كلّ سوء يصْدر منْهم.ولاَ يخْفى أنّ دماءَ المُعاهدين معْصومة،وقد سأل أهلُ طبرستان أميرَالجيش الأمانَ على ألاّ يقْتل منهم رجلاً واحداً،ولمْ يقُولُوا على أنْ يقْتلَهُم جميعاً إلاّ رجُلاً واحداً فإنّ مثلَ ذلك لا يصدُر إلاّ منْ معْتُوه،وفيه انْتِفَاءُ الغرَض إذْ ما فائدةُ طلب الأمان إنْ كانُوا يُريدون أنْ يُقتَلوا جميعاً!!

ومنْ جانب آخَر فإنّ النّكرةَ في سِياق النّفْي تُفيد العُموم،وكلمة "واحداً "هنا صفَةٌ أريدَ بها التّوْكيد،فإنّ الجُملة معَها أبْلغ في بَيان المطْلوب،كما لوْقال قائلٌ:لا أُعْطيكَ فلْساً واحداً أوْ قالَ لا أبْقى هُنا دقيقةً واحدةً، فهلْ يُفْهمُ منْه أنّه يعْطي عشرينَ فلساً أو يبْقى خمْسين دقيقةً ؟! وكيْف يجوزُ مثْل هذا التّصرّف منْ أميرالجيش في دينٍ منْ مَقاصده حفْظ النّفْس ؟بلْ كيْف يَحلّ مثْل هذا مع قوله تعالى " مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِنفْسٍ أوْفَسَادٍ في الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْياهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النّاسّ جَمِيعاً " ؟!

وفي شرح نهْج البلاغة [2]:لمّا بنى عثْمان قصْرَه طمَارَ بالزّوْراء ، وصنَع طعاماً كثيراً،ودعا النّاسَ إليْه،كان فيهم عبْد الرّحمن [3]،فلمّا نظرللْبناء

---

[1] تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ج 21 ص 124

[2] شرح نهْج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1ص 196

[3] هو عبد الرحمن بن عوف الزُهْريّ

والطّعام قال:يابْن عفّان،لقدْ صدقْنا عليْك،ماكنّا نكْذب فيك،وإنّي أستعيذ بالله من بيْعتك. فغَضب عثْمان،وقال:أخْرِجْه عنّي ياغُلام[1]،فأخْرَجوه،وأمر النّاس ألاّ يُجالسوه فلمْ يكُنْ يأْتيه أحدٌ إلاّ ابنُ عبّاس،كان يأْتيه فيتعلّم منْه القرآن والفرائض . ومرض عبْد الرّحْمن فعادَه عثْمان ، وكلّمه فلمْ يكلّمْه حتّى مات.اهـ

أقول:هذا أحدُ العشرة المبشّرين بالجنّة مات لا يكلّم عثْمان،وهوالذي فضلّه يوْم الشّورى على عليّ بن أبي طالب عليه السلام،وقال يوْمَها "إنّي قدْ نظرْتُ وشاورْتُ النّاس فإذا هُمْ لا يعْدلون بعثْمان "[2].ومن العجائب والعجائب جمّة أنّ الذين كانوا لا يعْدلون به أحداً رفضُوا أنْ يُدْفَن في مقابرالمسلمين ومَنعوا ذلك بشدّة!!

وههنا أمْرآخَرينبْغي لَفْت الانْتباه إليْه،وهو أنّ عثْمان أمَرالنّاسَ ألاّ يُجالِسوا عبْد الرّحْمن بن عوْف،وعمِلَ النّاسُ بأمْرعثْمانَ فلمْ يكنْ يأْتي عبْد الرّحْمن إلاّ ابنُ عبّاس،وهذه عُقُوبة قاسيَة بمنْزلة إسْقاط العدالة،ولمْ يأْت عبدُ الرّحمن بن عوْف الصحابيُّ البدْريُّ المُبشّرُ بالجنّة عملاً يستحقّ به هذه العقوبةَ إلاّ أنّه اسْتعاذ بالله من بيْعة عثْمان وشهِد عليه بالتّصرّف في أمْوال المُسْلمين بطريقةٍ لاتُقرّها الشّريعة.

ولامَناصَ مِنْ إعادةِ النّظرفي مسْألة شرْعيّة خلافة عثْمان بعْد الذي حدث،فإنّها تسْتند إلى مُبايعةِ عبْد الرّحمن إيّاه يوْم الشّورى،وقد قال عبْد الرّحْمن بْن عوْف بصريح العبارة "وإنّي أسْتعيذ بالله مِنْ بيْعتك " وهي عبارة

---

[1] ههنا يأمر بإخراج عبد الرحمن بن عوف وقد مر بك سابقا أمره بإخراج الرجل الحضرمي الذي استدعاه من اليمن .ولم يثبت أنّ النّبيّ (صلى الله عليه وآله أمر بإخراج مسلم .

[2] تاريخ الطّبريّ ج3ص297

تُشْعِر بندمه وتراجعه واعْترافِه بالخطإ،فإذا كان مُؤسِّس البيْعة لمْ يعُدْ يؤمِن بشرْعيَّتها ،بلْ صارَيسْتعيذ بالله منْها على مرْأى ومسمع مِنْ أهْل المدينة ،فأيْن يكونُ محلّها مِنَ الإعْراب ؟ !

وفي مُعْجم ما استْعجم[1]:ديرسمْعان هو بنواحي دمشْق حواليْه قصورٌ وبساتينُ لبني أُميّة وهناك قبْرعمر بْن عبْد العزيز رحمه الله .اهـ

وشاهدُنا منْه أنّ بني أُميّة كانوا أصحابَ قصورٍ وبساتينَ في الوقْت الذي كان آل النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه مُضايَقين مُحاصَرين مِنْ كلّ جهَة .

ومن بيْن ما يُطلّع عليه مِنْ أحْوال بني أُميّة قضيّة تشْمئزّ منْها النّفوس ولا يسْتسيغُها صاحب مُروءة ،قال القُرْطبيّ في تفْسيره (ج5ص102 وما بعْدها):وقدْ كان في العرب قبائلُ قد اعْتادت أنْ يخْلف ابنُ الرّجل على امْرأة أبيه[!] كانت هذه السّيرة في الأنْصارلازمةً وكانتْ في قُريْش مُباحةً مع التّراضي ألا ترى أنّ عمْرو بنَ أُميّة خلَف على امْرأة أبيه بعد موْته فولدتْ له مُسافرا وأبا معيط وكان لها مِنْ أُميّة أبو العيص وغيره فكان بنو أُميّة إخوة مسافر وأبي معيط وأعمامهما[!!].اهـ

وفي كتاب الفتن لنعيم بن حماد ج1ص133 ...عن الزُّهْريّ عن ابن المسيّب قال وُلد لأخي أمّ سلمةَ غُلام فسمّوْه الوليدَ فذُكِر ذلك لنّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال سمّيْتموه بأسْماء فراعنتكم لَيَكُونَنّ في هذه الأمّة رَجلٌ يُقال له الوليدُ هو شرٌّعلى هذه الأمّة مِنْ فرْعون على قوْمه.قال الزُّهْريّ إن اسْتخْلفَ الوليدُ بنُ يزيد فهُو هُووإلاّ فالوليدُ بنُ عبْد الملك.اهـ

---

[1] مُعْجم ما استْعجم ج2ص585

أقولُ:والوليدُ بْن عبد الملك هوالذي كان فرِحاً مستبشراً حينما اعْتلّ أبوه وتبيّنَ في وجْهه الموْت.قال السّعديُّ في عُيون الأنْباء في طبقات الأطبّاء: قال يوسف بْن إبراهيمَ حدّثني عيسى بْنُ حَكَم عنْ أبيه أنّ جدّه أعلمه أنّه كان حمَى عبد الملك بن مَرْوان منْ شُرْب الماء[1]في علّته التي تُوُفّي فيها وأعلمه أنّه متى شرب الماءَ قبْل نضْج علّته تُوُفّي.قال فاحْتمى عن الماء يوْميْن وبعْضَ الثّالثِ،قال فإنّي عنْده لَجَالسٌ وعنْده بَنَاتُه إذْ دخل عليْه الوليدُ ابنُه فسأله عنْ حالِه وهو يَتبيّنُ في وجْه الوليد السُّرُوربموْته فأجابه بأنْ قال وَمُسْتَخْبِرعَنّا يُريدُ بِنَاالرّدَى*وَمُسْتَخْبِرَات وَالدُّمُوعُ سَوَاجِمُ .((انتهى) كلامُ السّعديّ)

والذي يبْعثُ السّرورَفي قلْب الْوليدِ لِمَوْت والدِه عبْدِ الْمَلك بنِ مَرْوانَ هُو ولايةُ الأمْرمِنْ بعْده؛فبعْد أن يُغْمِضَ عبْدُ الملك عيْنيْه ويلْفظ آخرَأنْفاسه يُصبْح الوليد خليفةً على المسْلمين.ولنا أنْ نتساءلَ عنْ هذا الّذي يُتَبَيّنُ منْه السّرور بموْت والده ليسْتلم الخلافة،إذا لمْ يرْحمْ والدَه ولمْ يشْفقْ عليْه ولمْ يحْزنْ لفقْده – والقرْآن الكريمُ يقولُ وبالوالديْن إحْساناً– فكيْف يرْحمُ الآخرين؟!

قال القُرْطبيّ[2]: كان النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وادَعَ أهْلَ مكّة سنَةً وهو بالحُديْبية فحبَسُوه عَن البيْت ثُمّ صالحُوه على أنْ يرْجعَ فمكثُوا ما شاء اللهُ ثُمّ قاتلَ حُلفاءُ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم مِنْ خُزاعةَ حُلفاءَ بني أُميّة مِنْ كنانةَ فأمدّتْ بنُو أُميّة حلفاءَهم بالسّلاح والطّعام فاستْعانتْ خُزاعةُ بالنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم..اهـ

---

[1] من الحمية والحمية منع الطبيب المريض من تناول أمور معينة أثناء العلاج.وقد ورد حديث : المعدة بيد الداء والحمية رأس كل دواء.

[2] تفسير القرطبي ج 8 ص 85

والشّاهدُ قولُه " فأمدّتْ بنو أُميّة حلفاءَهم بالسّلاح والطّعام"مع أنّ بيْنهم وبيْن النّبيّ صلى الله عليه وآله معاهدةٌ تتضمّن عدمَ الاعتداء على حُلفائِه.وما ذُكرسابقا لا يقولُ أمدّت قُريْش و لكنْ يقولُ أمدّتْ بنوأُميّة؛فيكونُ الغدْرُ عادةً لدى بني أُميّة قبْل فتْح مكّةَ وبعْده.

ولبني أميّة أعمال سافلة كثيرة تبيّن فيها إلحادهم واستخفافهم بالدين، أختارمنها هذه على جهة المثال للحصر،وأنا معتذرممّا يجده القارئ من الاشمئزاز فإنّ ناقل الكفر ليس بكافر.قال الأصفهاني في فصل خاص بطرب الوليد[1] :...عن محمّد بن سلام عن أبيه عن شيخ من تنوخ ولم يقل عمر بن شبّة في خبره محمّد بن سلام عن أبيه ورواه عن محمّد عن شيخ من تنوخ قال كنت صاحب ستْر الوليد بن يزيد فرأيتَ ابن عائشة عنده وقد غناه إنّي رأيت صبيحة النفر** حورا نفين عزيمة الصبر** مثل الكواكب في مطالعها** بعد العشاء أطفن بالبدر** وخرجت أبغي الأجر محتسبا** فرجعت موفورا من الوزر** قال إسحاق في خبره: والشّعر لرجل من قريش والغناء لمالك هكذا في خبر إسحاق [..] قال فطرب الوليد حتى كَفَرَ وألحدَ وقال ياغلام اسقنا بالسّماء الرابعة!!وكان الغناء يعمل فيه عملا ضلّ عنه من بعده ثمّ قال أحسنت والله يا أميري أعد بحقّ عبد شمس! فأعاد ثم قال أحسنت والله يا أميري أعد بحق أميّة! فأعاد ثم قال أعد بحق فلان أعد بحق فلان حتى بلغ من الملوك نفسه فقال أعد بحياتي فأعاده قال فقام إليه فأكبّ عليه فلم يبق عضو من أعضائه إلا قبّله وأهوى إلى هَنه[2]فجعل ابن عائشة يضمّ فَخذَيْه عليه فقال والله العظيم لاتريم [3]حتى أقبّله فأبداه له فقبّلَ

---

[1] الأغاني ــ الأصفهاني ــ ج2ص218
[2] قال أبو الهيثم : هي كناية عن الشئ يستفحش ذكره،(لسان العرب / ابن منظور/ ج15 ص 365).
[3] لا تريم أي لا تبرح

رأسَه[1] ثم نزع ثيابه فألقاها عليه وبقي مُجرّدا [2]إلى أن أتوه بمثلها ووهب له ألف دينار وحمله على بغلة وقال اركبها بأبي أنت وانصرف فقد تركتني على مثل المقلى من حرارة غنائك فركبها على بساطه وانصرف.

* * *

* الرّقابة والحظر:

من الأساليب التي استعمْلها المُستبدّون من الحكّام على مرّ التّاريخ أسلوبُ الرّقابة والحظْر،وهو يتمثّل في منْع تسرّب كلّ خبر يكْشف عن انْحرافاتهم الْحسيّة والمعْنويّة،ويقْدَح في كفاءتهمْ وأهْليّتهمْ للحُكْم.والشّواهد على ذلك في عصْرنا أوْضَحُ مِنْ نارٍعلى علَم،ويُمْكنُ القولْ أنّه أقْسى ما يتعرّض له مُثقّفوالأمّة العربيّة على وجْه الخُصوص.ويُعْتبَربنوأُميّة من السّباقين في هذا المجال،وأخبارهم في ذلك موزّعة في كتب التاريخ والأدب و السيروالتراجم،ولوتوفّرلَديْهم في ذلك العهْد ماهو مُتوفّراليوْم منْ وسائلَ وتقْنيّات لكانت ُالعواقب والآثارأضعافَ ماهي عليه اليوْم؛فقد بلغ بهم الأمر أنّهم كانوا يدْفنون بعْض المُعارضين أحياءً يتنفّسون،وفي نفْس الوقْت يبْذلون الأمْوال الطّائلة لمنْ ينْسب إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله أحاديثَ وأخباراً لاأصلَ لها ويخْتلقُ لهمْ ولأسْلافِهم فضائلَ لا تنْسجم مع ما اقْترفتْه أيْديهم.وهذه أقْوال صحابة وتابعين تشْهدُ على بني أُميّة بتلْك الممارسات المنافية لمبادئ الإسْلام

---

[1] الضمير في (رأسه) يعود على (هنه) ومعنى الكلام أنّ الخليفة قبّل رأس ذَكَر المُغنّي.

[2] مجرّداً أي عارياً كما ولدته أمّه.

في كتاب أبجد العلوم[1]:عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنّه قال حفظْت منْ النّبيّ صلّى الله عليْه وسلّم وعاءيْن، أمّا أحدُهما فبثثْتُه وأمّا الآخرُ فلوْ بثثْتُه لقُطعَ هذا البلْعُوم. وغرضهم عدمُ إمْكان التّعْبير عنْه وخوْف مقايسة السّامعين الأحوالَ الإلهيّةَ بأحْوال المُمكنات فيَضلّوا بسوء الظّنّ في قائلها فيقابلوه بالإنْكار (انتهى) .قلتُ [2]: المرادُ بالوعاء الآخرأخْبارُ دوْلةِ بني أُميّة كما [3]صرّح به أهْلُ الحديثِ ومَنْ قال بِخلافِه لمْ يأْت بما يشْفي الغليل فإنْ شئْت الاطّلاع على تمام الكلام في ذلك فارجعْ إلى القسْطلانيّ ولا تغْترّ بأقْوال هؤلاء الذين ليْسوا من علْم السّنّة المُطهّرة في ورد ولا صدر.اهـ

وفي المُستَدركْ ...عن شهْربن حوْشب قال لمّا جاءت بيْعة يزيد بْن مُعاويَة قلْت لوْخرجْت إلى الشّام فتنحّيْتُ منْ شرّهذه البيْعة فخرجْت حتّى قدمْت الشّام فأُخْبرْتُ بمقامٍ يقُومُه نوْف[4]فجئْتُه فإذا رجلٌ فاسدُ العيْنيْن عليْه خميصة وإذا هوعبْد الله بْن عمْرو بْن العاص رضي الله عنهما فلمّا رآه نوْف أمْسكَ عن الحديث فقال له عبْد الله حدّثْ بما كنْتَ تحدّثُ به قال أنْتَ أحقّ بالحديث منّي، أنْتَ صاحبُ النّبيّ صلى الله عليه وآله .قال إنّ هؤلاء قدْ منَعُونا عن الحديث يعْني الأمَراءَ [!!] قال أعْزِمُ عليْك إلاّ ما حدّثْتَنا حديثاً سمعْتَه من النّبيّ صلى الله عليه وآله قال سمعْتُه يقول إنّها ستكون هجْرة بعْد هجْرة يجْتازالنّاس إلى مُهاجرإبْراهيم لا يبْقى في الأرْض إلاّ شرارأهْلها تلْفظهم أرْضهم وتقذرهم أنْفسهم والله يحْشرُهم إلى النّار مَع القِرَدَة والخنازيرتبيت معَهم إذا باتوا وتَقيل

---

[1] أبجد العلوم ـــ القنوجي ـــ ج1ص247

[2] القائل هو القنوجي

[3] مُستَدرك الحاكم ج 4 ص 486

[4] قال ابن ماكولا في في إكمال الكمال ج1ص 569 : وأما نوف أوله نون وآخره فاء فهو نوف بن فضالة البكالي أبو يزيد ابن امرأة كعب روى عنه نسير بن ذعلوق قاله البخاري.

معهم إذا قالوا وتأكل مَنْ تخلّف قال وسمعْت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول سيخْرج أناس مِنْ أمّتي من قِبَل المشْرق يقرؤون القرآنَ لا يُجاوزتراقيَهم كلّما خرج منْهم قرْن قُطع حتّى يخْرج الدّجّال في بقيّتهم.اهـ

وشاهدُنا من الحديث قوْلُه "إنّ هؤلاء قد منعونا عن الحديث يعني الأمراء " فإنّ فيه اعترافاً صريحاً بممارسة الدّوْلة الأمويّة للرّقابة والحظْ.ولم يدْركْ عبْد الله بْن عمْروبن العاص ولا غيرُه من الصّحابة دولةَ بني العبّاس لأنّ آخرَهُم موْتاً وهُوعامربْن الطّفيل تُوفّي قبْل قيامها بأكثرَ مِنْ عشرين سنةً.وأمّا عبد الله بن عمْروبْن العاص فقد ذكرَ ابنُ حجرفي موْته ثلاثةَ أقْوالٍ كلّها دون سنة ثمانين.قال ابن حجرفي الإصابة ج4ص167: " قال الواقديّ ماتَ بالشّام سنةَ خمْس وستّين وهويوْمئذ ابنُ اثْنتيْن وسبْعين وقال ابْن البرْقيّ وقيل مات بمكّة وقيل بالطائف وقيل بمصْرودُفن في داره.قاله يحيى بْن بكير. وحكى البخاريّ قولاً آخرَأنّه مات سنةَ تسْع وستّين وبالأوّل جزم ابْن يونس وقال ابنُ أبي عاصم مات بمكّة وهو ابْن اثنتين وسبعين وقيل مات سنة ثمان وستين وقيل تسع وستين " اهـ

وفي الطبقات[1]:... يوسفَ بنَ يعْقوبَ المَاجشُون قال كُنْتُ مع أبي في حاجة فلما انْصرفْنا قال لي أبي هلْ لك في هذا الشّيْخ فإنّه بقيّةٌ مِنْ بقايا قُريْش وأنْت واجدٌ عنْده ما شئْتَ منْ حديثٍ ونُبْل رأيٍ يُريد عبد الله بنَ عُرْوة قال فدخلْنا عليْه فحادثه أبي طويلاً ثُمّ ذكرَ أبي بني أُميّة وسوءَ سيرتِها وما قدْ لقيَ النّاسُ منْهم وقال انْقطع آمالُ النّاس منْ قُريْش فقال عبد الله أقْصرْ أيّها الشّيْخ فإنّ النّاس لنْ يبْرح لهمْ أمْرٌ صالح في قُريْش ما لمْ يَلِ بنوفُلان فإذا

[1] الطبقات الكبرى (القسم المتمم) ج1ص227

وليتْ بنُو فُلان انْقطعتْ آمالهمْ فقال له سلمة الأعْوَرُ صاحبُنا بَنُو هَاشم فقال برأسه أيْ نعمْ.اهـ

لعلّه يُريدُ ببني هَاشم الحاكمين من " بني العبّاس "وهذا أمْرٌ لاغُبارعليْه، فقدْ ظلمُوا وتجاوزُوا كلّ الحُدود حتّى قال الشّاعر: ياليْت ظلْم بني مرْوان دام لنا ** وليْت عدْل بني العبّاس في النّار.لكنّ ذلك لايُعفي بني أُميّة ولا يُبرّر ظُلْمهم،ولك أنْ تتأمّل قولَه" ثُمّ ذكرأبي بني أُميّة وسوءَ سيرتها وما قدْ لقيَ النّاس منْهم وقال انْقطع آمال النّاس منْ قُريْش " فإنّها شهادةٌ منْ مُعاصرٍ مُعاينٍ، يشْهدُ على بني أُميّة بسوء السّيرة وأنّ النّاس قد لَقُوا منْهمْ.أمّا أن يكونَ القصْد من ذلك حكْمَ بني هاشم على الإطلاق فواضح البُطْلان لأنّ أفضل دوْلة تكُونُ على الأرْض هي دوْلة المهْديّ عليه السلام الذي يملأُ الأرْضَ عدْلاً وهومن صميم بني هاشم.

وفي كتاب الفتن ج1ص130 :قال... عنْ ناعم موْلى أمّ سلمة قال: سمعْتُ أبا هُرَيْرَة رضي الله عنه يقول:إنّ السّلطان لا يُكلّم اليوْم وذلك في زمن مُعاويَة.اهـ

هذا في ما يتعلّق بممارسة بني أُميّة للرّقابة والحظْر،وفرْضِهم الحصَارعلى الفكْروحيْلولَتِهم دونَ نقْل التّراث بأمانة كما يقتضيه الواجب الدّيني،فإنّ عامّة فقهاء المسلمين ومحدّثيهم لا يزالون يردّدون" بلّغوا عنّي ولو آية "وبنوأُميّة ينْهون عنْ ذلك ويُعاقبُون مَنْ لايلْتزمُ بنَهْيهم.

** التحريف :

قال المقريزي [1]:ليس من الغريب تحريف حديث سدّ الأبواب:أخرج أحمد في المناقب وابن راهويه في المسند وعبد الرّزاق في المُصنّف عن معمرقال:سألت الزُهْريّ من كان كاتِب الكتابِ يوم الحديبية ؟فضحك وقال: عليٌ،ولوسألت هؤلاء قالوا:عثمان.يعني بني أُميّة .[2]اهــ

أقول: إنّ ابن شهاب الزُهْريّ كان معروفاً بانْحرافه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام،وقد شهدت عليه أختُه رُقَيّة بذلك أمام الجعفريّ وعيّرته بأخذ جوائز بني أميّة وكتْمان فضائل آل محمد ،وذكّرتْه بما روى لها ابن المنكدر.[3]وإنّ شهادة مثله على بني أميّة من قَبيل " شهد شاهد من أهلّها "؛ فإذا كان هذا رأيَ مَن يأخذ جوائزهم، فكيفَ بمن يتعرّض للأذى من قِبَلهم.وفي هذا بيان لمن أراد معرفة حقيقتهم من أفواه أنصارهم.ولا شكّ أنّ

---

[1] النّزاع والتّخاصم ــ المقريزي ــ ص 127

[2] (فضائل الصحابة لاحمد : 2 / 591ح 1002مناقب علي وراجع الهامش ، والمطالب العالية : 4/ 234 ح 4346 باب الحديبية ، والمُصنّف لعبد الرّزاق: 5/ 343ح 9722 . اهــ

[3] قال ابن عساكرفي تاريخ مدينة دمشق ج 42 ص 227: أخبرنا أبو القاسم زاهر بن طاهر أنا أبــو سعد محمد بن عبد الرحمن أنا السيد أبو الحسن محمد بن علي بن الحسين نا سليمان بن أحمد الحــافظ نــا محمد بن إسحاق الحافظ إسماعيل بن أبي أويس نا جعفر بن إبراهيم الجعفري قال كنت عند الزُهْريّ أســمع منه فإذا عجوز قد وقفت عليه فقالت يا جعفري لا تكتب عنه فإنه مال إلى بني أمية وأخذ جوائزهم فقلت مــن هذه قال أختي رقية خرفت قالت خرفت أنت كتمت فضائل ال محمد قالت وقد حدثني محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال أخذ النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) بيد علي فقال من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله [* * * *] قالت وحدثني محمد بن المنكــدر عن جابر بن عبد الله قال قال النّبيّ (صلى الله عليه وسلم) أوثق عرى الإيمان الحب في الله والبغض فــي الله.

لتلك الأعمال التي أقدموا عليها أثرها على تراجع مستوى التعليم والتديّن في المجتمع الإسلامي آنذاك لأن الأفكارلا تنموإلا في ظلّ الحرّية.وقد سمحت أساليب بني أميّة بظهورمتملّقين لا يهمّهم إلا الحصول على حطام الدنيا وتصدّرالمجالس،ونتج عن ذلك اختلاط الحقّ بالباطل في قضيّة الحديث النبويّ والشّريف،واحتيجَ إلى علْم يميّز صحيح الحديث من سقيمه؛إلا أنّ ذاك العلم نفسه لم يسلَمْ أربابُه من الهوى وتقديس الانتماءات والولاءات والترويج لها،فانفقتح باب القدح وتكوّنت معسكرات وراج التبديع والتكفيروصار حبّ أهل البيت عليهم السلام الذي نزل به قرآنٌ يُتلى[1]عيباً قادحاً في وثاقَة الرّاوي مُسقطاً لعدالته.وتفاقم الأمرإلى أن لم يعُدْ أهل الشأن أنفسهم يستسيغونه،وهو ما حدا بابن حجرالعسقلاني أن يقول:" وقد كنت أستشكل توثيقهم الناصبيّ غالياً وتوهينهم الشّيعة مطلقاً ولا سيما أنّ عليّاً ورد في حقّه لا يحبّه إلاّ مؤمن ولا يبغضه إلا منافق "[2]، وهي شهادة من خبير،ولا ينبئك مثل خبير وإن كان قد برّرالاستشكال فيمابعد بما يناسب مبانيَه .وعلى العموم فإنّ الضّررالذي نتج عن ممارسة بني أميّة للتّحريف والتّزوير والرّقابة لا يصحّ إنكاره وتجاهله،بل ينبغي اعتبارُه عاملاً أساسيا في تفريق الأمّة وخلق الصّعوبات والعقبات في طريق الباحثين،ومنع العاملين في الساحة العلمية من اختصارالطريق في سيرهم وتكاملهم.ويحزّفي نفس كل غيورعلى تُراث الأمّة الإسلاميّة أن يرى المغْرضين من المستشْرقين والعلمانيّين يستغلّون حصاد بني أميّة لتلفيق الشّبهات والتُّهم وإذكاء نيران الفتَن،وتشكيك شباب الأمّة في أصول ثقافته.لقد قدّم بنو أميّة لأعداء الإسلام خدمةً كبيرةً كان ذلك عن قصدٍ

---

[1] ذلك الذي يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليهأجرالا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا إنّ الله غفور شكور.[الشورى 23]

[2] تهذيب التهذيب – ابن حجر العسقلاني ج 8ص 411

أوْعن غيْر قصْد.ولوأنّ بني أميّة اكْتفوا بالاسْتحواذ على الحُكم ولم يتدخّلوا في كلّ صغيرة وكبيرة من شُؤون الأُمّة لكان الضّرّرأخفّ ولكان استدراكه أسهلَ.وقد صرّح جماعة من أمثال عبد الله بن عمرو بن العاص وأبي برزة الأسلمي وأبي هريرة أنّ الحاكمين من بني أميّة منعوهم من تحديث النّاس بأحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله، وفي هذا ما فيه من أثر سلبيّ على التراث،هذا مع أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله تقدّم لهم في ذلك وحذّر من كتمان العلم.فالذي يمكن اعتماده في المسألة هو أنّ بني أميّة ــ وعلى رأسهم معاوية ــ وإن لم يكونوا أوّل من مارس الرّقابة والحظروحاسب النّاس على ما يقولون،إلاّ أنّهم طوّروا الأساليب وتخطّوا كل الخطوط بحيث يصل بهم الأمر أحيانا إلى دفن المعارضين أحياء.ولاشكّ أنّ تعدّد اشكال الإرهاب الفكريّ يجعل هَمّ اغلب النّاس منحصراً في الإبقاء على النفس وتجنّب كل مامن شأنه أن يؤسس شبهة أو تهمة، وبذلك تُمهّد السبل للانتهازيين والمتملّقين وتُسدّ الأبواب في وجوه العاملين من أهل الضمائر الحية.ولمن أراد التمعّن في ذلك أكثرأنْ ينظرفي حال شُعوب دُول العالم الإسلامي والمستوى الذي وصل إليه المثقفون الذين آثروا البقاء في أوطانهم؛فالخيارات محْدودة والنّتائج متوقّعة سلفاً،إمّا أنْ ينضوُوا تحْت راية الحاكمين ليصبْح التملّق جزءاً من حياتهم اليوميّة،وإمّا أن يصبروا على المضايقات والإهانات صبراً يجعل الولْدان شيباً.كلّ ذلك لأنّ الحاكمين يُمارسون الرقابة والحظر ويمْنعون الألْسُن التي هي ودائع الله تعالى أن تقول كلمةً لا تُناسب مِزَاجَهم وهواهم.

* * *

الفجور :

والفجورفي بني أُميّة معلوم،وأوفرهم حظّاً فيه آل أبي سُفْيان،وكيف لا يكونون كذلك ومُعاويَة يشْهد على أبيه بالزّنا في قضيّة استلحاق زياد بن عُبيد كما هو مذكور في محلّه.وقد كان جدُّهم أُميّة صاحبَ عهَاروفُجوروكان يزيد يمارس الفجورويشجّع عليه.قال المقريزي[1]: ولم يكن أُميّة في نفْسه هُناك وإنّما رفعه أبُوه وبنُوه وكان مضْعُوفا،وكان صاحبَ عهَار يدلّ على ذلك قولُ نُفيْل بْن عبْد العُزّى جدّ عمر بْن الخطّاب حين تنافرإليه حرْب بْن أُميّة وعبْد المطّلب بْن هاشم فنفرعبْد المطّلب وتعجّب من إقْدامه عليْه وقال:أبُوك مُعَاهرٌ وأبُوهُ عَفٌ ***وذادَ الفيلَ عنْ بلدٍ حَرَام؛ وذلك أنّ أُميّة كان يعْرض لامْرأة منْ بني زُهْرة فضربَه رجلٌ منْهم ضربةً بالسّيف وأرادَ بنُو أُميّة ومنْ تابَعهُم إخراجَ زُهْرة من مكّة،فقام دونَهم قيْسُ بنُ عديّ السّهميّ وكانُوا أخْوالَه وكانَ منيعَ الجانب شديدَ العارضة حميّ الأنْف أبيَّ النّفس،فقامَ دونَهم.وقال وصاحَ

(أصبَح ليْل) فذهبتْ مَثلاً ونادى (ألا إنّ الظّاعنَ مُقيم) ففي هذه القصّة يقول وهْب بن عبْد مناف بن زُهْرة:مهلاً أُمَيّ فإنّ البغْيَ مَهْلكةٌ ** لا يكْسبنّك ثوْباً شرّهُ ذكَرُ** تبدُو كواكبُه والشّمسُ طالعةٌ** يصبُ في الكأس منهُ الصّاب والمقرُ. وصنعَ أُميّة في الجاهليّة شيئاً لمْ يصنعْه أحدٌ من العرب:زوّجَ ابنَه أبا عمْرو بنَ أُميّة امرأتَه في حياةِ منْه،والمقْتيّون في

---

[1] النزّاع والتخاصم ــ المقريزي ص 50

الإسْلام هم الذين أولَدُوا نساءَ آبائهم واستنْكَحُوهنّ من بعْد موْتهم،وأمّا أنْ يتزوّجها في حياته ويبْنيَ عليْها وهُو يراهُ فإنّ هذا لم يكُن قطّ .اهــ

وفي [1]: ولما دخلَ الفيلُ من دمشق واجْتمع النّاس لرُؤيته صعدَ مُعاويَةُ في مكان مُرْتفع ينْظر اليْه فبيْنما هو كذلك إذ نظرَ في بعْض الحُجَر من قصْره رجلاً مع بعْض حُرَمه[!!]فأتى الحجرةَ ودقّ الباب فلم يكنْ من فتْحه بُدٌّ فوقعتْ عينُه على الرّجل فقال له ياهذا في قصْري وتحْت جناحي تهْتكُ حُرْمتي وأنْتَ في قبْضتي ما حملك على هذا قال فبُهتَ الرّجلُ وقال حلْمُك أوْقعني فقال له مُعاويَة فإنْ عفوْتُ عنْك تستُرها عليّ قال نعمْ فعفا عنْه وخلى سبيلَه وهذا من الحلْم الواسع أنْ يطْلب السّتر من الجاني.اهــ

أقول:ليس هذا من الحلم الواسع وإنّما هو من الدّياثة،والله تعالى يقول " ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله " وهوأرأف بعباده من أنفسهم.ولا أدري إنْ كان الأبشيهي يعْمل بالحلْم الواسع لوْ حصلَ في بيْته مثْلُ الذي حصل في قصْر معاوية!!

وفي جمهرة خطب العرب [2]:قول الحسن بن علي عليهما السلام لعتبة بن أبي سفيان:وأماأنت يا عُتبة فوالله ما أنْت بحصيف فأجيبك ولا عاقل فأحاورك وأعاتبك وما عندك خيرٌ يُرْجى ولا شرّ يُتّقى وما عقْلك وعقْلُ أَمَتك إلاّ سواء وما يضرّعليّاً لو سببْتَه على رؤوس الأشْهاد وأمّا وعيدُك إيّاى بالقتْل فهلاّ قتلْتَ اللّحيانيّ إذ وجدْته على فراشك [!!] أما تستحي من قول نصر بن حجّاج فيك:

يا للرّجال وحادث الأزْمان ولسبّة تُخزي أبا سفيان

نُبِّئْتُ عتبة خانَه في عرْسه جنْسٌ لئيمُ الأصْل منْ لحْيَان

وبعد هذا ما أربأ بنفسى عن ذكْره لفُحشه فكيْف يَخافُ أحدٌ سيفَك ولم تقتُلْ فَاضِحَكَ ... اهـ

وكثيرمن بني أُميّة محدودون في الخمر وغيرها .

قال محمّد بن حبيب البغدادي [1]: وحدّ عمروبن سعيد بن العاص عبدَ العزيزَ بن مَرْوان[والد عمربن عبد العزيزخامس الرّاشدين في نظرالشافعي والذّهبيّ] في الخمْرفقال يحيى بن الحكَم بن أبي العاص : وددْت وبيت الله أنّي فديتُه * وعبد العزيز وهو يجلَد في الخمْر.وحدّ عبد الله بن الزبير حين بويع خالدَ بن المهاجر بن الوليد المخزوميّ في خمْروُجدت معه،وحدّ عبد الملك بن مَرْوان هاشمَ بن المسوّر بن مخْرمة وكان افترى على رجل من قُريْش بالمدينة فكتب عاملُ عبد الملك على المدينة يُخْبرعبدَ الملك بذلك،فكتب إليه حُدّه كما حُدّ أبوه وجدّه قبْله،وحد عبد الملك أيضا يحيى بن عبد الرحمن بن الحكم[ابن أخي مَرْوان]وكان عاملُه على المدينة كتب إليه يستأذنُه فيه فكتب إليه:حُدّه فإنّه فاسق ابْن محدود،فحدّه،وحَدّ أبو بكربن عمْرو بن حزم الأنْصاريّ وهوعاملُ عبد الملك على المدينة هشامَ بنَ عُرْوة بنِ الزّبيرفي فرْية على رجُل منْ بني أَسَد بن عبد العُزّى،وحدّ عبدُ الرحمن بن الضّحاك بن قيْس الفهريّ وهوعاملُ المدينة للوليد بن عبد الملك هشامَ بن عُرْوة بْن الزّبيرفي فرْية افتراهاعلى رجُل من بني المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم،وضرب إبراهيم بن هشام وهو على المدينة مصعبَ بن عُرْوة بن الزّبير حدّاً في الخمْر،وحدّ أيضا حمزةَ بن مصعب بن الزبيرفي الخمْر،وحدّ أيضاعبد الله بن عُرْوة بن الزّبيرفي الخمْر،وحدّ عمربن عبد العزيز يعقوبَ

[1] "المنمّق" محمّد بن حبيب البغدادي ص 398

بن سلمة بن عبد الله بن الوليد بن المغيرة وكان افترى على أخيه أيوب بن سلمة،وحدّ إبراهيم بن هشام أو محمّد بن هشام وهوعامل هشام بن عبد الملك على المدينة إسماعيلَ بن عُثمان بن الأرْقم المخزُومي في الخمْر،وحدّ عمر بن عبد العزيز إسحاق بن علي بن عبد الله بن جعفربن أبي طالب في الخمْر ، فقال إسحاق لعمر:وددت يا عمرأنّ الناس كلهم جُلدوا،يريد بذاك أباه عبد العزيزلأنه حُدّ في الخمر ....

الفصل الثاني

أبو سفيان

1- أبو سُفْيان (نسبه وبعض صفاته):

هوصخر بن حرب بن أميّة بن عبد شمس.قال الذّهبيّ في سير أعلام النّبلاء ج2ص107:كان أسنّ من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعشرسنين. وعاش بعْده عشرين سنة.وكان عُمَر يحترمه؛وذلك لأنّه كان كبيربني أُميّة. وكان حما النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.وماامات حتى رأى ولديْه يزيد،ثم مُعاويَة،أميريْن على دمشْق.وكان يحبّ الرّياسة والذّكر،وكان له سورة كبيرة في خلافة ابن عمّه عثمان.تُوفّي بالمدينة سنة إحدى وثلاثين.وقيل سنة اثنتين وقيل:سنة ثلاث أوأربع وثلاثين،وله نحوالتسعين.اهـ

أقول:ثبت أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أهدرَ دمَ أبي سُفْيان،فقد ذكرابنُ سعْد في الطّبقات الكبرى ج2ص93 ما يلي:

...وذلك أنّ أبا سُفْيان بن حرب قال لنفر من قُريْش :" ألا أحدٌ يغْتال محمّداً فإنّه يمْشي في الأسْواق" فأتاه رجلٌ من الأعراب فقال قد وجدْت أجْمعَ الرّجال قلْباً وأشدّه بطْشاً وأسْرعَه شدّاً فإن أنْتَ قوّيْتَني خرجْتُ إليه حتّى أغتالَه ومعي خنْجر مثلُ خافية النّسرفأسورُه ثمآخذُ في عيروأسبِق القوْمَ عدواً فإنّي هادٍ بالطّريق خرّيتٌ قال أنت صاحبُنا فأعْطاه بَعيراً ونفقةً وقال اطْوِ أمْرَك فخرج ليلاً فسارَعلى راحلتَه خمساً وأصْبح ظَهْر الحَرّة صُبحَ سادسة ثُمّ أقْبل يسألُ عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم حتى دُلَّ عليه فعقَل راحلته ثمأقبَل إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وهو في مسجد بني عبد الأشهل فلما رآه النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال إنّ هذا ليُريدُ غدْراً فذهبَ ليَجْنيَ على النّبيّ صلى الله عليه وسلم فجذبَه أسيد بن الحضير بداخلة إزارِه فإذا الخنْجرُ فسقِط في يديْه وقال دمي دمي فأخذ أسيد

بلبّته فدَعَتَهُ فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم اصدُقني ماأنْت قال وأنا آمنٌ ؟ قال نعم فأخبره بأمْره وما جعل له أبو سُفْيان فخلّى عنْه النّبيّ صلى الله عليه وسلم فأسلَم وبعَث النّبيّ صلى الله عليه وسلم عمْروبنَ أُميّةَ وسلمةَ بنَ أسْلم إلى أبي سُفْيان بن حرب وقال إن أصبْتُما منْه غرّة فاقْتُلاه فدخلا مكّة ومضى عمْروبن أُميّة يطوف بالبيْت ليلاً فرآه مُعاويَةُ بنُ أبي سُفْيان فعرفَه فأخبَر قُريْشاً بمكانه فخافُوه وطلبُوه وكان فاتِكاً في الجاهليّة وقالوا لم يأْتِ عمْرولخَيْرفحشدَ له أهلُ مكّة وتجمّعوا وهرب عمْروسلمةُ فلقيَ عمروعبيدَ الله بن مالك بن عبيد الله التيمي فقتَلَه وقتَل آخرَ منْ بني الدّيل سَمعَه يتغنّى ويقولُ "ولسْت بمسلم ما دمْتُ حيّاً **ولسْت أدينُ دينَ المسلمينا " ولقيَ رسولَين لقُريْش بعثتْهُما يتحسّبان الخَبَر فقتَلَ أحدَهما وأسرَالآخرَفقدمَ به المدينةَ فجعلَ عمرو يُخبر النّبيّ صلى الله عليه وسلم خبرَه و النّبيّ صلى الله عليه وسلم يضْحكُ.اهــ

وقال المسعودي[1] :"وقد كان عمّارحين بويع عثمان بلغه قولُ أبي سُفْيان صخربن حرب في دارعثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه عثمان،ودخل داره ومعه بنوأُميّة،فقال أبو سُفْيان أفيكُم أحد من غيْركم؟وقد كان عَميَ،قالوا:لا، قال:يابني أُميّة تلقّفُوها تلقُّفَ الكرة،فوالذي يحلِفُ به أبو سُفْيان مازلْتُ أرْجُوها لكم،ولتصيرَنّ إلى صبْيانكم وراثةً.فانْتَهَرَهُ عثْمان وساءه ما قال،ونُمىَ هذا القول إلى المهاجرين والأنْصاروغيرذلك من الكلام.فقام عمّارفي المسجد فقال يا معشرقُريْش أما إذا صدفتم هذاالأمْرعن أهل بيت نبيكم ههنا مرّة وههنا مرّة،فماأنا بآمنٍ منْ أنْ ينْزعَه الله فيضَعه في غيْركم كما نزعْتُموه منْ أهْله ووضعْتُموه في غيْر أهْله .

---

[1] مروج الذهب للمسعودي ج2 ص342

وفي الآحاد والمثاني[1]: ...عن ابن عبّاس رضي الله تعالى عنه قال كان المسلمون لا ينظرون إلى أبي سُفْيان ولا يُقاعدُونَه فقال للنّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ثلاث أعطنيهن قال نعم قال عندي أحسن العَرب وأجملُه أمّ حبيبة بنْت أبي سُفْيان تتّخذها وأزوّجكها قال نعم ومُعاويَة تتّخذه كاتباً يكتب بيْن يديك قال نعم.اهـ

أقول:هذا كلام قد صرّح المحقّقون ببطلان أكثره،فإنّ أمّ حبيبة بنت أبي سُفْيان تزوّجها النّبيّ صلى الله عليه وآله بعْد تنصّرزوْجها الأوّل عبد الله بن جحش بن رئاب أخي زيْنب بنت جحش ،وأمّا معاوية فإنّ ما يُشاعُ عنه من كتابة الوحْي لا يثبُت،لأنّه أسلمَ بعد فتْح مكّة في أواخرحياة النبي صلى الله عليه وآله،وقد كان أكثرُ القرآن قدْ نزلَ،ولا يعرف مُعاويةُ ناسخَه من مَنسُوخه ولا مُحكمَه من مُتشابهه،وإلا فلمَ لمْ يُذكرْ مع القرّاء كعبد الله بن مسعود وأبيّ بن كعب ؟! وإنّما القولُ الصحيحُ هو أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو كاتبُ وحْي النّبي صلى الله عليه وآله لم يفُتْه من ذلك شيء فإنّه تربّى في بيت النبي صلى الله عليه وآله وهوآخرالناس عهداً به وصلّى معه قبلهم بسبع سنسن؛وكان أوّل عمل قام به بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله هوأن جمع القرآن وجاء به إلى الحاكمين يومها،الذين لم يكنْ لهمْ رغْبة في مصحف خطّته يد عليّ عليه السلام.

وعلى العموم،فإنّ هذا الحديث وأمثاله ممّا أرادوا به إضفاء شيءٍ من الفضل على أبي سفيان،ولا يثبت به فضل مُقابل ما أُثِرَعن أبي سفيان من العظائم.

[1] الآحاد والمثاني ـ ابن أبي عاصم ـ ج1ص364

قال أبوسُفْيان في مارواه ابن أبي عاصم بخصوص قصّته مع عظيم الروم[1]: قال قيصر أدنوه منّي ثمّ أمربأصحابي يُجعلوا خلَف ظهري عندَ كتفي ثم قال لتُرجمانه:قُل لهم إنّي سائلٌ هذا الرّجل عن هذا الرّجل الذي يزعُم أنّه نبيّ فإنْ كذب فكذِّبوه قال أبوسُفْيان فوالله لوْلا الحياءُ يومَئذ بأن يأثِرَأصْحابي عليّ الكذبَ لحدّثْتُه عنْه حينَ سألَني ولكن استَحييتُ أنْ يَأثِرُوا عليّ الكذب فصدَقْتُه عنه.." (انتهى)

يصرّح أبوسُفْيان أنّ المانعَ لهُ من الكذب هوأنْ يأثِرَعليه أصحابُه الكذبَ لا لأنّ الكذبَ في نفْسه مذْمومٌ يترفّع عنْه أهلُ المُرُوءة،ومعْنى هذاأنّه لوكان أبو سُفْيان يومها وحدَه ولم يكن معه في المجلس أحدٌ من العرب لكذبَ على النّبيّ صلى الله عليه وآله،وقد سبق قولُ قيصرَلأصْحاب أبي سُفْيان " فإنْ كذبَ فكذّبوه "؛وهوما يُستَشفّ منه أنّه تَوَسّمَ فيه الشرَّ وإلا لَمَا أقامَ علَيْه رُقَباءَ منْ قوْمه يُحْصُون عليه كَلماتِه ومَعانِيَها.فكيف يكُونُ مَنْ لا يُصدّقُ قَيْصَرُ كلامَه إلاّ برُقَباء ثقةً مأْمُوناً ؟!

وقد روى ابْن قيّم الجوْزيّة بإسنادٌ أُمويّ محض قصةً تَدَعُ اللّبيبَ حَيْران، وتَكْشف عمّا في باطِن أبي سُفْيانَ مِن حَسَد للنّبيّ صلى الله عليه وآله فإنّ أبا سُفْيان – إنْ صحّت القصّةُ – كان عالماً ببَعْث نبيّ في قُريْش قبل نزول الوحي على النّبيّ صلى الله عليه وآله بزمان،والقصّة يرويها مَرْوانُ بنُ الحَكم عن مُعاويَة عن أبيه،قال ابن القيم[2]:وقال مَرْوان بن الحكم عن مُعاويَة بن أبي

---

[1] الآحاد والمثاني – ابن أبي عاصم ج 1ص 365

[2] هداية الحيارى ــ ابن قيم الجوزية ــ ج1ص99. والقصة نفسها مذكورة في تاريخ ابن كثير [البداية والنهاية ج2ص 281]وتاريخ مدينةدمشق –ابن عساكر – ج9 ص261 والإسناد عند ابن عساكر ما يلي : اخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن أبي الحسن بن إبراهيم الداراني أنا أبو الفضل أحمد بن علي بن الفضل بن طاهر بن الفرات أنا رشأ بن نظيف المقرئ أنا عبد الوهاب بن جعفر بن علي الميداني أنا أبو سليمان

سُفْيان عن أبي سُفْيان بن حرب قال:خرجتُ أنا وأُميّة بن أبي الصلْت تجّاراً الى الشّام فكانَ كلّما نزلْنا منزلاً أخرجَ منه سفْراً[1] يقرؤه فكنّا كذلك حتّى نزلْنا بقرْيةٍ مِن قُرى النّصارى فرأوْه فعرَفُوه وأهْدَوا له وذهبَ معهُم الى بيعَتِهم ثمّ رجعَ في وسط النّهارفطَرحَ نفْسَه واستخْرجَ ثوْبيْن أسْوديْن فلبسَهُما ثمّ قال يا أبا سُفْيانَ هلْ لكَ في عالِمٍ من عُلماء النّصارى إليْه تَناهي علْمُ الكُتب تسألُه عمّا بدا لك قلتُ لا[!] فمضى هووحدَه وجاءَنا بعد هدْأة منَ الليْل فطرحَ ثوْبيْه ثمّ انْجدلَ على فراشِه فوالله ما نامَ ولا قامَ حتّى أصبحَ وأصبحَ كئيباً حزيناً ما يكلّمُناولا نُكلّمه فسريْنا ليْلتيْن على ما به من الهمّ فقلْتُ له ما رأيتُ مثْلَ الذي رجعْتَ به من عنْد صاحبِك قال لمُنْقَلَبي قلتُ وهلْ لكَ منْ مُنقلب قال إي والله لأموتنّ ولأُحاسَبَنّ قلتُ أُعْتَقُ إمَاني قال على ماذا قلتُ على أنّك لا تُبْعَث ولا تُحاسب فضحكَ وقال بلى والله لتُبعثُنّ ولتُحاسبُنّ ولتدْخلن فريق في الجنّة وفريق في السّعير قلت أأخبرَك صاحبُك قال لا علْمَ لصاحبي بذلك في ولا في نفْسه فكنّا في ذلك ليلتَنا يعْجَبُ منّا ونضحكُ منْه حتّى قدمْنا غُوطة دمشْق فبعْنا متاعَنا وأقمْنا شهريْن ثمّ ارتحلْنا حتّى نزلْنا قريةً من قُرى النّصارى فلمّا رأوْه جاؤُوه وأهدَوْا له وذهبَ معَهم الى بيعتهم حتى جاءنا مع نصف النّهار فلبسَ ثوبيْه الأسوَديْن وذهبَ حتّى جاءنا بعد هدْأةٍ من الليل فطرحَ ثوبيْه ثمّ رمى بنفسه على فراشه فوالله ما نام ولا قام حتى أصبح مبثوثاًحزيناًلا يكلّمنا ولا نكلّمه فرحلْنا فسرْنا لياليَ ثمّ قال يا صخْرحدّثْني عنْ عتْبة بْن ربيعَة أيجْتنبُ المحارمَ والمظالمَ قلتُ إي والله قال أويَصل الرّحمَ ويأمُربصلِتَها قلتُ

محمد بن عبد الله بن أحمد بن زبر أنا أبي أنا أحمد بن محمد بن نصر حدثنا محمد بن عبد الوهاب الأزهري حدثنا يعقوب بن عبد الله السلمي حدثني محمد بن مسلمة عن إسماعيل بن الطريح بن إسماعيل الثقفي عن أبيه عن جده عن مروان بن الحكم حدثني معاوية بن أبي سفيان عن أبي سفيان بن حرب

[1] السفر : الكتاب و جمعه أسفار ومنه قوله تعالى في سورة الجمعة (كمثل الحمار يحمل أسفارا....).

نعم قال فكريمُ الطّرفيْن وسيطٌ في العشيرة قلتُ نعمْ قال فهلْ تعلمُ قرشيّاً أشرفَ منْه قلتُ لا والله قال أمُحْوجٌ هو قلت لا بلْ هو ذومال كثيرقال كم أتى له من السنين قلت هوابن سبْعين أوقدْ قاربَها قال فالسنُّ والشّرفُ أزْرَيَابه قلت والله بلْ زادَهُ خيْراً قال هُو ذاك ثم إنّ الذي رأيْتَ بي إني جئْتُ هذا العالمَ فسألْتُه عن هذا الذي يُنْتظَرفقال:رجلٌ من العرب من أهْل بيْت تحجّه العربُ فقلت فينا بيت تحجّه العربُ قال هُومن إخْوتكم وجيرانكم من قُريْش فأصابني شيءٌ ماأصابَني مثلُه إذْ خرجَ منْ يدي فوْزُ الدّنْيا والآخرةِ وكنْتُ أرجُوأن أكونَ أنا هُو فقلْتُ فصفْهُ لي فقال رجلٌ شابٌّ حين دخلَ في الكُهولة بدوأمْره أنّه يجْتنبُ المحارمَ والمظالم ويصلُ الرّحم ويأمرُ بصلتهاوهوكريمُ الطّرفيْن متوسّط في العشيرةِ أكثرجنْده من الملائكة قلْتُ وما آية ذلك قال رجفت الشّام منْذ هلك عيسى بْن مرْيم عدّة رجفات كلّها فيها مُصيبة وبقيتْ رجفة عامّة فيها مصيبة يخْرج على أثرِها فقلت هذا هُوالباطل لئنْ بعث الله رسولاً لا يأخُذُه الا مُسنّاً شريفاً قال أُميّة والذي يحلفُ به إنّه لهكذا فخرجْنا حتّى اذا كان بيْننا وبين مكّة ليْلتان أدركَنا راكبٌ من خلْفنا فإذا هُو يقولُ أصابت الشّامَ من بعْدكم رجْفة دثرأهلُها فيها فأصابتْهم مصائبُ عظيمة فقال أُميّة كيف ترى يا أبا سُفْيان فقلت والله ما أظنّ صاحبَك إلاّ صادقاً وقدمْنا مكّة ثمّ انطلقْتُ حتّى أتيْتُ أرضَ الحبشة تاجراً وكنْتُ فيها خمْسةَ أشْهر ثمّ قدمْتُ مكّة فجاءني النّاسُ وفي آخرهم محمّد وهنْدُ تلاعبُ صبيانَها ورحّبَ بي وسألني عن سفَري ومقْدَمي ثمّ انْطلقَ فقلتُ والله إنّ هذا الفتى لعجبٌ ما جاءني من قُريْش أحدٌ له معي بضاعةٌ الاّ سألني عنها وما بلغتْ،والله إنّ له معي لبضاعةً ما هو بأغْناهم عنْها ثمّ ما سألني عنْها فقالت أوَمَا علمْتَ بشأنه فقلتُ وفزعْتُ وما شأنُه قالت يزْعُم أنّه النّبيّ فذكرتُ قولَ النّصراني فوجمْتُ ثم قدمْتُ الطائفَ فنزلتُ على أُميّة فقلتُ هلْ تذكرُ حديثَ النّصراني قال نعمْ فقلتُ قد

كان قال ومَنْ قلتُ محمّد بن عبد الله فتصبَّبَ عرَقاً فقلتُ قد كان من أمْر الرّجل ما كان منه فقال والله لا أومنُ بنبيٍّ من غيْر ثقيف أبدا[!!]فهذا حديث أبي سُفْيان عن أُميّة وذلك حديثه عن هرقل وهو في صحيح البخاريّ وكلاهُما من أعْلام النبوة المأخوذة عن علماء أهل الكتاب .اهـ

إذاً فقد كان أبوسُفْيان عالمابصدْق رسالة النّبيّ صلى الله عليه وآله من البداية،وقد تثبّت مِنْ أُميّة بن أبي الصلْت،فلماذا بقي الشّك يراودُه؟ولماذا يقول ليلة فتح مكة للعبّاس:لقد أصبحَ ملك ابْنِ أخيك عظيماً؟! على أنّها ليست المرّة الوحيدة التي اطّلع فيها على مايقطع به العقلاء بصدق رسالة النبي صلى الله عليه وآله ،فقد روي عنه أمورأخرى،منها ما رواه ابن عساكر قال[1]:...عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال لما كان ليلة دخلَ النّاسُ مكّةَ ليلةَ الفتْح لم يزالوا في تكْبير وتهْليل وطوافٍ بالبيْت حتى أصبْحوا فقال أبو سفيان لهنْد ترَيْنَ هذا من الله قال ثمّ أصبحَ فغدا أبو سفيان إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال له النّبيّ صلى الله عليه وسلم قلتَ لهنْد أترَيْن هذا من الله نعمْ هُومن الله فقال أبو سفيان أشهدُ أنّك عبد الله ورسوله والذي يحلف به أبو سفيان ما سمعَ قوْلي هذا أحدٌ من النّاس إلا الله وهنْد.اهـ

لكنّه أثناءَ معْركة حُنيْن حينما انْكشفَ المسلمون قال كلمةً كبيرةً تُشْعر بفرحه بهزيمتهم،قال ابنُ كثير[2]:قال ابن إسحاق:ولماانْهزم النّاس تكلّم رجالٌ من جُفاة الأعْراب بما في أنْفُسهم من الضّغن،فقال أبو سفيان صخر بن حرب

---

[1] تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج 23 ص 457

[2] البداية والنهاية - ابن كثير ج 4 ص 374

– **يعني وكانَ إسلامُه بعدُ مدخولاً وكانت الأزْلامُ بعدُ معه يومئذ**[1] – قال:لا تنْتهي هزيمتُهم دونَ البحْر.اهـ

ولأبي سُفْيان أقوالٌ أخرى يأباها الذوقُ السّليم وتشمئزُّ منْها القلوبُ التي سكَنَها الإيمانُ،ومن ذلك ما ذكرَه ابن منظور[2]: وفي الحديث أنّ أبا سُفْيان قال لبني أُميّة تزقّفُوها تزقّف الكُرة يعني الخلافة(اهـ).ومثله في الفائق[3]: زقف التَّزقُّف والتَّلقُّف أخَوان وهُما الاسْتلابُ والاخْتطَافُ بسُرْعة ومنه أنّ أبا سُفْيان رضي الله عنه قال لبني أُميّة: تزقّفوها تزقّف الكُرَة ورُوِيَ تلقّفُوها يعنى الخلافةَ وعن مُعاويَة رضي الله عنه لوبلَغ هذاالأمرُ إلينا بنى عبد مناف تزقّفناه تزقّف الأكرة.اهـ

فالخلافةُ في نظَرأبي سفيان وابنه معاوية ليست أمانةً في عنق صاحبها ولا عهداً من الله،وإنّما هي شيءٌ يستحقّ التزقّف والتلقّف.

ومن ذلك أيضاً ما ذكره الطبريّ بخصوص الكتاب الذي عزم المعتضد على إرساله إلى الأمْصار ليُقرأ على المنابر وقد جاء فيه :

" ومنه ما يَرْويه الرّواةُ من قوْله يا بَنى عبْد مناف تلقّفوها تلقّفَ الكُرة فما هُناك جنّة ولا نار وهذا كُفْرٌ صُراحٌ يَلحقُه به اللّعنة من الله كما لحقَت الذين كفرُوا من بنى إسرائيل على لسان داوود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ومنه ما يروون من وقوفه على ثنيّة أُحُد بعد ذهاب بصره وقوله لقائده ههنا ذبَبْنا محمّداً وأصحابَه.. "" [4]

---

[1] أين هذا من قولهم " حَسُنَ إسلامه "

[2] لسان العرب ابن منظورج9ص138

[3] الفائق في غريب الحديث ج2ص 117

[4] – تاريخ الطبري – الطبري ج 8ص 185: و النصائح الكافية لمحمد بن عقيل الشافعي ص261.

ومن ذلك أيضاً ما ذَكره ابنُ عساكرفي قصّة مَلك الرّوم حيث قال أبوسفيان :

" فلما قال ماقال وفرغ من قراءة الكتاب كثُرعنده الصّخب وارْتفعَت الأصواتُ وأخْرجنا فقلت لأصحابي حين أخْرجنا لقد أمرأمرابْن أبي كبْشة. إنه يخافُه مَلك بني الأصْفرفما زلْتُ موقناًأنّه سيظْهرُ حتى أدخل الله عليّ الإسلام.. " [1]

ولا يخفى ما في عبارته من قصْد الإزْراء بشخْص النّبيّ الكريم صلى الله عليه وآله فإنّه وإنْ كان عدوّا له وفي حالة حرب معه،إلاّ أن مثْل هذا التّعبيرفي حقّ النبي صلى الله عليه وآله لا يقرّه عقلاء ذاك الزمان ولا غيره من الأزمنة السّابقة واللاّحقة؛ ومهْما هذّبْنا العبارة وبحثْنا عن مبرّرات وتأويلات فإنّنا لنْ نستطيع أنْ ننْفي ما وراء تلْك الكلمات من حقْد كامن في قلْب أبي سفيان،وقد قال الله تعالى في حقّ من يصْدرمنْهم مثْلُ هذا" قد بدت البغْضاءُ من أفْواههم وما تُخفي صُدورهم أكْبر"؛ولا شكّ أنّ ذلك يؤذي النبيّ(صلى الله عليه وآله).

ومن ذلك ما ذكره ابن عساكر في تاريخه قال[2]:" قال أبوسفيان وأقبلت حتى آتي مكّة فوالله ما أنا منْه ببعيد حتى جئت مكة فوجدت أصحابه يُضرَبُون ويُقْهَرون قال فجعلت أقول فأين جُنْدُه من الملائكة قال ودخلني ما يدخل النّاسَ من النّفاسة "اهـ

---

[1] تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر- ج 2 ص 93 وقصة الكتاب في :الكامل في التاريخ لابن الاثير ج1 ص 592 وصبح الاعشى للقلقشندي ج6 ص359 ودلائل النبوة للبيهقي ج 4ص384 والوثائق السياسية لحميد الله ص 109

[2] تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر - ج9 ص 264:

وفيه اعترافٌ صريحٌ بانسياق أبي سفيان وراءَ الحسد وتركِه الحقّ وكتمانه إيّاهُ عمداً؛ولو أنّه أخبرَ النّاسَ بما رأى وسمع في سفَره مع أميّة بن أبي الصّلت لكان للأُمورمَجْرى غيْرالذي جرتْ عليْه،ولكان له هو سعيٌ مشْكورٌ في حقْن الدّماء وصلة الأرْحام.

ومنه ذلك ما رواه ابن عساكر قال[1]: ...عن وهب بن كيسان عن عبد الله بن الزبيرقال كنتُ مع أبي عامَ اليرْمُوك فلما تعبّأ المسلمون للقتال لبسَ الزبيرُ لأمتَه ثمّ جلسَ على فَرسه ثمّ قالَ لمَوْلَيَيْن احْبسا عبدَ الله بن الزبيرمعكُما في الرّحل فإنّه غلامٌ صغيرثمّ توجّه فدخلَ في النّاس فلما اقتتلَ الناسُ والرّومُ نظرْتُ إلى ناس وُقوفٍ علي تلّ لا يُقاتلون مع النّاس فأخذْتُ فَرساً للزّبير كان خلفهُ في الرّحل فركبْتُه ثمّ ذهبت إلى أولئك النّاس فوقفْتُ معهم وقلتُ أنظرُما يصنعُ الناسُ فإذا أبوسفيان بن حرب في مَشيخةٍ منْ قُريش من مُهاجرة الفتْح وُقوفاً لا يُقاتلون فلمّا رأوْني رأوا غلاماً حدثاً لمْ يتّقُوني قال فجعلُوا والله إذا مالَ المسلمون وركبهم الرومُ يقُولون إيه بل أصفر وإذا مالت الرومُ وركبهم المسلمون قالوا يا ويحَ بني الأصفرفجعلْتُ أعْجبُ من قولهم فلمّا هزم الله الرّومَ ورجعَ الزّبيرُ جعلْتُ أخْبرُه خبرَهم قال فجعلَ يضْحكُ ويقول قاتلهم الله أبوْا إلاّ ضغْناً وماذا لهم في أنْ يظْهرعليْنا الرّومُ ولنحْنُ خيرٌ لهمْ منْهم ".اهـ

ليست هذه أوّل مرّة يفرح فيهاأبو سفيان بهزيمة المسلمين،فقد سبق الحديث عن كلمته يوم حنين؛وهذا قبيح منه ومن جماعته،فإنّهم يتمنّون هزيمةَ جيْش هُم بعْضُ أفْراده،ويُفترضُ في العاقل أنْ يحبّ وطنَه وقومَه مهْما كان

---

[1] تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر- ج 23 ص 467

بيْنه وبيْنهم حين يصبْحُ الأمرُبيْنهم وبين أعْدائهم،وماأحسن قول الشاعر:
بلادي وإن جارتْ عليّ عزيزةٌ ** وقَوْمي وإن جارُوا عليّ كِرَامُ

لكنّ أبا سفيان خالٍ من الحسّ القوميّ كماهُو خال من الحسّ الدينيّ،فلا عجبَ بعدها أن يصدُر منْه أمثال هذا .

وكان أبو سفيان شحّيحا،وقد ذكروا أنّ الشّحّ أعمّ من البُخل؛إذ البخل يحتصّ بمنع المال والشّحّ يعمّ كل شيء في جميع الأحوال.والبُخل ممقوتٌ شرْعاً وعرْفاً،وقد مدحَ الله تعالى المُنْفقين وذمّ البُخلاء؛جاء في كتاب صحيح البخاري ما يلي:...عن عُرْوة عن عائشة رضى الله عنها:قالت هند أم معاوية للنّبيّ صلى الله عليه وسلم إنّ أبا سفيان رجل شحيح فهل عليّ جناح أن آخذ من ماله سرّاً قال خذى أنت وبنوك ما يكفيك بالمعروف .[1]

وقد عقد النووي في شرح مسلم باباً لفضائل أبي سفيان لم يذكرفيه سوى حديث عرضه على النّبيّ صلى الله عليه وآله الزواج بأمّ حبيبة،وبما أنّ الحديث قد نالته سهام أهل الفنّ من كل جهة لكون أمّ حبيبة تزوّجهاالنّبيّ صلى الله عليه وآله قبل إسلام أبي سفيان بزمان،ولشهرة ما وقع للأخير معها حين جاء إلى المدينة وأراد تمديد عهد الصلح[2]،فقد تحوّل باب الفضائل إلى حملة على ابن حزم لقوله عن الحديث "موضوع والآفة فيه من عكرمة بن عمّار".

---

[1] صحيح البخارى – البخاري ج 3 ص 36و ج6ص193 وصحيح مسلم ج5ص129ومسند أحمد ج6 (ص39 وص50وص206)وسنن الدارمي ج2ص159وسنن ابن ماجه ج2ص 769 وسنن أبي داوود ج2ص 150 والسنن الكبرى للبيهقي ج7ص466 وطبقات ابن سعد ج8ص237 وتاريخ دمشق ج23ص471 وأسد الغابة ج5ص562والبداية والنهاية ج4ص365.

[2] قال ابن هشام في السيرة ج 4 ص 855 : ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على النّبيّ صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش النّبيّ صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : بل هو

***

2- آل أبي سُفْيان :

كان لأبي سفيان من الولد يزيدُ بن أبي سفيان ومعاويةُ بن أبي سفيان وحنظلةُ بن أبي سفيان[قُتل يوم بدركافراً] وعتبة بن أبي سفيان وعنبسة بن أبي سفيان(لاعقب له)،ومن البنات رملة بنت أبي سفيان وكنيتها أم حبيبة [تزوّجها النبيصلى الله عليه وآله بعدما تنصّرزوجها عبد الله بن حجش في الحبشة] وجويرية بنت أبي سفيان [وكانت تفضّل أخاها معاوية على عليّ عليه السلام] وأميمة بنت أبي سفيان[تزوّجها حويطب بن عبد العزى بن أبي قيس من بني عامربن لؤي فولدت له أبا سفيان بن حويطب ثم خلف عليها صفوان بن أمية فولدت له عبد الرحمن بن صفوان] [1]وهند بنت أبي سفيان[تزوّجها الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف فولدت له عبد الله بن الحارث ويكنى أبا محمد][2].

وليس في من ذُكرمن يُشارإليه بتديّن واستقامة؛أمّا معاوية فمعلوم الحال وسيَردُ عليك في حقّه ما يثير العجب.وأما يزيد فقد ولاّه أبو بكر على الجيش المتوجه إلى الشّام وهلك في طاعون عمواس وله قصّة مع أبي ذرّ تأتي لاحقاً.وقد ناقض الذّهبيّ نفْسه حين ذكره في أهل العقْل والدينّ ثمّ ذكرغصبْه حقوق بعض أفراد جيشه.وأمّاعُتبة فكان عديم الغيرة على شرفه حتى قال

فراش النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش النّبيّ صلى الله عليه وسلم ، قال : والله لقد أصابك يا بنية بعدى شر.

[2] - تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج 69 ص 55

[2] تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي - ج 1 ص 225

الشعراء في ذلك ماقالوا![1]ولا يشكّ المطالع لسيرة آل أبي سُفْيان في أنّهم كانوا أشدّ النّاس استخفافاً بالمقدّسات:والذين جاؤوا من بعدهم من آل مَرْوان كيزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد وغيرِهما إنّما تعلّموا منهم،ووجدوا الطّريق مُمَهّدا لذلك.كيف لا وقد جعل يزيدُ بنُ مُعاويَة منصبَ الخلافة هُومنصبَ الاستخفاف بالحُرُمات واللّعب بالفهود والقرود وترك الصّلوات والإقْبال على الشّهوات،وسيمرّبك لاخقاً شهادةُ أهْل المدينة عليه بذلك.وقد سبقه إلى ذلك أبوه مُعاويَة حينما راح يُظْهراستخْفافه بشخْص النّبيّصلى الله عليه وآله في مواطنَ عديدة،ويخالفه قولاً وعملاً،ولوْ لمْ يكنْ إلاّ استلحاق زياد بْن سُميّة لَكَفى.ولئن تشابهَ البقرُعلى أقْوام في مُعاوية فإنّه لا يتشابه عليْهم في يزيد،إذْ ليْس يصحّ في الأفْهام شيءٌ إذا احْتاج النّهارُإلى دليل.فيزيد ملكَ ثلاثة أعوام قتلَ في الأوّل سبطَ النّبيّ صلى الله عليه وآله في أهْل بيْته وأصْحابه وأسرَ النّساءَ والصبْيان،واسْتباح في العام الثاني مدينةَ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله في واقعة الحرّة المشْهورة التي راح ضحيّتها من الصّحابة والتابعين خلْقٌ كثيرٌ، وانتُهكت فيها الأعْراض بشكْل ينْدى له الجبين [2]،ورمى الكعبة المشرّفة في العام الثالث من حكمه بالمنْجنيق؛وبذلك جمع في مدّة قصيرة أعمال كلّ من فرْعون وأبْرهة وقابيل.وإنّه لمما يحزّ في نفوس الشّرفاء والمُدافعين عن القيَم أن ينْبري من انبرى للدفّاع عنْ يزيد باسْم الإسْلام،وتنْفق في ذلك دُولارات النفْط في بلْدان يعيش كثيرٌمن أهْلها تحْت مسْتوى الفقْر بشهادة الجمْعيّات والمنظّمات الإنسانيّة العالميّة الرسميّة منها وغيرالرسميّة.لا أدري ما الذي يستفيده المسْلمون من الدّفاع عن يزيد بن مُعاوية،ولا أدْري كيْف يسْمح أناسٌ لأنفسهم بالنزول إلى ذلك المستوى من التّنكّرللحقّ وهم في

---

[1] قصة عتبة بن أبي سفيان مع اللحياني مذكورة في جمهرة خطب العرب ج2ص22

[2] يأتي الحديث عن واقعة الحرة بالتفصيل لاحقا .

نفس الوقْت يُطيلون اللّحى ويحافطون بصورة منتظمة على التعطّر والسبق إلى الصفوف الأولى كلّ يوم جمعة!ولا أدري كيْف يسْمح النّاس لأنْفسهم بالاسْتماع إلى أقْوام سبّاقين إلى الباطل وأهْله فرّارين من الحقّ وأهله.ولست أعْني في ما أقول أولئك البسطاءَ من النّاس الذين وُلدُوا في مُجتمَعات لا تقْدرأهْل البيت عليهم السلام قدْرَهم،وقد وجَدوا ثقافةً جاهزةً فانْصهرُوا فيها ثقةً منْهم بأسْلافهم،وإنّماأعْني أولئك الذين يُحسنُون ترْتيبَ المقدّمات وتأصيلَ البُحوث ممّن قضوا السّنين الطّويلة في الجامعات والمعاهد وأتْعبُوا أنفسهم اللّياليَ والأيّامَ بين مُخْتلف أمّهات الكُتب .هؤلاء قد قامتْ عليهم الحُجّة ولن يُعفَوا من المؤاخذة لأنّ الرّاضي بفعْل قومٍ داخلٌ فيهم،والسّاكت عن الحقّ شيطان أخْرس،وهمْ أعْلمُ النّاس بذلك،وليس منْ علِم كمَنْ لمْ يعلَمْ.

قال ابن كثير[1]:قال ابن إسحاق:وحدّثني يزيد بن عبد الله بن أسامة بن الهادي الليْثيّ أنّ محمّد بن إبراهيم بن الحارث التيميّ حدّثه أنّه كان بين الحُسيْن بْن عليّ بن أبي طالب وبين الولَيد بْن عُتْبة بْن أبي سُفْيانـــ والْوليد يوْمئذ أمير المدينة،أمّرَهُ عليْها عمُّه مُعاويَةُ بْن أبي سُفْيان ـــ منازعةٌ في مال كان بيْنهُما بذي المرْوة فكأن الوليدَ تحاملَ على الحُسين في حقّه لسُلْطانه فقال له الحُسيْن:أحلفُ بالله لتنصفنّي منْ حقّي أوْلآخذنّ سيْفي ثمّ لأَقُومَنّ في مسْجد النّبيّ صلّى الله عليْه وسلّم،ثم لأدعُوَنّ بحِلْف الفُضول[2].قال فقال عبدُ الله بن الزبير- وهو عند الوليد حين قال له الحُسيْن ما قال - وأنا أحْلفُ بالله لئنْ

---

[1] البداية والنهاية ــ ابن كثيرــ ج 2 ص 357

[2] :قال ابن الاثير في النهاية في غريب الحديث ج 3 ص 456 :

حلف الفضول ، سمى به تشبيها بحلف كان قديما بمكة . أيام جرهم ، على التناصف ، والأخذ للضعيف من القوي ، وللغريب من القاطن ، قام به رجال من جُرْهُم كلّهم يُسمّى الفضْل ، منهم الفضل بن الحارث ، والفضل بن وداعة ، والفضل بن فضالة .

دعا به لآخذنّ سيْفي ثمّ لأقومنّ معه حتّى يُنْصَف من حقّه أو نموتَ جميعاً.قال وبلغت المُسوّر بنَ مَخْرمة بْن نوْفَل الزُهْريّ فقال مثْلَ ذلك . وبلغت عبدَ الرحمن بنَ عثمانَ بن عبيد الله التّيميّ فقال مثْلَ ذلك.فلما بلغَ ذلك الوليدَ بْنَ عُتبة أنْصف الحسيْنَ من حقّه حتى رَضي.اهـ

وقال البلاذري في أنساب الأشراف[1]::قال الواقديّ وهشام بن الكلبيّ: ظلمَ الوليدُ بن عتبة بن أبي سفيان ــ وهو عامل عمّه معاوية على المدينة ــ الحسينَ بن عليّ بن أبي طالب في أرْض له فقال : لئن أنصفْتَني ونزعْتَ عن ظلْمي وإلاّ دعوْتُ حلفَ الفُضول . فأنصفه .

أقول:إنّه لمؤسفٌ أن يُضطرّ ابنُ النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى حلْف الفضول لاستثارة نخْوة لم يعُدْ يستثيرها عنْوانُ آية المودّة في القُرْبى ولا عُنوانُ سيّد شباب أهْل الجنّة ولا عنْوانُ ريْحانة النّبيّ صلى الله عليه وآله !.وظاهرالأمْرأنّ الوليد بن عتبة لم يكنْ ينْوى إنْصاف الحُسيْن عليه السلام وإنّما خشيَ أنْ تتطوّر القضيّة وفي القلوب على بني أمّية ما فيها وتفلتَ الأمورُمنْ يَده،فرجعَ إلى الإنْصاف مُكرَهاً لا عنْ طواعيَة.وهذه القصّة تؤكّد جوْرآل أبي سُفْيان كابراً عن كابر.

وقال ياقوت الحموي[2]:رُوي أنّه كان ليزيد بْن مُعاويَة ابنٌ اسمُه عُمَرفحجّ في بعض السّنين فقالَ وهو مُنْصرفٌ إذا جعلْنَ ثافلاً يَميناً** فلنْ نعودَ بعْدَها سنِيناَ** للحجّ والعُمْرة ما بقينا قال فأصابَتْه صاعقةٌ فاحْترقَ فبلغ خبرُه محمّدَ بن عليّ بن الحسين عليه السلام فقال ما استخفّ أحدٌ ببيْت الله الحرام إلا عُوجل.اهـ

---

[1] أنساب الأشراف– البلاذري – ص 14

[2] معجم البلدان ياقوت الحموي ج2ص71

الفصل الثالث

مُعاويَة بن أبي سُفْيان

مُعاويَة بن أبي سُفْيان :

قال السيوطي[1]:

مُعاويَة بن أبي سُفْيان صخرِ بنِ حربِ بن أُميّةَ بن عبدِ شمس بنِ عبدِ مناف بنِ قصيّ الأمويُّ أبوعبد الرحمن أسْلَمَ،هُووأبوه يومَ فتْح مكّة وشهدَ حنيناً وكان من المؤلّفة قلُوبهم ثمّ حسُن إسلامه.وكانَ أحدَ الكتّاب لالنّبيّ (صلى الله عليه وآله وسلّم.رُويَ له عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم مائةُ حديث وثلاثةٌ وستّون حديثاً روى عنْه من الصّحابة ابنُ عبّاس وابْنُ عُمر وابْنُ الزّبيْروأبُو الدّرْداء وجريرُ البَجَليّ والنّعمانُ بنُ بشير وغيْرُهم ومن التّابعين ابنُ المسيّب وحميدُ بنُ عبْد الرحمن وغيرُهما وكانَ من الموْصُوفين بالدّهاء والحلْم.وقدْ وردَ في فضْله أحاديثُ قلّما تثْبُت.أخْرج التّرمذيّ وحسّنهُ عن عبد الرحمن بن أبي عميرة الصّحابيّ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال لمُعاويَة اللهمّ اجعلْه هادياً مهديّاً.اهـ

أقول:يعنون بالحلْم الصّفْحَ و التّجاوزعمّن أساء وتعدىّ،وعدمَ الرّجوع إلى اللّوم والتّثريب بعد ذلك الصّفح.فليت شعرى كيف يوصف بهذا من ظلّ يلعن ابنَ عمّ النبي صلى الله عليه وآله بعد شهادته عشرين سنة،وأمرالنّاس بفعل ذلك في الأمْصارالقريبة والنائية،وأوصى بني أميّة بفعله؛ولوأنّه تمكّن من العثورعلى البدن الشّريف لعليّ عليه السلام لأحرقه بالنّار!وكيف يُوصَفُ بالحلْم من كان يدْفن مُحبّي عليّ عليه السلام وشيعتَه أحياءً!إنّ الحليم هوالذي قال

[1] تاريخ الخلفاء ـــ السيوطي ـــ ج1ص174

لأعدائه حين ظَفرَبهم:اذهبوا فأنتم الطلقاء.والحليم أيضاً من قال لأعدائه بعد أن ظفر بهم يوم الجمل:اذهبوا فأنتم الطلقاء.وأمّا مَن أقامَ مع الحسن بن عليّ عليهما السّلام صُلحاً مِنْ بيْن بُنوده ألاّ يتعرّض شيعةُ عليّ عليه السلام لأيّ ضرر ثُمّ نَكث وتتبَّعهُم في كل مكان قتلا وصلباً وسجناً فإنّ وصفه بالحلْم من الزّور المبين.

وفي المستطرف[1]: دخل شريك بْن الأعورعلى مُعاويَة وكان دميماً فقال له مُعاويَة:إنك لدميم والجميلُ خيرٌمن الدّميم وإنّك لشريك وماالله من شريك وإن أباك لأعْوروالصحيحُ خيْرمن الأعور،فكيف سُدْتَ قومَك فقال له:إنّك مُعاويَة وما مُعاويَة إلا كلْبة عوَتْ فاستَعْوَت الكلاب وإنك لابنُ صخْر والسّهْل خيْر من الصّخْروإنّك لابْن حرْب والسّلْم خيْرمن الحرْب وإنّك لابْن أُميّة وما أُميّة إلاّ أمَة صُغّرتْ فكيفَ صرْتَ أميرَ المؤمنين ثُم خرج وهو يقول :

أيشْتمُني مُعاويَة بْن حرْب وسيْفي صارمٌ ومَعي لسَاني

وحولْي منْ ذوي يَزَن لُيوثٌ ضَراغمةٌ تهشُّ إلى الطّعَان

يُعيّرُ بالدّمامة من سفَاهٍ وربّات الحجَال منَ الغوَاني

وفي المستطرف أيضاً[2]:وقال[أي معاوية] يوماً لجارية بن قدامة ما كان أهونَك على قوْمك إذْ سمّوك جارية فقال ما كان أهونك على قومك إذ سمّوك مُعاويَة وهي الأنْثى من الكلاب قال اسكتْ لا أمّ لك قال أمّ لي ولدتْني أمَا والله إنّ القلوبَ التي أبْغضْناكَ بها لبيْن جَوانحنا والسّيُوف التي قاتلْناك بها لفي أيْدينا وإنّك لم تهلْكنا قسْوةً ولمْ تملْكْناعنْوةً ولكنّك أعطيْتنا عهْداً وميثاقاً

---

[1] المستطرف في كل فن مستظرف ـ الأبشيهي ـ ج1ص132

[2] المصدر السابق ج1ص134

وأعطيناك سمْعاً وطاعةً فإنْ وفيْت لنا وفيْنا لك وإن نزعْت إلى غيْر ذلك فإنّا تركْنا وراءَنا رجالاً شداداً وأسنّة حداداً فقال مُعاويَة لا أكثر الله في النّاس مثلك يا جارية فقال له قُلْ معْروفاً فإنّ شرّ الدّعاء مُحيطٌ بأهْله.

***

1- نسب مُعاويَة :

قال ابن أبي الحديد[1]: ومُعاويَة هو أبو عبد الرحمن مُعاويَة بن أبى سُفْيان صخر بن حرب بن أُميّة ابن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى.وأمّه هنْد بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى.وهى أمّ أخيه عتْبة بن أبى سُفْيان.فأما يزيد بن أبى سُفْيان،ومحمّد بن أبى سُفْيان،وعنبسة بن أبى سُفْيان،وحنظلة بن أبى سُفْيان،وعمروبن أبى سُفْيان،فمن أمّهات شتّى.وأبو سُفْيان هوالذى قاد قُريْشا في حروبها إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله وهورئيس بنى عبد شمس بعد قتل عتْبة بن ربيعة ببدر،ذاك صاحب العيروهذا صاحب النّفير،وبهما يضرب المثل،فيقال للخامل :" لا في العير ولا في النفير "

وقال أيضاً[2]:قال الزّمخْشريّ في كتاب " ربيع الأبرار ":كان مُعاويَة يُعْزى إلى أرْبعة:إلى مسافر بن أبي عمْرو،وإلى عمارةَ بن الولَيد بن المُغيرة وإلى العبّاس بن عبْد المطلب،وإلى الصبّاح،مُغنّ كانَ لعمارة بن الوليد.قال: وقد كان أبو سُفْيان دميماً قصيراً،وكان الصبّاح عسيفاً لأبي سُفْيان،شابّاً وسيماً فدعتْهُ هنْدُ إلى نفسها فغَشيَها.وقالوا:إنّ عتْبة بْن أبى سُفْيان منَ الصبّاح أيضاً وقالوا:إنّها كرهتْ أنْ تدعهُ في منْزلها،فخرجتْ إلى أجْياد،فوضعتْه هُناك .

---

[1] شرح نهج البلاغة –ابن أبي الحديد - ج 1 ص 334

[2] شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد - ج 1 ص 336

وفي هذا المعْنى يقول حسّان أيامَ المُهاجاة بيْن المسلمين والمشركين في حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله قبل عام الفتح :

لِمَنِ الصّبيُّ بِجَانِبِ البَطْحَا في التُّرْب مُلْقىً غَيْرَ ذى مَهْد
نَجلَتْ به بيْضاءُ آنسَةٌ مِنْ عبْد شَمْسٍ صَلْتَةُ الخَدّ

وفي "حمامة" جدّة مُعاويَة كلامٌ يُنْبئُ عَنْ رُسُوخ هذه العائلة في الفسْق و الفُجو،قال البلاذريّ[1]:وحدثني عبّاس بن هشام الكلبيّ،عن أبيه قال: دخَل عقيل على معاوية فقال له:ياأبا يزيد أيّ جدّاتكم في الجاهليّة شَرّ ؟ قال حَمَامَة . فوَجمَ مُعاويةُ[2].قال هشام:وحمامة جدّة أبي سفيان وهي منْ ذوات الرّايات في الجاهليّة.المدائني،عن ابن أبي الزناد عن أبيه قال:قال معاوية لعقيل بن أبي طالب:ماأبْينَ الشّبق في رجالكم يا بني هاشم ؟!قال:لكنّه في نسائكم يا بَني أميّة أبْيَن !

قال ابن أبي الحديد [3]:ثم غدا [أي عقيل]عليْه يوماً بعد ذلك،وبعْد وفاة أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام،وبيْعة الحسن لمُعاويَة،وجُلساءُ مُعاويَة حوْله فقال:ياأبايزيد،أخبرْني عنْ عسكَري وعسْكر أخيك،فقد وردْتَ عليهما قال: أُخبرُك،مررْتُ والله بعَسكرأخي،فإذا ليْلٌ كليْل النّبيّ صلى الله عليه وآله، ونهارٌ كنَهارالنّبيّ صلى الله عليه وآله،إلاّ أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله ليس في القوْم،ما رأيتُ إلاّ مُصلّياً،ولا سمعتُ إلاّ قارئاً.ومررْتُ بعسْكرك فاستقبَلني قوْم من المُنافقين

---

[1] انساب الأشراف- البلاذري – ص 72

[2] قال ابن منظور في باب وجم الوجوم : السكوت على غيظ [أبو عبيد]إذا اشتد حزنه حتى يمسك عن الطعام . لسان العرب ج 12 ص 630

[5] شرح نهج البلاغة ج 2 ص 124

ممّن نفرَ بالنّبيّ ليلةَ العقَبة،ثمّ قال:من هذا عن يَمينك يا مُعاويَة ؟قال:هذا عمْرو بْن العاص،قال:هذا الذي اخْتصمَ فيه ستّةُ نفَر،فغلب عليه جزّارقُريْش:فمَن الآخر؟قال:الضّحاك بن قيْس الفهْري قال:أماوالله لقد كان أبوه جيّد الأخذ لعسب التّيُوس،فمن هذا الآخر؟قال أبو موسى الأشعريّ،قال:هذا ابنُ السرّاقة[!]،فلمّا رأى مُعاويَة أنّه قدْ أغضبَ جلساءَه،علمَ أنّه إن استخْبره عنْ نفْسه،قال فيه سُوءاً،فأحبّ أنْ يسأله ليقولَ فيه ما يعلمُه من السوء،فيُذْهب بذلك غضبَ جلسائه،قال:يا أبا يزيد،فما تقول فيّ ؟ قال:دعْني من هذا ! قال: لتقولنّ،قال: أتعرفُ حمامة ؟قال:ومَن حمامة يا أبا يزيد ؟ قال: قد أخْبرتُك،ثمّ قام فمضى،فأرسلَ مُعاويَة إلى النّسابة فدعاهُ فقال:من حَمامة ؟قال وليَ الأمانُ! قال:نعم،قال: حمامةُ جدّتُك أمّ أبي سُفْيان كانتْ بغيّاً في الجاهليّة صاحبةَ رايَة،فقال مُعاويَة لجلسائه:قد ساويْتُكم وزدْتُ عليكُم فلا تغضبُوا.اهـ

وقد جبَه عليّ بن أبي طالب عليه السلام مُعاويَة بكلمة لا تُقال لمنْ كانَ طاهرَالموْلد،وليس عليّ عليه السلام بالرّجل الذي يتناول نساء المسْلمين بالقوْل الخَشن،لأنّه مع الحقّ والحقّ معه يَدُورمعه حيث دار،والخبرُمذكور في شرح نهج البلاغة كما يلي[1]:

قال مُعاويَة:...وسيدوم لكم هذا الأمرُ ما استقمْتمْ،فإنْ تركتُم شيْخَنا هذا يموتُ على فراشه وإلاّ خرج منْكم،ولا ينْفعكمْ سبْقُكم وهجْرتُكم.فقال له عليّ عليه السلام:ماأنتَ وهذا يا ابنَ اللّخْناء ! فقال مُعاويَة:مهلاً ياأبا الحسن عنْ ذكْر أمّي،فما كانتْ بأخسّ نسائكُم،ولقدْ صافحَها النّبيّ صلى الله عليه يوْم أسلمتْ ولمْ يُصافح امرأةً غيرَها،أمالوْ قالهاغيرُك!فنهضَ عليّ عليه السلام ليخرُج

---

[1] شرح نهج البلاغة ج 1ص 339

مُغضباً،فقال عُثمان:اجلس،فقال له:لا أجلْس،فقال:عزمْت عليك لتَجلسنّ فأبَى وولّى،فأخذَ عثمانُ طرفَ ردَائه فتركَ الرّداءَ في يَده وخرجَ،فأتْبعَه عُثمان بَصره،فقال:والله لاتَصلُ إليْك ولا إلى أحدٍ منْ ولدك.اهــ

فمن كانت أُمُّه كما ذكرَ حسّان بن ثابت وعقيل بن أبي طالب كيف يُقاس بمَنْ أمّه فاطمةُ بنْت أسد التي أكْرمها الله تعالى بترْبية النّبيّ صلى الله عليه وآله فكانت له خيرَ أُمّ،وكان صلى الله عليه وآله يقول عنها " أمّي"، وقد تمدّد في قبْرها وكفّنها في قَميص لهُ،وصلّى عليها ودعا لها.

إنّ امرأةً انشقّ لها جدارُالكعْبة لتضعَ وليدَها داخلَها لَكَريمةٌ على الله تعالى وجيهةٌ عنْده،وما اختارَ الله تعالى لوليّه إلاّ الأرحامَ المُطهَّرة،وهذه المفْخَرة لا يدْفعُها أحد.وقد ادّعى مُعاويَة طيّ كلامه أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله صافحَ هنْد بنْت عتْبة آكلةَ الأكْباد،وهذا كلامٌ لا يثبت عند التّحقيق،لأنّ فيه تهمةَ النّبيّ صلى الله عليه وآله بمصافحة النّساء وهو الذي نهَى عنْ ذلك أشدَّ النّهْي.وكلامُ مُعاويَة لا يمثّل حجّةً خصوصاً بعْد إظْهاره من بُغْض عليّ عليه السلام ما أظْهر وهو يعْلم أنّه لا يبْغضُه إلاّ مُنافق.فهلْ صافحَ النّبيّ صلى الله عليه وآله هند بنْت عتْبة فعلاً أم أنّ ذلك من وضْع شيعة آل أبي سُفْيان؟!

وأما ما ذكره معمر بْن المثنّى فيُناسبُ مزاجَه وذَوْقَه ومذْهبَه،فإنّه أُمَويُّ النّزْعَة.

***

2 ــ تربية مُعاويَة :

ولد مُعاوية في بيْت يجْمع صخرَ بنَ حرْب وهنْد بنْت عتْبة،وهذا يعني أنّ فُرَص ترْبيته تربيةً سليمةً ضئيلةٌ جدّاً،لأنّ الأبوين المذكورين معْروفان بالفُجوركما سبقَ بيانُه،وليس أخْطَرعلى الطّفْل منْ أنْ يتربّى بين أبويْن سهُل

عليهماالزّنا وشهدَ به بعضُهم على بعْض.ولعلّ من آثارذلك ما كان عليه معاوية من"الحلم الواسع"في التغاضي عن الخنا في قصره،وتسامحه مع ابنه يزيد الذي ذكروا أنّه كان يزني بالمحارم.وعلى كلّ حال لا يصحّ أن تكون هند بنت عتبة مؤهّلة لمنح أبنائها تربية جيّدة وفاقد الشيء لايعطيه.ولم يكن أمرهند خافياً على أهل زمانها،ويكفي لذلك شهادة حسّان بن ثابت شاعر النّبيّ صلى الله عليه وآله أيام المهاجاة،وفيه تهمة صريحة لهند بأنّها زنت ووُلد لها من الزنا.ولو كان حسّان كاذباً في قوله لما أقرّه النّبيّ صلى الله عليه وآله على ذلك،لأنّ مجرّد العداوة من طرف قُريْش لا يسمح بذلك،والنّبيّ صلى الله عليه وآله نزيهٌ مُنْصف مع خصومه،ولا يحاربهم بشيء يعلم أنّه كذب.ولم نسمع لبني عبد شمس ردّاً أو مُدافعةً فإنّهم تجاهلُوا ذلك حتّى لاتلتفتَ الأنْظارُإليه.

* * *

3 ـ إسلام مُعاويَة :

بما أنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان قد استولى على الحُكم بعد شهادة عليّ بن أبي طالب عليه السلام،وقد تعوّد مؤرّخُو المسلمين الدّفاع عنْ كلّ مَنْ وصَل إلى الحُكم،فقد حاولَ بعضُهم إثباتَ إسْلامه قبْل فتْح مكّة،وهي مُحاولة لا نصيبَ لها من النّجاح لكوْن أحْوال مُعاويَة معْلومةً قبْل الفتْح وبعْده.وقد أكّد مُعاويَةُ ذلك بأعْماله في أيّام حُكْمه،وهو ما تنتعرّضُ له لاحقاً إنْ شاءَ الله تعالى.ومن الأدلّة على بطلان تلك المزعمة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله عدّه يوم حنين من المؤلّفة قلوبهم وقسم له معهم.فلو كان إسلامُه قبل فتح مكّة لما عُدّ في المؤلّفة قلوبهم.قال ابن قيّم الجوزية في معرض استدلال فقهي بخصوص إبطال دعوى ادعاها أهل الكتاب في زمانه[1]:

---

[1] أحكام أهل الذّمّة/ ابن قيم الجوزية /ج1ص91

الثالث أنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان لم يكنْ أسلمَ بعدُ فإنّه إنّما أسلمَ عام الفتْح بعد خيبر.وقال أيضاً[1]: ولم يكن للقوم من الذّمام والحُرمة ما يوجب إسقاط الجزْية عنهم دون من عداهم من أهل الذّمّة كيف وفي الكتاب المشحون بالكذب والمين شهادةُ سعد بن معاذ وكان قد توفّي قبل ذلك بأكثر من سنتين وشهادةُ مُعاويَة بن أبي سُفْيان وإنّما أسلم عام الفتح بعد خيبر سنة ثمان .

***

ـ 4 محيط مُعاويَة :

قال ابن قيم الجوزية في أحكام أهل الذّمّة[2]:

وورد عليه [أي على عمر]كتاب مُعاويَة بن أبي سُفْيان:" أما بعد ياأميرالمؤمنين فإنّ في عملي كاتباً نصرانيّاً لا يصلح أمرالخراج إلاّ به فكرهت أن أقلّده دون أمرك " فكتب إليه:"عافانا الله وإيّاك قرأت كتابك في أمرالنّصرانيّ أمّا بعد فإنّ النّصرانيّ قد مات والسّلام".اهـ

وجواب عمر صريح في صرف النّظرعن النّصرانيّ واعتباره ميتاً؛ وليس يصحّ في العقول استعمال الميْت.لكنّ التاريخ يحدّثنا أنّه كان لمُعاويَة في أيّام دولته فيمابعد كاتب نصرانيّ يقال له سرجون و كان كاتبه الخاصّ – بمنزلة رئيس الوزراء في دولة من دول أيّامنا–.وهذا يعني أنّ مُعاويَة لم يمتثل أمر عم،فإنّه لم يصرف الكاتب النصرانيّ بل رفع منزلته وجعله كاتبه الخاصّ ولم يستغن عنه يزيدُ في أيّام حكمه الغاشم بل كان لايقطع أمراً

---

[1] نفس المصدر ج1ص490

[2] أحكام أهل الذّمّة ج1ص455

دونه؛وهو الذي أشارعليه بتولية ابن زياد على الكوفة فكان ما كان مع أهل البيت عليهم السّلام.وأمّا إن كان هذا الكاتب غير ذاك فهذا معناه أنّ مُعاويَة يمارس المغالطة حتّى مع عُمر،لأنّ عُمر قصد العنوان لا المُعنْون،فهو لايعرف الكاتب النصرانيّ ولكن يرفض أن يقلّده مُعاويَة أمرالخراج وإن كان أمرالخراج لا يصلح إلاّ به،لأنّه نصرانيّ.فهوقصد عنوانَ النّصرانيّ ولم يقصد الكاتب نفسه بعنوان شخصه.ويدلّ على ذلك ماأورده ابن قيّم الجوزيّة نفسه حيث قال في الصفحة 455 من الجزء الأوّل من أحكام أهّل الذّمّة:وكان لعمررضي الله عنه عبد نصرانيّ فقال له أسلم حتى نستعين بك على بعض أمورالمسلمين فإنّه لا ينبغي لناأن نستعين على أمرهم بمن ليس منهم فأبى فأعتقه وقال اذهب حيث شئت.(انتهى كلام ابن القيم) .فهذا يدلّ على أنّ عمر لا يستسيغ استعمال غير المسلم في شؤون المسلمين، وعبارة "لا ينبغي " تفسّرذلك.وجاء في البداية والنهاية ما يلي[1]:وقد روى البخاري في صحيحه عن مُعاويَة أنّه كان يقول في كعب الأحبار(وإنْ كنّامع ذلك لنبلو عليه الكذب) أي فيما ينقله لا أنّه يتعمد ذلك والله أعلم.اهـ

وهذا اعتراف صريح بممارسة كعب الأحبارللكذب،وما ذكره ابن كثيرلا شاهد له من كلام مُعاويَة ولكنها عادة ابن كثيرفي تبريرالباطل،ومن قرأ كتب الرجل تيقّن من ذلك.وقد سرّب كعب الأحباركثيرا من الإسرائيليات إلى تراث المسلمين عن طريق أبي هُرَيْرَة وعبد الله بن عمروبن العاص وعبد الله بن عمر بن الخطاب،وكان لا يتورّع أن يفتي بمحضر الصّحابة في دولة عثمان، حتى جبهه أبو ذرّ الغفاريّ رضي الله عنه بقولته المشهورة "فوالله ما خرجت اليهوديّة من قلبك"!واعتماداً على قول أبي ذرّ الذي ينبغي لنا اعتماد

---

[1] البداية والنهاية ــ ابن كثيرــ ج 1ص 19

كلامه إذْ شهد له النّبيّ صلى الله عليه وآله بصدق اللّهجة،يسوغ لنا اعتباركعب الأحبارباقياً على يهوديّته،وبذلك ينضمّ كتابيّ آخرإلى محيط مُعاويَة.

واستعان مُعاويَة بأكثرمن طبيب من أهل الكتاب وقرّبهم وجعلهم من خاصّته و مقرّبيه.منهم الطبيب المشهورابن أثال،كان معاوية يستفيد منه إذ يدسّ السمّ بواسطته إلى خصومه ومعارضيه ليتخلّص منهم كماهو الشأن مع الحسن بن عليّ عليهما السّلام وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد؛وبعد هلاك ابن أثال قرّب مُعاويَة نصرانيّاً آخريُقال له أبوالحكم قال السعديّ في ترجمته في طبقات الأطبّاء[1]:أبوالحكم كان طبيباً نصرانيّاً عالما بأنواع العلاج والأدوية وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة.وكان يستطبّه مُعاويَة بن أبي سُفْيان ويعتمد عليه في تركيبات أدوية لأغراض قصدها منه[!] وعمّرأبو الحكم هذا عمراً طويلا حتى تجاوزالمائة سنة.حدّث أبو جعفرأحمد بن يوسف بن إبراهيم قال حدّثني أبي قال حدّثني عيسى بن حكم الدمشقيّ المتطبّب قال حدّثني أبي عن أبيه قال ولي الموسم في أيام مُعاويَة بن أبي سُفْيان يزيدُ بن مُعاويَة فوجّهني أبوه معه متطبّبا له وخرجت مع عبد الصّمد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس إلى مكّة متطبّبا له وقعدد عبد الصمد مثل قعدد يزيد وبين وفاتهما مائة ونيف وعشرون سنة.اهـ

***

[1] عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء " ج1ص175 دار مكتبة الحياة بيروت 1403 هـ تحقيق د.نزار رضا

ـ 5 كيف استولى مُعاويَة على الشام :

قال ابن خَلْدُون في تاريخه[1]:واستعمل يزيد بن أبى سُفْيان على الشّام وطال أمد ولايته إلى أن هلك في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة فولى مكانه أخاه مُعاويَة وأقرّه عثمان من بعد عمر فاتّصلت رياستهم على قُريْش في الإسْلام برياستهم قبيل الفتح. قال[2]:كان أبوعبيدة لمّا احتضراستخلف على عمله عياض بن غنم وكان ابن عمّه وخاله وقيل استخلف معاذ بن جبل واستخلف عياض بعده سعيد بن حذيم الجمعى ومات سعيد فولى عمرمكانه عميربن سعيد الأنصاريّ ومات يزيد بن أبى سُفْيان فجعل عمرمكانه على دمشق أخاه مُعاويَة فاجتمعت له دمشق والأردن ومات عمروهو كذلك وعميرعلى حمص وقنسرين ثمّ استعفى عميرعثمان في مرضه فأعفاه وضمّ حمص وقنسرين إلى مُعاويَة ومات عبد الرّحمن بن أبى علقمة وكان على فلسطين فضمّ عثمان عمله إلى مُعاويَة فاجتمع الشّام كلّه لمُعاويَة لسنتين من إمارة عثمان وكان يلحّ على عمرفي غزو البحر ...

وقال ابن أبي عاصم[3]:حدّثنا... عن يونس عن ابن شهاب قال لما توفّي يزيد بن أبي سُفْيان أمّر عمرمكانه مُعاويَة ثم نعاه عمرلأبي سُفْيان فقال يا أبا سُفْيان احتسب يزيدا فقال من أمّرت مكانه قال مُعاويَة قال وصلتك رحم[!].

---

[1] تاريخ ابن خَلْدُون ج 3 ص 3

[2] نفس المصدر في ج2ص130

[3] الآحاد والمثاني ـ ابن أبي عاصم ج 1ص 382

وقال الذّهبيّ [1]: توفّي يزيد في الطّاعون سنة ثماني عشرة،ولمّا احتُضر استعمل أخاه مُعاويَة على عمله،فأقرّه عمرعلى ذلك احتراماً ليزيد،وتنفيذاً لتولّيته!

يقول الذّهبيّ "احتراماً ليزيد "،والاحترام مأخوذ من الحُرمة،ولنا أن نتساءل من أين حصلت الحُرمة للطّليق،بعد أنْ علمناأنّ أبابكر إنّما عيّنه على رأس الجيش ليكسبَ أباه وبني أُميّة بعد أن امتنع بنوهاشم من البيْعَة.فقولُ الذّهبيّ "احتراماً ليزيد" يحتاجُ إلى مزيد من البيان.وفي تاريخ خليفة [2]: ثم وقع طاعون عمواس فمات أبو عبيدة واستخلف أخاه معاذا،فمات معاذ.واستخلف يزيد بن أبي سُفْيان،فمات واستخلف أخاه مُعاويَة فأقره عمر[!!].وولى عمر عمروبن العاص فلسطين والأردن،ومُعاويَة دمشق وبعلبك والبلقاء،وسعيدَ بن عامربن حذيم حِمْصاً،ثم جمع الشّام كلها لمُعاويَة بن أبي سُفْيان.اهـ

ويقول ياقوت الحمويّ [3]: لما فتح المسلمون الحيرة وولي عثمان ولّى مُعاويَة الشّام والجزيرة وأمره أن ينزل العرب مواضع نائبة عن المدن والقرى ويأذن لهم في اعتمار الأرضين التي لاحقّ لأحد فيها فأنزل بني تميم الرابيةوأنزل المازحين والمدير أخلاطاً من قيس وأسد وغيرهم ورتّب ربيعة في ديارها على ذلك وفعل مثل ذلك في جميع ديارمضر.اهـ

وهكذا يكون مُعاويَة مبسوط اليد في الشّام وبعلبك والبلقاء والجزيرة .

---

[1] سيرأعلام النبلاء ج 1ص 330

[2] تاريخ خليفة بن خياط العصفريّ ص 112

[3] معجم البلدان ج 5 ص 40

ويخطئ من يتصورّ أنّ مُعاويَة جاء إلى الحكم مطالبا بدم عثمان،لا من باب أنّه ليس وليّ دم المقتول مع وجود أولاد عثمان لصلبه،ولكن لأنّ هناك أقوالاً تفيد أنّ وصوله إلى الحكم كان عن طريق برنامج قرشيّ دقيق مُحكم.ولا ضيرأن يعتقد المتحرّرفكرياً أنّ مُعاويَة أخذ الضّوء الأخضرمن عمربن الخطاب أيّام خلافته،فقد ذكرنعيمُ بن حمّاد [1]عن عبد الكريم بن رشيد أنّ عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال يا أصحاب النّبيّ تناصحوا فإنّكم إن لا تفعلوا غلبكم عليها يعني الخلافة مثل عمروبن العاص ومُعاويَة بن أبي سفْيان.[!] اهـ

ويشهد لذلك قولُ ابن سيرين كمافي كتاب الفتن أيضاً[2]عن عبدالكريم بن رشيد عن محمّد بن سيرين قال والله إني لأراه كان يتصنّع لها يعني مُعاويَة على عهد أبي بكروعمررضى الله عنهما يعني للخلافة.اهـ

ولنا أن نتساءل عن هذا التصنّع ودوافعه،وهل الأمرفعلاً كما قال ابن سيرين،أم أنّ في طيّ الكلام ما فيه،خصوصاً وأننا قد رأينافي زماننا هذا أناساً وصلوا إلى الحكم وهم أجبن النّاس وأحرصهم على حياة.فلقد شاهد العالم كلّه سيرة الرئيس العراقي المخلوع(صدّام حسين)،وكيفية تصفيته للمعارضة وسحقه لكلّ من بقف في وجهه؛ثم شُوهد الرجل عبرالقنوات الفضائية ساعة إلقاء القبض عليه من طرف القوات الأمريكية في حالة لا تكاد تُوصف،وقبله شُوهد شاه إيران المخلوع والرئيس الأفريقي موبوتو والرئيس الرّوماني تشاوشيسكو وغيرهم؛هؤلاء أناس وصلوا إلى الحكم بطرق مُلتوية غيرنزيهة،وكانوا يحكمون بقوّة الحديد والنّا،وكانوا محميّين

[2] كتاب الفتن ص128 تحت رقم 306

[2] كتاب الفتن ـ نعيم بن حماد ـ ج1ص128

بجيوش مستعدّة لسحق كلّ معارضة في أيّ وقت.لكن جيوشهم لم تكن تلتقي معهم حول مبادئ معيّنة يدافعون عنها جميعا وإنّما كانت تجمعهم مصلحة البقاء في السّلطة،فالحاكم يريد البقاء في السلطة مهما كلّفه الثّمن،والجيوش التي تحميه تريد حماية مصالحها بعد أن ارتبط مصيرُها بمصيره؛حتّى إذا حمي الوطيس وصارت الأنفس محلّ الرّهان أسلم الجيشُ الحاكمَ وتعامل مع القوّة الحاكمة الجديدة بالمنطق المناسب.أمّا مُعاويَة فإنّه تخطّى هذا وأفلح في خلق مظلوميّة وهْميّة بطلُها عثمان بن عفّان،وجعل نفسه واحداً من المُطالبين بدم عثمان لا أكثر،ثمّ جعل نفسه وليّ دمه فصارت بذلك قضيّةُ قتل عثمان قضيّةَ كلّ الشاميّين ومن الْتحق بهم من أعداء عليّ بن أبي طالب عليه السلام.وليس عجيباً أن تبقى هذه الحيلة منطليةً على كثيرين حتّى في زمانناهذا،لأنّها ارتبطت بقضيّة عدالة الصّحابة،ولابأس بالتّضحية بصحابيّين أوأكثرمن أجل حماية النظرية وتمديد عمرها.والذي يطالع سيرة عثمان بن عفّان بإنصاف لايجد فيه ذلك الشّخص الذي يستحقّ أن يقتتل من أجله المسلمون وينقسموا إلى ما انقسموا إليه،غيرأنّ تبنّيَ شخصيّات معيّنة لقضيّته كماهو شأن عائشة بنت أبي بكر زوج النبي صلى الله عليه وآله وطلحةَ بن عبيد الله ومن يأتمّ بهما قلَبَ الموازين.ولم يكن تحريكُ الجماهير الواسعة يومَها بالأمر المُستصعَب على أُناس رأوا تعامُل الأمّة مع أهل بيت النّبيّ صلى الله عليه و آله في الأسبوع الأوّل الذي تلا وفاتَه،وإنّما كانت المسألة خاضعة لمدى مهارة المحرّك للجماهير،وقد كانت عائشةُ زوج النبيّ صلى الله عليه وآله حظيتْ بمقام المرجع الدّيني على زمن الشّيخين،وبدتْ بمظهرالرّمْزفي معارضة عثْمان أيّام تنكّر النّاس له ولسيرته.وقد ساعد على ذلك مكانةُ أبيها في دولة الإسْلام، وانخفاض مستوى الوعي السّياسي لدى العوامّ إلى درجة مُخيفة.وإلاّ فكيف نفسّر اتّباع النّاس لها حين تأمُر بقتْل عثمان،وانقيادَهم لها حينَ تُطالب بدمه؟!!

مثلُ هذا التّلاعب لا يُقبل حتّى لدى أبْعد المُجتمعات عن التديّن،ولكنّه اكتسب صبْغةَ الشّرعيّة في المجتمع الإسْلاميّ ولا يزال يدافع عنه أقوام إلى اليوم.ومن المؤرّخين مَن تعاملَ مع واقع تلك الأيّام بحَذر،ومنهم من انطلقَ من انتمائه المذهبيّ فأخضعَ المقدّمات إلى النّتيجة التي أراد الوصول إليها قبل البحث.ومنهم من عالج القضيّة بطريقة لم يعد فيها للمنطق مجال.ويكفي لتبيّن ذلك مطالعةُ ما كتبَه ابنُ العربي في كتابه(العواصم من القواصم) فإنّه وصل إلى درجة إنكارواقعة الحوأب وهوأمر يُثيرالتعجّب من فقيه في مستواه!!

على أنّ هناك عبارات صدرتْ من عُمَر يُفهمُ منها أنّ مُعاويَة كان مرشّحاً لماقام به،بل يصحّ أنْ يُقال إنّه كان هناك مشروعٌ قرشيّ لإقْصاء عليّ عليه السلام و بني هاشم.ومن ذلك ما جاء في الإصابة ج4ص79حيث يقول : ويقال إنّ عُمرقال لأهل الشّورى لاتختلفوا فإنّكم إن اختلفتم جاءكم مُعاويَة من الشّام وعبد الله بن أبي ربيعة من اليمن فلا يريان لكم فضلاً لسابقتكم وإنّ هذا الأمرلا يصلح للطّلقاء ولا لأبناء الطّلقاء " فهذا يقتضي أن يكون عبد الله من مسلمة الفتح . اهــ

أمافي كتاب الفتن[1]فإنّ الشّخص الثاني ليس عبدَ الله بن أبي ربيعة وإنّماهوعمروبن العاص حليف مُعاويَة،قال نعيم :... عن عبد الكريم بن رشيد أنّ عُمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال يا أصحاب النّبيّ تناصحوا فإنّكم إن لا تفعلوا غلبكم عليها يعني الخلافة مثلُ عمروبن العاص ومُعاويَة بن أبي سُفْيان.اهــ

[1] الفتن ــ نعيم بن حمّاد ــ ج1ص 128

وقد ورد هذا بطرق أخرى،ويكون عُمر قد قال هذا الكلام قبل حرب صفين بأكثرمن عشرسنين،مدة حكم عثمان[1]،ولم يكن مُعاويَة يومها بتلك القوّة،وعمرنفسه يقول"وإنّ هذا الأمر لايصلح للطّلقاء ولا لأبناء الطّلقاء "! بل إنّ مُعاويَة نفسه في إحدى حجج عثمان تعجّب عندما أشار إليه كعبُ الأحبار لوجود عليّ عليه السلام وطلحة والزّبير وسعد بن أبي وقّاص وكلّهم من جماعة الشورى!!

في خضم تلك الأحداث هتف مُعاويَة بن أبي سُفْيان بالمطالبة بدم الخليفة المظلوم عثمان بن عفان.ولو أنّ عائشة زوج النّبي صلى الله عليه وآله ومن كان معها لم يخسروا المعركة يوم الجمل لكان لهم مع مُعاويَة شأن وأيّ شأن،لأنّه كان يمتلك من الأدلّة ما يَجْبه به طلحة والزبيروعاشئة جميعاً،والدليل على ذلك هوأنّ مَرْوان بن الحكم قتل طلحة ثأراً لعثمان،فمَرْوان لم يكن مقتنعاً بما يدعوإليه أصحابُ الجمل ولم يشكّك في مسؤوليتهم في قتل عثمان وإنّما كانت تجمعه بهم المصلحة في إضعاف جهة عليّ بن أبي طالب عسكريّا ومعنويّا.وكان للجنبة المعنويّة دورها وأثرها الكبيرفي تخذيل الناس عن نُصرة عليّ بن أبي طالب عليه السلام،وقد تجلّى ذلك في عبارات أناس كانوا في جيشه،وكان منهم مَن يطالبُ بمزيد من التّوضيح في قضيّة طلحة والزّبير ومن معهمالأنّ اختيارعمرلجماعة الشورى قد جعلهُما في مستوى عليّ عليه السلام من جهة شرعيّة المطالبة بالخلافة.وكان مُعاويَة يستثْمر كلّ هذا لمصلحته،إذ أنّه لا يخدم مصلحته أنْ يبقى أحدٌ من السّتةعلى قيد الحياة إلاّ أن يكون ضعيفَ الجانب فاقدَ الأهليّة،ولذلك نراه فيما بعد يؤاخذُ سعدَ بن أبي وقّاص على عدم نصرته لعثمان وهو إنّما يريد من

---

[1] كان حكم عثمان من آخر سنة 23 هـ إلى سنة 35هـ .

وراء ذلك أن يقول له " إنّك خذلت الخليفة الشرعيّ فخسرتَ بذلك حقّك في الخلافة".ومع ذلك لم يتردّد في اغتياله بالسّمّ قبل اغتيال الحسن عليه السلام ،ليخلو له الجوّ فيما بعد لما يريده من تولية يزيد،وقد كان سعد يصرّح بتحسّره وتأسّفه أنْ لم يُقاتل الفئةَ الباغيةَ. وقد حظي مُعاويَة بطاعة من قِبَل أتباعه لم يحْظَ بها أحدٌ قبْله، ومعلومٌ أنّ مَن لم يكنْ له وازعٌ ولا رادعٌ،إذا لم يكنْ منْ أهْل الدّين فإنّه يتجاوزُ الحدّ و يتجرّأ على كل مُقدّس،ويوطّئ لنفسه ما يضمن استمرار ملكه على حساب القيَم،ولايضرّه أن يُعطيَ من أموال لم يتعب في تحصيلها فيشتري ضمائرمعروضةً للبيع لا يأمرأصحابُها بمعروف ولا ينهون عن مُنكر.قال ابن قيم الجوزية في كتاب "اجتماع الجيوش الإسْلامية " ج1ص70:

ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله تعالى في تاريخه عن هشام بن سعد قال قدم عبد الله بن الكوا على مُعاويَة فقال له أخبرني عن أهل البصرة قال يقاتلون معاً ويُدبرون شتّى قال فأخبرْني عن أهل الكوفة قال أنظَرُ النّاس في صغيرة وأوقعُهم في كبيرة قال فأخبرني عن أهل المدينة قال أحرصُ النّاس على الفتنة وأعجزُهم عنها.قال فأخبرني عن أهل الموصل قال قلادة وليدة فيها من كلّ شيء خرزة قال فأخبرني عن أهل مصرقال لُقمة أكل قال فأخبرني عن أهل الجزيرة قال كناسة بين مدينتين قال فأخبرني عن أهل الشام قال جند أمير المؤمنين لا أقول فيهم شيئا قال لتقولَنّ قال أطْوَعُ النّاس لمخْلوق وأعْصاهم لخالق ولا يحسبون للسّماء ساكناً. اهـ

تلْكم كانت شهادةَ أحد مُعاصري مُعاويَة على جيْشه،ويكفينا قوله"ولا يحسبون للسّماء ساكنا ".ومعلوم أنّ أهل الشّام لم يروا النّبيّ صلى الله عليه وآله ،ولم يكونوا في مكّة في بداية الرّسالة حتى يعلموا سعْي بني أُميّة في محاولة إطفاء نورالله.ومعلومٌ أيضا أنّ مُعاويَة قد عرّف نفسه إلى أهل الشام بأنّه من

قُريْش قبيلةِ النّبيّ صلى الله عليه وآله ،وأنّه صحبَه مدّة من الزّمن،وأنّه كان يكتب الوحي!وليس لأهل الشام صحابي من الشام بهذا المستوى،فإذا أضيف إلى ذلك ما كان يجود به على أشرافهم ويتفضل به على فقرائهم- والناس إلى تصديق ما ترى أعينهم أشد ميلا منهم إلى تصديق ما غاب عنهم- تبيّن لنا كيف كسب مُعاويَة ثقة أهل الشام التامة.

***

6- أنصار مُعاويَة :

اجتمع إلى مُعاويَة خليط من النّاس تجمعهم أهداف شتّى على رأسها بُغض عليّ بن أبي طالب عليه السلام.ويتعذرالتعرض لهم جميعا لقلّة الأخبار بخصوصهم، فإن القوم لم يكونوا أهل علم أوشجاعة أودين،وإنّما اشتهرمن اشتهرمنهم لكونه من قبيلة مشهورة أو حائزاً على بعض ما كان يفخَرُ بهالعرب ممّا لا قيمة له في الإسْلام،أوداهيةً لا حريجةَ له في الدّين يستحلّ كلّ محرّم للوُصول إلى هدفه.وأنا ذاكرإنْ شاء الله تعالى بعض أخبارأكابرهم. وقبل إيراد أسمائهم وذكرأعمالهم،أورد ههنا قصّةً ذكرها الرّازي في المحْصول ج4ص340 قال الرازي:وثالثُها ما يُروَى من شتْم بعْضهم بعْضاً ولنذْكُرمن ذلك حكايات الحكاية الأولى حكى ابن داب في مجادلات قُريْش قال اجتمع عند مُعاويَة عمرو بن العاص وعتبة بن أبي سُفْيان والوليد بن عقبة والمغيرة بن شعبة ثم أحضروا الحسن بن علي رضي الله عنهم ليسبّوه فلما حضرتكلم عمروبن العاصى وذكر عليّاً رضي الله عنه ولم يترك شيئا من المساوئ إلا ذكرفيه وفيما قال إنّ عليّاً شتم أبا بكر وشارك في دم عثمان إلى أن قال اعلم أنك وأباك من شر قُريْش ثم خطب كل واحد منهم بمساوئ علي

والحسن رضي الله عنهما ومقابحهما ونسبوا عليا إلى قتل عثمان ونسبوا الحسن إلى الجهل والحمق فلما ال الأمر إلى الحسن رضي الله عنه خطب ثم بدأ يشتم مُعاويَة رضي الله عنه وطوّل فيه إلى قال له إنّك كنت ذات يوم تسوق بأبيك ويقود به أخوك هذا القاعد وذلك بعدما عمي أبو سُفْيان فلعن النّبيّ صلى الله عليه وسلم الجمل وراكبه وسائقه وقائده فكان أبوك الراكب وأخوك القائد وأنت السائق ثم قال لعمرو بن العاص إنما أنت سبّة كما أنت فأمّك زانية اختصم فيك خمسة نفر من قُريْش كلّهم يدّعي عليك أنّك أبنه فغلب عليك جزّار قُريْش من الأمهم حسباً وأقلّهم منْصباً وأعظمهم لعنةً،ما أنت إلا شانئ محمد فأنزل الله تعالى على نبيّه صلى الله عليه وسلم إنّ شانئك هو الأبتر ثمّ هجوْتَ النّبيّ صلى الله عليه وسلم تسعين قافيةً فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم اللّهم إنّي لا أُحْسن الشّعر فالعنْه بكلّ قافية لعنةً وأمّا أنت يا ابن أبي معيط فوالله ما ألومُك أن تبغضَ عليّاً وقد جلَدكَ في الخمْر وفي الزّنا وقتل أباك صبْراً بأمر النّبيّ صلى الله عليه وسلم يوم بدْر، وسمّاه الله تعالى في عشر آيات مؤمناً وسمّاكَ فاسقاً وأنْت فاسق وأنت علْج من أهْل النورية.أمّا أنت يا عُتبة فما أنتَ بحَصيف إذاً فأجيبك ولا عاقل فأعاتبك فقال وأمّا وعْدُك إيّاي بالقتْل فهلاّ قتلتَ الذي وجدتَ في فراشك مع أهْلك.وأمّا أنت يا مُغيرة بن شعبة فمثلُك مثلُ البعُوضة إذ قالت للنّخْلة استمْسكي فإنّي عليْك نازلة فقالت النّخلة والله ما شعرتُ بوُقُوعك أيْ عَلَيَّ وأما زعْمُك أنّه قتل عثمان فلعمري لو قَتَلَ عُثمانَ ما كنْتَ منْه في شيء وإنّك لَكاذب.اهـ

هذه القصّة تكشف على الأقلّ عن المستوى الخُلُقيّ لمَجالس القوْم،ولا سبيلَ إلى إدْخال الحَسَن بن عليّ عليهما السّلام فيهم لأنّه إنّما كان" يُدَافعُ عن الذين آمنوا "،ولم يَقُلْ إلا حقّاً لأنّ القوم لم يُنكروا شيئاً ممّا قال.ولوْلا الرّقابةُ والحَظْرعلى ألْسُن النّاس وأقْلامهم لَوَصلَ إليْنا كثيرٌممّا يُشبه هذا،ولكنّها السّياسة تمْنع وتمْنح.

ومن أنصارمُعاويَة:عمرو بن العاص،والوليد بن عقبة بن أبي معيط وعتبة بن أبي سُفْيان والمغيرة بن شعبة وأبو هُرَيْرَة الدّوسيّ وأبوالأعورالسلميّ وأبان بن عثمان بن عفّان وعبد الرّحمن بن خالد بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ و بسْر بن أرْطاة وعُبيد الله بن عمربن الخطاب(قاتل الأبرياء)،ومسلم بن عقبة المرّيّ (الذي استباح المدينة بأمْريزيد بن مُعاويَة)،وعبد الله بن عمرو بن العاص(تلْميذ كعْب الأحْبار)وحبيب بن مسلمة الفهريّ(المتهم بالهجوم على بيت فاطمةعليها السّلام) وذوالكلاع،وزفربن الحارث،و مسلمة بن مخلد وحوشب ذو ظليم،وطريف بن الحسحاس الهلاليّ،وعبد الرّحمن القيسيّ،و الحارث بن عبد الأزديّ ، وحابس بن سعد الطّائيّ ،وبلال بن أبي هُرَيْرَة،

و حسّان بن بحدل الكلبيّ،وعبّاد بن يزيد الكلبيّ،وابن حوي السّكسكيّ ،ويزيد بن صبيرة السّكونيّ،وابن عفيف،وحبيش بن دلجة،وشريط الكنانيّ ومخَارق بن الحارث الزُّبَيْديّ،ونائل بن قيس الجذاميّ،وحمرة بن مالك،ويزيد بن أبي النمس.

وقُتلَ منهم بصفّين:ذوالكلاع،وحوْشب،وعبيد الله بن عُمَربن الخطّاب وعمروبن الحضرميّ،وحابس بن سعد الطّائيّ،وعُرْوة بن داود الدّمشقيّ في جماعة كثيرة .ذكرذلك خليفة بن خيّاط العصفريّ في ص 146 من تاريخه.

وفي شرح نهج البلاغة [1]: قال عليّ عليه السلام:أيّها الناس،إنّي أحقّ مَن أجاب إلى كتاب الله،ولكن مُعاويَة وعمرو بن العاص،وابن أبي معيط،وابن أبي سرح،وابن مسلمة ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن،إنّي أعرفُ بهم منكم ، صحبتهم صغاراً ورجالاً،فكانوا شرّ صغاروشرّرجال،ويْحَكم إنّها كَلمةُ حقّ

---

[1] شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد ــ ج 2ص 216

يُرادُ بها باطل!إنّهم ما رفعُوها أنّهم يعرفُونها ويعملُون بها،ولكنّها الخَديعة والوهنُ والمَكيدة!أعيرُوني سَواعدَكم وجَماجمَكم ساعة واحدةً،فقدْ بلغَ الحقّ مقطَعَهُ ،ولمْ يبْقَ إلاّ أنْ يُقطعَ دابرُ الذين ظَلَمُوا.اهـ

أبو مسلم الخولاني

جاء في حلية الأولياء لأبي نعيم [1]ما يلي:حدّثنا حماد سلمة عن القاسم أنّ أبا مسلم الخولانيّ أسلم على عهد مُعاويَة فقيل ما منعك أن تُسلم على عهد النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وأبي بكروعُمروعُثمان رضي الله تعالى عنهم فقال إنّي وجدت هذه الأمّة على ثلاثة أصناف صنف يدخلون الجنّة بغير حساب وصنف يحاسبون حسابا يسيراً وصنف يصيبهم شيء ثم يدخلون الجنّة فأردت أن أكون من الأوّلين فإن لم أكن منهم كنت من الذين يحاسبون حسابا يسيراً فإن لم أكن منهم كنت من الذين يُصيبهم شيء ثمّ يدخلون الجنة [!] كذا رواه؛ أسلم على عهد مُعاويَة ولكن هاجر إلى الأرض المقدّسة في أيام مُعاويَة وسكنها. اهـ [!!].

وقال البلاذري [2]: " قالوا:وكانت أمّ حبية بنت أبي سُفْيان زوج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بعثت بقميص عثمان إلى مُعاويَة،فأخذه أبو مسلم الخولانيّ من مُعاويَة،فكان يطوف به في الشّام في الأجناد،ويحرض النّاس على قتلة عثمان.اهـ

وفي حلية الأولياء ج2ص**126** :حدّثنا أحمد بن جعفر [..] يونس الهرم عن أبي مسلم الخولانيّ أنّه نادى مُعاويَة بن أبي سُفْيان وهو جالس على منبر دمشق فقال يا مُعاويَة إنّما أنت قبر من القبورإن جئت بشيء كان لك شيء

---

[1] حلية الأولياء ــ أبو نعيم الأصفهاني ــ ج2ص125

[2] أنساب الأشراف (المختصر) ص 291 تحت رقم364

وإن لم تجيء بشيء فلا شيء لك يا مُعاويَة لا تحسبنّ الخلافة جمع المال وتفرقه ولكن الخلافة العمل بالحقّ والقول بالمعدلة وأخذ النّاس في ذات الله عز وجل يا مُعاويَة إنّا لا نبالي بكدر الأنهار ما صفت لنا رأس عيننا وإنّك رأس عيننا يا مُعاويَة إيّاك أن تحيف على قبيلة من قبائل العرب فيذهب حيفك بعدلك فلما قضى أبو مسلم مقالته أقبل عليه مُعاويَة فقال يرحمك الله.

وفيه أيضاً(ج2ص130):وكان إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه ثم أتته بطعامه قال فدخل البيت فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة في البيت منكّسة تنْكت بعُود معها فقال لها مالَك قالت أنت لك منزلة من مُعاويَة وليس لنا خادم فلو سألته فاخدمنا وأعطاك فقال اللهمّ من أفسدَ عليّ امرأتي فأعْم بصرَها قال وقد جاءتْها امرأةٌ قبْل ذلك فقالت لها زوجُك له منزلة من مُعاويَة فلو قلت له يسأل مُعاويَة يُخدمه ويُعطيه عشتُم قال فبينا تلك المرأة جالسة في بيْتها إذ أنْكرت بصرَها فقالت ما لسراجكم طفىء قالوا لا فعرفت ذنبَها فأقبلتْ إلى أبي مسلم تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها أن يرد عليها بصرها قال فرحمها أبو مسلم فدعا الله لها فرد عليها بصرها[!].

أبو مسلم الخولانيّ الرّجل الزّاهد العابد مستجاب الدعوة الذي يُعْمي من يشاء متى شاءَ ويَردُّ البصرَ على من يشاء متى شاء هو الذي كان يحرّض أهل الشّام الفئة الباغية على قتال من يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله فما أسرع استجابةَ ربّنا لدُعاء البُغاة على أحبّائه!

الحُتَات المُجاشعيّ :

قال المحبّ الطّبريّ في الرّياض [1]:" آخى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بين أبي بكروعمر وبين عثمان وعبد الرّحمن وبين طلحة والزبيروبين أبي ذرّوالمقداد وبين مُعاويَة بن أبي سُفْيان والحُتات المجاشعي..." وقال ابن الأثير في أسد الغابة (ج1 ص379): وآخى النّبيّ صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان ولما اجتمعت الخلافة لمعاوية قدم عليه الحُتات وجاريةُ بن قُدامة والأحْنفُ بن قيْس وكلاهُما من تميم وكان الحُتات عُثمانيّاً وكان جاريةُ والأحنفُ من أصحاب عليّ فأعطاهما معاوية أكثر ممّا أعطى الحُتات فرجع إليه وقال فضّلت عليّ مُحرّقاً ومُخذّلاً قال اشتريتُ منهُما دينَهما ووكلتُك إلى هَواك في عُثمان قال وأنا أيضاً فاشْتَر منّي ديني ! وقال ابن حجر[2]: أخرج الدّارقطنيّ في المؤتلف ومن طريقه أبو عمرمن رواية نصربن عليّ الأصمعيّ عن الحارث بن عمير عن أيّوب قال غزا الحتات المجاشعيّ وحارثة بن قُدامة والأحنف فرجع الحتّات فقال لمعاوية فضّلتَ عليّ مُحرّقاً ومُخذّلاً قال اشْتريْتُ منْهُما ذمّتَهُما قال فاشْتَر منّي ذمّتي.اهــ

وقال الحسن بن عبد الله العسكريّ في تصحيفات المحدّثين(ص419):[فقال معاوية إنّما اشتريت منهما دينهما فقال وديني أيضا فاشتره فألحقه بهما وخرج الحتات فمات في الطريق].قلتُ:وهذه العبارة نفسُها استعملَها عمْرو بن العاص مع معاوية في حوار بينهما ذكره القضاعيّ في كتاب الحلّة السيراء [3]وهذا يعني أنّ بيع الدّين كان أمّرا رائجاً في دولة معاوية،وأنّه كان يشرف عليه بنفسه،ولايستحي أن يتحدّث عنه.

---

[1] الرياض النضرة ج1ص204

[2] الإصابة – ابن حجر ج 2ص 25

[3] الحُلّة السيراء للقضاعي ج1 ص16[ط دار المعارف1985] :

عمرو بن العاص :

وهو أحد الذين يضرب بهم المثل في الدّهاء، لكنّ الدّهاء لا ينفع في مقام تطاعن الأقران إلاّ بطرح الحياء والتنصّل من لوازم المروءة،وهو ما جنح إليه عمرو بن العاص إذ كشف عورته في معركة صفّين فصرف عليّ بن أبي طالب عليه السلام عنه وجهه ولم يقتله.ولم ينتفع عمروبماعاشه من سنوات الرّخاء بعد ذلك لأنّ قصّة كشف عورته صارت هي أيضا مضرب المثل حتّى قال الشاعر[1]:

ولا خير في ردّ الرّدى بمذلّة ....كما ردّها يوماً بسوأته عمرو

ولعمروبن العاص قصص تكشف عن مدى استخْفافه بالأخلاق وتلاعبه بالقيَم وعلى رأسها قصّة التّحكيم؛ولوأنّ مُعاويَة كان صادقاً في الطّلب بدم عثمان لكان عليه أن يقْتُل عمرو بن العاص الذي كان يصرّح بتحريضه النّاس على عُثمان حتّى الرّاعي في الجبل.[2]

قال ابن أبي الحديد [3]: فكتب ابن عباس إلى عمرو:أما بعد فإنّي لا أعلم أحداً من العرب أقلّ حياءً منك إنّه مال بك معاويةُ إلى الهوى فبعتَه دينك بالثّمن اليسيرثمّ خبطت النّاس في عشواء طمعاً في الدّنيا فأعظمتها إعظام

وقال يخاطب معاوية بن أبي سفيان (رض) : معاوي إني بعت ديني ولم أنل ** به منك دنيا فانظرن كيف تصنع ـــ وما الدين والدنيا سواء وإنني** لآخذ ما تعطى ورأسي مقنع ـ فإن تعطني مصرا فأربحْ بصفقةٍ** أخذتَ بها شيخا يضرّ وينفع . قال عمرو هذا لأنّه شرط على معاوية لما تحيّز إليه وكان معه في حروبه لعليّ رضي الله عنهم أن يولّيه إذا ظهر مصرَ طعمة فوفى له بذلك . ورُوِيَ أنّ عتبة بن أبي سفيان دخل على معاوية أخيه وهو يكلّم عمراً في مصر وعمرو يقول له إنّما بعتك بها ديني فقال له عتبة أثْمِنِ الرّجُلَ بدينهِ فإنّه صاحبٌ من أصحاب محمد . اهـ

[1] الشاعر هو أبو فراس الحمداني والقصيدة في ديوانه : أراك عصي الدمع شيمتك الصبر

[2] انظر تاريخ الطبري ج3ص393 وتاريخ دمشق ج55ص27

[3] شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ ج 8ص 64

أهل الدّنيا ثمّ تزعم أنّك تتنزّه عنها تنزّه أهل الورع فإن كنت صادقاً فارجع إلى بيتك ودع الطّمع في مصروالرّكون إلى الدّنيا الفانيه واعلم أنّ هذه الحرب ما معاوية فيها كعليّ بدأها عليّ بالحقّ وانتهى فيها إلى العُذر وبدأها معاويةُ بالبغْي وانتهى فيها إلى السّرف وليس أهلُ العراق فيها كأهّل الشام بايعَ أهل العراق عليّاً،وهُوخيْرمنهُم،وبايعَ أهلُ الشّام معاويةَ وهمْ خيْر منه ولستُ أنا وأنتَ فيها سواء،أردتُ الله وأردتَ مصرَ،وقد عرفت الشيء الذى باعدك منّي ولا أعرف الشيء الذى قرّبك من مُعاوية،فإنْ تُردْ شرّاً لا نَسبقْك به وإن تُردْ خيراً لا تَسبقْنا إليه والسّلام .

وقد كانت عاقبةُ عمرو بن العاص عند معاوية سيّئةً رغم أنّه خالف الله ورسوله في طاعته.قال اليعقوبيّ [1]:ولما حضرت عَمراً الوفاة قال لابنه لَودَّ أبوك أنّه كان مات في غزاة ذات السّلاسل إنّي قد دخلت في أمورٍ لا أدري ما حُجتي عند الله فيها[!] ثمّ نظرإلى ماله فرأى كثرتَه قال يا لَيْتَهُ كان بَعْراً يا ليتني متّ قبل هذا اليوم بثلاثين سنة أصلحتُ لمُعاوية دُنياه وأفسدتُ ديني آثرتُ دنيايَ وتركتُ آخرتي عميَ عليّ رشدي حتى حضرني أجلي كأنّي بمعاوية قد حوى مالي وأساء فيكم خلافتي وتوفي عمرو ليلة الفطرسنة 43 فأقرّمعاوية ابنه عبد الله بن عمروثمّ استصفى مال عمروفكان أوّل من استصفى مال عاملٍ ولم يكن يموت لمعاوية عاملٌ إلاّ شاطرورثته ماله فكان يكلّم في ذلك فيقول هذه سنّة سنّها عمربن الخطاب.اهــ

الوليد بن عقبة:

---

[1] تاريخ اليعقوبي ج2 ص221/ دار صادر/ بيروت

وأذكّرهنا بما اوردته سابقا بخصوص عمرو بن أُميّة بن عبد شمس الذي ينحدرمنه الوليد،فقد قال القُرْطبيّ في تفْسيره ج5ص103/102 : وقد كان في العرب قبائل قد اعتادت أن يخلف ابن الرجل على امرأة أبيه؛كانت هذه السّيرة في الأنصارلازمةً وكانت في قُرِيْش مُباحةً مع التّراضي ألا ترى أنّ عمرو بن أُميّة خلف على امرأة أبيه بعد موته فولدت له مسافراً وأبا معيط وكانَ لَها من أُميّة أبوالعيص وغيره فكان بنوأُميّة إخوة مسافروأبي معيط وأعمامَهما[!].اهـ

وقد كان أبوه " أبومعيط " شديد الأذى للنّبيّ عليه وآله ،وقُتل يوم بدر صبرا، ومع أن النّبيّ صلى الله عليه وآله أرحم النّاس بالنّاس إلاّ أنّه لم يلتفت إليه حين استعطفه بل جَبَهَهُ بكلمة صارمة لا تَقبلُ الجَدل.فقد قال عُقبة بن أبي معيط للنّبيّ صلى الله عليه وآله فمن للصبية يا محمّد؟قال صلى الله عليه وآله :النّارُ لهُم.وهذا الكلام من النّبيّ صلى الله عليه وآله لا ينبغي أن يمرّبه الباحثُ دونَ تدبّر،لأنّه يكشف عن حقيقة ما يستحقّه آل أبي معيط من المعاملة،ولكن ذلك لم يمنع عثمان من توليته على المهاجرين والأنصار في الكوفة.

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج 2 ص8: ولا يُلامُ الوليدُ على ما في نفسه،فانّ عليّاً عليه السلام قتَل أباهُ عُقبة بنَ أبى معيط صبراً يوم بَدر وسُمّي الفاسقَ بعد ذلك في القرآن،لنزاع وقع بيْنه وبيْنَه، ثم جُلدَ الحدَّ في خلافة عُثمان،وعَزله عن الكوفة،وكان عاملَها،وببعض هذا عنْد العَرب أرباب الدّين والتّقى تُستحلّ المحارمُ،وتُستباحُ الدّماءُ،ولا تَبقى مراقبة في شفاء الغيْظ لدين ولا لعقَاب ولا لثوَاب،فكيف الوليدُ المُشتَمل على ا لفُسوق والفُجور، مُجاهراً بذلك!وكان من المؤلّفة قُلوبهم،مَطعُوناً في دينه مرميّاً بالإلحاد والزّندقة !

الضحاك بن قيس الفهري:

قال البلاذري في أنساب الأشراف ص 75: وحدّثني عبّاس بن هشام،عن أبيه عن عوانة قال دخل عقيل على مُعاويَة وقد كفّ بصرُه فلم يسمع كلاماً،فقال:يا مُعاويَة:أمافي مجلسك أحدٌ ؟ قال: بلى. قال:فمالهم لا يتكلّمون؟فتكلّم الضحّاك بن قيس فقال [عقيل]:من هذا؟ فقال له مُعاويَة : هذا الضحّاك بن قيس.قال عقيل: كان ابوه[من] خاصى القردة، ما كان بمكّة أخصى لكلْب وقرْد من أبيه!

قال ابن أبي الحديد في شرح النهج ج2 ص 116 : دعا مُعاويَة الضحّاك بن قيس الفهريّ،وقال له:سر حتى تمرّ بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت،فمن وجدته من الأعراب في طاعة عليّ فأغرْ عليه،وإن وجدت له مسلحة أو خيلاً فأغرْ عليها،وإذا أصبحتَ في بلْدة فأمْس في أخرى،ولا تقيمنّ لخيْل بلغَك أنّها قد سُرّحتْ إليك لتلقاها فتقاتلها.فسرّحه فيما بين ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف.فأقبل الضحّاك،فنهب الأموال وقتل من لقيَ من الأعراب[!]،حتى مرّ بالثّعلبيّة فأغارعلى الحاجّ فأخذ أمتعتهم [!]، ثمّ أقبل فلقي عمرو بن عميس بن مسعود الذّهليّ،وهو ابن أخي عبد الله بن مسعود صاحب النّبيّ صلى الله عليه وآله ،فقتلَه في طريق الحاجّ عند القطْقطانَة.وقتل معه ناساً من أصحابه .

أقول:لا يبالي الصّحابيّ الضّحاك بن قيس الفهريّ أن يُغيرعلى ضيوف الرّحمن لإرضاء مُعاويَة،وقد علم المسلمون أنّ الحاج يتخلّى عن السّلاح ولا يتوقّع أن يهاجمه أهل القبلة وهو يقصد بيت الله سبحانه وتعالى،لكن متى عرف الضحّاك بن قيس الفهريّ حرمة الحجّ،وهوالذي نصب العداوة لآل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله ولم يدّخر وسعاً في محاربتهم ،وتمادى في سبّ ولعن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، وكان الذي تولّى الصّلاة على مُعاويَة حين

هلك، ثمّ كانت عاقبته أن خرج رغبة في الحكم وقُتل كما قُتل النعمان بن بشير،فلا هُو نال الدّنْيا ولا هو أدْرَكَ الآخرة.

وفي كتاب موطإ مالك ج 1ص 344: حدثنى يحيى عن مالك،عن ابن شهاب،عن محمّد بن عبد الله بن الحارث بن نوفل ابن عبد المطلب،أنه حدثه أنه سمع سعد بن أبى وقاص،والضحاك بن قيس،عام حج مُعاويَة بن أبى سُفْيان،وهما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج.فقال الضحاك بن قيس:لا يفعل ذلك إلا من جهل أمر الله عزوجل.فقال سعد:بئس ما قلت يا ابن أخى.فقال الضحاك:فإن عمر بن الخطاب قد نهى عن ذلك.فقال سعد:قد صنعها النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم.وصنعناها معه .

مَرْوان بن الحكم :

قال محمّد بن سعد في الطبقات [1]: مَرْوان بن الحكم بن أبي العاص بن أُميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ وأمّه أمّ عثمان وهي آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أُميّة بن محرث بن خمل بن شق بن رقبة بن مخدج بن الحارث بن ثعلبة بن مالك بن كنانة وأمّها الصعبة بنت أبي طلحة بن عبد العزّى بن عثمان بن عبد الدّار بن قصي فولد مَرْوان بن الحكم ثلاثة عشر رجلاً ونسوة عبد الملك وبه كان يكنى ومُعاويَة وأمّ عمرو وأمّهم عائشة بنت مُعاويَة بن المغيرة ..

وفي المُستَدرك على الصحيحين للحاكم النبسابوري ج 4 ص479 من طريق عبد الرحمن بن عوف وصحّحه أنّه قال : كان لا يُولَد لأحد بالمدينة ولدٌ إلاّ أتى به إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأُدخِل عليه مَرْوان بن الحكمِ فقال:هو

---

[1] الطبقات الكبرى محمد بن سعد ج 5ص 35

الوَزَغ ابن الوَزَغ،الملعون ابن الملعون اهـ.ولعل مُعاويَة أشار إليه بقوله لمَرْوان فيما ذكره ابن أبي الحديد(ج2ص56):يا ابن الوزغ لست هناك.

في كتاب الفتن ج1ص129 "باب آخر من ملك بني أُميّة ": حدّثنا عبد الله بن مَرْوان المَرْواني عن أبي بكر بن أبي مريم عن راشد بن سعد أنّ مَرْوان بن الحكم لمّا وُلد دُفع إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ليدعوَ له فأبى أن يفعل ثمّ قال:ابنُ الزّرقاء هلاكُ عامّة أمّتي على يديْه ويديْ ذُرّيته.اهـ

وقد سبق ذكرهذا الحديث في فصل " صفات بني أُميّة و أعمالهم " .

قال محمّد بن سعد في الطبقات الكبرى ج5ص36:قالوا قبض النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ومَرْوان بن الحكم بن ثماني سنين فلم يزل مع أبيه بالمدينة حتّى مات أبوه الحكم بن أبي العاص في خلافة عثمان بن عفّان فلم يزل مَرْوان مع ابن عمّه عثمان بن عفّان وكان كاتباً له وأمر له عُثمان بأموال وكان يتأوّل في ذلك صلةَ قرابته[1] وكان النّاس ينقمون على عثمان تقريبه مَرْوان وطاعته له ويرون أنّ كثيرا ممّا ينسب إلى عثمان لم يأمر به وأنّ ذلك عن رأي مَرْوان دون عثمان فكان النّاس قد شنفوا لعثمان لما كان يصنع بمَرْوان ويقرّبه وكان مَرْوان يحمله على أصحابه وعلى النّاس ويبلغه ما يتكلّمون فيه ويهدّدونه به ويريه أنّه يتقرّب بذلك إليه. اهـ

وروى الحاكم في المُستدرك ج4ص528تحت رقم 8483 قال:حدّثنا علي بن محمّد بن عقبة[...] عن محمّد بن زياد قال ثمّ لمّا بايع معاوية لابنه

---

[1] يصل قرابته من أموال المسلمين،ولا يجد المؤرخون في ذلك حرجاً ويسمّونه تأوّلاً وهو اختلاس لأموال الدولة، والدليل على ذلك أن معاصري عثمان لم يوافقو المؤرخين ولم يلتفتوا إلى هذا التأوّل وكان ذلك من بين الأسباب التي أدّت إلى قتل عثمان؛ ومعاصرو عثمان أعلم بحاله ممن جاء بعدهم بقرون.

يزيد قال مَرْوان سنّة أبي بكروعمرفقال عبد الرّحمن بن أبي بكر سنّة هرقل وقيصرفقال أنزل الله فيك والذي قال لوالديه أفّ لكما الآية قال فبلغ عائشة رضي الله عنها فقالت كذب والله ما هو به ولكنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم لَعنَ أبا مَرْوان ومَرْوان في صلبه فمَرْوان قصص من لعنة الله عز وجل.هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.اهـ

وقد ملك مروان دون السّنَة وولي المدينة قبلّها لمعاوية بن أبي سفيان.[1]

قال محمّد بن سعد في الطّبقات الكبرى ج5ص38: أخبرني موسى بن إسماعيل قال حدّثني جويرية بن أسماء عن نافع قال ضُرِب مَرْوان يوم الدّار ضربة جدّت أذنيه فجاء رجل وهو يريد أن يُجهزَ عليه قال فقالت له أمّه سبحان الله تُمثّل بجسد ميْت فتركه قالوا فلمّا قُتل عثمان وسارطلحة والزّبير وعائشة إلى البصرة يطلبون بدم عثمان[!] خرج معهم مَرْوانُ بن الحكم فقاتل يومئذ أيضاً قتالاً شديداً فلمّا رأى انكشافَ النّاس نظرَإلى طلحة بن عبيد الله واقفاً فقال والله إنْ دم عثمان إلاّ عند هذا هو كان أشدّ النّاس عليه وما أطلب أثراً بعد عيْن ففوّقَ له بسهم فرماه به فقتلَه.اهـ

ويؤيّده ما رواه ابن شبّة النّميري قال[2]: ...عن عبد الرّحمن بن أبي ليلى قال: قال لي عبد الملك بن مروان:أشهدْتَ الدّار؟ قلتُ:نعم فَلْيَسَلْ أميرُالمؤمنين عمّا أَحَبَّ.قال:أينَ كان عليّ؟قلت:في داره.قال:فأين كان الزّبير؟قلت:عند أحجارالزّيت.قال:فأين كان طلحة؟قلتُ نظرتُ فإذا مثلُ الحرّة السّوداء فقلت ما هذا؟قالوا:طلحة واقف،فإن حال حائل دون عثمان

---

[1] قال السيوطي تاريخ الخلفاء ج1ص196:فسمّي هذا العام(عام41) عام الجماعة لاجتماع الأمّة فيه على خليفة واحد وفيه ولى مُعاويَة مَرْوان بن الحكم المدينة.

[2] تاريخ المدينة – عمر بن شبة النميري ج 4 ص 1170

قاتله.فقال:لو لا أنّ أبي أخبرني يومَ مرْج راهط أنّه قتل طلْحة ما تركتُ على وجه الأرض من بني تيْم أحداً إلاّ قتلتُه اهـــ.

أقول: بضمّ الخبر الثّاني إلى الأوّل يتبيّن أنّ طلحة متّهم رسميّاً و يتحمّل القسم الأكبر من مسؤوليّة قتل عثمان،لكنّه يقدّم نفسه مع المطالبين بدم عثمان يوم الجمل، تماماً كما فعلت عائشة بنت أبي بكر زوج النبيّ صلى الله عليه وآله التي أُمرت بالقرارفي بيتها،وهذا معناه أنّ بني تيم من أشدّ النّاس استخفافاً بالدّين.وقد قتلَ مروانُ طلحةَ،وطلحةُ في الرّوايات المزعُومة مبشّرٌ بالجنّة،فمَرْوان إذاً قاتلُ أحد العشرة المبشّرين بالجنّة،ولا مانع أن يكون خليفة، وطَلحةُ هو قاتلُ عثمان بدليل شهادة مروان بذلك مشفوعةً بالقَسَم؛وهذه الأحداث كافية لإبطال حديث العشرة المبشّرين فإنّ عمر وأبابكرمنهم وقد همّا بإحراق بيت فاطمة بنت النّبيّ صلى الله عليه وآله وعثمان منهم وقد قتله طلحة كما يشهد به مروان،وعليّ عليهم السلام منهم وقد جدّ في حرب طلحة والزبيرومن معهم لا يشكّ في ذلك طرفة عين.وحديثُ قتْل مَرْوان بن الحكم طلحةَ بن عبيد الله أخذاً بثارعُثمان موجود في مروج الذهب للمسعودي ومُستَدرك الحاكم ،و الكامل في التاريخ وأسد الغابة لابن الأثير،و تاريخ ابن كثير و مرآة الجنان لليافعي وتهذيب التهذيب.هذا من أعجب ما يلاقيه الباحث،وهو أنّ القاتل يُطالب بدم المقتول،وهُما من قبيلتين مختلفتين!

وقال الهيتميّ في الصواعق المحرقة ص33:قال مَرْوان بن الحكم: ما كان أحدٌ أدفعَ عن عُثمان من عليّ،فقيل له:ما لكم تسبّونه على المنابر؟قال إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك .

ومعنى هذا أنّ مَرْوان بن الحكم يعلم أنّ عليّاً عليه السلام بريءٌ ممّا يوجّه إليه من التُّهم بخصوص عثمان، بل أكثر من ذلك أنّه كان أدْفعَ عنه من كلّ أحد،لكنّه-أي مروان- يكتم ذلك وينضمّ إلى من ألّبوا على عثمان وأصرّوا

على قتله،ويخرج معهم يوم الجمل.ومع أن عليّاً عليه السلام عفا عنه بعد المعركة إلاّ أنّ لُؤمَه لا يسمح بعرفان الجميل، فكان مَرْوان أشدّ الناس سبّاً ولعْناً لعليّ عليه السلام فيما بعد. قال ابن حجر في تطهير الجنان[1]: وبسند رجاله ثقات أنّ مَرْوان لمّا ولي المدينة كان يسبّ عليّاً على المنبر كل جمعة،ثمّ ولي بعده سعيد بن العاص فكان لا يسبّ،ثمّ أعيد مَرْوان فعاد للسّبّ،وكان الحسن يعلم ذلك ولا يدخل المسجد إلاّ عند الإقامة،فلم يرض بذلك مَرْوان حتى أرسل للحسن في بيته بالسّبّ البليغ لأبيه وله،ومنه:ما وجدت مثلك إلاّ مثل البغلة يُقال لها:من أبوك؟فتقول:أبي الفرس.فقال للرّسول:إرجع إليه فقل له:والله لأمحوعنك شيئا مما قلت بأني أسبّك،ولكن موعدي وموعدك الله،فإن كنت كاذبا فالله أشدّ نقمة قدأكرم جدّي أن يكون مثلي مثل البغلة . إلخ .].

ولم يختلف من المسلمين اثنان في أنّ سبّ الإمام ولعنه من الموبقات،وإذا صحّ ما قاله ابن معين كما حكاه عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب ج1ص509 أنّ كلّ من شتم عثمان أو طلحة أو أحداً من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله دجّال لا يُكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ،فقد باء البخاريّ بأمر عظيم حين اتّخذ من مَرْوان بن الحكم ومن على شاكلته رجالاً لصحيحه.

وفي الطبقات الكبرى ج5ص67: صلّى عبد الله بن حنظلة بالنّاس الظّهر ثمّ صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال أيّها النّاس إنّما خرجتم غضبا لدينكم فأبلوا لله بلاء حسناً ليوجب لكم به مغفرته ويحلّ به عليكم رضوانه قد خبرني من نزل مع القوم السّويداء وقد نزل القوم اليوم ذا خشب ومعهم مَرْوان بن الحكم والله إن شاء الله مُحينُه بنقْضه العهْد والميثاقَ عندَ منبر

[1] تطهير الجنان هامش الصواعق ص 142

النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم[1] فتصايح الناس وجعلوا ينالُون من مَرْوان ويقولون الوزغ بن الوزغ وجعل ابن حنظلة يهدئهم ويقول أنّ الشّتم ليس بشيء ولكن اصدقوهم اللّقاء.

قال محمّد بن سعد في الطبقات الكبرى ج 5ص 41 : قال حسان [ابن مالك بن بجدل]والله لئن بايعتم مَرْوان ليحسدنّكم علاقة سوْط وشراك نعل وظلّ شجرة إنّ مَرْوان وآل مَرْوان أهل بيت من قيس يريد أن مَرْوان أبو عشرة وأخو عشرة فإن بايعتم له كنتم عبيداً لهم.

قال التّرمذي في الصحيح ج1 ص70:والعمل على هذا عند أهل العلم من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وغيرهم أنّ صلاة العيدين قبل الخطبة ويقال:إنّ أول من خطب قبل الصلاة مَرْوان بن الحكم .

وأخرج البخاري من طريق أبي سعيد الخدريّ[2] قال:خرجت مع مَرْوان وهو أمير المدينة في أضحى أوفطر،فلما أتينا المصلى إذا منبر بناه كثير بن الصلت فإذا مَرْوان يريد أن يرتقيَه قبل أن يصلّيَ فجبذت ثوبه فجبذني فارتفع فخطب قبل الصلاة فقلت:غيرتم والله.فقال:أبا سعيد!قد ذهب ما تعلم.فقلت : ما أعلم والله خيرممالا أعلم.فقال:إن الناس لم يكونوا يجلسون لنا بعد الصلاة فجعلتها قبل الصلاة . وفي لفظ الشافعي : يا أبا سعيد ترك الذي تعلم .اهـ

[1] قال ابن قتيبة في الامامة والسياسة ج 1ص 230(بتحقيق الشيري): ثمّ اجتمع رأي أهل المدينة أن يحلفوا كبراء بني أمية عند منبر النّبيّ صلى الله عليه وسلم لئن لقوا جيش يزيد ليردونهم عنهم إن استطاعوا ، فإن لم يستطيعوا مضوا إلى الشام ولم يرجعوا معهم ، فحلفوا لهم على ذلك ، وشرطوا عليهم أن يقيموا بذي خشب.

[2] صحيح البخاري ج2ص4

قال ابن عساكر في تاريخه ج 4ص227:أبى مَرْوان أن يُدفنَ الحسنُ في حُجرة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وقال:ما كنت لأدعَ ابن أبي تُراب يُدفن مع النّبيّ،قد دفن عثمان بالبقيع.ومَرْوان يومئذ معزول يريد أن يرضي مُعاويَة بذلك،فلم يزل عدوا لبني هاشم حتى مات.اه

وقال ابن عبد البرّ في الاستيعاب [1]: ... عن ابي سعيد الخدريّ قال لمّا نزلت إذا جاء نصرالله والفتح قرأها النّبيّ حتّى ختمها وقال النّاس خير وأنا وأصحابي خير وقال لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونيّة فقال له مَرْوان بن الحكم كذبت وعنده زيد بن ثابت ورافع بن خديج وهما قاعدان معه على السّرير فقال أبو سعيد لوشاء هذان لحدّثاك ولكن هذا يخاف أن تنزعه عن عرافة قومه وهذا يخشى أن تنزعه عن الصّدقة فرفع عليه مَرْوان درّته ليضربه فلما رأيا ذلك قالا صدق.اهـ

وقال القُرْطبيّ في تفْسيره ج14ص239:وهكذا يجب أن يُحَبّ ما أحبّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ويُبْغَضَ من أبغض وقد قابل مَرْوانُ هذا الحبّ بنقيضه وذلك أنّه مرّ بأُسامة بن زيد وهو يصلّي عند باب بيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال له مَرْوان إنّما أردت أن نرى مكانك فقد رأينا مكانك فعل الله بك وقال قولاً قبيحاً فقال له أُسامة إنّك آذيتَني وإنّك فاحشٌ متفحّشٌ وقد سمعتُ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول إنّ الله تعالى يبغض الفاحش المتفحّش. فانظرْ مابين الفعلَيْن وقسْ ما بين الرّجليْن فقد آذى بنو أُميّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في أحبابه وناقضوه في محابّه..اهـ

---

[1] الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ ج1ص8

وروى الطبراني[1] عن إسحاق بن أبي حبيبة مولى النّبيّ صلى الله عليه وسلم عن أبي هريرة أنّ مروان بن الحكم أتى أبا هريرة في مرضه الذي مات فيه فقال مروان لأبي هريرة ما وجدتُ عليك في شيء منذ أصطحبنا إلاّ في حبّك للحسن والحسين! قال فتحفّز أبوهريرة فجلس فقال أشهد لخرجنا مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنّا ببعض الطريق سمع النّبيّ صلى الله عليه وسلم صوت الحسن والحسين وهما يبكيان...الحديث.

أقول :هذا الحديث يدلّ على أنّ مروان بن الحكم كان جاحداً لآية المودّة في القربى " قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسناً إنّ الله غفورشكور"،فإنّ العلماء لم يختلفوا في وجوب مودّة آل النبيّ صلى الله عليه وآله ،وقد أخبرالنّبيّ صلى الله عليه وآله أنّ حبّ الحسنين من حبّه وبغضهما من بغضه في أحاديث كثيرة منها ما رواه إسحاق بن راهويه في مسنده[2]والنّسائي في السنن الكبرى[3] وغيرهما.

ومن أعمال مَرْوان قتله الأكدر اللّخميّ غدراً،قال ابن حجر في ترجمة الأكدراللّخمي[4]: له إدراك قال سعيد بن عفير شهد فتح مصرهو وأبوه وقال أبو عمر الكنديّ في كتاب الخندق حدّثني يحيى بن أبي مُعاويَة بن خلف بن

---

[1] المعجم الكبير– الطبراني – ج 3ص 50

[2] مسند إسحاق بن راهويه ج1 ص 248 : أخبرنا الملائي حدثنا سفيان عن أبي الجحاف عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال من أحبهما فقد أحبني ومن أبغضهما فقد أبغضني قال يعني الحسن والحسين.

[3] الحديث بنفس اللفظ في السنن الكبرى للنسائي ج5ص49 والمعجم الكبير للطبراني ج3 ص 48 وتاريخ دمشق ج 14ص132 وص152وتهذيب الكمال ج6ص229وص255وص401وص437وسير أعلام النبلاء ج3ص254 وتهذب التهذيب ج2ص261والإصابة ج2ص62وفي البداية و النهاية في أكثر من موضع.

[4] الإصابةج 1ص 353تحت رقم 486

ربيعة عن أبيه حدّثني الوليد بن سليمان قال كان أكدر علويّاً وكان ذا دين وفضل وفقه في الدّين وجالس الصحابة وروى عنهم وهو صاحب الفريضة التي تُسمى الأكدريّة وكان ممن سار إلى عثمان وكان مُعاويَة يتألف قومه به فيُكرمه ويدفع إليه عطاءه ويرفع مجلسه فلما حاصر مَرْوان أهل مصر اجلب عليه الأكدر بقومه وحاربه بكل أمْر يكرهه فلما صالح أهل مصر مَرْوان علم أنّ الأكدر سيعود إلى فعلاته فألّب عليه قوماً من أهل الشّام فادعوا عليه قتل رجل منهم فدعاه فأقاموا عليه الشّهادة فأمربقتله قال فحدّثني موسى بن عليّ بن رباح عن أبيه قال كنت واقفاً بباب مَرْوان حين دعا بالأكدر فجاء ولا يدري فيما دُعي إليه[!] فما كان بأسرع من أن قُتل فتنادى الجُند قُتل الأكدر فلم يبق أحد إلاّ لبس سلاحه وحضروا باب مَرْوان وهم زيادة على ثمانين ألف إنسان فأغلق مَرْوان بابه خوفاً فمضوا إلى كريب بن أبرهة فأعلموه الخبرفوجدوه في جنازة زوجته بسيسة بنت حمزة بن عبد كلال فلما فرغ جاء صُحْبَتهم إلى مَرْوان فدخل عليه فقال له مَرْوان إلي يا أبا رشيد فقال بل إليّ يا أميرالمؤمنين فقام إليه فألقى عليه رداءه وقال أنا له جارٌ فانْصرفَ الجيشُ عنه وذهب دمُ الأكدر هَدْراً.اهـ

هذه هي الثّقافةالعشائريّة،يكفي أن يُلقيَ شيخُ العشيرة رداءَه على قاتل كيما يذهب دمُ المقتُول هَدراً !! أين هذا من ثقافة القصاص القرآنية؟ وأين هو من حديث " لو سرقتْ فاطمة بنت محمّد لقطعت يدها "؟

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغةج3ص37:روى الواقدي عن عبد الله بن جعفر عن أم بكر بنت المسوّر،قالت: لما بنى مَرْوان داره بالمدينة دعا الناس إلى طعامه،وكان المُسوّرممّن دعاه،فقال مَرْوان وهو يحدّثهم:والله ما أنفقت في داري هذه من مال المسلمين درهما فما فوقه،فقال المسوّر:لو أكلت طعامك وسكتّ كان خيراً لك.لقد غزوت معنا إفريقية وإنّك لأقلّنا مالاً

ورقيقاً وأعواناً،وأخفّنا ثقلا،فأعطاك ابن عمّك خمس إفريقية وعملت على الصدّقات، فأخذتَ أموال المسلمين.

وهذه شهادة من المسوّر بن مخرمة على مروان بأنه أخذ أموال المسلمين.

وقال الطبري [1]: ... عن يسار بن أبي كرب عن أبيه وكان أبو كرب عاملا على بيت مال عثمان قال دفن عثمان رضي الله عنه بين المغرب والعتمة ولم يشهد جنازته إلا مروان بن الحكم وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة

وفي تاريخ مدينة دمشق ج 39ص526: وتوافى إلى موضع الجنائز صبيان ونساء فأخرجوا عثمان فصلّى عليه مَرْوان ثمّ خرجوا به حتى انتهوا به إلى البقيع فدفنوه [فيه] ممّا يلي حشان كوكب حتّى إذا أصبحوا أتوا أعبُد عثمان فأخرجوهم فرأوهم فمنعوهم من أن يدفنوهم فأدخلوهم حشان كوكب فإذا انفشوا خرجوا بهما فدفنوهما إلى جنب عثمان ومع كل واحد منهما خمسة نفروامرأة فاطمة أمّ إبراهيم بن عربي ثمّ رجعوا فأتوا كنانة بن بشر فقالوا إنّك أمسّ القوم بنا رحماً فأمُر بهاتين الجيفتين اللّتين في الدّار أن تُخرجا فكلّمهم في ذلك فأبَوْا فقال أنا جار لآل عثمان من أهل مصر ومن لفّ لفهم فاخرجوهما فارموا بهما فجرّ بأرجلهما فرمي بهما في البلاط فأكلتهما الكلاب وكان العبدان اللذان قتلا يوم الداريقال لهما نجيح وصبيح.

وقال ابن كثير [2]:

---

[1] تاريخ الطبري ج2ص 687 دار الكتب العلمية بيروت 1407

[2] البداية والنهاية لابن كثير ج 7ص 213 ـ 214

[3] المعلوم أنّ الخوارج هم الذين خرجوا على علي عليه السلام أيّام خلافته ،وأمّاإن كان كل من خرج على الحاكم خارجيًا فيلزم منه تسمية

ثم خرجوا بعبديْ عثمان اللذين قُتلا في الدّار وهما صبيح ونجيح رضي الله عنهما فدُفنا إلى جانبه بحُشّ كوكب ، وقيل إنّ الخوارج[1] لم يمكّنوا من دفْنهما ، بل جرّوهما بأرجُلهما حتى ألقوهما بالبلاط فأكلتهما الكلاب وقد اعتنى مُعاويَة في أيام إمارته بقبر عثمان،ورفع الجدار بينه وبين البقيع،وأمر الناس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتّصلت بمقابر المسلمين.

وفي تاريخ الطّبريّ ج2ص659:قال فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها وأعطى النّاس من نفسه التّوبة فقام فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثمّ قال أمّا بعد أيّها النّاس فوالله ما عاب من عاب منكم شيئا أجهله وما جئت شيئا إلاّ وأنا أعرفه ولكنّي منّتني نفسي وكذبتني وضلّ عنّي رشدي ولقد سمعت النّبيّ يقول من زلّ فليَتبْ ومن أخطأ فليتبْ ولا يتمادَ في الهَلَكَة إنّ مَن تمادى في الجوْركان أبعدّ من الطّريق فأنا أوّل من اتّعظ أستغفرُ الله ممّا فعلت وأتوبُ إليه فمثلي نزع وتاب فإذا نزلْتُ فليأتني أشرافُكم فليُرُوني رأيَهم فوالله لئنْ ردّني الحقّ عبداً لأستننّ بسنّة العبد ولأذلّنّ ذلّ العبد ولأكوننّ كالمرقُوق إنْ مُلك صبَر وإن عُتق شكَر وما عن الله مذهب إلاّ إليه فلا يعجزنّ عنْكم خيارُكم أن يدنُوا إلي لئن أبَتْ يَميني لتُتابعنّي شمالي قال فرقّ النّاس له يومئذ وبكى مَن بكى منهم وقام إليه سعيد بن زيد فقال يا أميرالمؤمنين ليْس بواصل لك من ليس معك اللهَ اللهَ في نفسك فأتْممْ على ما قلت فلما نزل عثمان وجد في منزله مَرْوان وسعيداً ونفراً من بني أُميّة ولم يكونوا شهدوا الخطبة فلما جلس قال مَرْوان يا أمير المؤمنين أتكلّمُ أم أصمُتُ فقالت نائلة ابنة الفرافصة امرأة عثمان الكلبيّة لا بل اصمتْ فإنّهم والله قاتلُوه ومُؤثمُوه إنّه قد قال مقالةً لا ينبغي له أن ينزع عنها فأقبل عليها مَرْوان فقال

---

[1] طلحة والزبير وعائشة ومن معهم خوارج.

ما أنت وذاك فوالله لقد مات أبوك وما يحسن يتوضأ[!][1]فقالت له مهلاً يا مَرْوان عن ذكر الآباء تخبرعن أبي وهو غائب تكذب عليه وإنّ أباك لا يستطيع أن يدفع عنه أما والله لولا أنّه عمّه وأنّه يناله غمّه أخبرتُك عنه ما لن أكذب عليه.قال فأعرضَ عنها مَرْوان ثم قال يا أمير المؤمنين أتكلّمُ أم أصمتُ قال بل تكلّمْ! فقال مَرْوان بأبي أنتَ وأمّي والله لوددتُ أنّ مقالتَك هذه كانت وأنت مُمْتنعٌ مَنيعٌ فكنتُ أولَ من رضيَ بها وأعانَ عليها ولكنّك قلتَ ما قلتَ حين بلغ الحزامُ الطّبْيين وخلفَ السّيلُ الزُبَى[2]وحين أعطى الخطّة الذّليلة الذّليل والله لإقامةٌ على خطيئة تَستغفر الله منها أجملُ من توْبة تخوّفُ عليها وإنك إن شئت تقرّبت بالتّوبة ولم تُقررْ بالخطيئة!! وقد اجتمع إليك على الباب مثلُ الجبال من النّاس فقال عثمان فاخرجْ إليهم فكلّمْهم فإنّي أستحي أنْ أكلّمهم قال فخرج مَرْوان إلى الباب والنّاس يركبُ بعضُهم بعضاً فقال ما شأنُكم قد اجتمعتُم كأنّكم قد جئتم لنهْب شَاهَت الوُجُوه كلّ إنسان آخذٌ بأُذُن صاحبه إلاّ من أريد جئتُم تُريدون أن تنزعُوا مُلكَنا من أيْدينا اخرُجُوا عنّا أمَا والله لئن رُمْتُمُونا لَيَمُرّنّ عليكم منّا أمرٌ لا يَسرّكُم ولا تحمَدوا غبّ رأْيكم ارجعُوا إلى منازلكم فإنّا والله ما نحنُ مغلّوبين على ما في أيْدينا قال فرجع النّاس وخرج بعضُهم حتى أتى عليّاً فأخبرَهُ الخبرَفجاء عليّ عليه السلام مُغضَباً حتى دخل على عثمان فقال أما رضيتَ من مَرْوان ولا رضيَ منك إلاّ بتحرُّفك عن دينك وعن عقْلك مثل جمل الظّعينة يُقاد حيث يُسار به والله ما مَرْوان بذي رأْي في دينه ولا نفْسه وأيمُ الله إنّي لأراه سيُوردُك ثمّ لا يُصدرُك وما أنا بعائد بعد

---

[1] هذا مبلغ مروان من الأدب أنْ يعيّر المرأة بمحضر زوجها، وهذا مبلغ عثمان من الغيرة أن تُنتهر زوجته بمحضره!!

[2] بلغ السيل الزبى : هي جمع زبية وهي حفرة تحفر للأسد إذا أرادوا صيده وأصلها الرابية لا يعلوها الماء فإذا بلغها السّيل كان جارفا مجحفا؛ يُضرب لما جاوز الحدّ[مجمع الأمثال ــ الميداني ــ ج1ص91].

مقامي هذا لمُعاتَبتك أذهبتَ شرفَك وغُلبتَ على أمْرك فلما خرج عليّ دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأتُه فقالت أتكلّم أوأسْكتُ فقال تكلّمي فقالت قد سمعتُ قول عليّ لك وإنّه ليس يُعاودك وقد أطعتَ مَرْوان يقودُك حيث شاءَ قال فما أصنعُ قالت تتّقي الله وحدَه لا شريك له وتتّبع سنّةَ صاحبيْك من قبْلك فإنّك متى أطعْت مَرْوان قَتلَك ومَرْوان ليْس له عنْد النّاس قدْرولا هيبَة ولا محبّة! وإنّما تركَكَ النّاس لمَكان مَرْوان فأرسلْ إلى عليّ فاستَصلْحهُ فإنّ له قرابةً منْك وهولا يُعْصى قال فأرسلَ عُثمان إلى عليّ فأبى أنْ يأتيَه وقال قد أعلمتُه أنّي لستُ بعائد.

أقولُ:كيف يصلُح للخلافة من يغلبه على رأْيه مَنْ ليْس له عنْد النّاس قدْر ولا هيبَة ولا محبّة بشهادة نائلة بنت القرافصة؟وانظرْ إلى قول مروان " والله لإقامةٌ على خطيئة تَستغفر الله منها أجملُ من تَوْبة تخوّفُ عليها " ! فمتى كانت الإقامة على الخطيئة جميلةً؟! إنّه الذّوْق الأُمويّ الفَاسدُ الذي لا يُبالي الذي بما يحدث طالما سَلمتْ مصلحةُ الشّجرة الملْعُونة في القرآن.وإن يكنْ عثمانُ يعتقدُ أنّ الخلافةَ قميصٌ ألبسه الله إيّاه،فإنّ مروان يراها ملكاً أمويّاً ليس لغير بني أمية فيه نصيب،وهذه عبارته يقول فيها صريحاً:" جئتم تريدون أن تنزعوا مُلكَنا من أيدينا ".

وأورد السيوطي في تاريخ الخلفاء جاص 218 هذا الشعر:

يا قوم لا تُغلَبوا عن رأْيكم فلقَدْ ... جرّبتُم الغدرَ من أبْناء مَرْوانا
أمْسَوا وقد قَتَلُوا عمراً وما رشدُوا ... يدْعون غدراً بعهْد الله كيسانا
ويقتُلون الرّجالَ البُزْلَ ضاحيةً ... لكَيْ يُولّوا أمورَ النّاس ولْدانا
تلاعَبُوا بكتاب الله فاتّخَذُوا ... هواهُمُ في معاصي الله قُرآنا

ولا يُبالي مَرْوان أن يقتلَ ريحانة النّبيّ صلى الله عليه وآله وسيّدُ شباب أهْل الجنّة إرضاءً ليزيد.ذكر ابن عساكرفي تاريخ دمشق مايلي [1]:

... زريق مولى مُعاويَة قال لما هلك مُعاويَة بعثني يزيد بن مُعاويَة إلى الوليد بن عتبة وهو أمير المدينة وكتب إليه بموت مُعاويَة وأن يبعث إلى هؤلاء الرّهط وأن يأمرَهم بالبيْعة قال فقدمتُ المدينة ليلاً فقلتُ للحاجب استأذن لي فقال قد دخلَ ولا سبيلَ لي إليه فقلت إنّي جئْتُ بأمْر فدخل فأخبَره فأذن له وهو على سريره فلما قرأ كتاب يزيد بوفاة مُعاويَة واستخلافه جَزِعَ من موت مُعاويَةَ جزعاً شديداً فجعل يقُوم على راحلته ثمّ يرمي بنفْسه على فراشه ثمّ بعث إلى مَرْوان فجاء وعليه قميص أبيض وملاءة موردة فنعى له مُعاويَة وأخبره أنّ يزيد كتب إليه أن يبعثَ إلى هؤلاء الرّهْط فيدعوهم إلى البيعة ليزيد قال فترحّم مَرْوان على مُعاويَة ودعا له بخيروقال ابعثْ إلى هؤلاء الرّهْط السّاعة فادْعُهُم إلى البيْعة فإنْ بايعوا وإلاّ فاضربْ أعناقَهم قال سُبحان الله أقْتُلُ الحسينَ بنَ عليّ وابنَ الزّبيْر قال هُو ما أقول لك.اهـ

عبد الملك بن مَرْوان:

قال العسكري وأوّل خليفة بخل عبد الملك وكان يسمّى رشحَ الحجارة لبُخْله ويُكنى أبا الذّبّان لبَخَره قال وهو أوّل من غَدَرَفي الإسْلام وأوّل من نهى عن الكلام بحضرة الخُلفاء وأوّل من نهى عن الأمر بالمعروف ثمّ أخرج

---

[1] تاريخ مدينة دمشق ــ ابن عساكر ــ ج 19 ص 17

بسنَده عن ابن الكلبيّ قال كان مَرْوانُ بنُ الحَكَم ولّي العهدَ عَمْرو بْنَ سعيد بن العاص بعد ابْنه فقَتَلَهُ عبدُ المَلك وكان قتْله أوّل غدْر في الإسْلام[1].

وقال محمّد بن سعد في الطبقات الكبرى ج5ص225: ..فتخلّف عبدُ الملك بذي خشب وأمرَ رسولاً أن ينزل مخيض وهي فيما بين المدينة وذي خشب على اثني عشر ميلاً من المدينة وآخرَ يحضُر الوقْعةَ يأتيه بالخبروهو يخاف أن تكونَ الدّولة لأهل المدينة فبينما عبدُ الملك جالسٌ في قصْر مَرْوانَ بذي خشب يترقّب إذا رسولُه قد جاءَ يُلَوّحُ بثوْبه فقال عبدُ الملك إنّ هذا لبشير فأتاه رسولُه الذي كان بمخيض يخبره أنّ أهل المدينة قد قُتلوا ودخلَها أهلُ الشّام فسجدَ عبدُ الملك ودخلَ المدينةَ بعدَ أنْ برأ.اهـ

سجدَ عبدُ الملك بن مَرْوان لأنّ مدينةَ النّبيّ صلى الله عليه وآله استُبيحَت وفَجَرَ أهلُ الشّام بنسائها بعدَ أنْ قتلُوا رجالَها.وعبدُ الملك هذا هوالذي قال:لا يأمُرني أحدٌ بتقْوى الله بعد مقامي هذا إلاّ ضربْتُ عُنُقَه.وهو الذي يقول فيه الحسن البصري:ما أقُول في رجُل الحجّاجُ سيّئةٌ من سيّئاته

أبو الأعور السّلميّ :

قال محمّد بن سعد[2]:تجهزّت قُريْش وجمعوا أحابيشَهم ومن تبعَهم من العرب فكانوا أربعةَ آلاف وعقدُوا اللّواء في دارالنّدوة وحمله عُثمان بن طلحة بن أبي طلحة وقادوا معهم ثلاثمائة فَرَس وكان معهم ألف وخمسمائة بعير وخرجوا يقودُهم أبو سُفْيان بن حرب بن أُميّة ووافتْهُم بنو سليم بمرّ

---

[1] هذه الأخيرة فيها نظر فإنّ الغدر ثابت قبلها كما في قصة خالد بن الوليد ومالك بن نويرة وقصة مسلم بن عقيل وقصة سعيد بن العاص [والد عمر بن سعيد المغدور به] مع أهل طبرستان كما هو مذكور في تاريخ مدينة دمشْق لابْن عساكر ج 21 ص 124

[2] الطبقات الكبرى محمّد بن سعد ج 2 ص 66

الظّهران وهم سبعمائة يقودهم سُفْيان بن عبد شمس حليف حرب بن أُميّة وهو أبو أبي الأعْوَر السّلميّ الذي كان مع مُعاويَة بصفّين وخرجتْ معَهُم بنُو أسَد يَقُودُهم طلحة بن خُويْلد الأسديّ وخرجت فزارة...اهــ

ويُستفاد من ذلك أنّ ولاء أبي الأعور السلمي لم يكن دينيّا كما يدّعيه المدافعون عن مُعاويَة،وإنما هي قضيّة أحْلاف جاهليّة بقيت تتحكّم في العقول،فلا عجَب أن يكون أبو الأعْور حليفاً لمُعاويَة ضدّ علي بن أبي طالب عليه السلام وقد سبق ذلك تحالُفُ أبَويْهما ضدّ النّبيّ صلى الله عليه وآله!

قال أبو القاسم الطبراني [1]:

حدّثنا محمّد بن عون ... عبد الرحمن بن أبي عوف قال قال عمرو بن العاص وأبو الأعْور السّلميّ لمعاوية إنّ الحسن بن علي رضي الله عنهما رجل عييّ فقال معاوية رضي الله عنه لا تقولا ذلك فإنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قد تفل في فيه ومن تَفَلَ النّبيّ في فيه فليس بعَيِيّ فقال الحسن بن عليّ رضي الله عنه أمّا أنت يا عمرو فإنّه تنازع فيك رجُلان فانظرْ أيّهما أبوك وأمّا أنت يا أبا الأعورفإنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم لعن رعلا وذكوان وعمرو بن سفيان.اهــ

إضافةً إلى ما سبق ،فقد ثبت أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قنت في صلاته بلَعْن جماعة منهْم أبو الأعْورالسلمي وأبو موسى الأشعريّ.

النعمان بن بشير بن سعد:

قال ابن سعد[2]:النّعمان بن بشير بن سعد من بني الحارث بن الخزرج وأمّه عمرة بنت رواحة أخت عبد الله بن رواحة من بني الحارث بن الخزرج

---

[1] المعجم الكبير – الطبراني ج 3 ص 72

[2] الطبقات الكبرى لمحمّد بن سعد ج 6 ص 53

ويكنى النّعمانُ أبا عبد الله وكان أوّلَ مولود من الأنصار وُلد بالمدينة بعد هجرة النّبيّ صلى الله عليه وسلم ولد في شهرربيع الآخرعلى رأس أربعة عشرشهرا من هجرة النّبيّ صلى الله عليه وسلم هذا في رواية أهل المدينة وأمّا أهل الكوفة فيروُون عنه رواية كثيرةً يقولُ فيها سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم فدلّ على أنّه أكبرُ سنّاً مما روى أهلُ المدينة في مولده وكان وليَ الكوفةَ لمُعاويَة بن أبي سُفْيان وأقام بها وكان عثمانياً ثمّ عزلَه مُعاويَة بن أبي سُفْيان فصارإلى الشّام فلمّا مات يزيد بن مُعاويَة دعا النعمان لابن الزّبير وكان عاملاً على حمْص فلمّا قُتل الضّحّاكُ بن قيس بمرج راهط في ذي الحجّة سنة أربع وستّين في خلافة مَرْوان بن الحكم هرب النّعمان بن بشير من حمْص فطلبه أهْلُ حمص فأدركُوه فقتلُوه واحتزّوا رأسَه ووضعُوه في حجْر امرأته الكلبيّة.اهـ

و قال ابن سلام الجمحي في طبقات فحول الشعراء ج2 ص 463 كان النّعمان ذا منزلة من مُعاويَة.

ولم يتورّع عن هجاء عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال فيماروى ابن أبي الحديد [1]: وقد اعتورته الاعداء وهجته الشعراء ، فقال فيه النعمان بن بشير :

لقد طلب الخلافة من بعيد وسارع في الضلال أبو تراب

معاوية الإمام وأنت منها على وتح بمنقطع السراب

وقال لقيس بن سعد بن عبادة في صفين[2]:إنكم يا معشرالأنصارأخطأتم في خذل عثمان يوم الدار وقتلكم أنصاره يوم الجمل وإقحامكم على أهل الشأم

---

[1] شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج 13 ص 240

[2] جمهرة خطب العرب ج1 ص366

بصفّين فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّا كان هذا بهذا ولكنّكم خذلتم حقّا ونصرتم باطلاً..

ولا عجب من تخظئته الأنصار، لكن العجب من نسبته الخطأ إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله !فإنّه سماهم الناكثين والقاسطين.

بسر بن أرطاة الفهري:

قال الشّيخ محمّد عبده[1] بخصوص بسر :يقال بسربن أبي أرطاة وبسر بن أرطاة وهو عامريّ من بني عامر بن لؤي بن غالب سيّره مُعاويَة إلى الحجاز بعسكر كثيف فأراق دماء غزيرةً واستكْرهَ النّاسَ على البيْعة لمُعاويَة وفرّمن بين يديْه وإلى المدينة أبو أيّوب الأنصاريّ ثمّ توجه والياً على اليمن فتغلّب عليها وانتزعها من عبيد الله بن العبّاس وفرّعبيد الله ناجياً من شرّه فأتى بُسْر بيتَه فوجدَ له ولديْن صبيّيْن فذبَحهُما وباء بإثمهما قبّح الله القسوةَ وما تفعل ويُروى أنّهما ذُبحا في بني كنانة أخْوالهما وكان أبوهُما تركَهُما هناك وفي ذلك تقول زوجة عبيد الله :

يا من أحسّ بابنيّ اللّذين هُما * كالدّرتين تشظّى عنهما الصّدفُ

يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما * قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف

من ذلّ والهة حيرى مدلّهة * على صبيّين ذلاّ إذ غدا السّلف

خبّرت بُسْراً وما صدّقتُ ما زعمُوا * من إفْكهم ومن القولَ الذي اقْتَرفُوا

أنْحى على ودجيْ ابنيّ مُرهفة * مشحُوذةً وكذاك الإثْم يُقترَف

وتروى هذه الأبيات بروايات شتّى فيها تغْيير وزيادة ونقص.

---

[1] هامش ص63 من الجزء 1 من نهج البلاغة محمّد عبده

وقال ابن أبي الحديد[1]:قالوا: دعا عليّ عليه السلام على بُسْر فقال:اللهمّ إنّ بُسْراً باع دينَه بالدّنْيا،وانْتهكَ مَحارمك،وكانت طاعةُ مخلوق فاجر آثرَ عنْده ممّا عنْدك.اللهمّ فلا تُمتْه حتى تسلُبَه عقلَه،ولا تُوجب له رحمتَك ولا ساعةً من نهار،اللهم العنْ بُسراً وعمراً ومُعاويَةَ وليحلّ عليهم غضبُك[2]،ولتنزل بهم نقمتك وليصبهم بأسُك ورجزُك الذى لا تردّه عن القوم المجرمين.فلم يلبث بُسربعد ذلك إلاّ يسيراً حتّى وسوسَ وذهبَ عقلُه،فكان يهْذى بالسّيف،ويقول:اعطُوني سيفاً اقتلْ به،لا يزال يردّد ذلك حتى اتُّخذَ له سيفٌ من خشب،وكانوا يُدنون منه المرفَقة،فلا يزال يضربُها حتى يُغشى عليه،فلبث كذلك إلى أن مات .

وقال ابن حجر في ترجمة الأسود [3]: وقال الزّبير بن بكّار حدّثنا سُفْيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال بعث مُعاويَة بسربن أبي أرطاة إلى المدينة وأمره أن يستثيررجلاً من بني أسد يقال له الأسود بن فلان فلما دخل المسجد سدّ الأبواب وأراد قتلَهم حتّى نَهاه الأسود .اهـ

وفي التّاريخ الصغير للبخاري[4]: حدثني سعيد ... أبو نعيم وهب بن كيسان مولى الزّبير أنّه سمع جابربن عبد الله يقول قدم بسربن أرطاة المدينة زمان مُعاويَة فقال لا أبايع رجلاً من بنى سلمة حتى يأتي جابر فأتيتُ أمَّ سلَمةَ بنت أبي أُميّة زوج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقالت بايعْ فقد أمرتُ عبد الله بن زمعة ابن أخي أن يبايع على دمه وماله أنا أعلم أنّها بيعة ضلالة.اهـ

---

[1] شرح نهج البلاغة ج 2 ص 18

[2] فيه دليل على جواز لعن المذكورين بدون أيّ حرج، فإنّ عليّا عليه السلام أقضى الأمّة بعد النّبيّ (صلى الله عليه وآله فلو كان لعنُهم غير جائز لما أقدم عليه.

[3] الإصابة ـ ابن حجر ـ ج 1 ص 221

[4] التاريخ الصغير ـ البخاري ج1 ص 141

أقول:هذه أمّ سلمة المرأةُ الصّالحة تشهدُ على هذه البيعة أنّها بيعةُ ضلالة،فهل يكون المسلمون مُلزَمين ببيعة ضلالة؟وهل يقبل الله تعالى بيعة الضلالة؟وما هو موقف الذين يروون في صحاحهم" وكل ضلالة في النار"؟!

اختلفوا في وفاة بسرـ كما جرت العادة في الوفيات ـ فقيل: "مات أيّام معاوية قاله بن السّكن وقيل بقي إلى خلافة عبد الملك بن مروان وهوقول خليفة وبه جزَم ابن حبان وقيل مات في خلافة الوليد سنة ستّ وثمانين حكاه المسعودي ".[1]

أبو هُرَيْرَة الدوسي :

قال الذّهبيّ في تذكرة الحفاظ ج 1ص 36 : أخبرنا إبراهيم بن يوسف ... معمر عن محمّد بن زياد قال كان مُعاويَة يبعث أبا هُرَيْرَة على المدينة ، فإذا غضب عليه بعث مَرْوان وعزله فلم يلبث أن بعث أبا هُرَيْرَة ونزع مَرْوان، فقال لغلام أسود قف على الباب فلا تمنع إلا مَرْوان،ففعل الغلام ثم جاء مَرْوان نوبة فدخل وقال حُجبنا،قال:إن أحق من لا أنكرَهذا لأنت .اهـ

المغيرة بن شعبة الثقفي :

وهو رجل شهد عليه جماعة من الصحابة بالزنا،وشهد عليه عمر بن الخطاب بالفسق وجبهه بذلك،وكذلك فعَلَ أهل الكوفة،وقد ذكرتُ أخباره بالتفصيل في كتاب " قراءة في سلوك الصحابة " وأنا أعيد ذكربعض منها ههنا لمن لم يطّلع على الكتاب المذكور، كي لا يكون الكلام بلا دليل.ولأنّ قصة إسلام الصحابي تكشف عن جوانب من شخصيته إن كان إسلامه

---

[1] الإصابة ج1 ص289

عن طواعية ورغبة ،فإنّني أشيرإلى أنّ إسلام المغيرة بن شعبة لم يكن كذلك، ولو قلتُ أنّه عاش على غير الإيمان و مات على غيرالإيمان ما ظلمته،فإنّه كان ممّن شارك في الهجوم على بيت فاطمة بنت النّبيّ **عليه السلام** وخرج من الدّنيا مُصرِّاً على سبّ ولعن وشتم علي بن أبي طالب **عليه السلام**،وآية المنافق بُغض عليّ عليه السلام.

قصة إسلام المغيرة :

قال ابن سعد في الطبقات الكبرى ج4ص258 :.... محمّد بن يعقوب بن عتبة عن أبيه و غيرهم قالوا:قال المغيرة بن شعبة: كنا قوما من العرب متمسكين بديننا،ونحن سَدَنَة اللاّت **فأراني لو رأيت قومنا قد أسلموا ما تبعتهم [!]** فأجمع نفرٌمنْ بني مالك الوفود على المقوقس وأهدوا له هدايا فأجمعت الخروج معهم فاستشرت عمّي عُرْوة بن مسعود فنهاني وقال ليس معك من بني أبيك أحدٌ فأبيْتُ إلاّ الخروجَ فخرجتُ معهم وليس معهم من الأحلاف غيري حتى دخلـنا الإسكندريّة فإذا المُقوْقس في مجلس مطلّ على البحر فركبتُ زوْرقاً حتى حاذيْتُ مجلسَه فنظرَإليّ فأنكَرني وأمرَمَن يسألُني مَن أنا وما أريد فسألني المأمورفأخبرته بأمرنا وقُدومنا عليه فأمربنا أن نُنزَل في الكنيسة وأجرى علينا ضيافةً ثمّ دعا بنا فدخلنا عليه فنظرإلى رأس بني مالك فأدْناه إليه وأجلسَه معَه ثمّ سأله أكلّ القوم من بني مالك ؟ فقال نعم إلاّ رجلاً واحداً من الأحلاف فعرّفه إيّاي فكنت أهونَ القوم عليه ووضعوا هداياهم بين يديْه فسُرّبها وأمربقبضها وأمرلهم بجوائزوفضّل بعضهم على بعض وقصّرَبي فأعطاني شيئا قليلاً لا ذكْر له وخرجْنا فأقبلتْ بنو مالك يشترُون هدايا لأهليهم وهم مسرُورون و لم يَعرض عليّ رجل منهم مواساةً و خرجُوا وحملوا معهم الخمْروكانوا يشربُون وأشربُ معهُم وتأبى نفْسي تدعُني ينصرفُون إلى الطّائف بما أصابوا وما حباهم الملكُ ويُخبرون قومي

بتقصيره بي وازْدرَائه أيّاي فأجمعتُ على قتْلهم[!] فلمّا كنّا ببسا تمارضتُ وعصبْتُ رأسي فقالوا لي مالَك قلت أُصدَع فوضعُوا شرابَهم ودعَوْني فقلت رأسي يُصدع ولكنّي أجلسُ فأسقيكُم فلم يُنكروا شيئاً فجلستُ أسْقيهم وأشربُ القدحَ بعد القدح فلما دبّت الكأسُ فيهم اشتَهَوا الشّراب فجعلتُ أصرفُ لهمْ و أنزعُ الكأسَ فيشربون ولا يدْرُون فأهْمَدَتْهُم الكأس حتى ناموا ما يعْقلُون فوثبتُ إليهم فقتلتُهم جميعا وأخذتُ جميعَ ما كان معهُم فقدمتُ على النّبيّ صلى الله عليه وسلم فأجدُه جالساً في المسْجد مع أصْحابه وعليَّ ثيابُ سفَري فسلّمتُ بسلام الإسْلام فنظرَ إلى أبي بكربن أبي قُحافة و كان بي عارفاً فقال ابن أخي عُرْوة قلت نعم جئتُ أشهدُ أن لا إله إلا الله و أنّ محمّدا النّبيّ فقال النّبيّ صلى الله عليه و سلم الحمد لله الذي هداك للإسلام فقال أبو بكرأمنْ مصرأقبلتم؟قلت نعم قال فما فعل المالكيّون الذين كانوا معك؟ قلت كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشّرك فقتلتُهم وأخذتُ أسلابَهم وجئت بها إلى النّبيّ صلى الله عليه و سلم ليخمّسها[1] أويرى فيها رأيه فإنما هي غنيمة من مشركين وأنا مسلم مصدّق بمحمّد صلى الله عليه و سلم فقال النّبيّ صلى الله عليه و سلم أمّا إسلامك فقبلته ولا أخذ من أموالهم شيئا ولا أخمّسه لأنّ هذا غدْر والغدرلاخير فيه قال فأخذني ما قرُب وما بعُد وقلتُ يا نبيّ إنّما قتلتهم وأنا على دين قومي[!] ثم أسلمت حيث دخلت عليك الساعة قال فإن الإسْلام يجبّ ما كان قبله.....

هذه قصّة أسلام المغيرة بن شعبة،وقد اختصرها الصّنعاني في المُصنّف ج5ص299 ؛وقد ســمّى النّبيّ صلى الله عليه و سلم وآله فعلة المغيرة غدرا ولم يقبل

---

[1] هذا كلام جدير بالتأمّل فإنّ المغيرة قتل أصحابه غدراً وهو على الشرك ثم جاء يخمّس ما غنمه وهوعلى الشرك.وهو لم يأت في الحقيقة إلا لحقن دمه، ولهذا بقيت معالم الكفرواضحة في أقواله وأعماله.ومن المؤسف أنّ في بعض بلدان المسلمين مساجد كتب أعلى أبوابها " مسجد المغيرة بن شعبة ".

مالَه،لأنّ الإسْلام لا يقبلُ إلا طيّبا.وانظرإلى قلّة حيائه حين يقول " غنيمة من مشركين"وهوقد كان مشركاً حينَ قتلَهُم!

وروى الطّبريّ [1]أنّ مُعاويَة بن أبى سُفْيان لمّا ولّى المغيرة بن شعبة الكوفة في جمادى سنة 41 دعاه فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال أمّا بعد فإنّ لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا وقد قال المتلمّس لذى الحلم قبل اليوم ما تقرع العصا**وما علم الإنسان إلا ليعلما وقد يجزى عنك الحكيم بغيرالتعلّم وقد أردتُ إيصاءَك بأشياء كثيرة فأنا تاركُها اعتماداً على بصرك بما يُرضينى ويُسعد سُلطاني ويصلح به رعيتي ولست تاركاً إيصاءَك بخصلة لا تتحمّ عن شتْم عليّ وذمّه والترحّم على عثمان والاستغفارله والعيب على أصحاب عليّ والإقصاء لهم وترك الاستماع منهم وبإطراء شيعة عثمان رضوان الله عليه و الإدناء لهم و السّماع منهم. فقال المغيرة قد جرّبت وجرّبت وعملتُ قبلَك لغيرك فلم يذممْ بى دفْع ولا رفْع ولا وضْع فستبْلُو فتحمد أو تذمّ ثمّ قال بل نحمد إن شاء الله .

وذكر الطّبريّ أيضاً في تاريخه عند ذكره أحداث سنة 17 ما يلي [2]:

[....فاجتمع إلى أبي بكرة نفر يتحدّثون في مشربته فهبّتْ ريحٌ ففتحتْ باب الكوّة فقام أبو بكرة ليصفقَه فبصُر بالمغيرة وقد فتحت الرّيح باب كوّة مشربته وهو بين رجلي امرأة فقال للنّفر قوموا فانظروا فقاموا فنظروا ثمّ قال اشهدوا قالوا ومن هذه قال أمّ جميل ابنة الأفقم وكانت أمّ جميل إحدى بني عامر بن صعصعة و كانت غاشية للمغيرة وتغشى الأمراء والأشراف ....

---

[1] تاريخ الطبري ج 4 ص 188

[2] تاريخ الطبري ج 2 ص 493

قال الجوهري [1]: وكانت الرّقطاء التي رمي بها المغيرة تختلف إليه في أيّام إمارته الكوفة،في خلافة مُعاويَة في حوائجها فيقضيها لها..وكانت الرّقطاء هذه مغنّية من أضرب النّاس على آلات اللّهو والطّرب،[وقال حسّان بن ثابت يهجو المغيرة بن شعبة في هذه القصّة :

لو أنّ اللّؤم يُنسب كان عبداً   قبيح الوجْه أعود من ثقيف
تركت الدّيــن والإسْلام لمّا   بدت لك غدوة ذات النّصيف
وراجعت الصّبا وذكرت لهواً   من القينات والعمر اللّطيف

والقصة ذكرها البلاذري في الفتوح[2].

وقال ابن كثير في البداية و النهاية ج8ص41 : ...وقال ابن وهب سمعت مالكاً يقول كان المغيرة بن شعبة يقول:صاحب المرأة الواحدة يحيض معها ويمرض معها،وصاحب المرأتين بين نارين تشتعلان وصاحب الأربع قرير العيْن،وكان يتزوّج أربعاً معاً ويطلّقهنّ معاً،وقال عبد الله بن نافع الصائغ أحصنَ المغيرة ثلاثمائة امرأة.وقال غيره ألف امرأة.وقيل مئة امرأة وقيل ثمانين امرأة !

و من كلام الحسن بن عليّ عليهما السلام في جمهرة خطب العرب[3]يردّ على المغيرة بن شعبة في مجلس مُعاويَة:وإنّ حدّ الله في الزّنا لثابتٌ عليك ولقد درأ عُمرعنك حقّاً اللهُ سائلُه عنه،ولقد سألتَ النّبيّ صلى الله عليه وآله هلْ ينظرُ

---

[1] السقيفة وفدك- الجوهري ــ ص 95-96
[2] فتوح البلدان ــ البلاذري ــ ج 2 ص 423
[3] جمهرة خطب العرب ج2ص22

الرّجل إلى المرأة يريدُ أن يتزوّجها فقال لا بأس بذلك يا مغيرةُ ما لم يَنْو الزّنا لعلْمه بأنّك زان!

وفي سيرأعلام النبلاء ج 3ص31:عاصم الأحول،عن بكربن عبدالله،عن المغيرة بن شعبة قال:لقد تزوّجتُ سبعين امرأة أوأكثر.أبوإسحاق الطالقانيّ: حدّثناابن المبارك قال:كان تحت المغيرة بن شعبة أربعُ نسوة.قال:فصفّهنّ بين يديْه وقال:أنتنّ حسناتُ الأخلاق،طويلات الأعناق،ولكنّي رجل مطلاق ، فأنتنّ الطّلاق!

و فيه أيضاً[1]: قال ابن شوذب:أحصن المغيرة أربعا من بنات أبي سفْيان،وكان آخرمَن تزوّج منهنّ بها عَرَج.

و في جمهرة خطب العرب ج2 ص22: تكلّمَ المغيرة بن شعبة فشتم عليّاً وقال والله ما أعيبُه فى قضيّة يخون ولا فى حُكم يَميل ولكنّه قتل عُثمان.اهــ

وقال ابن حجر في الإصابة ج 6 ص157 : قال البغويّ حدّثني حمزة ... عن المطّلب بن حنطب قال قال المغيرة أنا أوّل من رشا في الإسْلام جئت إلى يرفأ حاجب عمروكنت أجالسه فقلت له خذ هذه العمامة فالبسْها فإنّ عندي أختَها فكان يأنَس بي ويأذَن لي أن أجلس من داخل الباب فكنت آتي فأجلس في القائلة فيمرّالمارّ فيقول إنّ للمغيرة عند عمر منزلة إنّه ليدخل عليه في ساعة لا يدخل فيها أحد(أهــ).

وفي أسد الغابة ج4ص407 ــ في ترجمة المغيرة ــ : وهوأوّل من وضع ديوان البصرة وأوّل من رشا في الإسْلام.أعطى برقا] وفي تاريخ

---

[1] سير أعلام النبلاء – الذّهبيّ ــ ج 3 ص 30

دمشق ج60 ص18 يرفأ] حاجب عمر شيئا حتى أدخله على دارعمر. (انتهى)

وفي سير أعلام النبلاء ج1ص**105**: خطب المغيرة فـنال من علي.....

و أيضا ص**103** : ...أنّ المغيرة كان في المسجد الأكبروعنده أهل الكوفة فجاء رجل من أهل الكوفة فاستقبلَ المغيرة فسبّ و سبّ فقال سعيد بن زيد من يسبّ هذا يا مُغيرة قال:يسبّ عليّ بن أبي طالب...

وللمغيرة أخبارعجيبة مذكورة في كتب التّاريخ والأدب، يأبى المقلّدة إلاّ أن يجعلوا منها مفاخر لأهل ذلك الزمان، حتّى الدهاء مفخرة،والاحتيال على الضعفاء والبسطاء مفخرة،ولله في خلقه شؤون،وقد خصصت فصلا كاملا للمغيرة في كتاب "**قراء في سلوك الصّحابة** "،لمن أن يعرف عنه أكثر[1].

أبو موسى الأشعري :

وكثير من الناس يعدّونه في أصحاب علي عليه السلام وليس كذلك،فإن اختياره للتحكيم لم يكن من قبل علي **عليه السلام**،بل كان يتّهمه،وقَنتَ بلعْنه فيمابعد،وإنّما يرجع أمراختياره إلى الأِشعث بن قيس الكنديّ،وقد صرّحوا أنّه كان واجداً على علي عليه السلام،وكان يريد أن يعيد الخلافة في آل الخطّاب في رجل لم يُحسن طلاقَ امرأته وبايعَ يزيدَ والحجاجَ وخذّل النّاس وثبّطهم عن بيعة علي بن أبي طالب **عليه السّلام**، فإن صحّت نسبة الكلمات التالية إلى مُعاويَة فإنها تكون كاشفة عن مودّة وثيقة بين أبي موسى الأشعريّ ومُعاويَة.

---

[1] طالع "**قراءة في سلوك الصحابة**" الصفحة163إلى الصفحة 225.

وذكر ابن أبي عاصم[1]:[..] عن أبي بردة قال دخلتُ على مُعاويَة وبه قَرْحَتُه التي ماتَ فيها فقال يا بن أخي أُدْنُ فانظر فرأيتُها مبسورة فدعا يزيد فقال إنّ أباهذا كان لي أخاً فاستوْص به خيراً **فإنّ أباه كان لي أخاً** غيرأنّي وإياه اختلفْنا فرأيتُ القتالَ ولم يَرَهُ . (انتهى)

وقد طمع فيه معاوية وأرسل إليه واعتنى بولده أيّام دولته؛قال ابن سعد[2]: أخبرنا عفّان[..]عن حميد بن هلال عن أبي بردة قال قال أبو موسى كتب اليّ مُعاويَة سلام عليك أما بعد فإنّ عمرو بن العاص قد بايعني على الذي قد بايعني عليه وأقْسم بالله لئن بايعتَني على ما بايعني عليه لأبعثنّ ابنيْك أحَدهما على البصرة والآخرعلى الكوفة،ولا يُغلق دونك باب ولا تقضى دونك حاجة!وإنّي كتبتُ إليك بخطّ يدي فاكتبْ إليّ بخطّ يدك فقال يا بنيّ إنّما تعلّمت المعجم بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال وكتب إليه مثلَ العقارب أمّا بعد فإنّك كتبتَ إليّ في جسيم أمرأمّة محمّد صلى الله عليه و سلم لا حاجة لي فيما عرضتَ عليّ قال فلمّا وليَ أتيتُه فلم يُغلقْ دوني باب ولم تكن لي حاجة إلاّ قُضيت(اهـ).

سُفْيان بن عوف الغامدي :

سُفْيان بن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن من أزد شنوءة بعثَه مُعاويَة لشنّ الغارات على أطراف العراق تهويلاً على أهْله(اهـ). [3]

---

[1] الآحاد والمثاني ــ ابن أبي عاصم ــ ج1 ص380تحت رقم (517)

[2] الطبقات الكبرى ــ محمّد بن سعد ــ ج 4 ص 111

[3] كذا في نهج البلاغة. وقد اختلفوا في سنة وفاته، قال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق - ج 21 ص 352 : [أبو عبيد القاسم بن سلام قال سنة اثنتين وخمسين فيها توفي سفيان بن عوف الأزدي مات شاتيا بالروم وذكر الواقدي أنه توفي سنة أربع وخمسين فالله أعلم أخبرنا أبو بكر محمد بن شجاع اللفتواني في كتابه أنا أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحسن أنا أبو بكر أحمد بن الفضل الباطرقاني أنا أبو عبد الله محمد

عبد الله ين عمرو بن العاص :

وهذا الرّجل وإن لم يكن على طريقة المغيرة بن شعبة والوليد بن عثبة بن أبي معيط،إلاّ أنّه أطاع أباه في معصية الله تعالى،وحارب إمام زمانه[1] وضمّ صوته إلى أصوات أهل الباطل،وذكرهو بنفسه ماهو حُجّة عليه.قال ابن كثيرفي البداية والنهاية ج2 ص186:وقال الإمام أحمد: حدّثنا أبو مُعاويَة[..]عن عبد الرحمن،أنّ عبد ربّ الكعبة قال:انتهيت إلى عبد الله بن عمرو،وهوجالس في ظلّ الكعبة فسمعته يقول:بينا نحن مع النّبيّ صلى الله عليه و سلم في سفرإذ نزل منزلاً فمنّا مَن يضرب خباءَه،ومنّا من هوفي جشرة[2]،ومنّا من ينتضل إذ نادى مناديه:الصلاة جامعة قال فاجتمعنا قال فقام النّبيّ صلى الله عليه و سلم فخطبنا فقال:" إنّه لم يكن نبيّ قبلي إلاّ دلّ أمّته على خير ما يعلمه لهم،وحذّرهم ما يعلمه شرّاً لهم،وإنّ أمّتكم هذه جُعلت عافيتها في أوّلها،وإنّ آخرها سيصيبها بلاء شديد وأموريُنكرونها تجئ فتن يريق بعضها بعضا،تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي.ثمّ تنكشف ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه ثم تنكشف فمن سرّه منكم أن يزحزح عن النّاروأن يدخل الجنّة فلتدركه موتته وهو مؤمن بالله واليوم الآخروليأت إلى النّاس الذي يحبّ أن يؤتى إليه،ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فإن جاء آخرينازعه فاضربوا عنق الآخر".قال فأدخلت رأسي من بين النّاس

بن إسحاق بن مندة أنا أبو سعيد عبد الرحمن بن أحمد بن يونس قال سفيان بن عوف الأزدي قتل بأرض الروم سنة خمس وخمسين وكذا قال ابن يونس وقول من قال إنه مات أصح والله أعلم.] وجزع معاوية لموته.

[1] أقول " إمام زمانه " وفق ما تذهب إليه مدرسة الخلفاء، فإنّ الإمام عليّاً عليه السلام بايعه المهاجرون والأنصار طائعين غير مكرهين.

[2] قال ابن منظور في لسان العرب ج 4 ص 137 : جشر : الجشر : بقل الربيع وأورد عبارة الحديث.

فقلت أنشدك بالله أنت سمعت هذا من النّبيّ صلى الله عليه و سلم قال فأشاربيده إلى أذنيه وقال:سمعته أذناي،ووعاه قلبي.قال:فقلت هذا ابن عمّك ــ يعني مُعاويَة ــ يأمرُنا أن نأكل أموالَنا بيننا بالباطل،وأن نقتل أنفسنا وقد قال الله تعالى:(ياأيها الذين آمنوا لاتأكلوا أموالكم بينكم بالباطل)[1]قال فجمع يديه فوضعهما على جبهته ثم نكس هنيهة. ثمّ رفع رأسه فقال أطعه في طاعة الله واعصه في معصية الله.ورواه أحمد أيضا عن وكيع عن الأعمش به وقال فيه أيّها الناس إنّه لم يكن نبيّ قبلي إلاّ كان حقّاً عليه أن يدلّ أمّته على ما يعلمه خيرا لهم وينذرهم ما يعلمه شرّاً لهم وذكر تمامه بنحوه.وهكذا رواه مسلم وأبو داود والنّسائي وابن ماجه من طرق عن الأعمش به ورواه مسلم أيضاً من حديث الشّعبيّ عن عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة عن عبد الله بن عمر عن صلى الله عليه و سلم بنحوه.اهـ

والطريف في القصة أنّ عبد الله بن عمرولم ينكرعلى عبد ربّ الكعبة ما قاله عن معاوية،ولعلّه خشي أن يكون من عناصر جهازالأمن السرّيّ التابع لمعاوية،وإلاّ فلمَ نكس هنيهةً والسؤال واضح؟!

وقد أقرّ مُعاويَة عبد الله بن عمروبن العاص بعد وفاة أبيه على القاعدة الجارية التي يلتزم بها كل من يلي لمُعاويَة أمرا،والمتمثلة في سبّ ولعن عليّ بن أبي طالب في الجمعة وغيرها من المناسبات.وكان له نصيبه من تسريب إسرائيليات كعب الأحبار إلى تراث المسلمين،وهوصحابيّ ابن صحابيّ!

زياد بن أبيه :

---

[1] النساء : 29

والمفروض أن كلّ إنسان ابنُ أبيه،لكن زياداً يختلف عن غيره في كونه دُعيَ إلى أكثرمن أب.وقد نزل قرآن يحرّم التبنّي ويقول بصراحة "ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله "غيرأنّ مُعاويَة لا يبالي بالقرآن الكريم حينما يعارض مصلحته،لذلك سارع إلى إلحاق زياد بن عبيد بأبي سُفْيان صخربن حرب،ووقعت جرّاء ذلك فضائح وقضايا لم يستطع تداركَها مُعاويَةُ ولا غيره،بل إن أشد الناس ميلاً إلى مُعاويَة لا يستطيع الدّفاع عنه في هذه المسألة إلاّ أن يكفُر بالقرآن الكريم.والمعلوم بالوجدان أنّ المرء لا يحبّ أنْ يُنسَب إلى غيرأبيه كما أنّه لا يحبّ أن يعيّرَ أحدٌ أباه بالزّنا لأنّه أمرٌ ممقوت من كلّ الوجوه،لكنّ مُعاويَة لم يبال بذلك واستلحقَ زياداً وأقرّعلى أبيه أبي سُفْيان بالزنا وأقرّ زياد على أمّه سميّة بالزّنا وهذا أبعدُ ما يُتصوّر من العُقوق،لأنّ الله تعالى قد أمر بالإحسان إلى الوالدين.وزياد هذا هوأوّل من ألّف في مثالب العرب؛قال ابن النديم[1]:" قال محمّد بن إسحاق قرأت بخطّ أبي الحسن بن الكوفيّ أوّل من ألّف في المثالب كتاباً زيادُ بنُ أبيه فإنّه لمّا ظَفرَ عليْه وعلى نَسَبه عملَ ذلك ودفعَهُ إلى ولده وقال استظْهرُوا به على العَرب فإنّهم يكُفّون عنكم "(اهـ).وقال نعيم بن حماد في كتاب الفتن ص131:[..]ثمّ إنّ مَرْوان ردّعبد الملك إلى مُعاويَة في حاجته فلما أدبرعبد الملك قال مُعاويَة أنشدك بالله يابن عبّاس أما تعلم أنّ النّبيّ صلى الله عليه و سلم ذكرهذا فقال أبو الجبَابرَة الأربعة قال اللّهم نعم فعنْد ذلك ادَّعَى مُعاويَةَ زيادَ بنَ عُبَيْد.اهـ

سمرة بن جندب :

---

[1] الفهرست ــ ابن النديم ــ ج1ص131

صاحب حديث "خير القرون" كما في تاريخ بغداد[1]،وقد كان في خاتمته آيةٌ للمُتدبّرين؛ قال ابن سعد[2]:كان له حلف في الأنصاروصحب النبي صلى الله عليه وسلم وكان زياد بن أبي سفيان يستعمله على البصرة إذا قدم الكوفة.قال أخبرنا وهب بن جرير بن حازم أراه عن أبيه قال سمعت أبا يزيد المديني قال لمّا مرض سمرة بن جندب مرضه الذي مات فيه أصابه برد شديدٌ فأوقدت له نارفجعل كانوناً بين يديْه وكانوناً خلفه وكانوناً عن يمينه وكانوناً عن يساره قال فجعل لا ينتفع بذلك ويقول كيف أصنع بما في جوفي فلم يزل كذلك حتى مات (اهـ). وسمرة آحد الذين قال لهم النبي صلى الله عليه وآله" آخركم موتاً في النار"،وكان آخرهم موتاً،لذلك تمحّل له ابن حجر العسقلانيّ وابن عبد البرّ لصرف الحديث عن معناه.[3]

وأما أنصارمُعاويَة العوامّ فقد جاء في وصفهم ما ذكره ابن قيم الجوزية قال[4]:ذكر الحافظ أبو القاسم بن عساكر رحمه الله تعالى في تاريخه عن هشام بن سعد قال قدم عبد الله بن الكوا على مُعاويَة فقال له أخبرني عن أهل البصرة قال يقاتلون معا ويدبرون شتى قال فأخبرني عن أهل الكوفة قال

---

[1] حديث خير القرون عن سمرة في تاريخ بغداد ج 5 ص 344

[2] الطبقات الكبرى – محمد بن سعد ج 6 ص 34

[3] الحديث في المعتصر من المختصر من مشكل الآثار لأبي المحاسن الحنفي ج2ص370 عالم الكتب بيروت ، مكتبة المتنبي القاهرة و : التاريخ الصغير البخاري ج1ص106 دار الوعي ،حلب مكتبة دار التراث القاهرة \ 1397 – 1977 تحقيق محمود إبراهيم زايد و لسان الميزان ــ بن حجر أ العسقلاني ــ ج7ص12 مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت 1406 – 1986 تحقيق دائرة المعرف النظامية – الهند – تهذيب التهذيب ابن حجر ج4ص207 العسقلاني دار الفكر بيروت – 1984 علل الحديث: عبد الرحمن بن محمد الرازي (ابن أبي حاتم ج1ص351 دار المعرفة بيرو ت 1405تحقيق : محب الدين الخطيب

[4] اجتماع الجيوش الإسلاميّة ــ ابن قيم الجوزية ــ ج1ص 70

أنظر الناس في صغيرة وأوقعهم في كبيرة قال فأخبرني عن أهل المدينة قال أحرص الناس على الفتنة وأعجزهم عنها قال فأخبرني عن أهل الموصل قال قلادة وليدة فيها من كل شيء خرزة قال فأخبرني عن أهل مصرقال لقمة آكل قال فأخبرني عن أهل الجزيرة قال كناسة بين مدينتين قال فأخبرني عن أهل الشام قال جند أمير المؤمنين لا أقول فيهم شيئا قال لتقولنّ قال أطوع النّاس لمخلوق وأعصاهم لخالق ولا يحسبون للسّماء ساكناً.

الفصل الرابع

أخبار مُعاويَة بن أبي سُفْيان

أخبار مُعاويَة بن أبي سُفْيان :

1- دعاء النّبيّ (صلى الله عليه وآله)على مُعاويَة :

قال ابن كثيرفي البداية والنهاية ج 6ص189: ثبت في صحيح مسلم من حديث شعبة عن أبي حمزة عن ابن عبّاس قال:كنت ألعب مع الغلمان فجاء النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فاختبأت منه،فجاءني فحطاني حطوة أوحطوتين وأرسلني إلى مُعاويَة في حاجة،فأتيته وهويأكل،فقلت:أتيته وهو يأكل،فأرسلني الثانية فأتيته وهو يأكل،فقلت:أتيته وهويأكل،فقال:لاأشبع الله بطنه * وقد روى البيْهقيّ [..]عن أبي حمزة،سمعت ابن عبّاس قال:كنت ألعب مع الغلمان فإذا النّبيّ قد جاء فقلت:ما جاء إلاّ إليّ،فذهبت فاختبأْتُ على باب،فجاء فحطاني حطْوة وقال:اذهبْ فادْعُ لي مُعاويَة ــ وكان يكتب الوحي ــ قال:فذهبْت فدعوْتُه له فقيل:إنّه يأْكل،فأتيْتُ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقلت:إنّه يأكل،فقال:اذهبْ فادْعُه لي،فأتيتُه الثّانية،فقيل إنّه يأكل،فأتيْتُ النّبيّ فأخبرتُه فقال في الثانية:لا أشبعَ الله بطنَه،قال:فما شبعَ بعدها،قلتُ[أي ابنُ كثير]:وقدْ كانَ مُعاويَةُ رضي الله عنه لا يشبعُ بعدَها،ووافقتْه هذه الدّعوة في أيّام إمارته،فيقال إنّه كان يأكلُ في اليوم سبْعَ مرّات طعاماً بلحْم،وكان يقول:والله لا أشبع وإنما أعيى (انتهى).

نعم،انتهى كلام ابن كثيرولا بدّ من التّعليق عليه مرة أخرى،فإنّ الرجل يقول عن معاوية"وافقته الدعوة في أيّام إمارته "أي أنّه انتَفع بدعاء النّبيّ صلى الله عليه وآله !والرّجلُ لم يكنْ يشْبع!وهل ينتفع ابْن أنْثى بعدم الشبع؟!ماذا كان يريد معاوية بالأكل سبع مرّات في اليوم؟ ألم يكن يطلب الشّبع؟ ومن الشّقاء أن يكون الإنسان مبسوط اليد متمكّناً من شرق الأرض وغربها ومع ذلك لا ينال شبعة واحدة !

على أنّ هذا الموقف من ابن كثيرلم ينفع معاوية لدى العرب،فإنّه صار مضرب المثل عندهم لمن يأكل ولا يشبع.قال بعض الظرفاء:

وصاحب لي بطنه كالهاويه **** كأن في أمعائه معاويه

قال ابن أبي الحديد [1]: لما بُويع عليّ عليه السلام كتب إلى مُعاويَة:أما بعد فإنّ النّاس قتلوا عثمان عن غيرمشورة منّي وبايعوني عن مشورة منهم واجتماع،فإذا أتاك كتابي فبايع لي،وأوفد إليّ أشراف أهل الشام قبلك.فلمّا قدم رسوله على مُعاويَة،وقرأ كتابه،بعث رجلا من بني عميس،وكتب معه كتابا إلى الزبيربن العوام،وفيه:بسم الله الرحمن الرحيم،لعبد الله الزبير أمير المؤمنين من مُعاويَة بن أبى سُفْيان:سلام عليك،أما بعد،فإنّي قد بايعت لك أهل الشّام،فأجابوا واستَوْسقوا،كما يستَوْسق الجلب،فدونك الكوفة والبصْرة،لا يسْبقك إليها ابن أبي طالب،فإنّه لا شيء بعد هذين المصْرين،وقد بايعت لطلحة بن عبيد الله من بعدك،فأظْهرَا الطّلبَ بدم عثمان وادعُوَا النّاس إلى ذلك،وليكنْ منكما الجدّ والتّشمير،أظفركما الله،وخذلَ مُناوئكما!فلما وصل هذا الكتاب إلى الزّبيرسُرّ به،وأعْلَمَ به طلحة وأقرأه إيّاه،فلم يشكّا في النّصْح لهُما من قبَل مُعاوية،وأجْمعا عنْد ذلك على خلاف عليّ عليه السلام(اهـ).

ويؤكّد وقوعَ ذلك ما جاء في خطبة من خطب الإمام عليّ عليه السلام حيث يقول بشأن طلحة والزّبير [2]:ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكروعُمروبغْيهما عليّ!هُما يعلمان أنّي لست دُون أحدهما،ولوْ شئْت أنْ أقولَ لقلْت،ولقد كان مُعاويَة كتب إليهما من الشّام كتابا يخْدعُهما فيه،فكتماه عنّي،وخرجا يُوهمان الطّغام أنّهما يطلبان بدم عثمان،والله ما أنْكَرا عليّ مُنْكراً،ولا جعلا بيني

[1] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 1ص 230

[2] شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج 1ص 310

وبيْنهم نَصَفاً،وإنّ دم عثْمان لمعصوبٌ بهما،ومطلوبٌ منهما.يا خيبةَ الدّاعي!إلام دعا!وبما ذا أُجيب؟والله إنّهما لعلى ضلالة صمّاء،وجهالة عمياء،وإنّ الشّيطان قد ذمرلهما حزْبه،واستجْلب منْهما خيْله ورجلَه،ليعيد الجوْرإلى أوْطانه،ويرد الباطل إلى نصابه.ثمّ رفع يديه،فقال:اللهمّ إنّ طلْحة والزّبيرقطعاني،وظلماني،وألّبا عليّ،ونكثا بيْعتي،فاحلُلْ ماعقدا،وانكثْ ماأبْرَما،ولاتغْفرلهُماأبداً،وأرهما المساءةَ فيما عَملا وأَملا !

و في تاريخ الخلفاء للسّيوطيّ ج1ص202 :أخرج ابن أبي الدّنْيا وابن عساكر عن جبلة بن سحيم قال دخلتُ على مُعاويَة بن أبي سُفْيان وهو في خلافته وفي عنقه حبْلٌ وصبيّ يقودُه فقلت له يا أمير المؤمنين أتفْعل هذا قال يالكَع أسْكتْ فإنّي سمعْتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقولُ مَنْ كان له صبيّ فليتصابَ له قال ابن عساكر غريبٌ جدّاً.وأخرجَ ابنُ أبي شيبة في المُصنّف عن الشعبي قال دخل شابٌ من قُريْش على مُعاويَة فأغلظ عليْه فقال له ياابْن أخي أنْهاك عن السّلطان إنّ السلطان يغْضب غضب الصّبيّ ويأْخذ أخْذ الأسد.وأخْرج عن الشعبيّ قال قال زياد استعْملت رجلاً فكثُر خراجه فخشي أن أعاقبَه ففرّإلى مُعاويَة فكتبت إليه إنّ هذا أدب سوء لمن قبَلي فكتب إليّ إنّه ليْس يبْقى لي ولا لك أنْ نسُوس النّاس بسياسة واحدَة أنْ نَلين جميعاً فتمْرحَ النّاس في المعْصية أو نشْتدّ جميعاً فنحملَ النّاس على المهالك ولكنْ تكونُ للشّدّة والفظاظة وأكُون للّين والرّأفة.وأخرج عن الشّعبي قال سمعتُ مُعاويَة يقولُ ماتفرّقتْ أمّةٌ قطّ إلاّ ظهَرأهلُ الباطل على أهْل الحقّ إلاّ هذه الأمة [!].وفي الطّيوريات عن سليمان المخزوميّ قال أذنَ مُعاويَة للنّاس إذناً عامّاً فلمّا احتفلَ المجْلس قال أنْشدوني ثلاثةَ أبْيات لرجل من العرب كلّ بيْت قائمٌ بمعْناه فسكتُوا ثمّ طلع عبد الله بن الزبير فقال هذا مقْوَال العرب وعلاّمتُها أبو خُبيْب قال مَهْيم قال أنشدْني ثلاثةَ أبيات لرجل من العرب كلُّ بيْت قائم بمعْناه

قال بثلاث مائة ألف قال وتساوي قال أنْت بالخيار وأنت واف كاف قال هات فأنشده للأفْوَه الأوديّ قال: بلوت الناس قرنا بعد قرن** فلم أر غير ختّال وقال ــ قال صدق هيه قال: ولم أر في الخُطوب أشدّ وقْعاً** وأصْعبَ من مُعاداة الرّجال ــ قال صدق هيه قال :وذقتُ مرارة الأشْياء طُرّاً **فما طعمٌ أمَرّ من السّؤال ــ قال صدق؛ ثم أمرَ له بثلثمائة ألف .وأخرج البخاريّ والنسائيّ وابنُ أبي حاتم في تفْسيره واللّفظ له من طرق أنّ مَرْوان خطب بالمدينة وهو على الحجاز من قبَل مُعاويَة فقال إنّ الله قد أرى أميرالمؤمنين في ولده يزيد رأياً حسناً وإنْ يستخلفْه فقد استخلفَ أبو بكْروعُمر.وفي لفظ سنّة أبي بكروعُمرفقال عبد الرحمن بن أبي بكر سنّة هرقْل وقيْصرإنّ أبا بكْروالله ما جعلَها في أحَد من ولده ولا أحد من أهل بيته ولا جعلها مُعاويَة إلا رحْمةً وكرامةً لولَده فقال مَرْوانُ ألستَ الذي قال لوالدَيْه أفٍّ لكما فقال عبد الرحمن ألستَ ابنَ اللّعين الذي لعنَ أباك النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقالتْ عائشة رضي الله عنها كذبَ مَرْوانُ ما فيه نزلتْ ولكنْ نزلتْ في فلان بن فلان[1] ولكنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم لعنَ أبا مَرْوان ومَرْوانُ في صلبه فمَرْوانُ بعضُ مَن لعنه الله.وأخرج ابن ابي شيبة في المُصنّف عن عُرْوة قال قال مُعاويَة لا حلْم إلا التّجارب.وأخرج ابن عساكر عن الشعبي قال دُهاة العرب أربعة مُعاويَة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وزياد فأما مُعاويَة فللحلْم والأناة وأمّا عمرو فللمعْضلات وأما المُغيرة فللمُبادَهة وأمّا زياد فللكبير والصغير.وأخرج أيضاً عنه قال كان القضاةُ أربعةً والدهاةُ أربعة فأمّا القضاة فعمر وعليّ وابن مسعود وزيد بن ثابت وأمّا الدّهاة فمُعاويَة وعمرو بن العاص والمغيرة وزياد .وأخرج عن قبيصة بن جابر قال صحبْتُ عمر بن الخطاب فما رأيت رجلاً

---

[1] من هو فلان بن فلان يا أمّ المؤمنين ؟!!

أقرأ لكتاب الله ولا أفقهَ في دين الله منه وصحبت طلحة بن عبيد الله فما رأيت رجلاً أعطى لجزيل مال من غير مسألة منه وصحبت مُعاويَة فما رأيت رجلاً أثقل حلما ولا أبطأ جهلاً ولا أبعد أناةً منه وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت رجلا أنصع طرفا ولا أحْلم جليسا منه وصحبت المغيرة بن شعبة فلوْ أنّ مدينة لها ثمانية أبواب لا يخرج من باب منها إلا بمكر لخرج من أبوابها كلّها.وأخرج ابن عساكر عن حميد بن هلال أنّ عقيل بن أبي طالب سأل علياً فقال إني محتاج وإني فقير فأعطني فقال اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين فأعطيك معهم فألحّ عليه فقال لرجُل خذ بيده وانطلق به إلى حوانيت أهل السوق فقل دقّ هذه الأقْفال وخذْ ما في هذه الحوانيت قال تريد أنْ تتّخذني سارقاً قال وأنْت تريد أنْ تتّخذني سارقاً أنْ آخذَ أموال المسلمين فأعطيكَها دُونهم قال لآتينّ مُعاويَة قال أنت وذاك فأتى مُعاويَة فسأله فأعطاه مائة ألف ثمّ قال اصعد على المنبر فاذكر ما أولاك به عليّ وما أوليتُك فصعد فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيّها الناس إنّي أخبركم أني أردت علياً على دينه فاختار دينَه وأنّي أردتُ مُعاويَةعلى دينه فاختارني على دينه. وأخرج ابن عساكر عن جعفر بن محمّد عن أبيه أنّ عقيلا دخل على مُعاويَة فقال مُعاويَة هذا عقيل وعمّه أبو لهب فقال عقيل هذا مُعاويَة وعمته حمالة الحطب.وأخرج ابن عساكرعن الأوزاعي قال دخل خريم بن فاتك على معاوية ومئزره مشمّر وكان حسن الساقين فقال مُعاويَة لو كانتْ هاتان السّاقان لأمرأة فقال خريم في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين.ودخل عقيل على مُعاويَة وقد كفّ بصره فأجلسه معه على سريره ثمّ قال له أنتم معشر بني هاشم تُصابون في أبْصاركم فقال له عقيل وأنْتم معشر بني أُميّة تصابون

في بصائركم[1].وقيل اجتمعت بنو هاشم يوما عند مُعاويَة فأقبل عليهم وقال يا بني هاشم إنّ خيري لكم لممنوح وإنّ بابي لكم لمفتوح فلا يقطع خيري عنكم ولا يرد بأبي دونكم ولما نظرت في أمري وأمركم رأيت أمراً مختلفا إنكم ترون أنّكم أحقّ بما في يدي منّي وإذا أعطيتكم عطيّة فيها قضاء حقوقكم قلتم أعطانا دون حقّنا وقصّر بنا عن قدرنا فصرت كالمسلوب والمسلوب لا حمد له هذا مع إنصاف قائلكم وإسعاف سائلكم قال فاقبل عليه ابن عبّاس رضي الله عنهما فقال والله ما منحتنا شيئا حتى سألناه ولا فتحت لنا بابا حتى قرعناه ولئن قطعت عنّا خيرك فخيرالله أوسع منك ولئن أغلقت دوننا بابا لنكففن أنفسنا عنك وأما هذا المال فليس لك منه إلا ما للرجل من المسلمين ولولا حقّنا في هذا المال لم يأتك منّا زائر يحمله خفّ ولا حافر أكفاك أم أزيدك قال كفاني يا ابن عبّاس؛ وقال مُعاويَة يومها أيّها النّاس إنّ الله حبا قُريْش بثلاث فقال لنبيّه وأنذرعشيرتك الأقربين ونحن عشيرته الأقربون وقال تعالى وإنه لذكرلك ولقومك ونحن قومه وقال لإ يلاف قُريْش إيلافهم ونحن قُريْش فأجابه رجل من الأنصارفقال على رسلك يا مُعاويَة فإن الله تعالى يقول وكذّب به قومك وهوالحقّ وأنتم قومه وقال تعالى ولمّا ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدّون وأنتم قومه وقال تعالى وقال الرسول يا ربّ إنّ قومي اتّخذوا هذا القرآن مهجورا وأنتم قومه ثلاثة بثلاثة ولوزدتنا لزدناك. وقال مُعاويَة أيضا لرجل من اليمن ما كان أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة فقال أجهل من قومي قومك الذين قالوا حين دعاهم النّبيّ اللهم إن كان هذا هو الحقّ من

---

[1] ا في كتاب المنمق لمحمد بن حبيب البغدادي ص 405 :
العوران من القُريْش : أبو سُفيان بن حرب ثم عمي بعد ، وأميّة بن عبد شمس ثم عمي بعد [فمُعاويَة أعمى الأب والجد ولا يلتفت إلى ذلك].

عندك فأمطرعلينا حجارة من السماء أوائتنا بعذاب أليم ولم يقولوا اللهم إن كان هذا هوالحق من عندك فاهدنا إليه.

وفي أنساب البلاذريّ[1]:حدثني عبّاس بن هشام عن أبيه عن عدة من أهل الحجاز،قالوا:قدم مُعاويَة المدينة ، فأمرحاجبه أن يأذن للناس،فخرج[الآذن] فلم يرأحدا فأعلَمَه قال:فأين الناس؟ قيل:عند عبد الله بن جعفرفي مأدبة له،فأتاه مُعاويَة،فلما جلس قال بعض المدنيين للسائب خاثر:لك مطرفي إن غنّيت ومشيْت بيْن السّماطين،ففعل وغنّى بشعرحسان بن ثابت:لنا الجفنات الغرّ يلمعن بالضحى * وأسيافُنا يقطرْنَ من نجْدة دما فأعجب مُعاويَةَ ذلك واستحسنه وأخذ السّائب المطرف.

وقال محمّد بن سعد [2]:أخبرنا محمّد بن عمر... عن عبد الله بن نيار الأسلمي قال لما حجّ مُعاويَة نظر إلى بيوت أسلم شوارع في السّوق فقال أظلموا عليهم بيوتهم أظلم الله عليهم قبورهم قتلة عثمان قال نيار بن مكرم فخرجت إليه فقلت له إن بيتي يظلم عليّ وأنا رابع أربعة حملنا أميرالمؤمنين وقبرناه وصلّينا عليه فعرفه مُعاويَة فقال اقطعوا البناء لا تبنوا على وجه داره قال ثمّ دعاني خاليا فقال متى حملتموه ومتى قبرتموه ومن صلّى عليه فقلت حملناه رحمه الله ليلة السبت بين المغرب والعشاء فكنت أنا وجبير بن مطعم وحكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة العدويّ وتقدّم جبيربن مطعم فصلّى عليه فصدّقه مُعاويَة وكانوا هم الذين نزلوا في حفرته.اهـ

---

[1] أنساب الأشراف للبلاذري ص 55

[2] الطبقات الكبرى محمّد بن سعد ج 3ص 78

قال ابن سعد[1]: أخبرنا محمّد بن عمر قال حدثني محمّد بن عبد الله بن عبيد بن عميرقال سمعت رجلا من أهل الشام يحدّث في مجلس عمروبن دينار فسألت عنه بعدُ فقيل هو يزيد بن يزيد بن جابر يقول إنّ مُعاويَة دعا عبيد الله بن عمر فقال إنّ علياً كما ترى في بكر بن وائل قد حامت عليه فهل لك أن تسيرَ في الشّهباء قال نعم فرجع عبيد الله إلى خبائه فلبس سلاحه ثم إنّه فكّر وخاف أنْ يُقتل مع مُعاويَة على حاله فقال له مولىً له فداك أبي إنّ مُعاويَة إنّما يقدّمك للموت إن كان لك الظّفر فهو يلي وإنْ قُتلت استراح منك ومنْ ذكْرك فأطعْني واعتلّ.

وقال ابن أبي عاصم [2]: حدّثنا عمرو ... عن عبادة بن نسي قال خطبنا مُعاويَة رضي الله تعالى عنه على منبر الصنبرة فنظر في وجوه القوم ثُمّ استغفر وبكى!وقال كثرت الوجوه وقلّت المعارف وإنّما النّاس قرون ومن فَناء المرْء فَناء قرْنه.لقد شهدَ معي صفّين عدّة من أصحاب محمّد صلى الله عليه وسلم ما أصبح على وجه الأرض مثْل عدّتهم ثمّ نزل فتوجّه إلى دمشْق فلم يلْبث أنْ مات رحمه الله.اهـ

أقول:شهد معه صفّينَ مَن شهد مع جدّه بدراً ومع أبيه أُحُداً،وللقارئ أن يتحقّق من ذلك بنفسه في كتاب صفّين لنصربن مزاحم لمنقريّ.وفي كلام الرجل من المغالطة مالا يخفى؛والذي يبدولي أنّه تيقّن قرب الرّحيل،وهو يعلم أنّه قد أحدث في الدّين مالا سبيل إلى جُبرانه،وقتل من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله بالسّمّ وغيره مَن قتل،فحقّ له أن يبكيَ وهو مقبل على دارليس للحيلة فيها مكان.وليس هو أوّل حاكم جائر بكى عند اقتراب نهايته.

---

[1] الطبقات الكبرى محمّد بن سعد ج 5 ص 17

[2] الآحاد والمثاني ـــ ابن أبي عاصم ـــ ج 1 ص 375

وقال أيضا[1]:حدّثنا إبراهيم [..]عن عبد الله بن عوف قال بلغ مُعاويَة أنّ يزيد يقولُ لئن وليتُ من أمر النّاس شيئاً لأسيرنّ بهم سيرةَ عمربن الخطّاب رضي الله تعالى عنه! فقال مُعاويَة ويستطيع ذلك؟ ما استطعتُ أنا ذلك إلاّ سنتين قال رجاء عن عبد الله بن عوف وكان الناس أخذوا عليه حين بايعوه أن يسير بهم سيرة عمر.اهـ [!!]

قال ابن أبي عاصم:[2] حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة [..]عن عطاء أنّ عائشة بعث إليها مُعاويَة رضي الله تعالى عنهما بقلادة قوّمت مائة ألف درهم فقسمتها بين أمّهات المؤمنين لا أدري دنانير أو دراهم.(انتهى)

وهنا يُطرح سؤال:لماذا خصّ مُعاويَة عائشة من بين أمّهات المؤمنين بهذا العطاء؟وقد كانت عائشة حين استولى مُعاويَة على الحكم في حدود الخمسين، فما شأن امرأة في هذه السنّ والقلائد؟

وقال ابن قيم الجوزية [3]:قال سعيد بن منصور حدّثنا سُفْيان عن أيّوب عن عكرمة أنّ صفية بنت حيي باعت حجرتها من مُعاويَة بمائة ألف وكان لها أخ يهوديّ فعرضت عليه أن يسلم فأبى فأوصت له بثلث المائة.اهـ

وهنا يعود السؤال حول ميراث فاطمة بنت النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فقد قيل لها إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال نحن معاشر الأنبياء لا نورث،فكيف باعت صفيّة زوج النّبيّ صلى الله عليه وآله الغرفة؟ إمّا أن تكون الحجرة لها ميراثاً وإمّا أن تكونَ لها نحلة!وقد طالبتْ فاطمة بالميراث والنّحلة ولم تُعْط شيئاً.وهذه قضيّة عويصة يصعبُ الخروجُ منها بقولٍ مُقْنِع.

---

[1] المصدر اليابق ج 1 ص 375
[2] الآحاد والمثاني ابن أبي عاصم ج 1 ص 376
[3] أحكام أهل الذمّة ابن قيم الجوزية ج1ص607

وقال[1]:وقد كان على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم برد نجرانيّ وقد كان خلع على كعب بن زهير بردَه عند إسلامه فباعه من مُعاويَة وهو الذي لم يزل الخلفاء يتوارثونه ويتبركون به.وأماالخزّ فإنّه لباس الأشراف ومن له عزّ فمن لا عزّ له في الإسْلام يُمنع من الثّياب المرتفعة اقتداءً بالخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز.اهــ

ولا يتورع مُعاويَة أن يشتري ما يشاء و يبيع ما يشاء .قال محمد بن الحسن الشيباني[2]: " ولو وجدوا في الغنائم صليباً من ذهب أو فضّة أو تماثيل،أودراهم،أودنانيرفيها التماثيل،فإنّه ينبغي للإمام أن يكسرذلك كلّه فيجعله تبراً.لأنّه لو قسمه أوباعَه كذلك،ربّما يبيعه من يقعُ في سهْمه من بعض المشركين بأن يزيدوا له من ثمنه رغبةً منهم في لباسه،أوفي أنْ يعيدوه.فليتحرزعن ذلك بكسرالصّليب والتماثيل.والذى يُروى أنّ مُعاويَة بعث بها لتباع بأرض الهند،فقد استعظم ذلك مسروق على ما ذكره محمّد في كتاب الإكراه ثم قد بيّنا تأويل ذلك الحديث في شرح المختصر".اهــ

مادام قد فَعَلُه مُعاويَة فلابدّ من تأويله،لأنّه لابدّ من المحافظة على درع الصّحابة مهما كان الثّمن،وإذاً فعلى الشّريعة أن تكون قابلة للمدّ والجزر والطّيّ والنشرحين يتعلّق الأمر بالصّحابة ولو على حساب القرآن.

قال الذهبيّ في تذكرة الحفّاظ في ترجمة أم الدرداء[3]:أمّ الدّرداء هجيمة الوصابيّة[الحميريّة] زوجة أبي الدرداء،كانت فقيهةً عالمةً عابدةً مليحةً جميلةً واسعةَ العلم وافرةَ العقل،روَت الكثيرعن أبي الدرداء وعن سلمان وعائشة

---

[1] أحكام أهل الذمة ابن قيم الجوزية ج 3ص1308

[2] السير الكبير ــ محمد بن الحسن الشيباني ــ ج 3 ص 1051

[3] تذكرة الحفّاظ ــ الذهبي ــ ج 1 ص 53

رضي الله عنهم،وعنها مكحول وسالم بن أبي الجعد وزيد بن أسلم وإسماعيل بن عبيد الله وأبو حازم المدينيّ وعطاء الكيخاراني وعدّة،حجّت في سنة إحدى وثمانين وقد خطبها مُعاويَة رضى الله عنه فأبت رحمها الله تعالى . اهـ

أقول:لم تكن أمّ الدّرداء بعد وفاة أبي الدّرداء بالمرأة التي يُرغب فيها لجمال وشَباب.فما الذي يدعو مُعاويَة إلى خطبتها؟!

لعلّه أراد بذلك أنْ يرويَ فيما بعد عنْها إذا هُوصارزوْجاً لها،ولا يُمكن ردُّ قوله ساعتها باعتبارالمعاشرة والمشافهة.ولعلّها تفطّنت لذلك فأبت عليها نفْسُها أنْ تكونَ شريكةً في الإثم،وإلا فقلّما تُخطَب امرأة من طرف خليفة وترفض ذلك .

وقال ابن النّديم في ترجمة هشام بن الحكم[1]:من متكلّمي الشّيعة ممّن فتق الكلام في الإمامة وهذّب المذهب والنّظر وكان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب.سُئل هشام عن مُعاويَة أشهدَ بدراً فقال نعمْ من ذاك الجانب.اهـ

وفي معجم ما استعجم ج**1**ص**445** :قال عمرو بن العاص لمُعاويَة رأيت في منامي أبا بكر حزيناً فسألته عن شأنه فقال وكّل بي هذان لمحاسبتي وإذا صحف يسيرة ورأيت عُمرَ كذلك وإذا صحف مثل الحزورة[2] ورأيت عثمان كذلك وإذاصُحُفٌ مثل الخندمة ورأيتك يا مُعاويَة وصحفك مثلُ أُحد وثبير فقال له مُعاويَة أرأيت ثَمّ دنانير مصْر.اهـ

وهذا الكلام من عمرو بن العاص و إنْ كان يتعلّق برؤيا – والله أعلمُ إنْ كان قد رآها حقّاً – يكْشف عن اعتقاد عمرو بن العاص في الخلفاء،وهو لم

---

[1] الفهرست ــ ابن النديم ج1ص249

[2] الحزورة والخندمة وثبير مواضع بمكة المكرمة.كما في تاج العروس .

يذكرْ عليّا معهم مع أنّه من الخلفاء بإجماع المسلمين.فهو لا يقول عن أبي بكر إنّ صحيفته خالية ممّا يؤاخَذُ به،بل يذكر أنّه كان حزيناً؛ويقول عن عُمَر" مثل ذلك" أي حزيناً،ويشبّه صحائفَه بالحزورة وهي موضع بمكّة يلي البيت،وحينما ذكرعُثمان شبّه صُحُفَه بالحندمة وهي جبل بمكّة كما ذكره الزبيدي في تاج العروس ج 8 ص 284 وابن منظور في لسان العرب في الجزء12 ص 192 و الفيروز آبادي في القاموس المحيط ج4ص109 و ابن الأثيرفي النهاية في غريب الحديث ج2ص82 والبكري في معجم ما استعجم ح2ص512، وأهمله الجوهريّ.وإذاً فصحف عثمان في نظرعمرو بن العاص في حجم جبل[!!] وصحف مُعاويَة في حجم جبلين هما أحد وثبير.هذا مع أنّ موقف عمرو بن العاص من علي بن أبي طالب عليه السلام وشيعته معلوم.

وفي سير الذهبي[1]: ابن أبي أويس [..] عبادة بن الوليد،قال:كان عبادة بن الصامت مع مُعاويَة،فأذن يوماً، فقام خطيب يمدح مُعاويَة،ويثني عليه فقام عبادة بتراب في يده،فحشاه في فم الخطيب ، فغضب مُعاويَة ، فقال له عبادة : إنك لم تكنْ معنا حين بايعْنا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالعقبة على السمع والطّاعة في منشطنا ومكرهنا ومكسلنا ، وأثره علينا ، وألا ننازع الأمر أهله ، وأن نقوم بالحقّ حيث كنّا ، لا نخاف في الله لومة لائم.وقال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم : إذا رأيتم المداحين ، فاحثوا في أفواههم التراب"اهـ

وهنا في كلام عبادة أمريستحقّ أن يُتوقّف عنده،فإنّه يقول أنّ من بين ما بايعوا عليه ألاّ ينازعوا الأمر أهله،وهذا معناه أن يكون للأمر أهلٌ،وأن يكونوا

---

[1] سيرأعلام النبلاء ج 2 ص 7

معيّنين بما يدفع الالتباس وإلاّ انتفى اللتكليف إذ لايصحّ تحقيق ذلك مع وجود الالتباس وتدافع المدّعين للأهلية !

وفي سير أعلام النبلاء ج **2**ص **411** : ابن عون : حدّثنا محمّد ، وحدّثنا عمر بن كثير بن أفلح ، وهذا حديثه ، قال : قدم أبو أيّوب على مُعاويَة فأجلسه معه على السّرير،وحادثه وقال:يا أبا أيوب،من قتل صاحب الفرس البلقاء التي جعلت تجول يوم كذا وكذا؟قال:أنا إذ أنت وأبوك على الجمل الأحمرمعكُما لواء الكفر.فنكس مُعاويَة،وتنمّرأهل الشام،وتكلّموا.فقال مُعاويَة:مه!وقال:ما نحن[عن] هذا سألناك.اهـ

وفي فيه أيضاً[1]: ابن عون:عن الحسن قال:ذكروا عند معاوية شيئا فتكلّموا والأحنف ساكت،فقال:يا أبا بحر،مالك لا تتكلّم؟قال:أخشى الله إن كذبتُ وأخشاكم إن صدقت !

وفي البيان و التّبيين للجاحظ ج**1**ص**43**: دخل الأحنف بن قيس على مُعاويَة بن أبى سُفْيان فأشار له إلى الوساد فقال له اجلس فجلس على الأرض فقال مُعاويَة ما منعك يا أحنف من الجلوس على الوساد فقال يا أمير المؤمنين إنّ فيما أوصى به قيس بن عاصم المنقريّ ولدَه أن قال لا تغش السّلطان حتى يملّك ولا تقطعه حتى ينساك ولا تجلس له على فراش ولا وساد واجعل بينك وبينه مجلس رجل أو رجلين فإنّه عسى أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منك فتُقام له فيكون قيامُك زيادةً له ونقصاً عليك حسبي بهذا المجلس يا أمير المؤمنين لعلّه أن يأتي من هو أولى بذلك المجلس منّي فقال مُعاويَة لقد أوتيتْ تميمُ الحكمةَ مع رقّة حواشي الكلام وأنشأ يقول :يا أيّها السّائل عمّا

---

[1] سير أعلام النبلاء ج 4ص 92

مضى وعلم هذا الزّمن العائب** إن كنتَ تبغي العلم أو أهله **أو شاهداً يخبر عن غائب**فاعتبر الأرض بسكانها** واعتبر الصّاحب بالصّاحب.

2- كلامٌ حول إيمان مُعاويَة :

لا يصحّ اختصارالحديث عن إيمان معاوية بن أبي سفيان في ذكر ما كان عليه من الشرك قبل فتح مكة،وما شارك فيه غيره من الطلقاء والمؤللفة قلوبهم؛بل لا بدّ من تتبّع ما صدرمنه في الأمورالاعتقادية التي أجمع عليها أهل القبلة،وعلى رأسها وجوب الاعتقاد بكل ما في القرآن الكريم وما ثبت صدوره عن النّبيّ صلى الله عليه وآله .وقد كان معاوية في هذين مضطربا غيرواضح الموقفن ويتجلّى ذلك في قضية استلحاق زياد التي أنكرفيها معلوما من الدين بالضرورة.فقد نزل قرآن يُتلى يحرّم التبنّي،وتتابعت الأحاديث في لعن مَن ادّعى إلى غيرأبيه،ومع ذلك ادّعى معاوية أنّ زياد بن عبيد لم يكن ابنَ عبيد الذي وُلد على فراشه وإنّما كان لأبي سفيان الأموي وقد أحدث ذلك في حياة زياد نفسه اضطرابا وبلبلة،لأنّه باعتباركوْنه لأبي سفيان ــ من باب الفرض ــ لا يحلّ له أن يقطع رحم أخته ــ المزعومة ــ أمّ حبيبة،وهذا ما لم تتحمّس له أمّ حبيبة للتنافس الذي كان بين أزواج النّبيّ صلى الله عليه وآله؛ ولم أعثر على نصّ يفيد أنّ زياداً زارالمدينة ورآها من دون حجاب،وإنْ يكن حدث ذلك فهُوَلا يعْني أكثرَ من سُقوط آخِرما يتحصّن به آل حرب من علقة بالنبي صلى الله عليه وآله عن طريق الزواج الذي

تمّ يوم لم يكن لأبي سفيان على ابنته ولاية لما بين إسلامها وكُفره،والذي أراه أسدّ وأصوبَ لتبيّن الموقف من معاوية بخصوص عقائد المسلمين هو تتبّع مواقفه من النبي صلى الله عليه وآله في أيّام حكمه في دمشق،في ما لا يقبل النّقاش من أمورتسالموا عليها،إضافة إلى أقوال من تعتبرأقوالهم من المتكلّمين والمحدّثين ممّن لا يُخرجهم الرضا عن الصّدق ولا يدفعهم البُغض إلى الجَورفي إصدارالحكم.وأنا ذاكرٌهاهنا بعون الله تعالى ما أتوقّع أن يتمعّن القارئ فيه ويحاول استشفاف ما وراء الأقوال والأفعال التي صدرت من معاوية وحملت غيره على توجيه سهام النقد إليه.

قال القاضي عبد الجبار في(المغني في أبواب العدل والتوحيد):أظهر مُعاويَة أنّ ما يأتيه بقضاء الله ومن خلقه،ليجعله عذراً في ما يأتيه ويوهم أنّه مصيب فيه،وأنّ الله جعله إماماً وولاّه الأمر،وفشا ذلك في ملوك بني أُميّة. [1]

وهذا أمرتجاهله المتكلّمون من أبناء الجمهورلكونه يقدح في حكم معاوية والقدح فيه مستلزم إبطال نظرية عدالة جميع الصحابة.وعبارات معاوية في هذا المعنى مبثوثة في كتب التاريخ والأدب،يكفينا منها قوله كما في مصنف ابن أبي شيبة [2]:[..] عن سعيد بن سويد قال : صلّى بنا معاوية الجمعة بالنخيلة في الضحى ثم خطبنا فقال:ما قاتلتكم لتصلّوا ولا لتصوموا ولا لتحجّوا ولا لتزكوا،وقد أعرف أنكم تفعلون ذلك،ولكن إنّما قاتلتكم لأ تأمّر عليكم،وقد أعطاني الله ذلك وأنتم له كارهون.اهــ

---

[1] رسائل العدل و التوحيد ج2ص46

[2] المصنف – ابن أبي شيبة الكوفي ج 7 ص 251 الحديث رقم 23

يقول معاوية:قد أعطاني الله ذلك!إذاً فالله تعالى هو الذي حارب[1]علي بن أبي طالب حبيبَه وحبيبَ رسوله صلى الله عليه وآله ،وهو سبحانه وتعالى الذي قتل آلاف الأبرياء ودفن بعضهم أحياء!

والذي يستوقف الباحث عن الحق ههنا،هوالتناقض الصريح بين ما كان يهتف به معاويةأيّام رفع المصاحف،وما يصرّح به هنا،وهوأنّه قاتلهم ليتأمّرعليهم.فلماذا كان يتحدّث عن دم عثمان المظلوم؟ لم يكن التباكي على عثمان إذاً سوى وسيلة للوصول إلى الحكم،وهذا عند أفضل القرون!!

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج[2]:ومُعاويَة مَطعُونٌ في دينه عند شيوخنا رحمهم الله،يُرمى بالزّنْدقة.وقد ذكرنا في نقض "السُفْيانية " على شيخنا أبي عثمان الجاحظ ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلاميّة عنه من الإلحاد والتعرض لنّبيّ صلى الله عليه وآله ،وما تظاهربه من **الجبر والإرجاء**،ولولم يكن شئ من ذلك،لكان في محاربته الإمام ما يكفي في فساد حاله،لا سيما على قواعد أصحابنا،وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصيرإلى النّار والخلود فيها،إن لم تكفّرها التوبة.اهـ

ولم تثبت لمعاوية توبة،بل ثبت قوله "لا والله إلاّ دفناً دفناً "كما أخرجه الزّبير بن بكار في الموفّقيّات عن المطرف بن المغيرة بن شعبة.قال محمّد بن عقيل الشافعي[3]:ومما يدلّ على استخفاف مُعاويَة بمقام النّبوّة ما نقله أبو جعفر الطّبريّ بسنده قال:حدّثني عبد الله بن أحمد قال حدّثني أبي قال:حدّثني

---

[1] حديث " يحب الله و رسوله ويحبّه الله و رسوله " يوجد في صحيح البخارى ج 4ص 20وصحيح مسلم ج5 ص195

[2] شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد ــ ج 1ص 340

[3] النّصائح الكافية ــ محمّد بن عقيل الشافعي ص 124

سليمان قال:قرأت على عبد الله عن فليح قال أخبرت أنّ عمروبن العاص وفد إلى مُعاويَة ومعه أهل مصر فقال لهم عمرو انظروا إذا دخلتم على ابن هنْد فلا تسلّموا عليه بالخلافة فإنّه أعظم لكم في عينه وصغّروه ما استطعتم فلمّا قدموا عليه قال مُعاويَة لحُجّابه:كأنّي أعرف ابن النّابغة وقد صغّر أمري عند القوم فانظروا إذا أُدْخل ِالوفد فتعْتعوهم أشدّ تعتعة تقدرون عليها فلا يبلغني رجل منهم إلاّ وقد همّت نفسُه بالتّلف فكان أولَ من دخل عليه رجلٌ من أهل مصريقال له ابن الخيّاط وقد تُعْتع فقال السّلام عليك يا نبيّ !وتتابع القوم على ذلك فلمّا خرجوا قال لهم عمرو:لعنكم الله نهيتكم أن تسلّموا عليه بالإمارة فسلّمتم عليه بالنّبوة. (انتهى)

أقول:ليس في وسع أحد أن يدافع عن معاوية في مثل هذا المقام فإنّ النبوّة منصب إلهيّ لا يمكن أن يدخل في نزاعات النّاس وقضاياهم الشخصية لا جدّاً ولا هزلاً.ولو كان لدى معاوية احترام للمقام لاستغفرالله تعالى وقال للمصريين:ما أنا إلاّ رجل من قريش؛ لكنّه لم يفعل، بل تعامل مع المسألة وكأنّ الكلام في محلّه.وهل يرضى موحّد قرأ سورة الأحزاب(*)[1] أن يخاطبَه النّاس بقولهم" السّلام عليك يا نبيّ " ؟!!

هذا مع أنّ مُعاويَة يروي حديث"من أحبّ أن يتمثل له النّاس قياماً "؛ قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد [2]:عن عبد الله بن بريدة قال سمعت مُعاويَة يقول قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم مَنْ سَرَّهُ أنْ يستجم له بنو آدم قياماً وجبتْ له النّار.اهـ

---

[1] * المقصود قوله تعالى : " ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما (الأحزاب 40).

[2] تاريخ بغداد ــ الخطيب البغدادي ــ ج 13ص195

وفي معجم الصحابة [1]: [..] عن أبي مجلزعن مُعاويَة قال قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم: من أحبّ أن يتمثّل له الرّجال قياماً فليتبوّأ مقعده من النار.اهـ

ومُعاويَة في القصّة السابقة لم يقنع بأن يتمثّلوا له قياماً بل زاد على ذلك أن تعْتعَهم حتى خاطبوه بالرّسالة وقالُوا بما لا يحتمل التأويل " السّلام عليك يا نبيّ " ولم يُنكر عليهم مُعاويَة،ولم يُذكرأنّ أحداً في مجلسه أنكرذلك.

قال محمّد بن عقيل الشّافعيّ [2]:(وأخرج) الزّبيربن بكّارفي الموفّقيّات عن المطرف بن المغيرة بن شُعبة قال:دخلت مع أبي على مُعاويَة فكان أبي يأتيه فيتحدّث معه ثمّ ينصرف إليّ ويذكر مُعاويَة وعقله ويعجب بما يرى منه إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء ورأيتُه مُغتمّاً! فانتظرتُه ساعةً وظننتُ أنّه لأمر حدث فينا فقلت مالي أراك مغتماً منذ اللّيلة؟ فقال يا بنيّ جئت من عند أكْفرالنّاس وأخْبثهم[!] قلتُ وما ذاك قال:قلت له وقد خلوت به إنّك قد بلغت سنّاً ياأميرالمؤمنين فلوأظهرت عدلاً وبسطت خيراً فقد كبرْتَ ولو نظرتَ إلى إخوتك من بني هاشم فوصلتَ أرحامَهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكْرُه وثوابُه فقال هيهات هيهات أيّ ذكرأرجو بقاءه ؟ ملَكَ أخو تيْم فعدل وفعل ما فعل فما عدا أنْ هلكَ حتّى هلك ذكرُه إلاّ أن يقولَ قائلٌ أبو بكر.ثُمّ ملك أخو عديّ فأجتهد وشمّرعشرسنين فما عدا أنْ هلك حتّى هلك ذكرُه إلاّ أنْ يقول قائل عُمَروإنّ ابن أبي كبْشة لَيُصاح به كلّ يوم خمْس مرات أشهد أنّ محمّدا النّبيّ فأيّ عمل يبقى وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك ،لا والله إلا دفناً دفناً(انتهى) .

---

[1] معجم الصحابة ــ عبد الباقي بن قانع ــ ج3ص72

[2] النصائح الكافية ــ محمّد بن عقيل الشّافعيّ ــ ص 123

قال ابن عقيل بعد ذكرالخبر:الزّبيربن بكار هذا هو قاضي مكّة وهو مشهورفي المحدّثين ومن رواة الصّحيح،وهوغيرمتّهم على مُعاويَة لعدالته وفضله مع أنّ في الزّبير كما علمت بعض انحراف عن عليّ كرم الله وجهه لما عرف من الأسباب ألا ترى أنّ عبد الله بن الزبير على نسكه وعبادته كان منحرفاً عن عليّ وأهل بيته فقد روى عمر بن شبّة وابن الكلبيّ والواقدي وغيرهم من رواة السّير أنه مكث أيّام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلّي فيها على النّبيّ صلى الله عليه وآله وقال لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بآنافها (انتهى).

وأقول:إنّ هذه الواقعة تستحقّ أن يُتوقّف عندها لأنّها تضمّنتْ أموراً تُوقظ النّائم وتنبّه الغافل، ليهلك من هلك عن بيّنة ويحيا من حييَ عن بيّنة.فأوّل ما فيها شهادة المُغيرة بن شُعبة على مُعاويَة أنّه أخبثُ النّاس وأكفرُهم؛هذا مع أنّه شريكه في كثير من الجرائم،وعلى وجه الخصوص في سبّ وشتْم ولعْن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.ولا يختلف اثنان مُنصفان في أنّ المغيرة بن شعبة من أعدى أعداء أهل البيت عليهم السّلام.فهذه شهادة لا سبيل إلى إنكارها.ومادام محمّد بن الحسن الشّيباني صاحب أبي حنيفة يعتبرُ المغيرة إماماً من أئمة المسلمين،فلا مناص له من قَبول شهادته.

ثُمّ إنّ المغيرة يقول لمُعاويَة:لوبسطت عدلاً، ومثل هذا الكلام لا يقال إلاّ لظالم،إذ لوكان هناك عدل لكان كلام المغيرة فاقداً لمعناه مُستحقّاً لذمّ صاحبه وليس مُعاويَة ممن يفوّت ذلك.فشهادة المغيرة على مُعاويَة أنّه ظالم تنضمّ إلى شهادته عليه أنّه أكفر النّاسِ وأخبثُهم.والكافرون هم الظّالمون.

قال المغيرة لمُعاويَة:"ولونظرت إلى إخوتك من بني هاشم فوصلتَ أرحامَهم" ومثلُ هذا الكلام لا يُقال إلاّ لقاطع رَحِم،وإلاّ لكان في ذلك تُهمة لمُعاويَة بقطيعة الرّحم وهي من الكبائ،وقد توعّد الله تعالى من يتعمّد قطيعة

رحمه ويشهد لذلك قوله تعالى:" فهل عَسيتم إن تولّيتُم أنْ تفسدوا في الأرض تقطّعوا أرحامكم.أولئك الذين لعنَهم الله فأصمّهم وأعْمى أبْصارهم".وكان من جواب مُعاويَة للمغيرة بن شعبة أيضاًأنْ قال له:"وإنّ ابْن أبي كبشة ليُصاح به كلّ يوْم خمْس مرّات أشهدُ أنّ محمّدا النّبيّ ! " وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم:"لا تجْعلوا دُعاء الرّسول بيْنكم كدُعاء بعْضكم بعْضاً ".فمُعاويَة لا يكْتفي بمُخالفة القرآن الكريم وإنّما يذكر النّبيّ صلى الله عليه وآله بما كانت تذكره به قُريْش أيام مُحاربتها له صلى الله عليه وآله تَرومُ بذلك انْتقاصَه والحَطّ منْ شأْنه.فمُعاويَة لا يُخفي اسْتخْفافَه بالنّبيّ صلى الله عليه وآله أمام المغيرة لأنّه يعرفه تمام المعرفة،ولولا معرفتُه بسوابقه لما ولاّه الكوفة فبقي والياً عليها إلى أن مات.ومثْلُ هذا الكلام لا يقُولُه مُعاويَةُ إلاّ أمامَ من يعلمُ أنّهم على شاكلَته.ويُفهم من سياق الرّواية أنّ المطرف بن المغيرة بن شعبة حدّث بهذا في زمن متأخّرعن أيّام مُعاويَة والمغيرة،وبعيد جدّاً أنْ يُحدّثَ به في حياة مُعاويَة فيعرّض نفسه للتّلف.وباختصارفإنّ هذه الرّواية قد تضمّنت شهادةً على مُعاويَة أنّه:"أكفرالنّاس وأخبثهم وقاطع رحم ومستخفّ بمقام النّبيّ صلى الله عليه وآله "،والشّاهد أحد المقرّبين.

قال ابن أبي الحديد[1]:قلت:قال شيخُنا أبو القاسم البلْخيُّ رحمةُ الله تعالى: قولُ عمْرولَه:"دعْني عنْك" كنايَةٌ عن الإلْحاد،بلْ تصْريحٌ به،أيْ دعْ هذا الكلامَ لا أصل له،فإنّ إعتقادَ الآخرة أنّها لا تُباع بعَرَض الدّنْيا من الخُرافات!وقال رحمَه الله تعالى:وما زال عمْرو بْن العاص ملْحداً،ما تردّد قطّ في الإلْحاد والزّنْدقة وكانَ مُعاويَة مثله،ويكْفي من تلاعُبهما بالإسْلام حديثُ السّرار

[1] شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد ــ ج 2 ص 65

المرويّ ،وأنّ مُعاويَة عضّ أُذن عمْرو،أيْن هذا من سيرة عُمر؟وأين هذا من أخْلاق عليّ عليه السلام،وشدّته في ذات الله،وهُما مع ذلك يَعيبانه بالدّعابَة !

وفي مسند أبي داود ص **116** : [..]عن عبد الرحمن بن أبي بكرة قال وفدْنا إلى مُعاويَة معَ زياد ومعَنا أبُو بكْرة [1]فدخلنا عليه فقال له مُعاويَة حدّثنا حديثا سمعته من النّبيّ صلى الله عليه وسلم عسى الله أن ينفعنا به قال نعم كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يعجبه الرؤيا الصالحة ويسأل عنها فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم ذات يوم أيكم رأى رؤيا فقال رجل أنا يا نبيّ إني رأيت رؤيا رأيت كأن ميزانا دلي من السماء فوزنت أنت وأبو بكر فرجحت بأبي بكر ثم وزن أبو بكر بعمر فرجح أبو بكر بعمر ثم وزن عمر بعثمان فرجح عمربعثمان ثم رفع الميزان فاستاء لها النّبيّ صلى الله عليه وسلم ثم قال خلافة نبوة ثم يؤتي الله الملك من يشاء فغضب مُعاويَة فزخ في إقفائنا:وأُخْرجْنا فقال زياد لأبي بكرة أما وجدت من حديث النّبيّ صلى الله عليه وسلم حديثا تحدثه غيرهذا قال والله لا أحدثه إلا به حتى أفارقه قال فلم يزل زياد يطلب يأمر حتى أذن لنا فأدخلنا فقال مُعاويَة يا أبا بكرة حدّثنا بحديث عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم لعل الله أن ينفعنا به قال فحدّثه أيضا بمثل حديثه الأول فقال له مُعاويَة لا أبا لك تخبرنا أنّا ملوك فقد رضينا أن نكون ملوكا.اهـ

---

[1] قال الذهبي في في سير أعلام النبلاء ــ ج 3 ص 5: أبو بكرة الثقفي الطائفي رضي الله عنه مولى النّبيّ صلّى الله عليه وسلم . اسمه نفيع بن الحارث ، وقيل : نفيع بن مسروح . تدلّى في حصار الطائف ببكرة ، وفرّ إلى النّبيّ صلّى الله عليه وسلم ، وأسلم على يده ، وأعلمه أنّه عبد ، فأعتقه . روى جملة أحاديث . حدث عنه بنوه الأربعة : عبيد الله ، وعبد الرحمن ، وعبد العزيز ، ومسلم ، وأبو عثمان النّهديّ ، والحسن البصريّ ، ومحمّد بن سيرين .

مادام أبو بكرة يحدّث عن النّبيّ صلى الله عليه و آله فليس لمعاوية أن يعلّق بتلك الطريقةن،وما ذنب أبي بكرة إن كان الكلام لالنّبيّ صلّى الله عليه وسلم ؟! فإنّما هو مجرّد ناقل.

جاء في صحيح البخاري[1] ما يلي: حدثني إبراهيم بن موسى [..] عن سالم عن ابن عمرقال وأخبرني بن طاوس عن عكرمة بن خالد عن ابن عمر قال ثم دخلت على حفصة ونسواتها تنطف قلت قد كان من أمرالناس ما ترين فلم يجعل لي من الأمرشيء فقالت الحقْ فإنّهم ينتظرونك وأخشى أن يكون في احتباسك عنهم فرقة فلم تدعه حتى ذهب فلما تفرّق الناس خطب معاوية قال من كان يريد أن يتكلم في هذا الأمر فليطلع لنا قرنه فلنحن أحق به منه ومن أبيه[!] قال حبيب بن مسلمة فهلاّ أجبته قال عبد الله فحللت حبوتي وهممت أن أقول أحقّ بهذا الأمرمنك مَن قاتلك وأباك على الإسلام فخشيت أن أقول كلمة تفرّق بين الجمع وتسفك الدّم ويحمل ذلك فذكرت ما أعدّ الله في الجنان قال حبيب حُفظت وُعصمت. قال محمود عن عبد الرّزاق ونوساتها.اهـ

كلام معاوية صريح في أنّه يعتبر نفسه أحقّ بالخلافة من أبي بكروعمر،ولم يعترض عليه عبد الله بن عمرلأنّه خشيَ أن يقولَ كلمةً تفرّق بين الجمع وتسفك الدّم، لكنّه لم يخْشَ يوم راح يخذّل النّاس عن بيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعد قتل عثمان!وشاهدُنا من الحديث قول معاوية الذي لا يقبله أهل السّنّة والجماعة،فإنّهم لايختلفون في أنّ أحقّهم بالأمرالخلفاء الأربعة على الترتيب المعلوم.

---

[1] صحيح البخاري ج4ص1508 الحديث رقم 3882

***

3-علْم مُعاويَة:

في موطإ مالك[1]: تحت رقم (18) [..] عن سعيد بن المسيب،أنّ رجلاً من أهل الشام،يقال له ابن خيبرى،وجد مع امرأته رجلا فقتله،أوقتلهما معاً.فأشكل على مُعاويَة ابن أبى سُفْيان القضاء فيه.فكتب إلى أبى موسى الاشعري يسأل له على بن أبى طالب عن ذلك.فسأل أبو موسى عن ذلك على بن أبى طالب.فقال له عليّ:إنّ هذا الشئ ما هو بأرضى.عزمت عليك لتخبرني.فقال له أبو موسى: كتب إليّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان أن أسألك عن ذلك.فقال على:أنا أبو حسن:إن لم يأت بأربعة شهداء،فليعط برمته.اهـ

قلتُ:ليس لمُعاويَة علْم بالفتوى،وهو يعلم أنّه إن أفتى في المسألة بغيرعلم لا يلبث الأمْرأن يشيع وتكون الفضيحة،والحرب النفسيّة جزء من حربه ضدّ الإمام عليّ عليه السلام فما العمل؟ وكيف يصنع وقد سارت الرّكبان بقوْل عمربن الخطاب"لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن "؟ وعلى فرض أن يستفتي أبا هُرَيْرَة أو أبا الدّرداء أو غيرهما فهولا يضمن الجواب الصّحيح الذي لا يجد به الإمام عليّ عليه السلام مطعناً، لذلك تراه تخلّى عن كبريائه وغطرسته وتسترّوراء أبي موسى للحصول على الفتوى الصّحيحة.ولم يعب عليه الإمام عليه السلام ذلك،فهو عليه السلام لم يسبق له أن تطاولَ بعلْمه على الآخرين ولا هو ممّن يمنّ على الناس بما يعلّمهم مما علّمه الله.لكن مُعاويَة بعد أن صفا له الجوّ بقتل الإمام عليه السلام تنطّع في الاستخفاف بالشّرع المقدّس.قال الغزاليّ في المستصفى ص119:ومنها أيضا ما روي عن أبي الدّرداء أنه لمّا باع مُعاويَة شيئا من آنية الذهب والورق

---

[1] الموطأ مالك ج 2 ص 737

بأكثرمن وزنه،فقال له أبوالدرداء:سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم ينهى عن ذلك فقال له مُعاويَة:إني لا أرى بذلك بأسا،فقال أبوالدرداء:من يعذرني من مُعاويَة أُخبرُه عن النّبيّ صلى الله عليه وآله ويُخبرني عن رأيه:لا أساكنك بأرض أبدا .اهـ

وفي الإصابة لابن حجرج 1ص188:في الموطأ عن زيد بن أسلم عن سليمان بن يسارأنّ الأحوص هلك بالشّام حين دخلت امرأته في الدّم من الحيضة الثالثة فكتب مُعاويَة إلى زيد بن ثابت فقال لا ميراث لامرأته رواه بن عيينة عن الزُهْريّ عن سليمان بن يسار أن الأحوص بن فلان أو فلان بن الأحوص فذكر نحوه قال ابن الحذّاء الأقوى أنّ القصة في الأحوص وهو ابن عبد ويحتمل أن تكون لولده عبد الله بن الأحوص ولم يسمّ في رواية بن عيينة عن الزُهْريّ. اهـ

وفي مناهل العرفان ج1ص72 : التاسع أن آخر ما نزل هو آخر سورة الكهف فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صلحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا.أخرجه ابن جرير عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان قال ابن كثير " هذا أثر مشكل ولعلّه أراد أنّه لم ينزل بعدها آية تنسخها ولا تغيّر حكمها بل هي مثبتة محكمة "وهو يفيد أنها آخرمقيّد لا مطلق.اهـ

قلت:لا يتحمّل ابن كثيرأنْ يقرّ لمُعاويَة الخطأ،لذلك تراه يقول "هذا أثرٌمُشْكل " وفي الحقيقة لا إشكال،فإن مُعاويَة بن أبي سُفْيان من مسلمة الفتح من الطلقاء،وقد نزل معظم القرآن قبل فتح مكّة،وحينما يخالف مُعاويَة الصحابة الذين أسلموا في بداية الدّعوة وتابعوا نزول الوحي سورةً سورةً وآيةً آيةً فإنّ العاقل لا يتحرّج أن يضرب بقول مُعاويَة عرض الحائط وهوأمرلا يقبله ابن كثيرلأنّ ذلك يعني فتح جبهة على مُعاويَة.فلا بأس أن يضيف ابن كثيرإلى إشْكالات المسلمين إشكالا آخر بحيث تبقى صورة

معاوية قابلةً للتّلميع.ولأنّ ماذكره مُعاويَة لا يستسيغُه أهل العلم فقد قال السيوطي[1]: ومن غريب ما ورد في ذلك ما أخرجه ابن جريرعن مُعاويَة بن أبي سُفْيان أنه تلا هذه الآية فمن كان يرجو لقاء ربه الآية وقال إنّهاآخرآية نزلت من القرآن.ثم أورد قول ابن كثير.وقوله"من غريب ماورد "صريح في استغرابه وهومن أهل الفنّ.

وفي أعلام الموقعين لابن قيم الجوزية ج1ص69 :قال الوليد بن مسلم [..] عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان أنهم ذكروا المسائل عنده فقال أتعلمون أن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نهى عن عضل المسائل.اهـ

وفيه أيضاً[2]:قال البخاري حدّثنا أبو اليمان حدّثنا شعيب عن الزُهْريّ قال كان محمّد بن جبير بن مطعم يحدث أنّه كان عند مُعاويَة في وفد من قُريْش فقام مُعاويَة فحمد الله وأثنى عليه بما هوأهله ثم قال أما بعد فإنه قد بلغني أنّ رجالاً فيكم يتحدّثون بأحاديث ليست في كتاب الله ولا تؤثر عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فأولئكم جهالكم.اهـ

أقول: فمن الذي كتب إلى ولاته في الأمصارأن يجمعوا أحاديث الوضّاعين في مناقب عثمان والشيخين و ينشروها في البلاد الإسْلاميّة؟ ومن ذا الذي كتب إلى ولاته في الأمصارأن يجمعوا الأحاديث الموضوعة افتراء عليّ بن أبي طالب **عليه السّلام** ويعلّموها الصبيان في الكتاتيب والمخدرات في البيوت ؟هل كانت تلك الأحاديث تؤثرعن النّبيّ صلى الله عليه وآله ؟[3]

[1] الإتقان ــ السيوطي ــ ج1ص85
[2] أعلام الموقعين ابن قيم الجوزية ج 1ص60
[3] **كلام معاوية هنا صريح في تهمة الصحابة بوضع الأحاديث !**

وفي تفْسير القُرْطبيّ ج3ص250: فبلغ ذلك مُعاويَة فقام خطيبا فقال ألا مابال رجال يتحدثون عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أحاديث وقد كنا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه فقام عبادة بن الصامت فأعاد القصة ثم قال لنحدثن بما سمعنا من النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وإن كره مُعاويَة أو قال وإن رغم ما أبالي ألا أصحبه في جنده في ليلة سوداء قال حماد هذا أو نحوه...اهـ

وقد حاول القُرْطبيّ أن يبرّرعمل مُعاويَة فذكركلاماً لابن عبد البرّ وشرّق وغرّب.وقال الرّازيّ بخصوص هذه الواقعة [1]: فهذا يدلّ إمّا على كذب عبادة أو كذب مُعاويَة ولو كذّبنا مُعاويَة لكذّبنا أصحاب صفّين كالمغيرة وغيره .على أنّ مُعاويَة لو كان كذّاباً لما ولاّه عمروعثمان على النّاس.وإنّ أبا موسى قام على منبر الكوفة لمّا بلغه أنّ عليّا رضي الله عنه أقبل يريد البصرة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أهل الكوفة والله ما أعلم واليا أحرص على صلاح الرّعيّة مني والله لقد منعتكم حقا كان لكم بيمين كاذبة فأستغفر الله منها.وهذا إقرارمنه على نفسه باليمين الكاذبة .اهـ

ولعلّ مُعاويَة قال هذاالكلام بعد خلافه مع عبادة بن الصامت حول الفضة والذهب فقد ذكرابن حزم في الإحكام أنّ مُعاويَة باع سقاية من ذهب بأكثر من وزنها،حتى أنكر ذلك عليه عبادة بن الصامت،وبلغه أن النّبيّ صلى الله عليه وسلم نهى عن ذلك [2].والعجب من مُعاويَة حين يقول " وقد كنّا نشهده ونصحبه فلم نسمعها منه "،فكم هي نسبة صحبة مُعاويَة للنّبيّ صلى الله عليه و آله قياسا بصحبة المهاجرين والأنصاروقد كان يخالفهم ولا يلتفت الى ما يعترضون به عليه.

[1] المحصول ــ الرازيّ ــ ج 4ص 320
[2] الإحكام ــ ابن حزم ج 6 ص 815

ومع ذلك لا يتحرّج مُعاويَة أن يحذّر الناس من الكذب على النّبيّ صلى الله عليه وآله قال الخطيب البغدادي[1]:[..] شعبة عن أبي الفيض عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان قال قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار.اهـ

وثبت أنّ مُعاويَة أنه قضى في دار بشهادة أم سلمة أم المؤمنين ولم يشهد بذلك غيرها.

أقول:رضي الله عن أم سلمة وأسكنها علّيّين، لكنّها على جلالة قدرها ليست سيّدة نساء العالمين،فكيف تقبل شهادتها منفردة وتردّ شهادة سيدة نساء العالمين ؟! إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون.

وفي البداية والنهاية [2]: قال الإمام أحمد حدّثنا عفان حدّثنا همام،عن قتادة عن أبي سيح الهنائي قال : كنت في ملإٍ من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم عند مُعاويَة فقال مُعاويَة : أنشدكم بالله أتعلمون أن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم نهى عن جلود النُّمُورأن يُركب عليها قالوا:اللّهم نعم!قال:وتعلمون أنّه نهى عن لباس الذّهب إلاّ مقطعا قالوا:اللهمّ نعم!قال:وتعلمون أنّه نهى عن الشّرب في آنية الذهب والفضة قالوا: اللهمّ نعم!قال:وتعلمون أنّه نهى عن المتعة - يعني متعة الحجّ - قالوا:اللهمّ لا!وقال أحمد: حدثنا محمّد بن جعفر ثنا سعيد،عن قتادة،عن أبي سيح الهنائي أنه شهد مُعاويَة وعنده جمع من أصحاب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال لهم مُعاويَة:أتعلمون أنّ النّبيّ نهى عن ركوب جلود النّمورقالوا:نعم!قال: تعلمون أنّ النّبيّ نهى عن لبس الحرير؟قالوا:اللهم نعم!قال:أتعلمون أنّ النّبيّ نهى أن يشرب في آنية الذهب والفضة ؟ قالوا:اللهم

[1] تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ــ ج 7ص 21
[2] البداية والنهاية ج 5ص 158

نعم ! قال أتعلمون أنّ النّبيّ نهى عن جمع بين حجّ وعمرة ؟ قالوا:اللهم لا ! قال فو الله إنّها لمعهن.اهـ

وفي البداية والنهاية أيضاً[1]:...وكان مُعاويَة يستلم الأركان فقال له ابن عبّاس إنّه لا يُستلم هذان الرّكنان فقال له ليس من البيت شئ مهجورا وكان ابن الزّبير يستلمهنّ كلّهنّ.انفرد بروايته البخاريّ رحمه الله تعالى.اهـ

وفي تفْسير الطّبريّ ج2ص443 : [..]عن نافع عن سليمان بن يسار أن الأحوص رجل من أشراف أهل الشّام طلّق امرأته تطليقة أو إثنتين فمات وهي في الحيضة الثالثة فرفعت إلى مُعاويَة فلم يوجد عنده فيها علم فسأل عنها فضالة بن عبيد ومن هناك من أصحاب النّبيّ فلم يوجد عندهم فيها علم فبعث مُعاويَة راكبا إلى زيد بن ثابت فقال لا ترثه ولو ماتت لم يرثها فكان ابن عمر يرى ذلك.اهـ

وفي تفْسير الطّبريّ ج 16ص11 : [..] عن عثمان بن حاضر قال سمعت عبد الله بن عبّاس يقول قرأ مُعاويَة هذه الآية فقال عين حاميّة فقال ابن عبّاس إنها عين حمئة قال فجعلا كعبا بينهما .. فسألاه فقال كعب أمّا الشّمس فإنّها تغيب في ثأط فكانت على ما قال ابن عبّاس والثأط الطين.اهـ

أقول:من حقّ المسلم أن يعجب من حال صحابيّيْن أحدُهما حبْرالأمّة والآخر كاتب الوحي يجْعلان كعب الأحباربينهما والقولُ ما قال كعب! فمتى كان كعب الأحبارعالماً بالتفْسيروهوالذي لم يرَالنّبيّ صلى الله عليه وآله ولم يُجالسْه؟ولِمَ لَمْ يسأل مُعاويَة النّبيّ صلى الله عليه وآله أيّام كان كاتباً للوحْي؟ والمسألةلا تخلوأن تكون إما لُغويّةً وإمّا شرعيّةً،وكعبُ الأحبارمن يهُود اليَمَن

[1] نفس المصدر ج 5ص 174

فلا يُمكن أن يكون افصح من قُريْش التي نزل بلسانها القرآن الكريم،كماأنّه لم يرَالنّبيّ صلى الله عليه وآله ولم يسمع منه فلا يكون حظّه من الشّرع الإسْلامي ما ادّعاه له المدّعون.

وقال ابن كثير في تفسيره [1]: روى الإمام أبو عبد الله الشافعي والحاكم في مُستَدركه عن أنس أن مُعاويَة صلى بالمدينة فترك البسملة فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك فلما صلّى المرّة الثّانية بسمل...اهـ

وقال السّيوطيّ [2]:قال سعيد بن منصورفي سُنَنه حدّثنا هشيم حدّثنا حجاج حدثني شيخ من فزارة سمعت عليّاً يقول الحمد لله الذي جعل عدوّنا يسألُنا عمّا نزل به من أمر دينه إن مُعاويَة كتب إلي يسألني عن الخنثى المشكل فكتبت إليه أن يورثه من قبَل مَبَاله. وقال هشيم عن مغيرة عن الشعبي عن علي مثله.اهـ وهذه قصة أخرى يسأل فيها معاوية، وكلام أمير المؤمنين عليه السلام يتضمّن حمد الله تعالى وبيان حكم شرعي.

وفي صحيح مسلم[3] : [..] عن طاوس قال قال ابن عباس قال لي معاوية أعلمت أني قصرت من رأس النّبيّ صلى الله عليه وسلم عند المروة بمشقص فقلت له لا أعلم هذا إلا حُجّةً عليك.

**** أكذوبة " كاتب الوحي "**

---

[1] تفسير ابن كثير ج1ص18 [دار الفكر 1401 هـ]

[2] تاريخ الخلفاء السيوطي ج 1 ص177

[3] صحيح مسلم ج2ص913- الحديث رقم 1246 - دار إحياء التراث العربي/بيروت/تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي

قال ابن أبي الحديد[1]:وكان أحد كتّاب النّبيّ صلى الله عليه و آله. واختُلِفَ في كتابته له كيف كانت،فالذي عليه المحقّقون من أهل السيرة أنّ الوحي كان يكتبه عليّ عليه السلام وزيد بن ثابت،وزيد بن أرقم،وأنّ حنظلة بن الربيع التيمي ومُعاويَة بن أبى سُفْيان كانا يكتبان له إلى الملوك وإلى رؤساء القبائل ويكتبان حوائجه بين يديه،ويكتبان ما يجبى من أموال الصدقات وما يقسم في أربابها(اهـ). ولسائل أن يتساءل عمّن كان يكتب الوحي للنّبيّ صلى الله عليه وآله قبل إسلام معاوية،على أنّ معاوية من الطّلقاء،وقد فرض له النبيّ صلى الله عليه وآله مع المؤلّفة قلوبهم،وهو ما ينسف دعوى من قال إنّه أسلم قبل الفتح بسنين و كتم إيمانه،وهذه دعوى بإمكان كلّ أحد أن يدّعيها،وقد قال الله تعالى:" والذين آمنوا ولم يُهاجروا ما لكم من ولا يتهم من شئ حتّى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير"[الأنفال72].وكيف يكون معاوية مسلماً قبل الفتح وهو صاحب الأبيات التي ينهى فيها أباه عن الدخول في الإسلام[2]

***

4- مُعاويَة و التحريف والمغالطات :

---

[1] شرح نهج البلاغة ج 1 ص 338

[2] ..

الأبيات في شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج 6ص 289: ياصخر لا تسلمن يوما فتفضحنا * بعد الذين ببدر أصبحوا فرقا *خالي [وعمى] وعم الأمّ ثالثهم * وحنظل الخير قد أهدى لنا الارقا *لا تركنن إلى أمر تكلفنا * والراقصات به في مكه الخرقا *فالموت أهون من قول العداة : لقد * حاد ابن حرب عن العزى.أقول: والصّواب مكان "عمّي " جدّي فإن الذين قتلوا يوم بدرجدّه لأمّه عتبة بن ربيعة وخاله الوليد وعمّ أمّه شيبة بن ربيعة.

قال ابن أبي الحديد[1]: وروى أبو الحسن المدائنيّأنه كان لهم مع مُعاويَة بالشّام مجالس طالت فيها المحاورات والمخاطبات بينهم ، وأن مُعاويَة قال لهم في جملة ما قاله : إن قُريْشا قد عرفت أنّ أبا سُفْيان كان أكرمَها وابنَ أكرمها ، إلاّ ما جعل الله لنبيّه صلى الله عليه ، فإنّه انتجبَه وأكرمَه ، ولو أنّ أبا سُفْيان ولَدَ النّاسَ كلّهم لكانوا حُلماء. فقال له صعصعة بن صوحان : كذبت ! قد ولَدَهم خيرٌ من أبي سُفْيان ! من خَلَقَه الله بيده ، ونفخَ فيه من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا له ، فكان فيهم البَرّ والفاجر ، والكيّس والأحمَق.

قال ابْن أبي الحديد: روى أبو الحسن علي بن محمّد ابن أبي السيْف المدائنيّ في كتاب الأحداث قال: كَتَبَ مُعاويَةُ نسخةً واحدةً إلى عُمّاله بعد عام الجماعة أنْ برئَت الذّمّة ممّن روى شيئاً من فضل أبي تراب وأهل بيته . . فقامت الخطباء في كلّ كورة وعلى كلّ منبر يلعنون عليّاً ويبرّأون منْه ويقعُون فيه وفي أهل بيته.وكان أشدّ الناس بلاءً حينئذ أهلَ الكوفة لكثرة من بها من شيعة عليّ عليه السلام.فاستعمل عليهم مُعاويَة زيادَ بن سُميّة وضمّ إليه البصرة،فكان يتّبع الشّيعة وهو بهم عارف لأنّه كان منهم أيّام عليّ عليه السلام فقتلهم تحت كلّ حجرومدروأخافهم وقطع الأيديَ والأرجلَ وسملَ العُيون وصلبهم على جذوع النّخْل وطردهم وشرّدهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم.اهـ

أقول:أخطأ ابن أبي الحديد في قوله عن زياد إنّه كان من الشّيعة،بل الصّواب أنّه كان معهم كما كان إبليس مع الملائكة، فإنّ الشيعيّ لا يحدّث نفسه بأذى المُوالينَ لأهل البيت عليهم السّلام وإن كان يختلف معهم

---

[1] شرح نهج البلاغة ج 2 ص 131

ويخاصمهم كما يقتضيه شأن دارالتّزاحم في ما يخصّ القضايا الشّخصيّة والعائليّة والعشائريّة.والذي مارسه زياد مع شيعة عليّ عليه السلام يضعُه في مصافّ كبارالإرهابيّين من صهاينة ونازيّين وفاشيّة.ولا أعتقد أنّ قلباً لامسه الإيمان يُقدم على ما أقدم عليه زياد،ولكنني لا أتعجّب من فعله وهوالذي شهد على أمّه بالزّنا وعلى أبيه بالدياثة،فإنّه بذلك قد أقدم على العُقوق الذي ليس بعهده عقوق.

قال ابن أبي الحديد[1]:وقال بس:احمد الله يا أميرالمؤمنين إنّي سرت في هذا الجيش أقتل عدوّك ذاهباً جائياً لم يُنكب رجل منهم نَكبة،فقال مُعاويَة:الله قد فعل ذلك لا أنت .وكان الذي قتل بسر في وجهه ذلك ثلاثين ألفا،وحرّق قوما بالنّار..اهـ

هذه عقيدة مُعاويَة.يُرسل بسرَبنَ أرطاة في جيش كثيف ليُغيرعلى الحَرَمَيْن واليَمَن فيقْتل الأبرياء وينْتَهك الأعراض والحُرُمات،ثمّ ينسب ذلك إلى الله تعالى الذي جعل لمكّة حُرمة في الجاهليّة والإسْلام ولم يحلّها إلاّ لنبيّه ساعة من نهار!!وإذاً،فالله تعالى هوالذي قتل الأبرياء وانتهك حُرمة البيت الحرام! سبحانك هذا بهتان عظيم.

قال أبن أبي الحديد :[2] قال مُعاويَة لقيس بن سعد:رحم الله أبا حسن فلقد كان هشّاً بشّاً،ذا فُكاهة،قال قيس: نعم،كان النّبيّ صلى الله عليه وآله يمزح ويبتسم إلى أصحابه،وأراك تُسرّحَسْواً في ارْتغاء[3] وتعيبه بذلك!أما والله لقد

---

[1] شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد ج 2 ص 17

[2] شرح نهج البلاغة ج 1ص 25

[3] في المثل : " هو يسر حسوا في ارتغاء " ، يضرب لمن يظهر أمرا وهو يريد غيره . (اللسان ج9ص46)

كان مع تلك الفكاهة والطّلاقة أهْيبَ من ذي لبدتيْن[1] قد مسّه الطوى،تلك هيبة التّقوى،وليس كما يهابك طغام أهل الشّام!قال ابن أبي الحديد:وقد بقي هذا الخُلُق مُتَوَارَثاً مُتناقلا في مُحبّيه وأوْليائه إلى الآن، كما بقيَ الجفاء والخُشونة والوُعورة في الجانب الآخ،ومَن له أدْنى معْرفة بأخْلاق النّاس وعوَائدهم يعرفُ ذلك .اهـ

وفي المستطرف [2]: خطب مُعاويَة يوما فقال إنّ الله تعالى يقول وإن منْ شيْء إلاّ عندنا خزائنُه وما ننزّله إلاّ بقدرمعلوم فعلامَ تلومونني إذا قصرت في عطاياكم؟ فقال له الأحنف: إنّا والله لا نلومُك على ما في خزائن الله ولكن على ما أنزله الله لنا من خزائنه فجعلْتَه في خزائنك وحُلْتَ بيْننا وبينَه.اهـ

ويتفنّن معاوية في المغالطة بخصوص دم عثمان فيقول[3]:أيّها النّاس،قد علمتم أنّي خليفة أميرالمؤمنين عمربن الخطّاب وأمير المؤمنين عثمان بن عفّان عليكم وأنّي لم أُقمْ رجُلاً منْكمْ على خزاية قطّ،وإنّي وليّ عثمان وقد قُتل مظلُوماً والله تعالى يقول ومن قُتل مظلُوما فقد جعلْنا لوليّه سُلطاناً فلا يسرفْ في القتل إنّه كان منصُورا،وأنا أُحبّ أن تُعلموني ذات أنفُسكم في قتْل عُثمان فقام أهل الشّام بأجْمعهم فأجابوا إلى الطّلب بدم عثمان وبايعوه على ذلك وأوثقوا له على أن يبذلوا بين يديْه أموالَهم وأنفسَهم حتّى يُدركوا بثأره أو تلحقَ أرواحُهم بالله.اهـ

ولما نزل [أي عليّ عليه السلام] على النّخيلة متوجّهاً إلى الشّام وبلغ مُعاويَة خبرُه وهو يومئذ بدمشق قد ألبس منبر دمشق قميص عثمان مخضّبا

---

[1] ذو اللبدتين هو الأسد

[2] المستطرف في كل فن مستظرف ــ الأبشيهيّ ــ ج1ص134

[3] جمهرة خطب العرب ج1ص309

بالدّم وحول المنبر سبعون ألف شيْخ يبْكون حولَه لا تجفّ دموعُهم على عُثمان خطبَهم وقال : ياأهل الشام قد كنتم تُكذبونني في عليّ وقد استبان لكم أمرُه،والله ما قتل خليفتَكم غيره وهو أمر بقتله وألّب الناس عليه وآوى قتلته وهم جنده وأنصاره وأعوانه وقد خرج بهم قاصداً بلادَكم وديارَكم لإبادتكم ياأهل الشام!الله الله في دم عُثمان فأنا وليّه وأحقّ مَن طلبَ بدمه وقد جعل الله لوليّ المقتول ظلماً سلطاناً فانصُروا خليفتَكم المظلُوم،فقد صنعَ القومُ ما تعلمون قتلُوه ظلماً وبغياً وقد أمر الله تعالى بقتال الفئة الباغية حتى تفيء إلى أمر الله .ثمّ نزل فأعطوه الطّاعة وانقادُوا له وجمع إليه أطرافَه واستعدّ للقاء عليّ.اهـــ [1]

وهذا أحد معاصريه وهو شبث بن ربعيّ يخاطبه فيقول بعد أن حمد الله وأثنى عليه[2]: يامُعاويَة ؛إنّي قد فهمتُ ما رددتَ على ابْن محْصن.إنّه والله لا يخفى علينا ما تغزو وما تطلُب.إنّك لم تجدْ شيئاً تستغْوي به النّاس وتستميلُ به أهواءَهم وتستخلصُ به طاعتَهم إلاّ قولَك قُتل إمامُكم مظلوماً فنحْنُ نطلبُ بدمه، فاستجاب لك سفهاءُ طغامٌ.وقد علمْنا أنْ قدْ أبطأتَ عنْه بالنّصْروأحببْتَ له القتلَ لهذه المنزلة التي أصبحتَ تطلبُ.ورُبّ مُتمنّي أمْروطالبُه الله عزّوجلّ يحولُ دونَه بقُدرته وربما أوتي المُتمنّي أمنيتَه وفوق أمنيته ووالله ما لك في واحدة منها خيرٌ. لئن أخطأتَ ما ترجو إنّك لشرّ العرَب حالاً في ذلك ولئن أصبتَ ما تمنّى لا تصيبُه حتى تستحقّ من ربّك صليَ النّار فاتّق الله يا مُعاويَة ودع ما أنت عليه ولا تنازع الأمرَ أهلَه.

---

[1] وفي جمهرة خطب العرب ج1ص327

[2] جمهرة خطب العرب ج1ص329

[3]جمهرة خطب العرب ج1ص346

ومن خطبة لعلي عليه السلام [1]: من العجائب أنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان الأمويّ وعمرو بن العاص السّهميّ أصبحَا يحرّضان النّاس على طلب الدّين بزعمهما ولقد علمتم أنّي لم أخالف النّبيّ وآله قطّ ولم أعْصه في أمر أقيه بنفْسي في المواطن التي ينْكص فيها الأبطال وترعدُ فيها الفرائصُ بنجْدة أكرمَني الله سبحانه بها وله الحمدُ ؛ولقد قُبض النّبيّ وآله وإنّ رأسَه لفي حجري ولقد وليت غسلَه بيدي وحْدي تُقلبه الملائكة المقرّبون معي،وأيْمُ الله ما اختلفتْ أمّة قطّ بعد نبيّها إلاّ ظهرَ أهلُ باطلها على أهل حقّها إلاّ ما شاء الله.اهـ

وهذه قصّة تدع اللّبيب حيران.قال مُعاويَة لضرار بن حمزة الكنانيّ [2]: صف لي عليّاً فاسْتعْفَي فألحّ عليه فقال أما إذن فلا بدّ إنّه والله كان بعيدَ المدى شديدَ القُوى يتفجّر العلمُ من جوانبه وتنطقُ الحكمةُ من نواحيه يستوحش من الدّنْيا وزهرتها ويستأنس باللّيل وظُلمته. كان والله غزيرَ العَبْرة طويلَ الفكْرة يُقلّب كفَّه ويُعاتب نفسَه؛ يُعجبه من اللّباس ما قصُرومن الطّعام ما خشن،وكان والله يجيبُنا إذا سألْناه ويأتينا إذا دعوْناه ونحن والله مع تقريبه لنا وقُربه منّا لا نكلّمه هيبةً له. يُعظّم أهل الدّين ويحبّ المساكين لا يطمع القويّ في باطله ولا ييأس الضعيف من عدْله، فأُشهد اللهَ لقد رأيتُه في بعض مواقفه وقد أرْخى الليل سُدوله وغارت نجومُه وقد مثُلَ في محْرابه قابضاً على لحْيته يتململُ تململَ الخائف ويبْكي بكاءَ الحزين،فكأنّي الآن أسمعُه يقولُ يا دُنيا إليّ تعرّضْت أمْ إليّ تشوّقْت! هيهاتَ غُرّي غيْري لقد أبنْتُك ثلاثاً لا رجعةَ لي فيك، فعُمْرك قَصيروعيْشك حقَيروخطرُك كبيرٌ آه من قلّة الزّاد

---

[4] المستطرف في كل فن مستظرف ج1ص303

ووحْشة الطّريق؛قال فوكفتْ دموعُ مُعاويَة حتى ما يَملكُها على لحْيَته وهو يمْسحُها وقد اختنق القومُ بالبُكاء وقال رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك.اهـ

وهذه من مُعاويَة دموعُ الحسَد لا دموعُ الرّحمة،وإلاّ فكيفَ يَبْكي لذكْره ثُمّ يلْعنُه ويأمُر النّاسَ بلعْنه على المَنابر؟!وقد بقي ذلك اللعنُ مستمرّاً إلى سقوط دولة بني أُميّة. ولا يبعدُ أيضاً أن تكونَ دموعُ معاوية لاستشعار الموْقف الرّهيب عند عبارة " آه من قلّة الزّاد ووحْشة الطّريق ".فإنّ الناس مؤمنهم وكافرهم لا يشكّون في حتميّة الخروج من هذه الدنيا.

والعجيب أنّ مُعاويَة يروي حديثاً في النّهي عن الأُغْلُوطات؛ففي معجم الطّبرانيّ [1]: [..] عن رجاء بن حيوة عن معاوية بن أبي سفيان قال نهى النّبيّ صلى الله عليه وسلم عن الأُغلُوطات.

وفي حوَار بين عبيد الله بن عبّاس ومعاوية [2]: فقال له ابن عبّاس[3]،أنت أمرتَ اللّعين السيّئَ الفدم أن يقتلَ ابْنيَّ ؟ فقال:ما أمرتُه بذلك،ولوددْتُ أنّه لم يكن قتلَهما،فغضب بُسْرونزع سيفَه،فألْقاهُ،وقال لمُعاويَة:اقبضْ سيفَك،قلّدْتنيه وأمرْتني أنْ أخْبطَ به النّاسَ ففعلتُ،حتّى إذا بلغتَ ما أردتَ قلتَ لم أهْوَ ولم آمُرْ. فقال:خذ سيفَك إليْك،فلعمْري إنّك ضعيف مائقٌ حينَ تُلقي السّيفَ بيْن يدي رجُل من بني عبد مناف،قد قتلْتَ أمْس ابْنيْه.فقال له عبيدُ الله:أتحْسبُني يا معاوية قاتلاً بسْراً بأحد ابنيّ!هُوأحقروألأمُ من ذلك،ولكنّي والله لا أرى لي مقْنعاً ولا أدْرك ثاراً إلاّ أن أصيبَ بهما يزيد وعبد الله.فتبسّم مُعاويَة وقال :

---

[1] المعجم الكبير– الطبراني – ج 19 ص 389 والحديث أيضاً في الجامع الصغير للسيوطي ج2ص682 وتاريخ دمشق ج29 ص46 وللألباني فيه كلام بعد أن صرّح بأنّه أخرجه أبوداوود وأحمد وغيرهما.

[2] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج 2ص 17

[3] أي قال عبيد الله بن عباس لمعاوية

وما ذنبُ مُعاويَة وابني مُعاويَة!والله ما علمْتُ ولا أمرْتُ،ولا رضيتُ ولا هَويتُ.واحتملَها منه لشَرَفه وسُؤْدده.اهـ

يقسم مُعاويَة أنّه ما علمَ ولا أمرَولا رضيَ ولا هوي،إذاً فمن الذي أرْسل بُسْراً إلى اليمن وقال له اقْتُلْ شيعةَ عليّ حيث كانوا ؟وهل قُتل الطّفلان لشيء سوى كوْن أبيهما من شيعَة عليّ عليه السلام؟

وقال مُعاويَة لابن عبّاس[1]: مالكم يا بني هاشم تُصابون في أبصاركم فقال كما تصابون في بصائركم.

وقال ابن منظور [2]: وفي حديث مُعاويَة أنّه قال للأنصار:ما فعلتْ نواضحُكُم قالوا حرثناها يوم بدرأي أهْزلْناها يقال حرثت الدابة وأحرثتها أي أهزلْتُها. قال ابن الأثير وهذا يُخالف قول الخطّابيّ وأراد مُعاويَة بذكر النّواضح تقريعاً لهم وتعريضاً لأنّهم كانوا أهل زرْع وسقْي فأجابوه بما أسْكَتَهُ تعريضاً بقتْل أشْياخه يوم بدر.

وقال ابن حَجرالعسقلانيّ في ترجمة أحمد الحضرمي[3]: وذكرأبو حاتم السّجستانيّ في كتاب المعمّرين عن أبي عامرعن رجل من أهل البصرة قال وحدّث به أبو الجُنيد الضّرير عن أشياخه قالوا قال مُعاويَة إنّي لأُحبُّ أن ألْقى رجلاً قد أتى عليه سنّ يُخبرنا عمّا رأى فذكر القصّة وليس فيها تلك الزّيادة المنْكرة بل فيها أنّه رأى هاشم بن عبد مناف وأُميّة بن عبد شمس وأنّه قال له ما كان صنعتُك قال كنتُ تاجراً قال فما بلغت تجارتُك قال كنتُ لا أشتري غبناً ولا أردّ ربحاً وإنّ مُعاويَة قال له سلْني قال أسألك أن تردّ

---

[1] إعجاز القرآن ج1ص 84
[2] لسان العرب ــ ابن منظور ــ ج2ص136
[3] الإصابة ــ ابن حجر ــ ج 1ص 261

عليّ شبابي قال ليس ذاك بيدي قال فأسألك أن تدخلني الجنّة قال ليس ذاك بيدي قال لا أرى بيدك شيئا من الدّنْيا والآخرة فردّني من حيث جئت بي قال أمّا هذه فنَعَمْ. اهـ

قال ابن سعد [1]: أخبرنا محمّد [..]عن عكرمة قال سمعت مُعاويَة بن أبي سُفْيان يقول مولاكَ والله أفقهُ من مات وعاش.اهـ

وقد كان مُعاويَة على علم بفسْق ابنه يزيد وفجوره لأنّه أمرٌسارتْ به الركبان،ولكنّه مع ذلك يؤهّله للخلافة ويدّعي له زوراً وبُهتانا مالم يدّعه أحدٌ من الصّحابة لولده،قال الهيثمي:[2] وعن محمّد بن سيرين قال لمّا بايع حجّ فمرّ بالمدينة فخطب النّاس فقال: إنّا قد بايعنا يزيد فبايعوه فقام الحسينُ بن عليّ فقال أنا والله أحقّ بها منْه فإنّ أبى خير منْ أبيه وجدّي خير من جدّه وأمّي خير من أمّه وأنا خير منه فقال أما ما ذكرتَ أنّ جدّك خيْر من جدّه فصدقْت النّبيّ صلى الله عليه وسلم خير من أبى سُفْيان وأمّا ما ذكرت أنّ أمّك خير من أمّه فصدقتَ فاطمةُ بنت النّبيّ صلى الله عليه وسلم خيرٌ منْ بنْت بجدل وأمّا ما ذكرت أنّ أباك خيرمن أبيه فقد قارع أبوك أباه فقضى الله لأبيه على أبيك[3] وأمّا ما ذكرت أنّك خير منه فلهوأربّ منْك وأعقل ما يسرنى به مثلك ألف! رواه الطّبرانيّ وفيه الهيثم بن الرّبيع قال أبو حاتم شيخ ليس بالمعروف وبقية رجاله ثقات.اهـ

---

[1] الطبقات الكبرى ــ ابن سعد ــ ج 2ص 369

[2] مجمع الزوائد ــ الهيثمي ــ ج 5ص 198

[3] ناقض معاوية نفسه بهذا الكلام ففي سير أعلام النبلاء – الذهبي ــ ج 3 ص 140 : قال الجعفي : حدثنا يعلى بن عبيد ، عن أبيه ، قال : جاء أبو مسلم الخولاني وأناس إلى معاوية ، وقالوا : أنت تنازع عليا أم أنت مثله ؟ فقال : لا والله ، إني لاعلم أنه أفضل مني وأحق بالامر مني ، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوما ، وأنا ابن عمه ...

أقول:لابدّ من الاحتكام إلى الله ورّسوله في كلّ ما يختلف فيه المسلمون، فهل يرضى النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يقال له:إنّ مئة الف من الحسين لايساوون يزيد بن مُعاويَة ؟! وماهي المزايا والسجايا التي تجعل يزيد في هذا المستوى الذي لم يخطرببال أحد؟!ولقد نوّه النّبيّ صلى الله عليه وآله في مواطن عديدة بمقام الحسن والحسين وقال عنهما إنّهما إمامان قاما أوقعدا فكيف يتجاهل مُعاويَة كل هذا التّنويه من طرف النبيّ صلى الله عليه و آله ويتفوّه بمثل ذاك الكلام؟! أوليس في ذلك تكذيبٌ للنّبيّ صلى الله عليه و آله؟! وحتّى لو فرضنا أنّ الحسين عليه السلام لم يكن إماماً فإنّ المسلمين لا يتفاوتون في الفضل إلاّ بالأعمال الصالحة ويزيدُ خَالٍ منْها لم يدّعها له أحد ممّن يُعتبَرُ قولُه؛وقد شهد عليه أهل زمانه بالفسق واستحلّوا الخروج عن طاعته وأخرجوا عامله من المدينة وكان الذي كان،فكيف يبقى للدّين حرمة إذا كان الفاجر أفضل من مئة ألف من سيد شباب أهل الجنّة؟!

ثمّ إنّ معاوية يقول " قضى الله لأبيه على أبيك "ومعناه أنّ الله تعالى كان إلى جنب معاوية في حربه ضدّ علي عليه السلام.والنّبيُّ صلى الله عليه وآله قد سمّى فئة معاوية الفئةَ الباغيَة؛ فكيف يكون الله تعالى إلى صفّ الفئة الباغية وهوالذي حرّم البغْي وقَرَنَه بالشّرك؟وإذا كان الأمركما يدّعي معاويةُ يكون اللهُ تعالى قد قضى لقَتَلةَ الأنبياء على الأنبياء!

وفي صحيح مسلم[1]: [..]عن أبي سعيد الخدريّ قال :خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله قال آلله ما أجلسكم إلاّ ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلاّ ذاك قال أما إنّي لم أستحلفكم تهمةً لكم وما كان أحد بمنزلتي من النّبيّ صلى الله عليه وسلم أقلّ عنه حديثاً مني وإنّ النّبيّ صلى الله عليه

[1] صحيح مسلم ج4ص2075 الحديث رقم 2701

وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسْنا نذكر الله ونحمدُه على ما هدانا للإسلام ومنَّ به عليْنا قال آلله ما أجلسكم إلاّ ذاك قالوا والله ما أجلسنا إلاّ ذاك قال أما إنّي لم أستحلفكم تُهمةً لكم ولكنّه أتاني جبريل فأخبرني أنّ الله عزّ وجلّ يُباهي بكم الملائكة.اهـ

من حقّ المسلم المطّلع على سيرة النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يتساءل عن المنزلة التي يدّعيها معاوية من النّبيّ صلى الله عليه وآله ؛أوليس النّبيّ صلى الله عليه وآله هوالذي قال عن معاوية "صعلوك لا مال له " ؟!

وجاء في الإمامة والسّياسة ما يلي[1]:قال مُعاويَة[للحسين بن عليّ عليه السلام]:أمّا ما ذكرت من أنّك خير من يزيد نفسا فيزيد والله خير لأمّة محمّد منك . فقال الحسين:هذا هوالإفْك والزّور، يزيد شارب الخمر،ومشتري اللّهو خيرٌ منّي؟ فقال مُعاويَة:مهْلاً عن شتْم ابن عمّك ،فإنّك لو ذُكرت عنْده بسوء لم يشتُمك. ثمّ التفت مُعاويَة إلى النّاس وقال : أيّها الناس .... اهـ

لا أظنّ مُنصفاً يُجيزلمُعاويَة أن يُساوي بين سيّد شباب أهل الجنّة وبيْن مَنْ شَهد عليْه أهْل الحجازوغيرُهم بالفسوق والفجوروأعلنوا الثورة عليه.وفي قول مُعاويَة "فيزيد والله خيرلأمّة محمّد منك" افتراءٌ على الله ورسوله وبهتانٌ عظيم،وكيف يقول هذا مُسلم بعد ما قال النّبيّ صلى الله عليه و آله عن الحسن والحسين "ولداي هذان إمامان قاما أوقعدا "؟وفي أيّ شيء يمكن أن يكون يزيد بن مُعاويَة أفضلَ من الحسين بن عليّ عليهما السّلام؟!اللهمّ إلاّ أن يكون ذلك متعلّقا بأمْنية مُعاويَة " دفْناً دفناً " فإنّ يزيد هو المؤهّل لدفْن سنّة النّبيّ صلى الله عليه وآله وإحياء سنّة أشياخه.ولقد حكَمَ يزيد بن معاوية

---

[1] الإمامة والسياسة ابن قتيبة الدينوري ج 1ص 211

ثلاث سنين فكانت شرّ سنين عرفها تاريخ المسلمين، فيها رُميَت الكعبة واستُبيحت المدينة وقُتل آل النّبيّ صلى الله عليه وآله) وسُبيَتْ بناتُه وذراريه.

إنّه لمن المُؤسف حقّاً أن يكون استخفافُ مُعاويَة بأحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله قد بلغ ما بلغ ومع ذلك يجدُ من يُدافع عنه بعد القُرون المتطاولة وينْسبه إلى السّنّة والتّمسّك بالسّنّة !!

***

5- تهمة الإمام عليّ عليه السلام بالمشاركة في قتل عثمان:

ومن المغالطات الكبيرة التي قام بها مُعاويَة ونَشرها بين الناس واتّخذها مبرّراً لسبّ عليّ عليه السلام ولعْنه على المنابرأن اتّهمه بالمشاركة في قتل عثمان،مع أنّه عليه السلام لم يكن بين الحاضرين في الدّار يومَها،وقد رَووا أنّه أرسل ولديْه الحسنين عليهما السّلام إلى بيت عثمان يدفعان عنه،ولكنّ الغيظ كان قد ملأ قلوب المسلمين من كثرة ما تلاعب بنوأُميّة بالدّين خصوصا ما كان يُظهره مَرْوانُ من الاستخْفاف بهم ومجابَهتهم بما لا يليق من القوْل.قال ابن منظور[1]:ومنه حديث علي كرّم الله وجهه لَوَددْتُ أنّ بني أُميّة رضوا ونفلناهم خمسين رجلاً من بني هاشم يحلفُون ما قتلْنا عُثمان ولا نعلمُ له قاتلاً يُريد نفلنا لهم.اهـ

وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء[2] :أخرج ابن عساكر عن أبي خلدة الحنفيّ قال سمعت عليّاً يقول إنّ بني أميّة يزعُمون أنّي قتلتُ عُثمان ولا والله الذي لا إله إلاّ هو ما قتلتُ ولا مالأتُ ولقد نهيتُ فعَصَوْني.اهـ

---

[1] لسان العرب ــ ابن منظورــ ج11ص673

[2] تاريخ الخلفاء- السيوطي ج1ص163مطبعة السعادة مصر1371هـ - 1952م الطبعة الأولى تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد.

وفي تفْسير الطّبريّ [1]:[..] عن عمرو بن قيس السّكونـيّ أنّه سمع مُعاويَة بن أبي سُفْيان على المنبر ينتزع بهذه الآية اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ حتّى ختمها فقال نزلت في يوم عرفة في يوم جُمعة.اهـ

ولم ينفرد مُعاويَة بهذا القول، فإنّ له فيه شركاء يجمعهم القفز على منصب الخلافة بغيرحقّ.ومقصودهم جميعاً التّعتيم على يوم الغدير وصرْفُ الأذهان والأفكارعن قضيّة تنْصيب عليّ عليه السلام يومها، فلا عجب أنْ يجُرّكلّ واحد منْهم النّارإلى قُرصه.لكن الذي عليه التّحقيق هوأن الآية نزلتْ يوْم غدير خمّ،وقد احتفل النّبيّ صلى الله عليه وآله بذلك اليوم وبقي شيعة أهل البيت عليهم السّلام يهتدُون بهدْيه فحافَظوا على الاحتفال بهذا اليوم الذي تجاهله غيرُهم إلى يومنا هذا.وقد وردتْ رواياتٌ في نُزول آية " اليَوْمَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُم "في كتُب الجُمهورمن طريق أبي سعيد وأبي هُرَيْرَة وجابر بن عبد الله ومجاهد والإمامين الباقر والصادق عليهما السّلام .وأحبّذ للقارئ أن يطّلع على فصل خاصّ بهذه الآية عَقَدَهُ الأمينيّ رحمه الله تعالى في موسوعة الغدير تناول فيه ما دار حولها بتحقيق في غاية الدّقّة.

وفي تفْسير الطّبريّ ج10 ص 122 : [..] عن أبي بشر قال قال أبو ذرّ خرجتُ إلى الشّام فقرأت هذه الآية والذين يَكْنزُونَ الذَّهَبَ وَالفضَّةَ ولا يُنْفقُونَهَا في سَبيل الله فقال مُعاويَة إنّما هي في أهل الكتاب قال فقلتُ إنّها لَفينا وفيهم.حدّثني يعقوب بن إبراهيم قال حدّثنا هشيم قال أخبرنا حصين عن زيد بن وهب قال مررتُ بالرّبذة فإذا أنا بأبي ذرّ قال قلت له ما أنزلكَ منزلَك هذا قال كنتُ بالشّام فاختلفتُ أنا ومُعاويَة في هذه الآية والذينَ يَكْنزُون الذَّهَبَ

---

[1] تفْسير الطّبريّ ج6ص 83

والفضَّةَ وَلاَ يُنْفقُونَهَا في سبيل الله قال فقال نزلتْ في أهْل الكتَاب فَقُلْتُ نزلتْ فينا وفيهم ثُمّ ذكرَ نحوَ حديث هشيم عن حصين .اهـ

وفيه ردّ على مازعمه ابنُ العربيّ منْ أنّ أبا ذرّ اختارالرّبذة على جوار النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فإنّ الحديث يصرّح أنّ الخروجَ كان بسبب اختلافه مع مُعاويَة حول مضمون الآية.وقد أرادَ مُعاويَة حذْف الوَاو كيما تنطبقَ الآيةُ على أهل الكتاب دونَ المُسلمين، لكنّ أبا ذرّ لم يوافق على هذه المُحاولة التّحْريفيّة وردّ عليه الرّد المُناسب.ولا ريْب أنّ أبا ذرّ رضي الله تعالى عنه وهو من السّابقين الأوّلين إلى الإسْلام أدْرى بأسْباب النّزول من مُعاويَة الذي أسلم عام الفتْح بعد نزول أكثر القرآن.

ومن مغالطات مُعاويَة روايتُه لحديث الطّائفة الظّاهرة على الحقّ، قال ابن حزم[1]:" وذكروا ما حدّثناه عبد الله بن يوسف [..] عن ثوبان قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم :لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرُّهم مَن خذلَهم حتى يأتي أمرُ الله - زاد العتكيّ وسعيد في روايتهما - وهُم كذلك.وبه إلى مُسلم حدّثنا منصور [..] عمير بن هانىء ، قال : سمعتُ مُعاويَة على المنبر يقول:سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول:لا تزال طائفة من أمّتي قائمةً بأمرالله لا يضرّهم من خذلهم ولا من خالَفهم حتى يأتي أمرالله وهم ظاهرون على الناس" (انتهى) كلام ابن حزم.

ووجْه المُغالطة أنّ مُعاويَة حين يذكرهذا الحديث إنّما يريد حزْبه وجماعتَه

---

[1] الإحكام في أصول الأحكام ج 4 ص 496

وإلاّ فإنّ ظاهر الحديث يجعل مُعاويَة محلّ التّهمة،فإنه هوالذي يصدق عليه " من خذلهم" و"من خالفهم"،وقد خالف هو عليّاً عليه السلام الذي لا يفارقُه الحقّ وخالف أيضاً أبا ذرّ صادقَ اللّهجة،وخالفَ خُزيمة بن ثابت ذا الشّهادتين،فكيف تكون طائفته هي القائمة بأمرالله؟! وقد وقع في شباك مغالطته الذّهبيُّ وابنُ تَيْميَة وابنُ كثيروابنُ قيّم الجوزيّة،وقبلهم الجوزجانيّ،إذ جعلوا ولاءَ عليّ دونَ غيْره موجباً لإسقاط اعْتبار الرّاوي وقادحاً في عدالته.

ومن مغالطات مُعاويَة ما ذكره ابنُ حزْم في كتاب الإحكام [1]، قال:أنبأنا محمّد بن سعيد [..] عن عبد الله بن طاوس عن أبيه قال: قال مُعاويَة لابن عبّاس أنت على ملّة عليّ ؟ قال:ولا على ملّة عثمان،أنا على ملّة النّبيّ صلى الله عليه وسلم.(اهـ)فإنّ مُعاويَة يُريد أن يقول هُنا إنّ لعليّ ملّة مُخالفةً لما عليْه المُسلمون،وقد ثبت أنّ عليّاً عليه السلام أخبرأتباعه أيّام حرب صفين أنّه يظهرعليهم بعده رجلٌ رحب البلْعُوم يأمرُهم بسبّه والبراءة منْه وقال لهم أمّا السّبّ فسبّوني فإنّه زكاة لي و نجاةٌ لكم،وأمّا البراءةُ فلا تتبرّأوا منّي فإني وُلدت على الفطرة وسبقت إلى الإسلام.

وقال ياقوت الحموي[2]:الجوسق الخرب أيضاً بظاهرالكوفة عند النّخيلة وكانت الخوارج قد اختلفتْ يوْم النّهْروان فاعْتزلتْ طائفة في خمسمائة فارس مع فرْوة بن نوْفل الأشْجعيّ وقالوا لا نرى قتالَ عليّ بل نقاتل مُعاويَة وانفصلت حتّى نزلتْ بناحية شهرزور؛فلما قدم مُعاويَة من الكوفة بعد قتْل عليّ رضي الله عنه تجمّعوا وقالوا لم يبْق عُذْرفي قتال مُعاويَة وساروا حتّى نزلوا النّخيلة بظاهر الكوفة فأنفذ إليهم مُعاويَة طائفةً من جنْده فهزمتْهم الخوارج فقال

---

[1] المصدر السابق ج 4 ص 574

[2] معجم البلدان ــ ياقوت الحوي ــ ج2ص185

مُعاويَة لأهل الكوفة هذا فعْلُكم ولا أعْطيكم الأمانَ حتى تكفوني أمرَهؤلاء.فخرج إليهم أهلُ الكُوفة فقاتلوهم فقتَلوهم وكان عنْد المعركة جوسَقٌ خَرب..اهـــ

و في هذا التّصرّف من المُغالطة ما لا يخفَى،فإنّ مُعاويَة يحمّل أهلَ الكُوفة تصرّفات الخوارج،ويعلّق أمانَهم على قتال الخوارج ويقول بكل بساطة "هذا فعلكم ولا أُعطيكم الأمان حتّى تكْفُوني أمْرَ هؤلاء " وهو يعلم أنّ أهلَ الكوفة ليس لهُم سلطانٌ على الخوارج؛وقد قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام في بعض ما قال لأتباعه:" لا تُقاتلوا الخوارجَ بعْدي..."ومعلومٌ أنّ الشّيعة يتعبّدون بكلام عليّ عليه السلام لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أَمَرَبذلك وحثّ عليه،ويكفي لبيان ذلك قولُه صلى الله عليه وآله :"عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدورُمعَه حيثُ دار" وقولُه صلى الله عليه وآله " عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ ولن يفترقا حتّى يردَا عليّ الحوْض ".وهكذا جعل مُعاويَةُ أهلَ الكوفة بين أمْرين مُحرجَيْن بعد أنْ أعطاهُم الأمانَ.والتّراجُع في الأمان غدرٌ لأنّ الأمانَ عهدٌ وقدْ قال الله تعالى "وأوْفُوا بالعهْد " فمَن لمْ يَف فقدْ غَدر.فما الذي يختاره أهلُ الكوفة بين أن تُهدَردماؤهم أو يقاتلوا مَن نهاهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن قتالهم. إنّهم لا يملكون إلا أن يُخالفوا إمامَهم إبقاءً على أنفسهم.

ومن مغالطات مُعاويَة ما ذكره الذّهبيّ في سيَره[1]:عن ابن طاووس،عن أبي بكر بن حزم،عن أبيه قال: لمّا قُتل عمّار دخلَ عمروبن حزْم على عمروبن العاص فقال:قُتل عمّار،وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم:" تقتُله الفئَةُ الباغيَةُ "فدخل عمروعلى مُعاويَة فقال قُتل عمارفقال:قُتل

[1] سير أعلام النبلاء ج1ص 419

عمّارفماذا؟قال:سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول تقتُله الفئةُالباغيةُ".قال دحضْتَ في بوْلك أَوَ نحْن قتلْناه؟إنّما قتَله عليّ وأصحابُه الذين ألقَوْهُ بيْن رمَاحنا،أوقال بيْنَ سيُوفنا(اهــ).

قال المحقّق[1]بهامش الصّفحة معلّقاً على كلام معاوية :وهذه مغالطة من مُعاويَة،**غفرالله له**.وقد ردّ عليه عليّ رضي الله عنه بأنّ محمّداً صلى الله عليه وسلم إذاً قتَلَ حمزةَ حينَ أَخْرجَه.قال ابنُ دحية :هذا من عليّ إلزامٌ مُفْحمٌ لا جوابَ عنه،وحُجّةٌ لا اعتراضَ عليْها .اهــ

قال السّيوطيّ [2]:وأخرج[3]عن أبي الطّفيل عامر بن وائلة الصّحابيّ أنّه دخل على مُعاويَة فقال له مُعاويَة ألستَ من قَتَلَة عثْمان؟ قال لا ولكنّي ممّن حضرَه فلمْ ينصُرْه قال وما منَعك من نصْره؟ قال لم تنْصرْه المهاجرون والأنْصار فقال مُعاويَة أما لقدْ كانَ حقُّه واجباً عليْهم أنْ ينصُروه قال فما منَعك ياأميرالمؤمنين من نصْره ومَعَكَ أهْلُ الشّام؟ فقال مُعاويَة أمَا طلبي بدَمه نُصْرة له فضحكَ أبو الطّفيل ثمّ قال أنتَ وعثمان كما قال الشّاعر لاألفينّك بعد الموْت تنْدبُني** وفي حياتي ما زوّدتني زادا.

ومن مُغالطات مُعاوية ما ذكره ابن أبي الحديد في شرح النّهج ، قال[4]:قال نصر:وحدّثنا عطية بن غنى،عن زياد بن رستم ،قال:كتب معاوية إلى عبد الله بن عُمرخاصّة،وإلى سعد بن أبي وقاص،وإلى محمّد بن مسلمة،دون كتابه إلى أهل المدينة،فكان كتابه إلى عبد الله بن عمر:أمّا

---

[1] حققه شعيب الأرناؤوط وحسين الأسد- طبع مؤسسة الرسالة -بيروت 1413

[2] تاريخ الخلفاء للسيوطي ج 1ص200

[3] أي ابن عساكر

[4] شرح نهج البلاغة ج 3ص 113

بعد،فإنّه لم يكن أحدٌ من قريْش أحبّ إليّ أن يجتمع عليه النّاس بعْد قتْل عثْمان منْك،ثمّ ذكرْت خذْلك إيّاه،وطعْنَك على أنصاره،فتغيّرْتُ لك،وقد هوّنَ ذلك عليٍّ خلافُك على عليّ،ومحا عنك بعضَ ما كان منْك،فأعنّا- رحمك الله - على حقّ هذا الخليفه المظلوم،فإنّي لستُ أريد الإمارةَ عليك،ولكنّي أريدُها لك،فإن أبيْت كانتْ شُورى بيْن المُسلمين. فأجابه عبد الله بن عمر:أمّا بعد،فإنّ الرّأى الذى أطمعك فيّ،هوالذى صيّرك إلى ما صيّرك إليه.أترك علياً في المهاجرين والأنصار،وطلحةَ والزّبيرَوعائشةَ أمّ االمؤمنين،وأتّبعُك!وأمّا زعمُك أنّي طعنْتُ على عليّ،فلعمري ما أنا كعليّ في الإيمان والهجْرة،ومكانه من النّبيّ صلى الله عليه وسلم،ونكايَته في المُشركين،ولكنّي عُهد إليّ في هذا الأمرعهْد ففزعْتُ فيه إلى الوُقوف وقلت:إنْ كان هذا هدىً ففضْلٌ تركْتُه،وإنْ كانَ ضلالاً فَشَرٌّ نجوْتُ منْه،فأغْن عنّا نفْسك،والسّلام.

ومن مغالطات معاوية ما أوْرده السّيوطيّ في تاريخ الخلفاء[1] قال:وأخرج ابن أبي شيبة عن الشّعْبيّ قال سمعتُ معاويةَ يقول ماتفرّقت أمّة قطّ إلا ظهرَ أهلُ الباطل على أهل الحقّ إلاّ هذه الأمّة!!

وفي المستطرف [2]:قال مُعاويَة رضي الله تعالى عنه ما رأيت أبلغَ من عائشة رضي الله تعالى عنها ما أغلقتُ باباً فأرادتْ فتحَه إلاّ فتحتْه ولا فتحتُ باباً فأرادتْ إغلاقَه إلا أغلقتْه (اهـ).

***

[1] تاريخ الخلفاء-السيوطي- ج1ص 202
[2] المستطرف في كلّ فنّ مستظرف ج1ص99

6- شجاعة مُعاويَة :

قال ابن أبي الحديد[1]:وحملَ وحملَ النّاسُ كلّهم حملةً واحدة،فلم يبْق لأهْل الشّام صفّ إلاّ أزالوه،حتى أفضوا إلى مُعاويَة،فدعا مُعاويَة بفرسه ليفرّعليه . وكان مُعاويَة بعد ذلك يحدّث فيقول:لمّا وضعتُ رجْلي في الرّكاب،ذكرتُ قولَ عمْرو بن الاطْنابّة:

أبَتْ لي عفّتي وأبَى بَلائي * * وأخْذي الحمْدَ بالثّمَن الرّبيح
وإقْدَامي على المَكْرُوه نَفْسي * *وضَرْبي هامةَ البَطَل المشيح
وقولْي كلّما جَشَأتْ وجَاشَتْ * * مكانَك تُحْمَدي أوْ تَسْتَريحي "

فأخرجْتُ رجْلي من الرّكاب وأقمْتُ،ونظرْتُ إلى عمرو فقلْتُ له:اليوْم صبْرٌوغداً فخْرٌ،فقال:صدقْتَ.قال إبراهيم بن ديزيل:روى عبد الله بن أبي بكرعن عبد الرحمن بن حاطب عن مُعاويَة،قال:أخذتُ بمعرفَة فرسي ووضعْت رجْلي في الرّكاب للهَرَب،حتّى ذكرْتُ شعْرابن الاطنَابَة،فعدْت إلى مقْعَدي،فأصبْتُ خيْر الدّنْيا،وإني لَرَاجٍ أنْ أصيب خيْرالآخرة!

وأيضاً في شرح النهج[2] قال إبراهيم:وروى أبو عبد الله المكي،قال حدّثنا سُفْيان بن عاصم بن كليب الحارثي عن أبيه،قال أخبرني ابن عبّاس قال:لقد حدثني مُعاويَة أنّه كان يومئذ قد قرب إليه فرساً له أنْثى،بعيدة البطن من الأرض،ليهرب عليها،حتى أتاه آت من أهل العراق،فقال له:إنّي تركت أصحاب عليّ في مثل ليلة الصّدرمن منى، فأقمت،قال:فقلنا له:فأخبرنا من هو ذلك الرّجل؟ فأبى وقال:لا أخبركم من هو .

---

[1] شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج 2ص 223

[2] شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد ج 2 ص 225

وفي أنساب الأشراف[1]:بعث علي إلى مُعاويَة:أن اخرجْ إلى أُبارزك . فلمْ يفعلْ.

وفي العقد الفريد [2]: ـ كتاب العسجدة الثّانية في الخُلفاء وتواريخهم – قال أبو الحسن:كان عليّ بن أبي طالب يخرج كل غداة بصفّين في سرعان الخيل فيقف بين الصّفين ثمّ ينادي: يا مُعاويَة عَلامَ يقتتل الناس،ابرُزْإليّ وأبْرُزُ إليك فيكون الأمر لمَن غلب!فقال له عمرو بن العاص :أنصفَكَ الرّجلُ! فقال له مُعاويَة أردتَها ياعمرووَالله لارضيتُ عنك حتّى تُبارزَ عليّاً.فبرز إليه متنكّرا فلمّا غشيَه عليّ بالسّيف رمى بنفْسه على الأرض وأبْدى له سوأته فضرب عليّ وجْه فَرسه وانْصرف عنه ! فجلس مُعاويَة يوماً (بعد ما استقرّ له الأمْر وحضرَه عمْرو) فنظر إليه فضحك فقال عمرو:أضحكَ الله سنّك ما الذي أضْحكَك؟قال:من حُضورذهْنك يوم بارزْتَ عليّاً إذ اتّقيْته بعوْرتك ! أما والله لقدْ صادفْتَ منّاناً كريماً،ولوْلا ذلك لخرمَ رفغيك بالرّمْح.فقال عمرو:أما والله إنّي(كنتُ) عنْ يمينك إذْ دعاك إلى البرازفأحولَتْ عيْناك وربَا سَحْرُك وبدَا منْك ما أكْرهُ ذكْره لك .اهـ

وقال البلاذريّ في[3]: وانهزمتْ ميْمَنة عليّ ثمّ ثابوا فأهمّت أهلَ الشّام أنفُسُهم وكثُر القتْلُ والجراحُ فيهم وركب مُعاويَة فرسه وجعل ينشد شعر ابْن الاطنابَة الأنصاريّ – وهُو عمرو بنُ عامر الخزْرجيّ،وأمّه الاطنابة بنْت شهاب من بلقين – : وقَولي كلّما جَشَأتْ وجَاشَتْ * مَكَانَك تُحمَدي أوْ تَستَريحي

---

[1] أنساب الأشراف للبلاذريّ ص 303

[2] العقد الفريد ـ ابن عبد ربّه ـ ج 3ص 110 تحت الرقم :(12)

[3] أنساب الأشراف ص 305

فكان مُعاويَة يقول بعد ذلك:ركبتُ فَرسي ومن شأني الهرَب حتى ذكرتُ شعرَ ابن الاطنابة :

أبَتْ لي عفّتي وأبَى حَيَائي * وإقْدَامي على البَطَل المشيح

وقَوْلي كُلّما جشأتْ وجَاشَتْ * مَكَانَك تُحْمَدي أوْ تَسْتَريحي

[قال:] فأمْسكَني عن الهَرب .

وفي حلية الأولياء[1]:حدّثنا أبي [..] حدّثنا محمّد بن إدريس الشافعيّ قال دخل رجلٌ من بني كنانة على مُعاويَة بن أبي سُفْيان فقال له هلْ شهدت بدْراً قال نعم قال مثْلَ مَن كنْت قال غلام قمْدُود مثل عطْباء الجلْمُود قال فحدّثني ما رأيتَ وحضرْتَ قال ما كنّا إلاّ شهودا كأغْياب وما رأينا ظفراً كان أوْشكَ منه قال فصفْ لي ما رأيتَ قال رأيتُ في سرعان النّاس عليّ بن أبي طالب غلاماً شابّاً ليْثاً عبْقريّاً يفْرى الفرْيَ[2] لا يثبتُ له أحد إلاّ قتله ولا يضرب شيئاً إلاّ هتكَه لَمْ أرَمنَ النّاس أحداً قطّ أنفقَ منه يحْمل حمْلةً ويلتفتُ التفاتةً كأنّه ثعلب روّاغ وكأنّ له عينين في قفاه وكأنّ وُثُوبَه وثُوبُ وحْش يتبعُه رجلٌ معلمٌ بريش نعامَة كأنّه جملٌ يحْطم يبساً لا يستقبل شيئاً إلاّ هدّهُ ولا يثبتُ له شيءٌ إلاّ ثكلتْه أمُّه شجاعٌ أبلهُ يحْمل بين يديه ولا يلْتَفتُ وراءَه قيل هذا حمزة بن عبدالمطلب عمّ محمّد صلى الله عليه وسلم قال فرأيتَ ماذا قال رأيتُ ما وصفتُ لكَ ورأيتُ جدّكَ عُتبةَ وخالكَ الوليدَ حين قُتلا ورأيتُ ما وصفتُ لمَن حضرَ من أهْلك لم يعفوا عنّه قال فكنتَ في المُنهزمين قال نعم ما انهزمت عشيرتُك

---

[1] حلية الأولياء ـــ أبو نعيم ـــ ج9ص145

[2] . قال ابن منظور في لسان العرب ج 15ص 154 : يفري الفري إذا كان يأتي بالعجب في عمله.

فأنّي كنتُ منهم قال لمّا انهزمتَ كنتَ في سرعانهم قال فأينَ رُحتَ قال ما رحتُ حتّى نظرتُ إلى الهضاب قال لقد أحسنتَ الهربَ قال فعلّي ما احتسبَه أبوك وبعده ما اتّعظتُ بمصرْع كمصرْع جدّك وخَالك وأخيك قال إنّك لغليظُ الكلام قال إنّي ممّن يفرّ قال إنّكم تبغَضون قُريْشا قال أمّا مَن كانَ منهم أهلَه فنبغضُه قال ومَن الذين هُم أهلُه قال من قطعَ القَرابة واستأثر بالفَيء وطلبَ الحقّ فلمّا أُعْطيَه منَعَه قال ما فيكُم خيْر من أنْ يُسْكَت عنك قال ذاك إليك قال قد فعلتُ قال قد سكتُّ. اهــ

ولا يقنَع مُعاويَة بتحيّة كانت تُقال لأبي بكروعمر،قال البخاريّ في الأدب[1]:

حدّثنا أبو اليمان قال أخبرنا شعيب عن الزّهريّ قال أخبرني عبيد الله بن عبد الله قال قدم مُعاويَة حاجّاً حجّته الأولى وهو خليفَة فدخلَ عليْه عُثمان بن حنيف الأنصاري فقال السّلام عليك أيّها الأميرورحمة الله فأنكرها أهلُ الشّام وقالوا من هذا المُنافق الذي يقصربتحيّة أمير المؤمنين؟ فبَركَ عُثمان على رُكبته ثمّ قال يا أميرالمؤمنين إنّ هؤلاء أنكرُوا عليّ أمراً أنتَ أعلمُ به منهم فوالله لقد حيّيتُ بها أبا بكروعُمروعُثمان فما أنْكرَه منهم أحدٌ فقال مُعاويَة لمنْ تكلّم من أهل الشّام على رسْلكم فإنّه قد كان بعضُ ما يقول ولكنّ أهلَ الشّام لمّا حدثتْ هذه الفتَن قالوا لا تقصرعندنا تحيّة خليفتنا فإنّي أخالكم يا أهل المدينة تقولون لعامل الصّدقة أيّها الأمير.اهــ

ومُعاويَة أعلمهم بشجاعة عليّ عليه السلام ولكنّه لايحبّها لكونها فعلت في أسلافه مافعلت يوم بدْروأُحُد قال ابن أبي الحديد[2]:وانتبهَ يوْماً مُعاويَة

---

[1] الأدب المفرد ــ البخاري ــ ج1ص354

[2] شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ــ ج1ص21

فرأى عبدَ الله بن الزّبيرجالساً تحت رجليْه على سريره،فقعدَ، فقال له عبد الله يُداعبُه:ياأمير المؤمنين،لوشئتُ أنْ أفتكَ بك لفعلْتُ،فقال:لقد شجعْتَ بعدَنا يا أبا بكْر،قال:وما الذي تُنكرُه من شجاعتي وقد وقفْتُ في الصّفّ إزاءَ عليّ بن أبى طالب!قال:لاجرمَ أنّه قتلَك وأباك بيسرى يديْه وبقيَت اليُمنى فارغة يطلبُ مَن يقتُله بها .

***

7- وفاة مُعاويَة :

كان مُعاويَة في بداية عمره صعلوكاً كما تقول عبارة النّبيّ صلى الله عليه وآله ، وبعد وفاة أخيه يزيد بن أبي سُفْيان صارت إليه ولاية الشام،فلم يتزحزح عنها إلا إلى قبره.وكان يقول عن نفسه إنه لا يأتي من بعده إلا من هو شرّ منْه كما أن من كان قبله خير منه.وقد كانت سنيّ حكمه استبدادية لا تعرف الرحمة، يحاسب فيها الناس على معتقداتهم وميولهم ومشاعرهم،وهوأمرلم يسبقْه إليه أحد.وقد سبق قوله"لا والله إلا دفنا دفنا" وهو ما يؤكّدُ أنّ أعماله كانت متعمَّدة مقصودة ولم تكن اجتهادات كما يزعم الذّهبيّ وابن تَيْميَة ومن سارعلى نهجهما.والباحثون المنصفون لايجدون أحدا من الصحابة الأخيار يثني على مُعاويَة،بل إنه يصعب عليهم أن يجدوا من حلفائه من يثني عليه وتلك أبيات عمرو بن العاص في قصيدته الجلجلية منها قوله:

وحيث تركنا أعالي الرؤوس *** نزلنا إلى أسفل الأرجل

فإن كان بينكما نسبة *** فأين الحُسام من المنجل

وأين الثّريّا وأين الثرى *** وأين معاويةٌ من علي

ولوأنه أتيح لغيربني أُميّة أن يحكموا بعد هلاك مُعاويَة مباشرة لكان تراثنا اليوم غيرما هوعليه.لكنّ الذين حكموابعده هم بنو عشيرته بدايةً بابنه

يزيد إلى مَرْوان بن محمد الذي قُتل سنة132.فلا يتوقّع أن تصلنا كلّ أخباره وهوالحاكم المطلق اليد الذي كان يوزّع مال الله تعالى بين الشعراء المتزلفين والمتملّقين ويُشرف بنفسه على وضع الأحاديث في ذمّ علي بن أبي طالب عليه السلام ومدح أعدائه.ومع ذلك فقد وصلَنا ما يكفي لاستشفاف حقيقة ماكان يجري في دولته،وما كان يُريدُ فعلَه لوامتدّ به العمرأكثر ممّا عاش.

قال ابن العماد في الشذرات[1]:توفّي مُعاويَة بن أبي سُفْيان بدمشق في رجب وله ثمان وسبعون سنة.ولَيَ الشّام لعُمروعُثمان عشرين سنة وتملّكها بعدَ عليّ عشرين إلاّ شهراً وساربالرّعيّة سيرةً جميلة[!][2] وكان من دُهاة العرب وحلمائها يُضرَب به المَثل وهو أحد كَتَبة الوحْي **وهو الميزان في حبّ الصّحابة ومفتاح الصّحابة** ؛سئل الإمام أحمد بن حنْبل رضي الله عنه أيّما أفضل مُعاويَة أوعُمر بن عبد العزيز فقال لغُبارٌ لَحقَ بأنْف جوَاد مُعاويَة بين يديْ النّبيّ خيْر من عُمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنْه وأماتَنا على محبته.اهـ

وهذا كلام لابدّ من التّعليق عليه، فإنّه لا يخلُو من تقْليد ساذج لا يليق بأهل العلم.إذْ كيف يكون مضربَ المثَل في الحلْم وهوالذي دفنَ شيعةَ عليّ عليه السلام أحياء؟!وقد تقدّم سلوكُه مع أهل الحرمين وتسليطُه بسرَ بنَ أرْطاة وزياداً على رقاب المُسلمين يُمعنان في القتل والصّلب،وقد كان أولَى بصاحب الشّذرات أن يقول عنْه إنّه كان رمزاً من رُمُوزالإرهاب في أبْشع

[1] شذرات الذهب ــ ابن العماد ــ ج1ص65

[2] هذا الكلام من ابن العماذ يكذّبه الواقع، فإنّ سيرةمعاوية بن ابي سفيان كانت أبشع سيرة عرفها تاريخ المسلمين لما كان فيها من إرهاب فكري يشهد له قتل عمرو بن الحمق وحجر بن عديّ وغيرهما؛ وقد كان معاوية يصرّح بلعن من يحبّهم النّبيّ (صلى الله عليه وآله ويمنع الناس من الحديث في فضائل أهل البيت عليهم السلام.

صُوَره،ولكنّه الانتماءُ المذهبيّ وتقديسُ الصّحابة بَرّهم وفاجرهم.ولو اتّبع الحقّ أهواءَهم لفسدت السّماوات والأرْض. ثمّ إنّ للشافعيّ كلاماً يردّ كلام أحمد بن حنبل بخصوص فضل معاوية على عمر بن عبد العزيز،فقد قال الذهبي في معرض دفع تهمة التشيّع عن الشافعي:لوكان شيعيّاً وحاشاه من ذلك لما قال الخلفاء الراشدون خمسة؛بدأ بأبي بكروختم بعمر بن عبد العزيز.

قال ابن عساكرفي تاريخ دمشق[1]: وكان(معاوية) يقول رحم الله عبداً دعا لي بالعافية وقد رُميتُ في أحْسني وما يبدُو منّي ولولا هواي في يزيد لأبصرْتُ رشدي ولمّا اعتلّ قال وددتُ أنّي لا أعمّر فوقَ ثلاث فقيل إلى رحمة الله ومغفرته فقال إلى ما شاء وقضى قد علم أنّي لم آلُ وما كرهَ الله غيّر. وكان عندهُ قميص النّبيّ صلى الله عليه وسلم وإزاره ورداؤه وشَعْره[2] فأوصاهم عند موْته فقال كفّنوني في قميصه وأدْرجوني في ردائه وآزروني بإزاره واحْشُوا منْخَري وشدْقي بشَعْره وخلّوا بيني وبيْن رحْمة أرْحم الرّاحمين.كان حليماً وقُوراً ولَيَ العَمالةَ من قبَل الخُلفاء عشرينَ سنةً واستولى على الإمارة بعد قتل عليّ عشرين سنةً فكانت الجماعةُ عليه عشرين سنةً من سنة أربعين إلى سنة ستّين فلما نزل به الموت قال ليتني كنتُ رجلاً من قُريْش بذي طوى وأنّي لم آل من هذا الأمر شيئا [3].اهـ

---

[1] تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ـ ج 59ص 61

[2] طالما ضحك معاوية على العقول، يحتفظ بقميص النّبيّ صلى الله عليه و آله وردائه وشعره ولكنّه لا يتورّع عن محاربة أحبّ الخلق إليه وقتل حبيبه سيد شباب أهل الجنّة بالسّم.وقد قال النبيّ (صلى الله عليه وآله لعليّ وفاطمة والحسن والحسين " سلمكم سلمي وحربكم حربي " ، فمعاوية يحارب النّبيّ (صلى الله عليه وآله ويحتفظ بقميصه وشعره !!

[3] أين هذا من قول عليّ عليه السلام " فزت ورب الكعبة " ؟

ولايعجب القارئ من كلامه هذا الذي يُشتمّ منه رائحةُ الضّراعة، فإنّه لم ينفردْ بذلك،بل إنّ الزّعيم الصّينيّ ماوتسي تونغ أيضاً قالَ عنْد الموْت كلاماً يَهْدمُ نظريّاته الشّيوعيّة، فكتبتْ صحيفةُ البرَافْدَا الرّوسيّة تَذْكُرأنّه كان"يهْذي " عنْد موْته.

قال أبو نعيم [1]: حدّثنا أبي رحمه الله [..] محمّد بن إدريس الشّافعيّ قال ذكرُوا أنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان اعتمر فلما قضى عمرته وانْصرف بالأبواء فاطّلع في بئرها العَادية[2]فضربتْه اللّقوَةُ[3] فاعتمّ بعمامَة سوْداء أسْبَلَها على ساقه ثمّ استوى جالساً فأذنَ للنّاس فَدَخلُوا عليْه فحمدَ الله وأثْنى عليْه ثمّ قال أمّا بعد فإنّ ابنَ آدمَ يعرض للبَلاء ليُؤْجَرَ ويُعاقَب بذنْب أو يعْتب ليعْتب ولست مخلوّاً من واحدة من ثلاث فإن ابتُليتُ فقد ابتُلي الصّالحون قبلي وأرجو أن أكون منهم! وإنْ عوفيت فقد عُوفي الصّالحون قبلي وما آمَنُ أن أكونَ منْهُم وإنْ مرضَ عضوٌ منّي فما أُحصي صحّتي وما عُوفيتُ منه أطْول.أنا اليومَ ابنُ ستّين سنةً[4] فرحم الله عبدا دعا لي بالعافية فوالله لئن عتب علي بعض خاصّتكم فإنّي لحدث على عامّتكم،ثمّ بكى فارتفع النّاس عنْه فقال له مَرْوان بن الحكم ما يُبكيك يا أمير المؤمنين قال وقفتُ والله عمّا كنتُ عليه عزوفا وكثُر الدّمع في عيْني وابتُليت في أحبّتي وما يبْدُو منّي ولولا هوايَ في يزيد

[1] حلية الأولياء ــ أبو نعيم ــ ج9ص155/154

4 وعلى سبعة أميال من السقيا بئر الطلوب وهي بئر عادية وهي التي اطلع فيها مُعاويَة فأصابته اللقوة فأغذ السير إلى مكة /معجم ما استعجم ج3ص955

[3] قال الخليل : داء يأخذ في الوجه يعوجّ منه الشّدق . ورجل ملقوّ قد لقي . كتاب العين – الخليل الفراهيدي ج 5 ص 212

[4] إنّ صحّت نسبةِ هذا الكلام إلى معاوية فهو أيضاً داخل في مغالطاته، لأنّه يعني أنّه وُلد عام الهجرة ولم يقل به أحد ، وإلاّ كان عمره يوم وفاة النبي صلى الله عليه وآله إحدى عشرة سنةً!وكيف يعقل أن تستشير فاطمة بنت قيس النبيّ(صلى الله عليه وآله في الزّواج من غلام عمره إحدى عشرة سنةً؟!

ابْني لانْصرف قصْدي فلمّا اشتدّ وجعُه كتبَ الى ابْنه يزيد أدركْني وسرج له البريد قال فخرج يزيد وهو يقول:جاء البريدُ بقرْطاس يحثّ به(شعر) منه :

أغرّ أملح يُستسقي الغمامُ به..........لو قارعَ النّاس عن أحْلامهم قرعَا

قال فانتهى يزيد الى الباب وبه عثمان بن عنْبسة قال فقال له مالك بجنب عن أمير المؤمنين قال فأخذ بيده فأدخله على مُعاويَة فاذا هو مُغمىً عليه قال فانكبّ عليه يزيد ثم التفت إلى عثمان بن عنبسة فقال إنّا لله وإنّا إليه راجعون يا عثمان لو فات شيء لفات أبوحيان لا عاجز ولا وكل*الحولّ القلّب الأريب فما تنفع وقت المنيّة الحيل*قال صه فرفع مُعاويَة رأسه فقال هو ذاك يا بني والله ما أصبحت أتخوف على شيء فعلته إلا ما فعلته في أمرك فاذا أنا متّ فانظر كيف يكون صحبت النّبيّ صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك وتبعته بإداوة من ماء أصبّه عليه فقال ألا أكسوك قلت بلى يا النّبيّ فكساني قميصه الذي بلى جلده وقد أخذ النّبيّ صلى الله عليه وسلم من شعره وأظفاره فأخذت وهوفي موضع كذا فاذا أنا متّ فأشعرني ذلك القميص دون كَفَني واجعل ذلك الشّعروالأظفارفي فمي وفي منخري فان يقع شيء فذاك وإلاّ فانّ الله غفوررحيم. قال ثمّ توفّي مُعاويَة فأقام ثلاثة لا يخرج الى النّاس حتى قال النّاس قد اشتغل يزيد بشرب الخمر. ثمّ خرج إليهم في اليوم الرّابع فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال أما بعد فانّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان كان حبلا من حبال الله مدَّهُ مادَّهُ ثمّ قطعه دونَ من قبْله وفوقَ من بعده ولست أعتذرو لاأتشاغل بطلب العلم على رسلكم اذا كره الله شيئا غيّره؛ثم نزل .اهـ

أقول:إنّ في قول يزيد"أغرّ أملح يُستسقي الغمام به"استخفافاً بشخص النّبيّ صلى الله عليه وآله فإنّ هذا القول إنما قيل في حقّه من طرف عمّه أبي طالب رضي الله عنه حيث يقول:

وأبيضَ يُستسقى الغمامُ بوجْهه *** ثمَال اليَتامى عصمَة للأرَامل

وقد استسقى النّبيّ صلى الله عليه وآله وسُقي الناس في لحظتهم والقصّة معلومة.وفي كتب المسلمين أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لعنَ معاوية ودعاعليه،وفي كتبهم أيضاً أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام قَنَتَ بلعْن مُعاوية مدّة من الزّمان، فكيف يَستَسيغُ المسلمُون أن يُستَسقَى بمَنْ لعنَه النّبيّ صلى الله عليه وآله ولعَنَه علي بن أبي طالب عليه السلام؟!

قال ابن أبي الدنيا [1]:حدّثني عمرو [..]عن داود بن أبي هند قال تمثّل مُعاويَة عند الموت:هو الموت لا مَنْجَا من الموت والذي** نُحاذر بعد الموت أدهى وأفظع؛ثمّ قال اللّهمّ فأقل العثْرة وعاف من الزلّة وجُد بحلْمك على جهل من لم يرْجُ غيْرك ولم يثقْ إلاّ بك فإنّك واسعُ المغْفرة ليس لذي خطيئة مهْرب إلاّ أنت.قال فبلغني أنّ هذا القولَ بلغَ سعيدَ بن المسيّب رحمه الله فقال لقدْ رغبَ إلى مَن لا مَرغوب إليه مثلُه وإنّي لأرجو ألاّ يعذّبه الله عزّوجلّ . حدّثني أبي عن أبي المنذر الكوفيّ أنّ مُعاويَة جعل يقول وهو في الموت :

إنْ تُناقش يكنْ نقاشُك يا ربّ عذاباً لا طوْق لي بالعَذاب

أو تَجاوَز فأنْت ربّ رحيم عنْ مُسيء ذُنوبُه كالتّراب

وفي سير أعلام النبلاء [2]: ....إسماعيل بن أبي خالد عن قيس قال أخرج مُعاويَة يديْه كأنّهما عسيبا نخْل فقال هل الدّنْيا إلاّ ما ذُقْنَا وجرّبْنا والله لوددتُ أنّي لمْ أغبر فيكم إلاّ ثلاثاً ثمّ ألحق بالله قالوا إلى مغفرة الله ورضوانه قال إلى ما شاء الله قد علم الله أنّي لم آلُ ولوْ أرادَ الله أنْ يُغيّر غيّر.اهــ

---

[1] كتاب حسن الظن بالله لابن أبي الدّنيا ص 106

[2] سير أعلام النبلاء ــ الذهبي ــ ج3 ص161/160

لكن ابن أبي عاصم يرويها كما يلي[1]:"أخرج مُعاويَة ذراعيه كأنّهما عسيبا نخل فقال ما الدّنْيا إلاّ ما رأينا وجرّبنا والله لوددت أنّي لا أغير فيكم إلا ثلاثاً حتّى ألحَقَ بالله تعالى قالوا يا أمير المؤمنين إلى رحمة الله تعالى ورضوانه وإلى ما شاء قد علم الله تعالى أني لم آل وما أراد الله تعالى أن يغيّر غيّره".ولايخفى ما في الجملة من الرّكاكة إذْ لا فصل بين"إلى ما شاء الله "التي هي من كلامهم وبين" قد علم الله أني لم آل.."التي هي من كلام معاوية؛ولأنّ عصر الذّهبيّ متأخرعن عصرابن أبي عاصم،فإنّه ليس أمامنا إلاّ أن نفترض التّصحيف أوتعمّد الخلط من طرف ابن أبي عاصم المرميّ بالنّصب،ومثل هذا العمل لا يصدرإلا ممّن فيه شيء من النّصب؛[2]وقد اتُّهم ابنُ أبي عاصم بالنّصب.وفي طيّات كلامه ما يُشعر بذلك،وأنا أورد هُنا بعضَ ما أظنّه يُقوّي نسبةَ النّصب إليه.

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء(ج1ص195) في ترجمة مُعاويَة:أفردَ ابنُ أبي الدّنْيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلْم مُعاويَة.

وإضاف إلى التصنيف المستقل روى ابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني أمورا منها حدّثنا هدبة [..] عن نافع عن ابن عمر رضي الله تعالى عنه قال ما رأيت أحداً بعد النّبيّ أسْوَدَ من مُعاويَة قيل ولا أبو بكر قال ولا أبو بكر قد كان أبو بكر خيراً منه وكان أسودَ منه قيل ولا عُمر قال والله لقد كان عُمر خيراً منه ولكنه كان أسْود منه قيل وعُثمان قال والله أن كان عثمان لسَيّداً ولكنّه كان أسْوَد منه.[3] (انتهى) وأسود هُنا من السّيادة.

---

[1] الآحاد والمثاني ـــ ابن أبي عاصم ـــ ج 1ص 378

[2] يحتمل أيضاً أن يكون التحريف من الناسخ ..

[3] الآحاد والمثاني ج 1ص 379تحت رقم (516)

وقال ابن أبي عاصم [1]:حدّثنا أحمد[..]عن أبي الدرداء رضي الله تعالى عنه قال لا مدينة بعد عثمان ولا رخاء بعد مُعاويَة رضي الله تعالى عنهما.اهـ

وروى ابن أبي عاصم [2]: [..] وامّا القارئ لكتاب الله عزوجل الفقيه في دين الله تعالى القائم على حدود الله تعالى فمَرْوان بن الحكم[!]اهـ

وهذه أعجب من سابقاتها فإنّ لقب مَرْوان عند معاصريه "خيط باطل" وأعماله في الفتنة التي قُتل فيها عُثمان معلُومة،وهوالذي قتل طلْحة يوم الجمل،وله بعد ذلك هَنات وهَنات،وقد ذكرَالحاكم لعْنَه على لسان النّبيّ صلى الله عليه وآله فكيف يكونُ بعد ذلك"القارئ لكتاب الله عزّوجلّ الفقيه في دين الله تعالى القائم على حدود الله تعالى" ؟!

وقال[3]: حدّثنا أبو بكر [..] عن بشير بن عمرقال لنا النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ذات يوم إنّي رأيت الملائكة عليهم السّلام في المنام أخذوا عمود الكتاب فعمدوا به إلي الشّام فإذا وقعت الفتن فإن الإيمان بالشام.اهـ

وبما أنّ الشّعراء يتّبعهم الغاوون فليس عجيباً أن يتوجّه أحدهم بكلام على مُعاويَة بن يزيد يجعل موت مُعاويَة فيه رزءاً عظيماً في الإسْلام[!!] قال الحموي في خزانة الأدب[4]:ومما جمع فيه من النّظم بين التّهنئة والتّعزية قولُ بعض الشّعراء ليزيد بن مُعاويَة لمّا دفنَ أباهُ وجلس للتّعزية:

اصبرْ يزيدُ فقد فارقْتَ ذا ثقَة   واشكُرْ حباء الذي بالمُلك أصْفاكا

---

[1] الآحاد والمثاني ابن أبي عاصم ج 1ص 382
[2] الآحاد والمثاني ابن أبي عاصم – ج 1ص393
[3] الآحاد والمثاني ج 2 ص 59 تحت رقم 753
[4] خزانة الأدب لتقي الدين الحموي ج1ص139

لا رزءَ أصبحَ في الإسْلام نعلمُه كما رُزئت ولا عُقبى كعُقْبَاكا

***

ومن أخبار مُعاويَة:

في الأدب المفرد [1]:حدّثنا موسى [..]عن بلال بن سعد الأشعريّ أنّ مُعاويَة كتب إلى أبي الدّرداء اكتب إليّ فسّاق دمشق فقال ما لي وفسّاق دمشق ومن أينَ أعرفُهم فقال ابنُه بلال أنا أكتبهم فكتبَهم قال من أين علمتَ؟ما عرفتَ أنّهم فُسّاق إلاّ وأنتَ منْهم ابدأ بنفْسك ولم يرسلْ بأسمائهم.

وقال ابن قتيبة [2]:مازح مُعاويَةُ الأحنفَ بن قيْس فما رُؤيَ مازحَان أوقرَ منهُما قال له مُعاويَة يا أحنفُ ما الشيءُ الملفّفُ في البجَاد قال له السّخينةُ يا أميرَ المؤمنين أراد مُعاويَة قول الشاعر"إذا ما ماتَ ميْتٌ منْ تَميم فسرّكَ أنْ يعيشَ فَجيءْ بزَاد * بخُبْز أوْ بتَمْر أو بسَمْن أو الشّيْء المُلَفّف في البجاد* تَراه يُطوّف الآفاقَ حرصاً ليأْكُلَ رأسَ لقْمَان بْن عاد .والملفّف في البجَاد وطبُ اللّبَن وأراد الأحْنَف أنّ قُريْشاً كانتْ تُعَيَّر بأكْل السّخينَة...

أقول:ليس كما ذهب إليه ابن قُتيبة وإنما يريد قول الشّاعر في كفّارقُريْش:

زعمت سخينةُ أنْ ستغْلب ربّها وليغلبنّ مغَالب الغلاّب

والأحنفُ بنُ قيْس أعقَلُ من أنْ يُدخلَ آباءَ وأبناءَ النّبيّ صلى الله عليه وآله في الذّم.

[1] الأدب المفرد ــ البخاري ــ ج1ص438
[2] أدب الكاتب ــ ابن قتيبة ــ ج1ص11

وقال ياقوت الحموي[1]: وكان مُعاويَة يقول أغْبَطُ النّاس عيشاً عَبْدي أوْ قال موْلايَ سعْد وكانَ يَلي أموالَه بالحجاز ويترَبّع[2] جدّة ويتقيّظ الطّائف ويشتُو بمكّة.اهـ

قلتُ: قد جاء في الحديث الشّريف النّهي عن قوْل الرجل عبْدي وإنّما ينبغي أن يقول"غُلامي".والثّانية أنّ معاويةَ يغبطُ كثيراً من النّاس على أنّهم يشبعون في بطونهم وهويحلم بشبْعة فلا يجدُ إليها سبيلاً.وأمّا غُلامه سعْد فهُو في ترْحال دائم،إنْ يكنْ يَصْحَبُهُ أهلُه وولدُه فقد شقّ عليهم وحَرَمَهُم نعْمةَ الاستقرار،وإنْ يكنْ بمفرده فما فاتَه أكثرُ ممّا نال.

وقال الأبشيهي[3]: ذكرَ الإمام أبوعليّ القاليّ في كتاب الأمالي أنّ رجلاً جاء إلى مُعاويَة رضي الله تعالى عنه فقال له سألتك بالرّحم التى بيني وبينك إلاّ ما قضيتَ حاجتي فقال له مُعاويَة أمنْ قُريْش أنتَ قال لا قال فأيّ رحم بيْني وبيْنك قال رحم آدم عليه السلام قال رحمٌ مجْفوّة والله لأكوننّ أولَ من وصلَها ثمّ قضى حاجته.اهـ

أقول:إذا كانت هذه هي الرّحم فما معنى قوله تعالى وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله؟والذي لا شكّ فيه أنّ الله تعالى سوف يسألُ كلَّ أهْل القبْلة عن مودّة رَحم النّبيّ صلى الله عليه وآله لا عَنْ رَحم آدم التي يدخُل فيها فرعَوْن وهامَان وجنودهما وأبُو جهْل والوليد بن المغيرة ومن معهما،فإن يكن معاويةُ منْ أهْل القبْلة فحالُه مع آل النّبيّ صلى الله عليه وآله معْلُومة،وليس فيها ما يُستَبْشَرُ به،وإن لم يكنْ منْهم كما ذهبَ إليْه الحمانيّ

---

[1] معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــج4 ص12

[2] يتربّع من الربيع أي يقضي فصل الربيع و يتقيظ من القيظ وهو الحرّ ويقصد به هنا فصل الصيف ويشتو من الشتاء أي يقضي فصل الشتاء.

[3] المستطرف في كل فن مستظرف ج1ص346

الكوفي[1] في قوله "ماتَ معاوية على غيْر الإسلام" فالقضيّة غنيّة عن أن تُناقَش.فهلاّ رعى مُعاويَةُ رَحمَ النّبيّ وحُرمَتَه ؟

وفي معجم البلدان ج4ص338 :رُويَ أنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان مرّ بوادي القرى فَتَلاَ قولَه تعالى أتُتركُون فيما ههنا آمنين في جنات وعيون وزروع ونخل الآية ثمّ قال هذه الآية نزلت في أهْل هذه البلْدة وهي بلاد ثمود فأين العُيُون فقال له رجل صدق الله في قوله أتحبّ أن أسْتخرجَ العُيُون قال نعم فاستخرج ثمانين عيْناً فقال مُعاويَة الله أصدقُ من مُعاويَة !!

قال الأبشيهي في المستطرف[2]:وحدّث الشّيخ نبيه الجوهريّ أنّه سمع الشّيخ الإمام عزّ الدّين بن عبد السّلام يقول إنّ مُعاويَة ابن أبي سُفْيان كان يأكل في كل يوم مائة رطل بالدّمشقي ولا يشْبع!

وفي أنساب الأشراف(ص 288):فلما أصبح مُعاويَة دخل عليه عتبةُ بن أبي سُفْيان فقال له:يا مُعاويَة ما تصنعُ ؟أما ترضى أنْ تَشتريَ منْ عمْرو دينَه بمصرْ.فأعطاهُ إيّاها وكتبَ لهُ كتاباً:[أن]لا ينقُض شرْطٌ طاعةً.فمحَا عمرُوذلك وقال:اُكتبْ:لاينقض طاعةٌ شرطاً.فقال له عُتبة بن أبي سُفْيان:أيّها المَانع سيفاً لم يهز*إنّما ملتَ إلى خزّ وقزّإنّما أنتَ خروفٌ واقفٌ * بين ضرْعين وصُوف لم يُجزّ*أعْط عمْراً إنّ عمْراً باذلٌ * دينَه اليومَ لدُنْيا لمْ تحزْ

وفي معجم ما استعجم ج4ص1384 :حدّث سُفْيان بن عمْرو بن دينارعن مولى لعمْرو بن العاص أنّ عمْراً أدخل في تعْريش الوَهط[1] ألفَ ألفَ عود

---

[1] الحافظ الإمام الكبير أبو زكريّا ابن المحدث الثّقة أبي يحيى الحمّاني الكوفيّ صاحب المسند الكبيــر. قــال عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان : : إنّه مات على غير ملّة الإسلام ! ذكر ذلك العقيلي.

[2] المستطرف في كل فن مستظرف ج1ص392

قام كل عود بدرْهَم فقال مُعاويَة لعمْرو مَنْ يأخُذْ مالَ مصْرين يجْعله في وهطَيْن ويَصلَى سعيرَ نَارين.اهـ

مُعاويَة الحليم :

قال ابن خَلْدُون في[2]:وكانتْ غايتُه في الحلْم لا تُدرك وعصابتُه فيها لا تُنزَع ومرْقَاتُه فيها تزلُّ عنها الاقدامُ (ذُكر) أنّه مازح عديّ بن حاتم يوماً يؤنّبه بصُحْبَة عليّ! فقال له عديّ والله إنّ القلوبَ التي أبغَضنَاك بهَا لَفي صدُورنا وإنّ السّيوفَ التي قاتلنَاك بها لعلى عواتقنا ولئن أدْنيْتَ الينَا من الغدْر شبْراً لنُدْنيَنَّ اليْك من الشّرّ باعاً وإنّ حزَّ الحُلقُوم وحشْرجَةَ الحيْزُوم لأهْوَنُ عليْنا منْ أنْ نَسمعَ المساءةَ في عليّ فَشم السّيفَ يا مُعاويَة يبْعَث السّيف فقال مُعاويَة هذه كلماتُ حقّ فاكْتُبوها وأقبلَ عليْه ولاطَفَه وتحادَثا وأخْبارُه في الحلْم كثيرة.اهـ

أقول:معرفة القائل تيسّر فهم المقول،وسيأتي لاحقاً الحديثُ عن ابْن خَلْدُون وموْقفه من أهْل البيْت عليْهم السّلام واستخْفَافه بحَديث الإمَام المَهْديّ الذي يَمْلأُ الأرْض عدْلاً كمَا مُلئتْ ظُلماً وجوْراً.وليسَ ابنُ خَلْدُون أوّلَ مَن

---

[1] قال ابن منظور في لسان العرب ج 7ص 434 والوهط : المكان المطمئن من الأرض المستوي ينبت فيه العضاه والسمر والطلح والعرفط ، وخص بعضهم به منبت العرفط ، والجمع أوهاط ووهاط . ويقال لما اطمأن من الأرض وهطة ، وهي لغة في وهدة ، والجمع وهط ووهاط ، وبه سمي الوهط . ويقال : وهط من عشر ، كما يقال : عيص من سدر . وفي حديث ذي المشعار الهمداني : على أن لهم وهاطها وعزازها ، الوهاط : المواضع المطمئنة ، واحدتها وهط ، وبه سمي الوهط مال كان لعمرو بن العاص ، وقيل : كان لعبد الله بن عمرو بن العاص بالطائف ، وقيل : الوهط موضع ، وقيل : قرية بالطائف . والوهط : ما كثر من العرفط .

[2] المستطرف في كل فن مستظرف ج1ص408

[2] تاريخ ابن خَلْدُون ج3ص4

تخرَّجَ من مدْرسَة الأنْدَلُس الأُمويّة ليسخّر قلمَه ولسانَه في العُدوان على أهل البيت وشيعتهم؛خرج ابن خَلْدُون من الدّنيا وبقيت مدرسة أهل البيت عليهم السلام كما كانت قبل ولادته.والعاقل الذي يحكّم ضميرَه في ما يسمع ويقرأ لا يخفى عليه التّنافي التامّ بين الحلْم وبين سبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولعْنه على المَنَابر،فإنّ الحليم يُعاب عليه أن يسبّ أحداً من العوامّ في الشّارع،فكيف بمَنْ يَسبّ مَنْ هُو من النّبيّ صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى على المنابرويخرجُ من الدّنيا مُصرّاً على ذلك،مُوصياً بإدامته من بعده ،وهو يعلم أنّ الله تعالى يحبّ عليّاً وأنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يحبّه،فهل يُقْدم الحَليم على مثل هذا؟!

وقال الأبشيهي[1]:غضب مُعاويَة على يزيد فهجره فقال الأحنف يا أمير المؤمنين أولادُنا ثمارُ قُلوبنا وعمادُ ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة وبهم نصُول على كل جليلَة فإن غَضبوا فأرْضهم وإن سألوا فأعْطهم وإن لم يسألوا فابتَدئْهم ولا تنظرْ إليهم شزراً فَيَمَلّوا حياتَك ويتمنّوا وفاتَك فقال مُعاويَة ياغلامُ إذا رأيتَ يزيدَ فاقرأهُ السّلام.واحملْ إليْه مائتي ألف درْهَم ومائتَيْ ثوْب فقال يزيد مَنْ عنْد أمير المؤمنين ؟فقيل له:الأحنَف،فقال يزيد بن مُعاويَة:عَلَيّ به فقالَ يا أبا بَحْر كيفَ كانَت القصّة فحكَاها له فشَكَرَ صنيعَه وشاطرَه الصلَة.

قلتُ:أين غاب حلم الرّجل وهو يهجرأقرب النّاس إليه وأمسّهم به رَحماً؟

[1] نفس المصدر ج2ص21

مُعاويَة يخدع طلحة والزبير:

لم يتورّع معاوية عن أسلوب يَجدُ من خلاله طريقاً إلى إضعاف جهة عليّ عليه السلام،وتحريض النّاس عليه،وقد كان من أمره أن خدع طلحة والزّبير الصحابيّيْن البدْريّيْن الذيْن شهدَا يومَ الغَدير،وسمعَا النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول:" من كنت مولاه فعليّ مولاه".لقد كان طلحة والزّبير يوم بدرتحت راية راية النّبيّ صلى الله عليه وآله ،وكان معاوية تحت راية قريش الكافرة،ثُمّ دارت الأيّام وصار طلْحة والزّبير ومعاوية في خندق واحد،مقابل راية النّبيّ صلى الله عليه وآله ؛قال ابن أبي الحديد[1]:فلمّا قدم رسوله على مُعاويَة،وقرأ كتابه، بعث رجلاً من بَنى عميس،وكتبَ معه كتاباً إلى الزّبير بن العوام،وفيه بسم الله الرحمن الرحيم،لعبد الله الزّبيرأمير المؤمنين[!] من مُعاويَة بن أبى سُفْيان:سلام عليك،أمّا بعد،فإنّى قد بايعتُ لكَ أهلَ الشّام،فأجابوا واستوْسقُوا كما يستوْسق الجلبُ،فدونَك الكُوفة والبصْرة،لا يسبقْك إليها ابنُ أبى طالب فإنّه لا شيءَ بعد هذين المصريْن،وقد بايعتُ لطلحة بن عبيْد الله من بعْدك فأظْهراالطّلب بدَم عُثمان،وادْعُوَا النّاس إلى ذلك،وليكنْ منْكما الجدّ والتّشميرُ أظفرَكُماالله،وخذلَ مُناوئَكُما!فلمّا وصل هذا الكتاب إلى الزّبيرسُرَّ به،وأعلَمَ به طلحةَ وأقرأَهُ إيّاه،فلمْ يَشُكّا في النُّصْح لهُما من قبَل مُعاويَة،وأجمَعَا عند ذلك على خلاف عليّ عليه السلام .اهـ

هل كان حقّاً ما ذكره معاوية من أنّه بايع لهما أهلَ الشّام،وأنّه بايعَ لطلْحةَ من بعْد الزّبير؟!إنّ ما وردَ في الكتاب يدلّ على دَهاء مُعاوية من جهَة،وعلى سَذاجَة الصّحابيّين البدريّيْن الذيْن رشّحهما عُمَرُللخلافة منْ جهَة أخْرى.إنّ معاوية يُتقنُ ضربَ أصْحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله بعْضهم ببعْض

[1] شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد- ج 1ص 231

لِيَصفُولَهُ الجوُّويتمكّنَ من تنْفيذ مُخطّطه،وليس في مصلَحَته بقاءُ الزّبيروطلحة على قيْد الحيَاة مع اشْتهَار قضيّة السّتّة المُرشّحين للخلافة.لذلك شجّعَهُما وحرّضَهُما على مُحاربَة عليّ عليه السلام وراحَ يَعدُهُما ويُمَنّيهما وما يعدهما إلا غرورا.وانتهت القصّة بخروج الرّجلين من الدنيا على حال لا تُحمَد، فقد قُتلا جميعاً في يوم واحد وهما يحاربان إمام زمانهما؛وبموجب الحديث الذي رواه مسلم وغيره[1]"من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليّة ومن قاتل تحت راية عميّة يغضب لعصبة أو يدعوإلى عصبة أوينصر عصبة فقتل فقتلة جاهلية ومن خرج على أمّتي يضرب برَّها وفاجرَها ولا يتحاش من مؤمنها ولايَفِي لذي عهْد عهْدَه فليْس منّي ولست منه " يكون معاوية قد مات ميتةً جاهليّة لأنّ كلّ الأوصاف السّابقة تنطبق عليه،ولا ينفعه ما يُنسب إليه من الاجتهاد إذ لا اجتهاد مع كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله .

مُعاويَة يخدع عبد الله بن سلاّم القرشي:

قال محمّد بن عقيل في النصائح الكافية ص**128**:(ومن مخزياته الفاضحة) تفريقُه بالحيلَة بين عبدالله بن سلاّم القرشيّ وزوجته أُرَيْنب بنْت إسحاق حين تعشّقها خمّيرُه يزيد ليزوّجه بها مُعَاوَنَةً له على الإثم والعُدوان

---

[1] الحديث رواه مسلم (ج6ص20) و البخاري في صحيحه ج8ص88 و105وفي سنن النسائي ج7ص123 وسنن البيهقي ج8ص156و157و وسنن الدارمي ج2ص241 و مجمع الزوائد ج1ص324 وج 5ص218 وما بعدها وهو أيضا في مسند أحمد ج1ص297و310ومسند أحمد ج2ص70و83 و93 و123 و154وج3ص445وج4ص96 ومسند أبي داوود ص259 ومصنف عبد الرزاق ج2ص 379 و مصنف ابن أبي شيبة ج 8ص598و605 ومسند ابن راهويه ج1ص192 تفسير القرطبي ج14 ص56 وتفسير ابن كثير ج1ص518والمعيار و الموازنة لأبي جعفر الإسكافي ص24 ومسند ابن الجعد ص330 .

وقد روى القصّة كلّها ابنُ قتيبة رحمه الله تعالى في كتاب الإمامة، ورواها عبد الملك بْن بذْرُون الحضرميّ الإشبيليّ في كتابه أطواق الحمامة بشرح البسامة وغيرهما. اهـ

وقد تبيّن ممّا سبق أنّ الخديعة أمْرٌ مألوف لدى معاوية،يمارسه متى أمكنته الفرصة للوصول إلى مآربه ومآرب ذويه،ولايرقب في مؤمن إلاً ولاذمّة ولا يراعي عهداً ولاحُرمة.وقد تسامح معه في هذا كثير من المؤرخين أصحاب السّيروالتّراجم لأنّ الرّجُل ملَكَ وتربّعَ على كرسيّ الحُكم،والذي يطالعُ تعامُلَ الفقهاء والمُحدّثين مع كثيرممّن حكموا لا يرتاب في أنّ الحُكم في تراث المسلمين تحكّم في الشّريعة وسمح للحاكم أن يلغي أحكام السّماء ليثبت أحكامه هو،وأمثلة ذلك لا تخفى على الباحث النّزيه.

الفصل الخامس

أعمال مُعاويَة المنافية للإسلام

كان لمعاويةَ مواقفُ وأعمال لا يُقرّها الإسلام،ولا تستَسيغُها النّفوس الأبيّة،وإن حاول المُدافعون عنه أن يبرّروها؛وليس هوأولَ من حكَم فاستبدّ لكنّه تميّزعن غيره بأنْ ذهبَ إلى أبعد حدّ في التّشفّي من خُصومه والتّنكيل بمُعارضيه واستعْمال كلّ الوسائل لتَشْويههم ونسبة النّقائص إليهم؛بل بلغَ به الأمرإلى أن رغّب النّاس في الكذب على النّبيّ صلى الله عليه و آله ولم يتورّع عن ملاحقة علي بن أبي طالب عليه السلام بالسّبّ والشّتم واللّعن بعد أن فارق الدّنيا.والنّزولُ إلى هذا المستوى في معاملة الخُصوم ليس فيه ما يفخَرُ به صاحبُه،وإنّما يكشفُ عن سوء طبع ودناءة همّة لا أكثر.ولأنّ أسلوب معاوية في التّعامل مع عليّ عليه السلام تدنّى إلى ما تدنّى إليه،فقد نفرَمنْه حتّى الذين لا يدينُون بالإسلام ورأوا فيه دليلاً على انْحطاط مُعاوية وهو على عرْشه وشُمُوخِ عليّ عليه السلام وهُوفي قبْره.ولعلّ ذلك ممّا دفع الشّاعرالمسيحي بولس سلامة إلى كتابة القصائد الغرّ في مدْح عليّ عليه السلام والدّفاع عنه،ولعلّه أيضاً ممّا دفع "الكاتب المسيحيّ جورج جرداق إلى ذلك التّمجيد في كتابه "الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة ".وللأمانة فإنّه لا يسعنا إلاّ أنْ نُكبر في الرّجلين هذا الإنْصاف الذي لا يتراجع أمام الانتماء الطّائفي ولا يبخَسُ النّاس أشياءَهم لكوْنهم مُخالفين.

لقد أراد معاوية بأساليبه الحطّ من شأن علي بن أبي طالب عليه السلام فلم يوفَّقْ،بل انْقلب عليه فعلُه ولم يزدْ ذلك عليّاً إلا محبّةً في نفُوس أتْباعه وعظمةً في صُدور المطّلعين على سيرَته وأقواله.وقد كان في وُسْع معاوية أنْ يُحاكمَه إلى التّاريخ والضّميرالإنسانيّ،ويترُك للنّاس أنْ يحكُموا كلٌّ على شاكلَته،لكنّه أراد أنْ يحسمَ الأمرَبنفْسه ويقدّم الحكمَ لمَن يأتي بعده غيرَ قابل للطّعْن!واحتاطَ مُعاوية وعملَ لذلك بكلّ ما أُوتيَ،لكنّه لم يضعْ في حسابه أنّ

الأرضَ لا تخلُو من طلاّب الحقيقَة الذين لا ينْخدعُون بزُخرُف،وفاتَهُ أنّ النّفوس الخيّرة توّاقةٌ إلى من يجسّد الخيْرَ شديدةُ النّفور ممّن يُجسّدُ الشّرّ.

من بيْن أعمال معاوية التي يظهرُ فيها الاستخفَاف بالدّين أنّه صلّى الجُمُعة يوْم الأربعاء[1]وصلّى بدون بسْملَة فاعْترض عليْه المُهاجرون والأنصار[2].

وفي شرح النهج [3]:عمروبن الحمق،يعرف بالكاهن،صحب الرسول عليه السلام وشهد المشاهد مع على،وقتله مُعاويَة بالجزيرة،وكان رأسه أول رأس صلب في الإسْلام .

وقال في حق بسر[4]: بعثه مُعاويَة إلى اليمن في جيش كثيف،وأمَرَهُ أن يقتل كلَّ من كان في طاعة عليّ عليه السلام، فقتلَ خلقاً كثيراً،وقتلَ فيمن قتلَ ابنَيْ عبيد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب،وكانا غُلاميْن صغيريْن،فقالت أمّهُما تَرثيهما:يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما**كالدرّتين تشظّى عنهُما الصّدفُ في أبيات مشهورة .

أقول:لئن كان المؤرّخون والكلاميّون يصوّبون عليّاً عليه السلام ويخطّئون أصحاب الجمل وأصحاب صفّين،فإنّهم يتوقّفون في مسألة الخارج عن جماعة المسلمين،ويفتحون لأهل الباطل مصاريع التّبريروالاجتهاد،لأنّهم إن لم يفعلوا ذلك تعيّن عليهم رفعُ اليد عن عدالة جميع الصحابة التي طالما تعبّدوا بها.فمن خلال الكلام السّابق يظهرأنّ جُرْمَ الذين هجم عليهم بُسْر وقتَل منهم

---

[1] راجع راجع تذكرة الخواص : 93

[2] راجع مصنف عبد الرّزاق: 2/ 92ح 2818

[3] شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ج1 ص 259

[4] شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج 1 ص 340

وأخافَ هُوَطاعتُهم لعليّ عليه السلام لا غير،وطاعةُ وليّ الأمرعند الجمهور أمرٌلابدّ منه،لكنّها ههنا سقطت لتَعارُضها مع عدالة جميع الصحابة.وما طَرحُوه من اجتهاد من طرَف مُعاوية بن أبي سفيان وعائشة زوج النبي صلى اله عليه وآله لا يكون له وزن عند من يحترم كلام النّبيّ صلى اله عليه وآله،لأنّ الاجتهاد إنّما يقوم في إطار ضوابط شرعية تحدّدها الأحكام ؛ والأحكام تقضي أنّ وليّ الدّم هوالذي يطالب بالقصاص،وهذا وفق المراتب والطّبقات الموجودة في أحكام المواريث.ومن لم يكن له وليّ فالحاكم الشرعيّ وليّه، ولم تكن عائشة ولا معاوية من أولياء عثمان في حضورأولاد الأخيروبناته.فكان المفروض أن يأتي أولاد عثمان وبناته إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ويطالبوا بحقّهم في القصاص إن كان هُناك قصاص.والحال أنّ عُثمان قَتَلَ نفسَه،لأنّ المسلمين من صحابة وتابعين استنفدُوا معه كلّ الأساليب والوسائل ليتنحّى عن الحُكم بعْد أن ثبت عجزُه عن إدارته بطريقة صحيحة، لكنّه أبى إلا التمسّك بالكرسيّ حتى الموت،وزعم أنّ الله تعالى هوالذي نصبه فقال "لا أنزع قميصاً ألبسنيه الله " وهذا افتراءٌ عظيم على الله تعالى،لأنّ عبد الرّحمن بن عوف هوالذي ألبسه إياه.وعبد الرحمن بن عوف نفسه ندم على بيعة عثمان حينما تبيّن له أنّ الأمر لن يعود إليه،ومات في وضع لا يحسد عليه فإنّه وإن كان كثيرَالمال إلاّ أنّ عثمان فرض عليه الإقامة الجبرية حين منع الناس من مجالسته بعد حوار داربينهما اتّهم فيه عبدُ الرّحمن بن عوف عثمان بالتّلاعب بأموال المسلمين وتبرّأ من بيْعته وقال بالحرف الواحد [1]: " يا ابن عفان،لقد صدقنا عليك ماكنا نكذب فيك،وإني أستعيذ بالله من بيعتك ".[1]

---

[1] يشهد لذلك ما في شرح نهج البلاغة ج 1ص 195/ 196 :وقال أبو هلال العسكري في كتاب " الاوائل " : استجيبت دعوة على عليه السلام في عثمان وعبد الرحمن ، فما ماتا إلا متهاجرين متعاديين ،

❋❋❋

1 – اغتيال الحسن بن علي عليهما السلام

وهو أمرٌ يؤذي رسول الله صلى الله عليه وآله ،والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم. قال اليعقوبي[2]: تُوُفِّيَ الحسنُ بن علي سمّته جعْدة بنْتُ الأشْعَث بن قيس الكندي ووصّى أن يُدفن عنْد النّبيّ إلاّ أن تُخاف فتْنة فينقل إلي مقابر المسلمين.فاستأذن الحسينُ عائشةَ فأذنتْ له فلمّا تُوُفّي أرادوا دفنَه عند النّبيّ فلم يعرض إليهم سعيد بن العاص وهو الأمير فقام مروانُ بن الحكم وجمع بني أميّة وشيعتَه ومنَع عن ذلك فأراد الحسين الامتناع فقيل له إنّ أخاك قال إذا خفتم الفتنةَ ففي مقابر المسلمين وهذه فتنة،فسكت وصلّى عليه سعيد بن العاص فقال له الحسين لو لا أنّه سنّة لما تركتُك تصلّي عليه.

وقال [3]: وتوفي الحسن بن علي في شهر ربيع الأول سنة 49 ولما حضرته الوفاة قال لأخيه الحسين يا أخي إنّ هذه آخر ثلاث مرار سقيت فيها السُّمّ ولم أُسقَه مثلَ مرّتي هذه وأنا ميّتٌ من يوْمي فإذا أنا متّ فادفنّي مع النّبيّ فما أحد أولى بقُرْبه منّي إلاّ أن تُمنع من ذلك فلا تسفكْ فيه محْجمَةَ دم.

وفي كتاب المقريزي[4]: قد روي أنّ مُعاويَة هو الذي سمّ الحسن.

أرسل عبد الرحمن إلى عثمان يعاتبه وقال لرسوله : قل له : لقد وليتك ما وليتك من أمر الناس...

[1] شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج 1 ص 196

[2] تاريخ اليعقوبي ج2ص315

[3] تاريخ اليعقوبي ج2ص258

[4] النزاع والتخاصم– المقريزي ص 36

وقال ابن كثير[1]: [..] عن أمّ موسى أنّ جعْدة بنت الأشعث بن قيس سقَت الحسنَ السُمّ فاشتكى منه شكاة،قال فكان يوضع تحته طشت ويرفع آخر نحواً من أربعين يوماً.وروى بعضُهم أنّ يزيد بن معاوية بعث إلى جعْدة بنت الأشعث أن سُمّي الحسنَ وأنا أتزوّجك بعده،ففعلتْ،فلمّا مات الحسن بعثتْ إليه فقال:إنّا والله لم نرْضَك للحَسن أفنرْضَاك لأنْفُسنا؟وعندي أنّ هذا ليس بصحيح وعدم صحّته عن أبيه معاوية بطريق الأولى والأحرى .

ولا يعجب القارئ من قول ابن كثير "عندي أنّ هذا ليس بصحيح وعدم صحته عن أبيه معاوية أولى" فإنّ ما ليس بصحيح عند ابن كثيروَافرّكثيرٌ والمعْيارُ فيه أن يتضمّن قدحاً في بني أميّة،والرّجُلُ شاميّ،وقد كان مفتوناً بحبّ شيخه ابن تيمية،وموقف ابن تيمية من عليّ بن أبي طالب وأهل البيت عليهم السلام معلوم.

وقال ابن الأثير[2]:في هذه السّنة توفّي الحسن بن عليّ سمّته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكنديّ ووصّى أن يُدفن عند النّبيّ إلاّ أن تُخاف فتنة فيُنقل إلي مقابر المسلمين .

وقال ابن الجوزي[3]: قال محمّد بن سلام الجُمَحيّ عن ابن جعدة قال كانت جعدة بنت الأشعث بن قيس تحت الحسن بن عليّ فدسّ إليها يزيد أنْ سُمّي حسناً ففعلت فلما مات الحسن بعثت جعدة إلى يزيد تسأله الوفاء بما وعدها فقال إنّا لم نرضك للحسن أفنرضاك لأنفسنا؟

---

[1] البداية والنهاية - ابن كثير ج 8 ص 47
[2] الكامل ــ ابن الأثير ــ ج3 ص315
[3] المنتظم لابن الجوزي ج5 ص221

وقال في صفوة الصفوة [1]: وقد ذكر يعقوب بن سفيان في تاريخه أن بنت الأشعث بن قيس كانت تحت الحسن بن علي فزعموا أنها هي التي سمّته.

وجاء في وفيات الأعيان[2]:قال القتبي يقال إنّ امرأته جعدة بنت الأشعث سمّته ومكث شهرين وإنّه ليُرفع من تحته كلّ يوم كذا وكذا طست من دَم وكان يقول سُقيت السّمّ مراراً ما أصابني ما أصابني في هذه المرّة وخلف عليها رجلٌ من قُريش فأولدَها غلاماً فكان الصّبيانُ يقولون له يا ابْن مُسمّة الأزواج.

طالعْ أيضاً بخصوص سمّ الحسن :تذكرة الخواصّ **192** ،وأنساب الأشراف (الكبير)ج**3**ص**48-55**،وربيع الابرارج**4**ص**208**،وتاريخ الخلفاء للسيوطي ج**1** ص**192**.

2- قتل شيعة علي :

قال ابن أبي الحديد [3]: دعا بسرَبن أبي ارطاة،وكان قاسيَ القلب فظّاً سفّاكاً للدّماء،لارأفة عنْده ولا رحمة،فأمره أن يأخذ طريق الحجاز والمدينة ومكّة حتى ينتهي إلى اليمن،وقال له:لا تنزل على بَلَد أهلُه على طاعة عليّ إلاّ بسطت عليهم لسانَك،حتى يروا أنّهم لا نجاء لهم،وأنك محيط بهم.ثُمّ اكففْ عنهم،وادعُهم إلى البيعة لي،فمَن أبَى فاقتلْه،واقتلْ شيعةَ عليّ حيث كانوا.

---

[1] صفوة الصفوة ابن الجوزي ج1 ص762

[2] وفيات الأعيان ج2ص66

[3] شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ج 2ص 6

3- إحراق دار أبي أيّوب الأنصاري:

ومعلومٌ أنّ لدار أبي أيّوب الأنصاريّ حُرمة خاصّة بين بيوت الأنصار،فإنّها إضافة إلى كونها دار أحد الأنصارالذين شهدوا مع النّبيّ صلى الله عليه وآله المشاهدَ،هي أيضاً الدّارالمباركة التي بركت عندها ناقة النّبيّ صلى الله عليه وآله غداة الهجرة الشّريفة،وفيها أمضى النبيّ الأكرم الأيام الأولى قبل تمام بناء المسجد.وإذا كان كذلك فإنّه يعزّعلى أهل الإيمان والولاء أن يروا دارا آوتْ النبيّ صلى الله عليه و آله تلْتَهمها النّيران.لكنّ المؤرّخين لا يُشيرون إلى هذا خشيةَ أن يتنبّه العامّة ويُلحّوا في طلب تفْسير معقُول فتنْكَشف اللّعبة ويتبيّن حقدُ مُعاويَة وأهله وأنصاره على النبيّ صلى الله عليه وآله وعلى الإسلام والمسلمين.قال ابن أبي الحديد [1]: ودعا النّاس[أي بسر بن أرطاة] إلى بيعة مُعاويَة فبايعوه.ونزل فأحرق دوراً كثيرة منها دارزُرارة بن حرون أَحَدِ بني عمروبن عوف،وداررفاعة بن رافع الزّرقيّ،ودارأبي أيوب الأنصاريّ وتفقّد جابر بن عبد الله فقال:ما لى لا أرى جابراً!يا بني سلمة،لا أمان لكم عندي أو تأتوني بجابر.فعاذ جابرُ بأمّ سلمة رضي الله عنها فارسلت إلى بسر بن أرطاة فقال:لا أؤمنه حتى يبايع،فقالت له أمّ سلمة:اذهبْ فبايعْ،وقالت لابنها عُمر اذهبْ فبايعْ ،فذهبا فبايعاه.

وفي تاريخ خليفة [2]:واجتمع الناس على مُعاويَة،وأمّه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.ودخل الكُوفة فخرج عليه عبد الله بن أبي الحوساء بالنّخيلة،فبعث إليه مُعاويَة خالدَ بن عرفطة العذريّ حليف بني زهرة في جمع من أهل الكوفة،فقتل ابن أبي الحوساء في جمادى سنة إحدى

---

[1] شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج 2ص 10

[2] تاريخ خليفة بن خياط العصفري ص 153

وأربعين فيما ذكر أبوعبيدة وأبوالحسن.قال أبو عبيدة وأبو الحسن:لما قُتل ابنُ أبي الحوساء خرج حوثرة بن ذ راع،فسرح إليه مُعاويَة عبد الله بن عوف بن أحمرفي ألف،فقُتل حوثرة في جمادى الآخرة سنة إحدى وأربعين .اهـ

4- قتل الصحابيّ الجليل عمرو بن الحمق :

عمرو بن الحمق ، يعرف بالكاهن ، صحب الرسول عليه السلام وشهد المشاهد مع عليّ ، وقتله مُعاويَة بالجزيرة ، وكان رأسه أوّل رأس صُلب في الإسْلام .[1] وقال خليفة العصفري[2]: وعمرو بن الحمق بن كاهن بن حبيب بن عمرو بن القين بن رزاح بن عمرو بن سعد بن كعب بن عمرو بن ربيعة وهو لحي من ساكني الكُوفة قُتل بالموصل سنة أحدى وخمسين قتَله عبدُ الرحمن بن عثمان الثّقفي وبعثَ برأُسه إلى مُعاويَة روى أحاديث.وفي كتاب النزاع والتخاصم[3]: الذي **قاتل** عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه **وأخذ الخلافة** من الحسن بن علي رضي الله عنه **واستلْحق** زياد بن سميّة من زنْية **واستخْلف** على الأمّة ابنه يزيد القرود ويزيد الخمور.اهـ

أقول: في الكلام السّابق ثلاثة أمور من عظائم ما أتى به معاوية، وفيها جميعاً خالف النّبيّ صلى الله عليه و آله مُخالفة لا سبيلَ إلى تبريرها.

---

[1] الاشتقاق ـ الزّجّاج ـ ص 474

[2] طبقات خليفة بن خياط ص 180

[3] النزاع والتخاصم - المقريزي ص 56

5- مقبرة واحدة للمسلمين واليهود:

في شرح النهج [1]: وجاء ناس من الأنصار ليَمنَعوا من الصّلاة عليه[أي على عثمان]،فأرسل عليّ عليه السلام، فمنع من رجْم سريره،وكفّ الذين راموا منع الصّلاة عليه،ودفن في حشّ كوكب،فلمّا ظهر مُعاويَة على الأمرأمَرَ بذلك الحائط فهُدم،وأدْخل في البقيع،وأمرالنّاس أن يدفنوا موتاهم حول قبره،حتى اتّصل بمقابرالمسلمين بالبقيع .

وفي البداية والنّهاية [2]:وقد اعتنى مُعاويَة في أيّام إمارته بقبر عثمان ، ورفع الجدار بينه وبين البقيع ، وأمر النّاس أن يدفنوا موتاهم حوله حتى اتّصلت بمقابر المسلمين.اهـ

وفيه أيضاً[3]: كانت له عليه السلام سريتان،إحداهما مارية بنت شمعون القبطيّة أهداها له صاحب اسكندريّة واسمه جريج بن مينا،وأهدى معها أختها شيرين وذكرأبو نعيم أنّه أهداها في أربع جواروالله أعلم.وغلاماً خصيّاً اسمه مابور وبغلة يقال لها الدّلدل فقبل هديّته واختار لنفسه مارية وكانت من قرية ببلاد مصر يقال لها حفن من كورة أنصنا،وقد وضع عن أهل هذه البلدة مُعاويَة بن أبي سُفْيان في أيّام إمارته الخراج إكراما لها من أجل أنّها حملت من النّبيّ صلى الله عليه وسلم بولد ذَكَروهُو إبراهيم عليه السلام، قالوا:وكانت مارية جميلة بيضاء أعجب بها النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأحبّها وحظيت عنده،ولا سيما بعدما وضعت إبراهيم ولده.اهـ

---

[1] شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج 2 ص 158

[2] البداية والنّهاية ابن كثير ج 7ص 214

[3] البداية والنهاية ج 5 ص 324

قلتُ:أما كان في وُسع مُعاويَة أن يعامل بني هاشم ببعض ما عامل به أهل القرية المذكورة؟!وكيف يعامل المصريّين لأجل حمل مارية بإبراهيم ثمّ يفضّل يزيد على سيّد شباب أهل الجنّة ويرفع بذلك صوته بين المسلمين؟وما بالُه لا يُكرم آل خديجة التي حملت من النّبيّ صلى اله عليه وآله بأكثر من واحد؟!

6- سياسة التجويع :

وسياسة التجويع عمل غيرإنساني يقوم به أناس لا خلاق لهم،يحاولون من خلاله الضغط على الطرف المقابل،وإن كان الأمر يختلف في حالة الحرب فإن الحصار داخل في استرتيجيتها لأنّه أسلوب من أساليبها يهدف إلى إضعاف العدوّ،وللنّاس في ذلك مواقف وأقوال يطول ذكرها.أمّا في حالة السّلم فإنه لا يُعقل أن يُجوّع الحاكم أفراد رعيّته ويمنعهم حقوقَهم،وقد كان مُعاويَة يفعل ذلك قبال المعارضين لسياسته.قال الخطيب البغدادي[1]:انصرف ثابت بن قيس إلى منزله فيجد الأنصار مجتمعة في مسجد بني ظفر يريدون أن يكتبوا إلى مُعاويَة في حقوقهم أوّل ما استُخلف وذاك أنّه حبسهم سنتين أو ثلاثاً لم يعطهم شيئا، فقال ما هذا فقالوا نريد أن نكتب إلى مُعاويَة فقال ما تصنعون أن يكتب إليه جماعة يكتب إليه رجل منّا فإن كانت كائنة برجل منكم فهو خير من أن تقع بكم جميعا وتقع أسماؤكم عنده فقالوا فمن ذاك الذي يبذل نفسه لنا قال أنا قالوا فشأنك فكتب إليه وبدأ بنفسه فذكر أشياء منها نصرة النّبيّ صلى الله عليه وسلم وغير ذلك وقال حبست حقوقنا واعتديت علينا وظلمتنا وما لنا إليك ذنب إلاّ نصرتنا للنّبيّ صلى الله عليه وسلم فلما قدم كتابه على مُعاويَة دفعه إلى يزيد فقرأه ثم قال له ما الرأي فقال تبعث فتصلبه على بابه

[1] تاريخ بغداد ـــ الخطيب البغدادي ـــ ج 1ص 187

فدعا كبراء أهل الشام فاستشارهم فقالوا تبعث إليه حتى تقدم به ههنا وتقفه لشيعتك ولأشراف النّاس حتى يروه ثمّ تصلبه فقال هل عندكم غير هذا قالوا لا فكتب إليه قد فهمت كتابك وما ذكرت النّبيّ صلى الله عليه وسلم وقد علمت أنّها كانت ضجرة لشغلي وما كنت فيه من الفتنة التي شهرت فيها نفسك فأنظرني ثلاثاً فقدم كتابه على ثابت فقرأه على قومه وصبحهم العطاء في اليوم الرابع.اهـ

وقال البكري في معجم ما استعجم ج 3ص **740**:ولما حبس مُعاويَة الميرة عن أهل البصرة كتب إليه أهلها فلم يقرأ من كتبهم إلا كتاب الأحنف فكان فيه يا أمير المؤمنين خبزاً خبزاً فإنّ الجائع أدنى همّه نجران وإنّ الشّبعان لا يجاوز همّه سفوان فأمر بإطلاق الميرة .اهـ

7- الذين قتلهم مُعاويَة بغير السّمّ:

**** حجر بن عدي**

قال ابن خَلْدُون في تاريخه ج 3 ص13:وبعث مُعاويَة هدبة بن فيّاض القضاعيّ والحسين بن عبد الله الكلابيّ وأبا شريف البدريّ إلى حجر وأصحابه ليقتلوا منهم من أمرهم بقتْله فأتوهم وعرضَ عليهم البراءةُ من عليّ[!] فأبوا وصلّوا عامّة ليلتهم ثمّ قدموا من الغد للقتل وتوضّأ حجر وصلّى وقال لولا أن يظنّوا بى الجزع من الموت لاستكثرت منها اللّهمّ إنّا نستعديك على أمشاء أهل الكوفة يشهدون علينا وأهل الشأم يقتلوننا ثم مشى إليه هدبة بن فيّاض بالسّيف فارتعد فقالوا كيف وأنت زعمت أنّك لا تجزع من الموت فابرأ من صاحبك وندعك فقال ومالي لا أجزع وأنا بين القبر والكفن والسّيف وإن جزعت من الموت لا أقول ما يسخط الرّبّ فقَتلوه وقَتلوا ستّة معه وهم شريك بن شدّاد وصيفيّ بن فضيل وقبيصة بن حنيفة ومحرز بن شهاب

وكرام بن حبان ودفنوهم وصلّوا عليهم وعبد الرحمن بن حسان العنزي وجئ بكريم بن الخثعمي إلى مُعاويَة فطلب منه البراءة من عليّ فسكت واستوهبه سمرة بن عبد الله الخثعَمي من مُعاويَة فوهبه له على أن لا يدخل الكوفة فنزل إلى الموصل ثم سأل عبد الرحمن بن حسّان عن عليّ فأثنى خيراً ثمّ عن عثمان فقال أوّل من فتح باب الظلّم وأغلق باب الحقّ فردّه إلى زياد ليقتله شرّ قتْلة فدفَنه حيّاً وهُو سابع القوْم...اهـ

ولا أدري متى كان حبّ عليّ بن أبي طالب موجباً للقتل في الإسْلام؟!ولا أدري متى كانت البراءة من عليّ عليه السلام من الإسْلام؟ وليْت ابنَ خَلْدُون علّق على ذلك كما يُطيل التعليق حين يمرّ بشيء يتعلّق بأهل البيت عليهم السّلام وشيعتهم.وحجْربن عديّ من خيرة الصّحابة وأشْرافهم وابنُ خَلْدُون نفسُه يذكرُأنّه كان من الأمراء على أهل النّفيرالذين قدموا على عليّ عليه السلام بذى قار فركب إليهم ورحّب بهم[1]فلا شكّ في عدالته،ومع ذلك فقد قتَله مُعاويَة ظُلماً وعُدواناً،وقد استنكرتْ عائشةُ زوجُ النّبيّ صلى الله عليه وآله قتْلَه،فلابُدّ لابْن خَلْدُون من صرْف نظَر القارئ واخْتصارالمطلب بقوله"وخَبَره معْروف".وبعْد هذا هلْ يوافقُ ابنُ خَلْدُون عائشةَ زوجَ النّبيّ صلى الله عليه وآله في موْقفها من قتْله أم يعدّها مُجتهدةً مُخطئةً مأجورةً كما هي عادتُه لتبريرأعمال مُعاويَة؟!.

والعجب من ابن خَلْدُون كيف يسمح لنفسه بمخالفة النّبي صلى الله عليه وآله في الدّعيّ، فقد قال صلى الله عليه وآله :"الولد للفراش وللعاهرالحجر" وهذه قاعدة مؤكّدَة لقول الله تعالى في كتابه الكريم في سورة الأحزاب:[ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله]،فلوْ كان ابنُ خَلْدُون يحترمُ كلامَ الله تعالى وكلامَ رسوله

---

[1] تاريخ ابن خَلْدُون ج 2 ص 160

صلى الله عليه وآله ويعملُ بحُكْم إبْطال التّبنّي لما قال عنْ زياد بن سعيد الرّوميّ إنّه ابن أبي سُفْيان،ولكنّه يعزّعلى ابن خَلْدُون أن يُقرّ بوجود العُهر والفُجور عنْد آل حرْب أباً عن جدّ، لذلك خطّت يمينُه الباطلَ وقال بكلّ بساطَة " على الثّورة بأخيه زياد".وهذا يزيدُ بن مقرع شاعرٌ مُعاصرٌ لمُعاويَة وزياد يقولُ [1]:

ألا أبلغ مُعاويَة بن حرب *** مغلغلة من الرَّجُل اليَماني

أتغضبُ أنْ يُقالَ أبُوك عَفٌ *** وتَرضى أن يُقالَ أبوك زَانِ !!

فأُقْسمُ إنّ رَحْمَك منْ زيَاد *** كَرحْم الْفيل منْ ولَد الأتَان

فإذا كان ابنُ خَلْدُون يعْتقدُ أنّ الفيلَ وابنَ الأتانِ أخَوانِ فأنْعمْ به.

**** عمرو بن الحمق** (سبق الحديث عنه)

****عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة**

وقال ابن أبي عاصم[2]:[..] عن الزُّهْريّ عن القاسم بن محمّد قال قال مُعاويَة لعبد الرحمن كُنْ على ما في نفسك ولا تشرف لأهل الشّام فإنّي أخشى أن يسبقوني بنفسك ثمّ كُن من أمْرك على ما بدا لك قال فلم يلبث إلا قليلا حتى توفي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي الله تعالى عنه .اهـ !

كيف تُوُفّيَ؟ولماذا يقتلُه أهلُ الشّام إذا كانوا يعلمون أنّه ابن خليفتهم الأوّل وأخو أمّهم؟!

****محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة**

---

[1] أنساب الأشراف(الكبير) للبلاذري في ج4 ص 78

[2] الآحاد والمثاني ابن أبي عاصم ج 1 ص 471

قال ابن أبي عاصم أيضا[1]: [..] عن الزُهْرِيّ عن القاسم قال قدم مُعاويَة المدينة فاستأذن على عائشة فأذنتْ له وحْدَه ولم يدخلْ معهُ أحدٌ فلمّا دخل قالتْ عائشةُ أكنْتَ تأمنُ أنْ أقعدَ لك رجُلاً فيقْتلَك كما قتلْتَ أخي محمّد بن أبي بكر [!] قال ما كنْتِ تفْعلين ذلك قالتْ لِمَ قال إنّي في بيْت أمن قالت أجَلْ .اهـ

وفي رأيي أنّ كلام عائشة يتعلّق بعبد الرّحمن بْن أبي بكْر،فإنّ مُحمّداً لم يكنْ في جيشها يوْم الجمل ولابعْدَه،وكان مُبَاينا لَها لمَوْقفها من علي بن أبي طالب عليه السلام،فكان أبغض أهلها إليها؛وإذاً فلم تكُنْ لتُقدّم الحديثَ عن قتْل مُحمّد على الحديث عن قتْل عبد الرحمن.إذاً،فقدْ قَتَل خالُ المُسلمين اثْنَيْن من أخْوَال المسلمين،ولمْ يرقُبْ فيهم إلاًّولاذمّةً لأنّهُ لم يكُنْ يهمه سوَى تَمْهيد الأمْرلابْنه يَزيد.ومع أنّ عبد الرحمن بن أبي بكر صحابيّ وابن خليفة فإنّه لا حرج في قتله حينما يكون قاتلُه مُعَاويَة،لأنّه هو أيضاً لأنّه لا حقّ للتّاريخ في الخروج عن الخطّ الأمويّ الحاكم.ويقوّي ذلك أنّ عائشة قد استحلّت قتْل أخيها محمّد بن أبي بكر يوم الجمل،وهي تعلم مدى وفائه لعليّ بن أبي طالب عليه السلام وتفانيه في خدْمته؛فلمْ يكُنْ قتْله ليَسُوءَهَا،بخلاف عبد الرّحمن بن أبي بكرالذي يمكنُها أنْ تقُوم بدعْوة ودعَاية لترْشيحه للخلافة في غياب مُعاويَة.وقد اعْترضَ عبد الرحمن بن أبي بكرحين تحدّثوا عن ولاية العهد ليزيد بن مُعاويَة وأبْدى معارضةً صريحةً،فقدْ أخرجَ عبدُ بن حميد،والنسائي وابن المنذر،والحاكم وصحّحه،وابن مرْدويْه،عن محمّد بن زياد قال:لما بايع مُعاويَة لابنه،قال مَرْوان:سنّة أبي بكْرٍوَعُمَر،فقال عبد الرحمن:سنّة هرقل وقيصر،فقال مَرْوان:هذا الذي قال الله فيه: " والذي قال لوالديه أفٍّ لكما "

---

[1] : الآحاد والمثاني ج 1ص 475

الآية، فبلغ ذلك عائشة فقالت: كذبَ مَرْوان،والله ما هُوَ به،ولوْ شئت أنْ أسمّي الذي نزلتْ فيه لسمّيْته[1]،ولكنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم لعنَ أبا مَرْوان،ومَرْوان في صُلْبه،فمَرْوانُ من لعْنة الله.(اهـ)،فكان همّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان اغتيالَ عبد الرحمن بن أبي بكربعد أن اغتال الحسن بن علي عليهما السّلام وسعدَ بن أبي وقّاص آخرَ جماعة الشّورى الذين رشّحَهُم عُمر للخلافة.

****محمّد بن أبي حذيفة :**

قال البلاذري في بيان أسره وقتله[2]:وأمّا محمّد ابن أبي حذيفة،فإنّ محمّد بن أبي بكرخلّفه حين زحف إلى عمرو بن العاص[على ما]تحت يده،فلمّا قُتل ابنُ أبي بكر،جمع من النّاس مثلَ ماكان مع ابن أبي بكر[فزحف إلى] عمرووأصحابه فآمنه عمرو،ثمّ غدَربه[!] وحملَه إلى معاويةَ ومعاويةُ بفلسطين،فحبسه في سجن له،فمكث غيرَ طويل ثم إنّه هربَ وكان معاويةُ يحبّ نجاتَه،فقال رجلٌ من خَثْعَم يقال له عبيدالله بن عمرو بن ظلام – وكان عثمانيّاً –:أنا أتبعه،فخرج في خيْل فلحقَه بحُوران وقد دخلَ غاراً فدُلّ عليْه فأخرجَه وخافَ أنْ يستبْقيَه معاويةُ – إنْ أتاه به – فضربَ عنقَه.اهـ

ورَوى بعد ذلك أقوالاً من باب " قيل" مختلفةَ الألْفاظ مُتقاربةَ المعْنى تكْشف عن رسوخ معاوية وأتباعه في الغدر،وتنصّلهم منْ آداب وتعاليم الإسلام.[3]

---

[1] * لماذا لا تسمّيه ،وما المانع؟!مثل هذا الكتمان يترك ثغرات في علم التفسير لأنّ أسباب النزول لا غنى للمفسر عنها.

[2] أنساب الأشراف في ص 407

[3]- من بين ما روى البلاذري (أنساب الأشراف ص 408) :وحدثني أبو خيثمة ، وخلف بن سالم ، قالا : حدثنا وهب بن جرير عن ابن جعدبة عن صالح بن كيسان قال : لما اجتمع أمر معاوية وعمرو بن

هذاالرّجلُ ابنُ شهيد،وهوفي نفْس الوقت ابنُ خال مُعاويَة لأنّ أبا حُذيفة بنَ عُتبة بن ربيعة أخوهنْد أمّ مُعاويَة،وهوأيضا[1]زوج آمنة بنت عمروبن حرب بن أُميّة الأمويّة بنْت عمّ مُعاويَة ولدت لأبي حذيفة عاصماً ذكر ذلك ابن سعد.وبذلك تستوثق الرّحم بينهما من الجهتين جميعا.ولكنّ معاوية وجماعته يرون فيه خطراً لأنّه لم يكن أمويّ الهوى. فمُعاويَةُ يقتلُ أخوالَ المسلمين وأبناءَ أخواله أيضاً،وقد ذكرالذّهبيّ وغيرُه كلاماً لا بُدّ من التثبّت

العاص بعد الجمل وقبل صفين ، سار عمرو في جيش إلى مصر ، فلما قرب منها لقيه محمد ابن أبي حذيفة في الناس ، فلما [رأى] عمرو كثرة من معه أرسل إليه فالتقيا واجتمعا ، فقال له عمرو : إنه قد كان ما ترى وقد بايعتُ هذا الرجل وتابعتُه ، وما أنا راض بكثير من أمره ولكن له سنّا ، وإني لاعلم أن صاحبك عليا أفضل من معاوية نفسا وقدما ، وأولى بهذا الامر ، ولكن واعدني موعدا التقي أنا وأنت فيه على مهل في غير جيش تأتي في مأة راكب ليس معهم إلا السيوف في القرب وآتي في مثلهم . فتعاقدا وتعاهدا على ذلك ، واتعدا العريش لوقت جعلاه بينهما ، ثم تفرقا ورجع عمرو إلى معاوية ، فأخبره الخبر ، فلما حلّ الاجل ، سار كل واحد منهما إلى صاحبه في مئة راكب ، وجعل عمرو له جيشا خلفه ، وكان ابن [أبي] حذيفة يتقدمه فينطوي خبره [كذا] فلما التقيا بالعريش قدم جيش عمرو على أثره ، فعلم محمد أنه قد غدر به ، فانحاز إلى قصر بالعريش فتحصن فيه ، فرماه عمرو بالمنجنيق حتى أخذ أخذا فبعث به عمرو إلى معاوية فسجنه عنده ، وكانت ابنة قرظة امرأة معاوية ابنة عمة محمد ابن أبي حذيفة أمها فاطمة بنت عتبة بن ربيعة تصنع له طعاما وترسل به إليه وهو في السجن،فلما سارمعاوية إلى صفين،أرسلت ابنة قرظة بشئ فيه مساحل من حديد إلى ابن أبي حذيفة،فقطع بها الحديد عنه،ثم جاء فاختبأ في مغارة بجبل الذيب بفلسطين فدك ينظر عليه رشدين مولى أبي حذيفة أبيه، وكان معاوية خلفه على فلسطين فأخذه فقال له محمد: أنشدك الله خليت سبيلي فقال له:أخلي سبيلك فتذهب إلى ابن أبي طالب وتقاتل معه ابن عمتك وابن عمك معاوية[كذا]، وقد كنت فيمن شايع عليا على قتل عثمان . فقدمه فضرب عنقه.

[1] الضمير يعود على أبي حذيفة.

منه،لأنّ من عادة الذّهبيّ ومَنْ على شاكلته أن ينطلقوا من مَبانيهم في الحُكم على الأشخاص،ومنْ هذه المباني موقف الشّخص من عثمان؛فإذا كان الشّخص راضياً عن عُثمان عاذراً له في كلّ ما فَعَلَ عدّلوه ووثّقوه ودافعوا عنْه،وإن كان غيرَ راض عن سيرة عُثمان بَحثُوا له عن سبَب ليَشُنُّوا هُجُومَهم بلا رأْفة ولارحْمة.ولو كانُوا يطلُبون الحقّ في ما ذهبوا إليه لرعَوْا حُرمة حديث النّبيّ صلى الله عليه وآله فإنّه أخبرعن أبي ذرّوعمّارأنّهما من أصْدَق النّاس لهْجةً،وقدْ كانَ موقفُهُما من عثمان غيرَ قابل للنّقاش.

وقد ذكرُوا في كيفيّة قتْل محمّد بن أبي حُذيفة أقوالاً مع أنّها(أي القتْلة)لا تكُون إلاّ واحدةً،والذي يبدولي أصحّها ما رواه ابنُ حجرفي الإصابة،وذلك أنّه يُناسب سلوك مُعاويَة وطريقتَه في التّخلّص من مُعَارضيه،قال ابن حجر[1]:ثم كان من مسير مُعاويَة بن أبي سُفْيان إلى مصر لما أراد المسير إلى صفين فرأى ألاّ يترك أهل مصر مع ابن أبي حذيفة خلْفه فسارإليهم في عسكر كثيف فخرج إليهم ابْنُ أبي حذيفة في أهْل مصر فمنَعُوه من دخول الفُسطاط فأرْسل إليهم إنّا لا نُريد قتالَ أَحَد وإنّما نطلب قَتَلَةَ عُثمان فدارَالكلامُ بيْنهم في المُوَادعة واستخْلف ابنُ أبي حذيفة على مصْر الحكَم بنَ الصّلْت بنَ مخْرَمة بن المطّلب بن عبْد مَناف وخرج مع جماعة منْهم عبد الرحمن بن عديس[2] وكنانة بن بشر وأبو شمر بن أبرهة بن الصباح فلما بلغوا به غَدر بهم عسكر مُعاويَة وسجنوهم إلى أن قتلوا بعد ذلك .اهـ

ولا عجبَ ألاّ يُباليَ مُعاويَةُ برَحم محمّد بن أبي حذيفة،فإنّ أبا حُذيفة كان من السّابقين إلى الإسْلام وخالَف أباه وعمّه الذيْن كانا من كُبراء بني أُميّة

[1] الإصابة ـ ابن حجر العسقلاني ـ ج 6 ص 10

[2] عبد الرحمن بن عديس البلوي ممّن بايع تحت الشجرة يوم كان معاوية على الشرك.

يومَها،وقد كانت هندُ بنْت عتبة أمّ معاوية تبْغضُ أخاها أبا حذيفة بغضاً شديداً.ولعلّ معاويةَ وَرِثَ ذلك منها،وإلاّ فإنّ سيرة أبي حذيفة لا غبارعليها.قال ابن حجر في الإصابة[1]:أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشّي العبشميّ[2] قال مُعاويَة اسمه مهشم وقيل هشيم وقيل هاشم وقيل قيس كان من السّابقين إلى الإسْلام وهاجر الهجرتين وصلّى إلى القبلتين.قال ابنُ إسحاق أسلمَ بعْد ثلاثَة وأرْبَعين إنساناً وتقدّم له ذكر في ترجمة سالم مولى أبي حُذيفة وثبَتَ ذكْرُه في الصّحيحين في قصّة سالم من طريق الزُهْريّ عن عُرْوة عن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّ أبا حُذيفة بن عُتبة كان ممّن شهد بدْراً يُكنى سالماً قالُوا كان طَوالاً حَسنَ الوجْه استُشْهد يوم اليمامة وهو ابنُ ستّ وخمْسين سنَةً .اهــ

عبد الرحمن بن عديس البلوي:

وهو من الصّحابة الذين بايعُوا تحت الشّجرة،ولم يكنْ راضياً عن سيرة عُثمان.قال ياقوتُ[3]:الجليلُ بالفتْح ثم الكسْر وياء ساكنة ولام أخرى جبلُ الجليل في ساحل الشّام ممتدّ إلى قُرب حمْص كان مُعاويَة يَحْبس في موْضع منْه مَنْ يظْفرُبه ممّن يُنْبَزُ بقتْل عُثْمان بن عفّان رضي الله عنه منْهم محمّد بن أبي حذيفة وكريب بن أبْرهة وهُناك قُتل عبد الرّحمن بن عديس البلويّ قتلهُ بعْضُ الأعْراب لمّا اعْترف عنْده بقتْل عثْمان كذا قال أبو بكْر بْن موسى .اهــ

---

[1] الإصابة ــ ابن حجر العسقلاني ــ ج 7 ص 74

[2] العبشمي نسبة إلى عبد شمس بن عبد مناف

[3] : مُعجم البلدان ياقوتُ الحمويّ ج2ص157

8- سلوك الأتقياء غير سلوك الأشقياء:

لا شكّ أنّ عمل الإنسان كاشف عن مستوى إيمانه،وأنّ الإيمان الصحيح يدفع صاحبه إلى التخلّق بالأخلاق الفاضلة واجتناب السفاسف.والذي يتتبع سيرة معاوية بعيْن النّزاهة والموضوعيّة والإنصاف بعيدا عن تأثيرثقافة الكرسيّ لا يخفى عليه دناءة معاوية حين تسنح له الفرصة بالغدرأوالانتقام والتّشفّي؛ والذين زعمُوا أنّ معاوية كان حليماً قد جنَوا على التّراث وحرّفوا وزيّفوا،غيرأنّ ما فعلوه لا ينطلي على أولي البصائرالسليمة.قال ابن أبي الحديد[1]:ولمّا ملكَ عسكرُ مُعاويَة عليه الماء،وأحاطوا بشريعة الفرات،وقالت رؤساء الشّام له اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشا،سألهم عليّ عليه السلام وأصحابه أن يشرعوا لهم شرب الماء،فقالوا:لاوالله،ولاقطرة حتى تموت ظمأ كما مات ابن عفّان،فلما رأى عليه السلام أنّه الموتُ لا مَحَالة تقدّم بأصحابه،وحمل على عساكر مُعاويَة حملات كثيفة،حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع سقطت منه الرّؤوس والأيدي،وملكُوا عليهم الماء،وصار أصحاب مُعاويَة في الفلاة،لا ماء لهم،فقال له أصحابه وشيعته:امنعهم الماء يا أمير المؤمنين،كما منعوك،ولا تسقهم منه قطرة،واقتلهم بسيوف العطش،وخذهم قبضا بالأيدي فلا حاجه لك إلى الحرب،فقال:لاوالله لا أكافئهم بمثل فعلهم!افسحوا لهم عن بعض الشّريعة،ففي حدّ السّيف ما يغني عن ذلك.فهذه إن نسبتَها إلى الحلم والصّفح فناهيك بها جمالاً وحسنا،وإن نسبتَها إلى الدّين والورَع فأخلقْ بمثلها أن تصدر عن مثله عليه السلام.

قلتُ:إنّ جُنْدَ الشّام جندُ سوء،لايشكّ في ذلك موحّد بعد أن سمّاهم النبيّ صلّى الله عليه وآله"الفئة الباغية"،ولايُتوقّع من الفئة الباغية إلا البغي قولاً

---

[1] شرح نهج البلاغة ج 1ص 32

وعملاً.وقد حاولوا قتل جيش عليّ عطشاً،ثمّ ردّ الله كيدهم في نحورهم فانقلبوا خاسئين وكان من حقّ عليّ عليه السلام أن يقتلهم عطشاً كما حاولوا أن يقضوا عليه عطشاً؛ولكنّه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله بنصّ القرآن الكريم،تأبى همَّتُه العالية وأخلاقه العالية أن يقلّد الانتهازيّين الذين لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمّة.فهو يترفّع عن سلوك معاوية وجيشه تديّناً وتكرّما،ويسجّل بذلك في صحائف الإسلام موقفاً رائعاً تنْحَني أمامَه رؤوس قادة الجيوش في كلّ زمان ومكان.وقد أشارفي بعض كلماته إلى مثل هذا الموقف إشارة تضع النّاس أمام ضمائرهم وجهاً لوَجْه،بحيث يعرف كلّ واحد موقفَه وموقعَه بعيداً عن مدْح المادحين وقدْح القادحين؛قال عليه السلام[1]:"إنّ الوفاء توأم الصّدْق ولا أعلم جُنّة أوقى منه.ولا يغدُر من علم كيف المرْجع.ولقد أصبحنا في زمان قد اتّخذ أكثرُ أهله الغدرَ كيساً ونسبَهم أهل الجهل فيه إلى حُسن الحيلة.مالهم قاتلهم الله قد يرى الحُوّلُ القُلّبُ وجهَ الحيلة ودونه مانعٌ من أمْرالله ونهْيه فيدعها رأيَ عيْن بعد القُدرة عليها،وينتهزُ فرصتها من لا حريجةَ له في الدّين ".

9 ــ سلوك مُعاويَة مع غير المسلمين :

قال ابن خَلْدُون في تاريخه[ج2 ص228]:وأما المسعوديّ فذَكرَ تَرْتيب هؤلاء القياصرة من بعد الهجرة والفتح كما ذكره ابن العميد،قال والمشهور بين النّاس أنّ الهجرة وأيّام الشيخين كان ملك الروم فيها لهرقل قال وفي كتب أهل السّيَرأنّ الهجرة كانت على عهد قيصربن مورق ثمّ كان بعده ابنه

---

[1] نهج البلاغة (خطب الامام علي عليه السلام) ــ محمد عبده ــ ج1ص 92

قيصربن قيصرأيّام أبي بكر ثمّ هرقل بن قيصر أيّام عُمَروعليه كان الفتح وهوالمُخْرَجُ من الشّام أيّام أبى عبيدة وخالد بن الوليد ويزيد بن أبى سُفْيان فاستقر بالقسطنطينية،وبعده مورق بن هرقل أيّام عثمان وبعده مورق بن مورق أيّام عليّ ومُعاويَة وبعده قلفط بن مورق آخر أيّام مُعاويَة وأيّام يزيد ومَرْوان بن الحكم كان مُعاويَة يراسله ويراسل أباه مورق وكانت تختلف إليه علامة نيَاق وبشّرَه مورق بالملك وأخبره أنّ عثمان يُقْتَل وأنّ الأمريرجع إلى مُعاويَة وهادى[1] ابنه قلفط حين سارإلى حرب عليّ **رضى الله عنه** ثمّ نزلت جيوش مُعاويَة مع ابنه يزيد القسطنطينية وهلك عليها في حصاره أبو أيوب الأنصاري.

10 - قصة الأخوال :

لم يكنْ حديثٌ عنْ خال المؤمنين أيّامَ النّبيّ صلى الله عليه وآله ولا أيّام أبي بكْر وعُمر وعُثمان،وإنّما ابْتُدع ذلك أثْناء حرْب صفّين،فقدْ ذكرَ نصْر بن مُزاحم المنْقريّ عن عُمر بن سعد مايلي:حدثّني أبو عبد الله يزيد الأودى أنّ رجلا منْهم كان يقال له عمْروبن أوْس،قاتلَ مع عليّ يوم صفّين وأسَره مُعاويَة في أسْرى كثيرة،فقال له عمْرو بْن العاص:اقْتلْهُمْ.قال عمْرو بْن أوْس لمُعاويَة:إنّك خالي فلا تقْتُلني.فقامتْ إليه بنوأود فقالُوا:هبْ لنا أخانا.فقال دعُوه فلعمْري لئنْ كان صادقاً ليستغْنينّ عنْ شفاعَتكم،وإنْ كان كاذباً فإنّ شفاعتَكُم لمنْ ورَائه.فقال له مُعاويَة:منْ أيْن أنا خالُك ؟ فما بيننا وبين أود من مُصاهرة. فقال:فإذا أخبرْتُك فعرفْتَ فهُو أماني عنْدك؟ قال: نعم.قال:ألستَ تعلمُ أنّ أمَّ حبيبةَ ابْنة أبى سُفْيان زوْجة النّبيّ صلى الله عليه هي أمّ المؤمنين؟ قال: بلى

---

[1] الأصحّ والأصوب هادن من الهُدْنَة لكي يتفرّغ لمحاربة عليّ عليه السلام،وهو بهذا يقدّم محاربة المسلمين على محاربة الكفار.

قال:فأنا ابنُها وأنْت أخُوها،فأنْت خالي فقال مُعاويَة:ما له لله أبوه،ما كان في هؤلاء الأسْرى أحدٌ يفْطن لها غيْره وقال: خلُّوا سبيلَه.(انتهى)

وقال القُرْطبيّ[1]:قال الشافعي رضي الله عنه تزوّج الزّبيرأسماء بنْت أبي بكْر الصديق وهي أخت عائشة ولم يُقَل هي خالةُ المؤمنين وأطلقَ قوْم هذا وقالوا مُعاويَة خالُ المُؤمنين يعْني في الحُرمة لا في النّسب.اهـ

وإذا كانَ خال المؤمنين مَنْ كانَ أخا إحْدى أزْواج النّبيّ صلى الله عليه وآله فإنّ من الأخوال:

* عبد الرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة (أخو عائشة)

* محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة (أخو عائشة)

* عبد الله بن أبي بكر بن أبي قحافة (أخو عائشة) قال محمّد بن سعد في الطبقات الكبرى ج 2 ص 158 : ورُمي عبدُ الله بن أبي بكر الصديق يومئذ [أي يومَ الطائف] فاندْمل الجُرح ثُمّ انْتقضَ به بعد ذلك فمات منه .اهـ

* موسى بن الحارث بن الطفيل من دوس ، قال العصفري [2]: " وهو أخو عائشة وعبد الرحمن بن أبي بكر لأمّهما ".لكنّ ابن سعد يسميه "عوف بن الطفيل"ولعلّهما اثنان ويقول عنه[3]:أخو عائشة وعبد الرحمن ابني أبي بكر الصديق لامهما أم رومان.

* عبد الله بن عمر بن الخطاب(أخو حفصة).

* عبد الرحمن بن عمربن الخطاب(أخو حفصة) مات في حدّ الخمر.

---

[1] تفسير القرطبي ج14 ص126

[2] تاريخ خليفة بن خياط ص 185

[3] الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد ـ ج5ص251

* عبيد الله بن عمر بن الخطاب(قُتل في صفّين تحت راية مُعاويَة).

* عبد الله بن حجش بن رئاب (أخو زينب بنت جحش).

* عبيد الله بن حجش بن رئاب(أخو زينب بنت جحش) هاجرإلى الحبشة وتنصّرومات بها على النّصرانيّة.قال محمد بن سعد[1]: قالوا وهاجرعبدالله وعبيد الله ابنا جحش إلى أرض الحبشة في المرّة الثانية وكانت مع عبيد الله زوجتُه أمّ حبيبة بنْت أبي سُفْيان فتنصّرعبيد الله بأرض الحبشة ومات بها ورجع عبدالله إلى مكّة.اهـ

* أبو أحمد بن جحش بن رئاب(أخو زينب بنت جحش).

قال محمد بن سعد [2]: [..]عن يزيد بن رومان قال أسلم أبو أحمد بن جحش مع أخويه عبد الله وعبيد الله قبل أن يدخل النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم دارَ الأرقم يدعو فيها.اهـ

* المهاجر بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو مخزوم المخزومي أخو أم سلمة رضي الله عنها.

* عبد الله بن أبي أُميّة واسمه حذيفة وقيل سهل بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومي صهر النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم وابن عمّته عاتكة وأخو أم سلمة رضي الله عنها. استشهد في حصار الطائف.[3]

* زهير بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومي أخو أم سلمة أم المؤمنين ذكره هشام بن الكلبيّ في المؤلفة.[4]

---

[1] الطبقات الكبرى ــ محمد بن سعد ــ ج 3ص 89

[2] الطبقات الكبرى ــ محمد بن سعد ــ ج 4 ص 102

[3] [4] الإصابة – ابن حجر ج 4 ص 10.و الطبقات الكبرى ج 2 ص 158.

*ربيعة بن أبي أُميّة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .ذكره محمد بن سعد في الطبقات الكبرى[ج5 ص436] في معرض ذكرولد عبد العزيز بن عمْران الأعْرج .

* عامربن أبي أُميّة بن المغيرة المخزومي أخو أمّ سلمة،من الطّلقاء.ذكره الذّهبيّ في "من له رواية في كتب الستة"[1].

* مالك بن زمعة بن قيس بن عبد شمْس بن عبْد ودّ بن نصْر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي وهو أخو سَوْدة بنْت زمعة زوج النّبيّ صلى الله عليه وسلم وكان قديمَ الإسْلام وهاجرَ إلى أرْض الحَبشة في الهجْرة الثّانية ومعَه امْرأتُه عميرةُ بنْت السّعديّ بن وقْدان بن عبْد شمس بن عبْد ودّ بن نصْر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي أجمعُوا على ذلك كلّهُم في روايتهم جميعاً وتُوُفّي مالك بن زمعة وليس له عقب.[2]

* عبد الله بن زمْعة بن قيْس بن عبْد شمْس بن عبْد ودّ بن نصْرجدّ إبْراهيم بن سعْد بن إبْراهيم بن عبْد الرحْمن بن عوْف الزّهْريّ من جهة أمّه .[3]

* عبْد بن زمعَة بن قيْس بن عبْد شمس بن عبْد ودّ بن نصْر بن مالك جدّ الوليد بن عُتْبة بن أبي سُفْيان منْ جهة أمّه،ذكرَ ذلك ابنُ عساكر في تاريخ مدينة دمشق وله أيضاً ترجمةٌ في أُسد الغابَة.[1]

انظر الإصابة – ابن حجر– ج 2 ص 472 تحت رقم (2829)

[1] من له رواية في كتب الستة". الذّهبيّ ج 1ص 522 تحت رقم 2526.

[2] الطبقات الكبرى ــ محمد بن سعد ــج 4ص 204 / الثقات – ابن حبان – ج 6 ص 7

[3] تاريخ مدينة دمشق ج 63 ص 206

6 أسد الغابة / ابن الاثير ج 3 ص 335

* عمروبن الحارث بن أبي ضراربن عائذ بن مالك بن خزيمة وهو المصْطَلَق بن سعْد بن كعْب بن عمْرو بن ربيعة.قال خليفة بن خياط في طبقاته ص180:وهوأخوجويرية بنت الحارث زوج النّبيّ صلى الله عليه رَوَى ما ترك النّبيّ صلى الله عليه عنْد موْته إلاّ بغْلتَه وسلاحَه وأرضاً جعلَها صدقةً.اهـ

* عبد الله بن الحارث بن أبي ضرارذكره ابنُ ماكولا في ترجمة مطهّر بن موسى في إكمال الكمال[ج7ص262].

ويؤيّد ذلك ما ذكرَه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج 3 ص 218حيث يقول" فأسلمت جويرية مع أبيها وأخويها وحسن إسلامها وخطبها النّبيّ صلى الله عليه وسلم كما بلغنا فنكحها وكانت جويرية قبلُ عند ابن عمّ لها يُقال له عبد الله ذو الشّقرة ".اهـ

* عبد الرحمن بن الحارث بن أبي ضرارالمصْطَلَقيّ ذكره المَزّيّ في تهذيب الكمال[ج8 ص84]في ترجمة ابْنه محمّد بن عبد الرحمن.

* السّائب بن الحارث بن حزن بن بجير،جَدّ عبد الله بن معبد بن عبّاس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف من جهة أمّه أمّ جميل.[2]

* قطن بن الحارث بن حزن بن بجير بن الهزم بن روبية بن عبدالله بن هلال بن عامر بن صعصعة جد محمّد بن عبيد الله بن العبّاس بن عبدالمطلب من جهة أُمّه الفرعة .ذكره المزّيّ في تهذيب الكمال نقلا عن الزبير بن بكار.[3] اهـ

* حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزّى أخو خديجة أمّ المؤمنين ووالدُ حكيم ذكره ابن الأثير في الصحابة وذكره ابن حجرفي الإصابة.[1]

هؤلاء أربعة وعشرون رجلاً كل واحد منهم أخو إحدى أزواج النّبيّ صلى الله عليه وآله ،ولم يُقل عن أحد منْهم إنّه خالُ المؤمنينن وحُكْم الأمْثال في ما يجُوز وَ ما لا يجُوز واحد، فكيْف انْفرد مُعاويَة بهذا اللقب؟!

خالُ المؤمنين يقتُل أخوالَ المؤمنين !

والمفروض أنّ لأخوال المؤمنين(إخوة أزواج النّبيّ صلى الله عليه وآله) حُرمة يَضمَنُها الإسْلام،فبعضُهم صحابةٌ وبعضُهم تابعُون،وقد شاركُوا في الفُتوحات ووقَفوا إلى جانب حُكومات كلّ منْ أبي بكروعُمروعثمان،ولم يؤْذوا بني أُميّة لا من قريب ولا من بعيد،باستثناء محمّد بن أبي بكرالذي لم يكُنْ يُخفي مُخالفتَه لمنْهج أبيه ومُباينتَه لحُكومة السّقيفة إضافةً إلى إنْكاره على عثمان ما أنكره سائرالمسلمين؛فهلْ رعى لهم مُعاويَة حُرمَتهم حينَما استوْلى على الحكم؟!

أما عبيدُ الله بن عمر فإنّه لمْ يقتلْه غيلَةً لكنْ قتَلَه حيلَةً،لأنّه يعلمُ أنّ وُجُودَه يَرسُم ظلاًّ لعُمربن الخطّاب،ومن المُمكن أنْ يستَميلَ بعضَ النّاس و يُحدثَ في جيْشه فُرْقةً.ويشْهدُ لذلك ما فَعله معاوية بعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فيمابعد،مع أنّ خالد بن الوليد لا يرْقَى إلى منزلة عُمر بن الخطاب.لقد تأكّد مُعاويَة من أنّ وجودَ عبيد الله بن عمر في جيْشه لايكونُ من مصلَحته لا على المَدى القريب ولا على المدى البعيد،فقرّرأنْ يتخلص منه،بطريقة لا يُلام فيها،وفعلاً نجح في ذلك.قال محمّد بن سعد[2]: "أخبرنا محمّد بن عمر قال

---

[1] الإصابة – ابن حجر – ج 2ص 177تحت رقم (2093)

[2] : الطبقات الكبرى ــ محمّد بن سعد ــ ج 5 ص 17

حدثني محمّد بن عبد الله بن عبيد بن عمير قال سمعت رجلاً من أهْل الشّام يحدّثُ في مجْلس عمْرو بن دينارفسألْتُ عنْه بعدُ فقيل هو يزيدُ بنُ يزيد بن جابر يقولُ إنّ مُعاويَة دعا عبيدَ الله بن عُمر فقال إنّ عليّاً كما ترى في بكْر بن وائل قد حامتْ عليْه فهلْ لك أنْ تسيرَ في الشّهْباء قال نَعمْ فرجعَ عبيدُ الله إلى خبائه فلَبسَ سلاحَه ثمّ إنّه فكّر وخافَ أن يُقتل مع مُعاويَة على حاله فقال له موْلىً له فداك أبي إنّ مُعاويَةإنّما يُقدّمك للموْت إنْ كانَ لك الظّفَرُ فهو يَلي وإنْ قتلْت استَراح منْك ومن ذكْرك[!] فأطعْني واعتَلّ.. اهـ

ولم يستمع عبيد الله إلى نصيحة مولاه،وكان حتفه في تدبير معاوية له[1].

***

11ـ الاغتيالات بالسّم:

اعتمد العرب ـ وقبلهم اليهود وغيرهم ـ السّمّ في الفتك بخصومهم، وإن كان منهم من يسقي سيفه السّمّ حتّى يلفظَه ليقطع بموت المضروب به.ومن الأمثلة على ذلك ما قاله ابن ملجم الخارجي بعد ضرب عليّ **عليه السلام**.ذكر ابن سعد في الطبقات ما يلي[2]: قالت أمّ كلثوم بنت عليّ يا عدوّ الله قتلتَ أمير المؤمنين قال ما قتلتُ إلاّ أباك قالت فوالله إنّي لأرجُو أن لا يكون على أمير المؤمنين بأس قال فلم تَبْكينَ إذاً؟ ثُمّ قال والله لقد سممتُه شهراً يعْني سيفَه فإنْ أخلفَني فأبعدَه الله وأسحقَه.

وذكرابنُ كثيرمثلَ ذلك في قصّة ضرب معاوية فقال[3]:"وجاء الطبيب فقال لمُعاويَة:إنّ جرحَك مسمُوم فإمّا أن أكويَك وإمّا أن أسقيَك شربة فيذهب السّمّ

---

[1] قتله هاشم المرقال

[2] الطبقات الكبرى – محمد بن سعد ج 3 ص 37

[3] البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج 7 ص 364

ولكن ينقطعُ نسلك فقال مُعاويَة:أما النّارفلا طاقة لي بها،وأمّا النّسل ففي يزيد وعبد الله ما تقرُّبه عيني! فسقاه شربة فبرأ من ألمه وجراحه..." .

وقد ينضحون الثّوب بالسّمّ،ومن ذلك ما رواه اليعقوبيّ قال[1]:وكان امرؤ القيس قد مَدَح قيصرَ فسارَ الطّرمّاح الأسديّ إلى قيصرفقال له:إنّ امرأ القيس شتمك في شعره وزعم أنّك علْج أغلَف.فوجّه قيصرإلى امرئ القيس بحلّة قد نضح فيها السّمّ،فلمّا أُلبسَها تقطّع جلدُه وأيقن بالموت. .

وفي الإكمال لابن ماكولا[2]:" وفى التّوضيح " وبالتّعريف أبو الجبر الكنديّ أحد الملوك في الجاهليّة وهوالذى أهدى للحارث بن كَلَدة سميّة أمّ زياد لمّا عالجه من السّمّ الذى سمّه جيش كسرى فبرئ ثمّ نقض عليه بعد ذلك في توجّهه إلى اليمن ".

وقد ثبت أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله تعرّض للسمّ،ففي الصحيح[3]: قال يونس عن الزُّهْريّ قال عُرْوة قالت عائشة رضي الله عنها كان النّبيّ صلَى الله عليه وسلَم يقول في مرضه الذى مات فيه يا عائشة ما أزال أجد ألَمَ الطّعام الذى أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبْهَري من ذلك السّمّ .

وفي شرح مسلم[4]:وهي معجزة للنّبيّ صلى الله عليه وسلم في سلامته من السّمّ المُهلك لغيْره وفى إعلام الله تعالى له بأنّها مسمومة وكلام عُضْو منها له فقد جاء في غيْر مسلم أنّه صلَى الله عليه وسلَم قال إنّ الذّراع تُخبرُني أنّها مسمُومة وهذه

[1] تاريخ اليعقوبي ج1 ص 220
[2] إكمال الكمال ــ ابن ماكولا ــ ج 2 ص 18
[3] صحيح البخاريّ ج 5 ص137
[4] شرح مسلم ــ النووي ــ ج 14ص 179

المرأة اليهوديّة الفاعلة للسمّ اسمُها زينب بنت الحارث أخت مرْحَب اليهوديّ

وفي الرّياض النّضرة ج2ص242 :عن ابن شهاب قال كان أبو بكر والحارث بن كَلَدة يأكُلان حريرةً أُهْديَت لأبي بكر فقال الحارث لأبي بكر ارفعْ يدك يا خليفة النّبيّ إنّ فيها سمّ سَنَة وأنا وأنت نموتُ في يوم واحد فرفعَ يدَهُ فلمْ يزالا عليليْن حتّى ماتا في يوم واحد عند انقضاء السّنة .خرجه في الصفوة والفضائل وأخرج صاحب الدرّة اليتيمة في أخبار المدينة وزاد فمرض خمسة عشر يوماً قالوا ألا ندعولك طبيباً فقال قد رآني قالوا فما قال لك قال قال إنّي أفعل ما أشاء وقيل إنّ اليهود سمّت له في أرزة .

فهذه أخبارُتفيد أنّ السّمّ كان معمولاً به عند العرب،وطالما اختارَه المُلوك قبلَ ذلك وبعدَه للتخلّص من خصومهم دون أن تُوجّه إليهم أصابع الاتّهام.وعلى نهج أولئك الملوك جرى معاوية في التخلّص من خصومه لتمهيد الطّريق لابنه يزيد.ولم يَرْعَ معاوية في المؤمنين إلاًّ ولا ذمّةً،ولم يشفعْ لهم عندَه شيء، فسقاهم السّمّ واحداً بعْد واحد،حتّي قيل "مات في أيّام مُعاويَة جماعة كثيرة من أكابر النّاس والأمراء من المسلمين بالسّمّ ".

ولا يخفى موقف الإسلام من هذا لعمل الدنيء،حتى لو مُورس ضدّ المشركين؛وإلىذلك يشير الحديث في مسند الشاميّين[1]:[..]عن مكحول،عن سمرة بن جندب،أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم نهى أن يُلقى السّمّ في آبار المشركين.

[1] مسند الشاميّين للطبراني ج 4 ص 336

* الذين سقاهم مُعاويَة السّمّ :

الحسن بن علي عليهما السلام :

سبق الحديث عن سمّه في فصل (اغتيال الحسن بن علي **عليهما السلام**.والقصة مذكورة في مصنّف ابن أبي شيبة ج**8**ص**631** ومستدرك الحاكم ج**3**ص**176** وشرح نهج البلاغةج**16** ص**10** وتاريخ ابن عساكر ج**13** ص**283** و التعديل والتجريح (الباجي) ج 1 ص 475 و أسد الغابة (ابن الأثير) ج **1**ص **98** في ترجمة الأشعث بن قيس،و تهذيب الكمال للمزّيّ ج **6** ص **253**.

ومع ذلك يقول ابن خَلْدُون في تاريخه[1]: وما يُنقَل من أنّ مُعاويَة دسّ إليه السّمّ مع زوجه جعدة بنت الأشعث فهو من أحاديث الشّيعة وحاشا لمُعاويَة من ذلك!(اهـ).فينبغي – بناءً على كلام ابن خَلْدُون – **أن** يكون المزّيّ وابن الأثيروالباجيّ وابن أبي الحديد من الشّيعة .

عبد الرحمن بن خالد بن الوليد:

قال السّعديّ في عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء ج**1** ص**171** : ومات في أيّام مُعاويَة جماعة كثيرة من أكابرالنّاس والأمراء من المسلمين بالسّمّ ومن ذلك حدّثنا أبوعبد الله محمّد بن الحسن بن محمّد الكاتب البغداديّ [..] عن زيد بن رافع مولى المهاجر بن خالد بن الوليد عن أبي ذئب عن أبي سهيل أنّ مُعاويَة لمّا أراد أن يظهر العقد ليزيد قال لأهل الشّام إنّ أمير المؤمنين قد كبرت سنّه ورقّ جلده ودقّ عظمه واقترب أجله يريد أن

---

[1] تاريخ ابن خَلْدُون ج 2 ص 187

يستخلف عليكم فمن تَرون فقالوا عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد فسكت وأضمرَها ودسّ ابن أثال النّصرانيّ الطّبيب إليه فسقاه سمّاً فماتَ وبلغ ابنَ أخيه خالدَ بنَ المُهاجر[1] بن خالد بن الوليد خبرُه وهو بمكّة وكان أسْوَأ النّاس رأياً في عمّه لأنّ أباه المُهاجر كان مع عليّ رضي الله عنه بصفّين وكان عبد الرّحمن بن خالد مع مُعاويَة وكان خالد بن المهاجر على رأي أبيه هاشميّ المذهب فلما قُتل عمّه عبدُ الرّحمن مرّ به عُرْوة بن الزّبير فقال له يا خالد أتَدَع لابن أثال نقى أوصال عمّك بالشّام وأنت بمكّة مُسبلٌ إزارك تجرّه وتخطر فيه متخائلا فحميَ خالد ودعا مولى له يقال له نافع فأعلمه الخبر وقال له لا بدّ من قتل ابن أثال وكان نافع جَلداً شهْماً فخرجا حتى قدما دمشق وكان ابن أثال يتمسّى عند مُعاويَة فجلس له في مسجد دمشق إلى اسطوانة وجلس غلامه إلى أخرى حتى خرج فقال خالد لنافع إيّاك أن تعرض له أنت فإنّي أضربه ولكن احفظ ظهري واكْفني منْ ورائي فإن رأيت شيئاً يُريدني من ورائي فشأنك فلمّا حاذاه وثب إليه فقتله وثارإليه من كان معه فصاح بهم نافع فانفرجوا ومضى خالد ونافع وتبعَهما مَن كان مَعه فلمّا غشوهما حَمَلاَ عليْهم فتفرّقوا حتى دخل خالد ونافع زُقَاقاً ضيّقاً فَفَاتَا النّاس.وبلغ مُعاويَةَ الخبرُ فقال هذا خالد بن المُهاجرانظروا الزّقاق الذي دخل فيه ففُتّشَ عليه وأُتيَ به فقال له لا جزاك الله من زائرخيراً قتلتَ طبيبي فقال قتلتُ المأمورَوبقيَ الآمرُ،فقال له عليك لعنة الله أما والله لوكان تَشهَّدَ مرّةً واحدةً لقتلتُك به.أمَعَكَ نافع قال لا قال بلى والله وما اجترأتَ إلاّ به؛ثمّ أمربطلبه فوُجد فأتي به فضُرب مائة سوْط ولم ينل خالداً بشيء أكثر من أن حَبَسَه وألزَمَ بني مخزوم ديَة ابْن أثال اثني عشر ألف درهم أدخلَ بيتَ المال منها ستّةَ آلاف وأخذ ستّةَ

---

[1] كان المهاجر بن خالد بن الوليد شيعيّاً جلداً وكان مع عليّ عليه السلام في صفّين.

آلاف فلمْ يزلْ ذلك يجري في ديَة المُعاهد حتّى وليَ عُمَربن عبد العزيز فأبطل الذي يأخذه السّلطان لنفسه وأثبتَ الذي يدخلُ بيتَ المال ....اهـ .قال السّعديّ بعد ذلك[1]:وقال أبوعبيد القاسم بن سلاّم البغداديّ في كتاب الأمثال إنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان كان خاف أن يميلَ النّاس إلى عبد الرّحمن بن خالد بن الوليد فاشتكى عبد الرّحمن فسقاه الطّبيب شربة عسل فيها سمّ فأحرقتْه،فعند ذلك قال مُعاويَة لاجدَّ إلاّ ما أقْعصَ عنْك مَن تَكرهُ.قال وقال مُعاويَة أيضا حين بلغه أنّ الأشترسُقيَ شربة عسل فيها سمّ فمات إنّ لله جنودا منها العسل.ونقلتُ من تاريخ أبي عبد الله محمد بن عمر الواقديّ قال لمّا كان في سنة ثمان وثلاثين بعث عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه الأشتر والياً على مصر بعد قتل محمّد بن أبي بكر وبلغ مُعاويَة مسيرُه فدسّ إلى دهقان بالعريش فقال إنْ قتلتَ الأشتر فلك خراجُك عشرين سنة فلطف له الدّهقان فسأل أيّ الشّراب أحبّ إليه فقيل العسل فقال عندي عسل من عسل بَرْقَةَ فسمّه وأتاه به فشربه فمات.وفي تاريخ الطّبريّ أنّ الحسن بن عليّ رضي الله عنهما مات مسمُوماً في أيّام مُعاويَة وكان عند مُعاويَة كما قيل دَهاء فدسّ إلى جَعْدة بنْت الأشعث بن قيس وكانت زوجةَ الحسن رضي الله عنه شربة وقال لها إن قتلت الحسن زوّجتُك بيزيد فلما تُوفي الحسن بعثتْ إلى مُعاويَة تطلب قوله فقال لها في الجواب أنا أضنّ بيزيد .اهـ

سعد بن أبي وقاص :

---

[1] عيون الأنباء في طبقات الأطباء ج1ص172

في شرح نهج البلاغة [1]: [..]عن شعبة ، عن أبي بكر بن حفص،قال: تُوفّي الحسن بن عليّ وسعد بن أبي وقّاص في أيّام متقاربة،وذلك بعد ما مضى من ولاية إمارة مُعاويَة عشر سنين،وكانوا يروون أنّه سقاهُما السّمّ.

مالك الأشتر النخعي:

قال اليعقوبي[2]:لمّا بلغ مُعاويَة أنّ عليّاً قد وجّه الأشترعظُم عليه،وعلمَ أنّ أهل اليمن أسرعُ إلى الأشترمنهم إلى كلّ أحَد،فدسّ له سُمّاً،فلمّا صارإلى القلزم من الفُسطاط على مرحلتين نزل منزل رجل من أهل المدينة يقال له (...)فخدمه وقام بحوائجه،ثمّ أتاه بقعب فيه عسل قد صيّر فيه السّمّ،فسقاه إيّاه فمات الأشتربالقلزم وبها قبره،وكان قتلُه وقتلُ محمّد بن أبي بكر في سنة **38**.

وفي شرح نهج البلاغة [3]: قال إبراهيم : وحدّثنا محمّد بن عبد الله بن عثمان ، عن عليّ بن محمّد بن أبي سيف المدائني ، أنّ مُعاويَة أقبل يقول لأهل الشّام:أيّها النّاس،إنّ عليّاً قد وجّه الأشتر إلى مصر،فادعوا الله أن يَكْفيكُمُوه ، فكانوا يدعون عليه في دبر كلّ صلاة ،وأقبل الذي سقاه السّمَّ إلى مُعاويَة ، فأخبره بهلاك الأشتر،فقام مُعاويَة في النّاس خطيباً،فقال:أما بعد،فإنّه كان لعليّ بن أبي طالب يَدان يمينان،فقُطعت إحداهما يوم صفّين وهو عمّار بن ياسر،وقد قطعت الأخرى اليوم ،وهو مالك الأشتر .

***

12- الذين سقاهم الخلفاء السّمّ على طريقـــة مُعاويَة:

---

[1] شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ــ ج 16 ص 49

[2] تاريخ اليعقوبي ج 2 ص **194**

[3] شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد ــ ج 6 ص 76

مَن سنّ سنّة حسنةً كان له أجرُها وأجرُمن عمل بها،ومن سنّ سنّة سيّئة كان عليه وزرُها ووزرُ من عمل بها.ولم يثبتْ أنّ أحد الخلفاء الأربعة سقى معارضيه وخصومَه السمّ، وبذلك يكونُ معاويةُ أوّلَ من سنّ هذه السّنّة وجدّ فيها واجتهد وأحاط نفسه بجماعة من المتطبّبين من أهل الكتاب ذكَرهم السعديّ في " عيون الأنباء في طبقات الأطباء ".وأنا مورد ههنا أسماء بعض أعيان الأمّة ممّن قضى بالسمّ على طريقة معاوية.

- الإمام عليّ بن موسى الرضا[1] عليهما السلام:

قال ابن حبّان في الثّقات ج8 ص 456:مات عليّ بن موسى الرّضا بطوس من شربة سقاه إيّاها المأمونُ فمات من ساعته وذلك في يوم السّبت آخر يوم سنة ثلاث ومائتين وقبره بسناباذ خارج النّوقان مشهورٌ يُزاربجنْب قبر الرّشيد قد زُرته مراراً كثيرة وما حلّت بي شدّة في وقت مقامي بطوس فزرت قبرعليّ بن موسى الرّضا **صلوات الله على جدّه وعليه** ودعوتُ الله إزالتها عنّى إلا أستُجيب لي وزالتْ عنّي تلك الشّدّة وهذا شيءٌ جرّبتُه مراراً فوجدتُه كذلك.

و انظر مقاتل الطالبين ص 378 وغيره .

- الحسن بن الحسن المثنّى: وهو المعروف بالحسن المثنّى،دس إليه السّمّ سليمان بن الوليد بن عبد الملك فمات سنة 97 هـ وعمره عند موته ثلاث وخمسون سنة [2].

زيد بن موسى بن جعفر :

---

[1] اقتصرت على ذكر الإمام الرضا عله السلام اختصاراً وإلاّ فإنّ الإمام الكاظم والإمام الصادق وقبلهما الباقر والسّجاد وأيضاً الائمّة من ذرّيّة الرّضا عليه السلام قضوا بالسّمّ على يد معاصريهم من الخلفاء.

[2] سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري ص4

أخذوه وحملوه الى المأمون بمرومُقيّداً فسأل الرّضا عليه السلام في أمره فعفا عنه ثمّ سقاه السّمّ وقتله.قَبْره بمرو[1].

إدريس بن عبد الله الأصغر :

قال أبو نصر[2]: وأبو عبد الله إدريس بن عبد الله الأصغر بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام،هرب الى بلد فاس وطنجة مع مولاه راشد.فاستدعاهم إلى الدّين فأجابوه وملّكوه.فاغتم الرّشيد لذلك حتى امتنع من النّوم ودعا سليمان بن جريرالرقّيّ – متكلّم الزّيديّة – واعطاه سمّاً فورد عليه متوسّماً بالمذهب فسُرَّبه إدريس بن عبد الله.ثمّ طلب منه غرّة ووجد خلوة من مولاه راشد فسقاه السّمّ وهرب .

محمّد بن محمّد بن زيد الشهيد :

توفّي محمّد بن محمّد بن زيد الشّهيد بمرو،سقاه السّمّ المأمونُ في سنة أثنتين ومائتين وهوابن عشرين سنة(يُقال) إنّه كان ينظر الى كبده يخرج من حلْقه قطَعاً يُلقيه في طشْت ويقلّبه بخلال في يده حتّى مات،لا عقب لمحمّد بن محمّد بن زيد [3].

وعلى هامش الصفحة(80/79)من نفس المصدر:" ومحمّد الأمير الجليل الشّهيد ، سقاه المعتصم السّمّ فمات".

أبو حنيفة النعمان (مؤسّس المذهب):

---

[1] سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري ص 37
[2] سرّ السلسلة العلو ية لأبي نصر البخاري ص 12
[3] نفس المصدر ص67

في تاريخ بغداد [1]: جاء كتاب المنصور إلى عيسى بن موسى أن أحمل أبا حنيفة قال فغدوت إليه ووجهه كأنه مسح قال فحمله إلى بغداد فعاش خمسة عشر يوما ثمّ سقاه فمات وذلك في سنة خمسين ومات أبو حنيفة وله سبعون سنة.وقال ابن العماد الدمشقي في شذرات الذّهب ج**1**ص**228** عند ذكر أحداث سنة خمسين ومائة:وقد رُوى أنّ المنصور سقاه السّمّ فمات شهيداً رحمه الله سَمَّهُ لقيامه مع إبراهيم. قاله في العبَر [2].

عبد الله بن محمّد بن عليّ :

وكذلك كان مصير أبي هاشم عبد الله بن محمّد بن عليّ بن أبي طالب. كما ورد في " سرّ السلسلة العلويّة " لأبي نصر البخاريّ ص **85**،قال :حبسه الوليد بن عبد الملك في شيء كان بينه وبين زيد بن الحسن وأراد قتْلَه فوفدَ عليه عليّ بن الحسين عليه السلام وسأله في إطلاقه فأطلقه ثمّ قتله سليمان بن عبد الملك سقاه السّمّ فمات بالحميمة من أرض الشّام،لا عقب له.اهـ

و تردّد ابن عساكر في من سمّ أبا هاشم بين الوليد وسليمان ،قال [3]:

فخرج[أبو هاشم عبد الله بن محمّد بن عليّ]عن دمشق متوجها إلى المدينة فدسّ إليه الوليد إنسانا يبيع اللّبن وفيه السّمّ وكان عبد الله يحبّ اللّبن ويشتهيه فلمّا سمعه ينادي على اللّبن تاقت إليْه نفسُه فاشْترَى له منْه فشربَه فأوْجعَه بَطْنه واشتدّ به الأمر فأمر أصحابه فغدوا به إلى الحميمة وبها محمّد بن علي بن عبد الله بن عبّاس فنزل عليه فمرّضه وأحسن إليه فلمّا حضرته الوفاة أوصى إلى محمّد بن عليّ ببيْته وعلْمه وأسْبابه كلّها وأمر شيعته

---

[1] تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي ج 13 ص 331

[2] أي قاله الذهبي في تاريخه " العبر في خبر من غبر " ، والقول موجود في ج1 ص215.

[3] ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ج 19ص 376

الكيسانيّة بالائتمام به فدُفن. وقد رُوي أن الذي سم أبا هاشم سليمانُ بن عبد الملك .

يزيد بن الوليد :

في تاريخ اليعقوبي ج **2** ص **336** : وكان في بيت مال الوليد يوم قُتل سبعة وأربعون ألف ألف دينار، ففرّقها يزيد عن آخرها،وكان قدريّاً،وتوفي لانْسلاخ ذي القعدة ،وصلّى عليه إبراهيم بن الوليد ،ودُفن بدمشق،وقيل إنّ أخاه ابراهيم سقاه السمّ.

مروان بن الحكم :

ذكر أبوحنيفة الدينَوَريّ في الأخبار الطّوال(ص **285**) أنّ مَرْوان نظرَ يوماً إلى خالد بن يزيد بن مُعاويَة،وهوغُلام من أبناء سبع سنين،يمشي مشية أنكرها،فقال له:ما هذه المشْيَة يا ابن الرّطبة؟فشكا الغلامُ ذلك إلى أمّه،فقالت له:إنّه لا يقول بعد هذا.فسقته السّمّ،فلمّا أحسّ بالموت جمع بني أُميّة وأشرافَ أهل الشّام،فبايع لابنه عبد الملك.

يحي بن عبد الله بن الحسن:

وفي تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي ج **14** ص **116** : فقال[أي هارون الرّشيد] ألا تروْن إلى هذا الرّجل أكلّمه فلا يكلّمني فلمّا أكثرْنا عليه أخْرجَ لسانه كأنّه كرفسة[1] ووضع يده عليه أي إنّي لا اقدرُ أتكلّمُ قال فجعل هارون يتغيّظ ويقول إنّه[2] انا سقيته السّمّ والله لو رأيت عليه القتلَ لضربتُ عنقَه قال

---

[1] الكرفسة واحدة الكرفس قال ابن منطور في لسان العرب ج6ص196 : الكرفس بقلة من أحرار البقول معروف قيل هو دخيل.

[2] الصّواب " إنّه يُريكم أني سقيته السّمّ " كما في مقاتل الطالبيين ص321.

وقال عليّ أيْمان البيْعة إن كنت سقيته ولا أمرتُ أن يُسقى قال فالتفتّ حين بلغتُ السّترَ وإذا بيحْيَ قد سقطَ على وجْهه لا حَركة به .اهـ

الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز :

قال ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق (ج **45**ص **250**):أخبرنا أبوعليّ الحدّاد [..] ابن مشكان عن مجاهد قال قال لي عمر بن عبد العزيز يا مجاهد ما يقول النّاس فيّ ؟ قلت يقولون مسحور قال ما أنا بمسحور؛ ثمّ دعا غلاماً له فقال له ويحَك ما حملَك على أن تسقيَني السّمّ قال ألفُ دينار أُعطيتُها وعلى أن أُعتَق قال هاتها فجاء بها فألقاها في بيت المال وقال اذهبْ حيث لا يراك أحد .

وقال أيضاً [1]: [..]أبو زيد الدّمشقي قال لما ثقل عمر بن عبد العزيز دُعي له طبيب فلما نظر إليه قال أرى الرجل قد سقي السّمّ ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره فقال ولا تأمن الموت أيضا على من لم يسق السّمّ قال الطّبيب هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين قال نعم قد عرفت حين وقع في بطني قال فتعالج يا أمير المؤمنين فإني أخاف أن تذهب نفسك قال ربّي خير مذهوب إليه والله لو علمت أن شفائي عند شحمة أذني ما رفعت يدي إلى أذني فتناولته اللهمّ خرْ لعُمَر في لقائك قال فلم يلبث إلا أيّاماً حتّى مات رحمه الله .اهـ

قال الذّهبيّ في تاريخه (ج4ص175) بعد أن أورد خبر سَمّ عمر بن عبد العزيز:قلت:كانت بنو أُميّة قد تبرّمت بعُمَر،لكونه شدّد عليهم،وانتزع كثيرا ممّا في أيديهم ممّا قد غَصَبُوه،وكان قد أهمل التحرّز،فسقوْه السّمّ .

---

[1] تاريخ مدينة دمشق ــ ابن عساكر ــ ج 66ص 256

محمد بن عبد الله العباسي :

في تاريخ دمشق [1]: كان الخصيب يُظهر النّصرانية وهو زنديق معطّل لا يُبالي مَن قَتل فأرسل المنصورُ رسولاً يأمرُه أن يتوخّى قتْلَ محمّد بن عبد الله أبي العبّاس فاتّخذ سمّاً قاتلاً ثمّ انتظر علّة تحدث بمحمّد فوجد حرارة فقال له الخصيب خذْ شرْبةً دواء فقال هيّئْها لي فهيّأها له ثمّ جعل فيها ذلك السّمّ ثمّ سقاه إيّاه فمات منها فكتبت أمّ محمّد بن أبي العبّاس إلى أبي جعفر المنصور تخبره أنّ الخصيب قتل ابنَها فكتب المنصوريأمُر بحمْله إليْه فلمّا صارإليه ضربَه ثلاثين سوْطاً ضرباً خفيفاً وحبَسه أيّاماً ثمّ وهب له ثلاثمائة درهم وخلاّه!!

الخليفة العبّاسي المنتصر بالله :

قال السيوطي في ترجمة المنتصر في تاريخ الخلفاء ج1ص357 :ولما ولي صاريسبّ الأتراك ويقول هؤلاء قتَلَة الخلفاء فعملوا عليه وهمّوا به فعجزوا عنه لأنّه كان مَهيباً شجاعاً فطناً متحرّزاً فتحيّلوا إلى أن دسّوا إلى طبيبه ابن طيفورثلاثينَ ألفَ دينار في مرضه فأشار بفصده ثمّ فصده بريشة مسمومة فمات ويقال إنّ ابن طيفور نسي ذلك ومرض فأمر غلامه ففصده بتلك الريشة فمات أيضاً وقيل بل سُمّ في كمّثراة وقيل مات بالخوانيق.

ثابت بن نصر الخزاعي (من عمّال هارون الرشيد):

قال اليعقوبي[2]: ووجه المأمون بنصر بن حمزة ابن مالك الخزاعي إلى الثغور،وقد ولّى الرشيد إيّاها ثابت بن نصر بن مالك الخزاعي وخيف

---

[1] تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر ج 53 ص 410
[2] تاريخ اليعقوبي ج 2ص 455

معصيته،فتسلّمها منه نصربن حمزة،وتولّى الثغور،ولم يلبث ثابت بن نصر إلا أقلّ من جمعة حتّى مات،فقيل إنّ نصر بن حمزة بن مالك سقاه السّمّ .

الخليفة العباسي الراشد :

قال ابن الجوزي في"المنتظم"ج **10**ص **76**:في سبب موت الرّاشد ثلاثة أقوال،أحدها:أنّه سُقيَ السّمّ ثلاث مرّات،والثّاني أنه قَتَلَهُ قوْم من الفرّاشين الذين كانوا في خدمته،والثّالث:أنه قتله الباطنيّة،وقُتلوا بعده .

ابن الرّومي (الشاعر):

قال ابن كثير في ترجمة ابن الرّومي[1]:(سنة ست وسبعين ومائتين) وذكرأنّ سبب وفاته أنّ وزير المعتضد القاسم بن عبيد الله كان يخاف من هجْوه ولسانه فدسّ عليه من أطعمه وهوبحضرته خشكنانجة مسمومة،فلمّا أحسّ بالسّمّ قام فقال له الوزير:إلى أين؟ قال:إلى المكان الذي بعثتني إليه . قال:سلّمْ على والدي:فقال:لستُ أجتازُ على النّار .

الملك القاهر بهاء الدين الأيّوبي :

قال ابن كثير في البداية والنهاية ج **13**ص **321**: ثّم لما كان يوم السبت خامس عشر المحرم توفي الملك القاهر بهاء الدين عبد الملك بن السلطان المعظم عيسى بن العادل أبي بكر بن أيوب،عن أربع وستين سنة،وكان رجلا جيّداً سليمَ الصّدر كريم الأخلاق،ليّن الكلمة كثيرالتّواضع،يعاني ملابس العرب ومراكبهم،وكان معظّما في الدّولة شُجاعاً مقداماً،وقد روى عن ابن الليثي وأجاز للبرزاليّ.قال البرزالي ويُقال إنّه سُمَّ،وذكرغيرُه أنّ السلطان الملك الظّاهر سَمَّه في كأس خمر ناولَه إيّاه فشربه وقام السّلطان إلى المرتفق

[1] البداية والنّهاية ج 11 ص 86

ثمّ عاد وأخذ السّاقي الكأس من يد القاهر فملاه وناوله السّلطان الظّاهر والسّاقي لا يشعر بشئ ممّا جرى،وأنسى الله السّلطانَ ذلك الكأس،أوظنّ أنّه غيرُه لأمر يريدُه الله ويقضيه،وكان قد بقي في الكأس بقية كثيرة من ذلك السّمّ،فشرب الظّاهرما في الكأس ولم يشعرْ حتّى شربَه فاشْتكى بطنَه من ساعته،ووجد الوهج والحرّ والكرب الشّديد من فوره،وأمّا القاهر فإنّه حُمل إلى منزله وهو مغْلوب فمات من ليلته .اهـ

والقائمة طويلة،وإنّما أوردتُ ما سبق من أسماء الأعيان ليُعلم أنّ الاغتيال بالسّمّ صارسُنّةً جاريةً معمولاً بها في أوساط الحُكم على وجه الخصوص،وأنّ الخلفاء والوزراء والقضاة ـ المسؤولين عن حفظ دماء النّاس و أموالهم وأعراضهم ـ لم يكونوا يتورّعون عن إتلاف النّفوس عمداً بالسّمّ إذا اقتضت مصلحتُهم ذلك ذلك، ولا يُبالون أن يكون الضّحايا من ذرّيّة النبيّ صلى الله عليه وآله أو كبار الفقهاء كأبي حنيفة النّعمان.

ومع كلّ ما سبق من أعمال مُعاويَة المنافية للإسلام،واستخفافه بحديث النّبيّ صلى الله عليه وآله لا يتورع أقوام أن يستدلوا بعمله في الأحكام الشرعية؛يقول محمّد بن الحسن الشيباني في كتاب السّيَرالكبيرج1ص139:وعلى هذا لو أراد الإمام أن يجهّز جيشاً فإن كان في بيت المال سعة فينبغي له أن يجهّزهم بمال بيت المال ولا يأخذ من الناس شيئا،وإن لم يكن في بيت المال سعة كان له أن يتحكّم على النّاس بما يتقوّى به الذين يخرجون إلى الجهاد.لأنه نصب ناظراً لهم،وتمام النظرفي ذلك.على ما روى أن مُعاويَة رضي الله عنه ضربَ بعثاً على أهل الكوفة،فرفع عن جريربن عبدالله وعن ولده فقالا:لا نقبل ذلك ولكن نجعل من أموالنا للغازي .اهـ

لكن إذا عُلم أنّ الشّيبانيّ يُسمّي المغيرةَ بن شعبةَ أحدَ أئمّة المسلمين فلا عجب.والشيباني هو أحد صاحبي أبي حنيفة وكان مقرّباً من الدولة.

الفصل السادس

أوائل مُعاويَة

أوائل مُعاويَة

أدخل معاوية في الإسلام أمورا ليست منه في شيء، أملاها عله مزاجه إذ لا دليل علها من الشرع،يُذكَر منها على سبيل المثال ما يلي :

قال السّيوطي في تاريخ الخلفاء ج1ص23 :وأوّل من استخلف وليّ العهد في حياته مُعاويَةُ وهو أول من أتّخذ الخصيان لخدمته.

وفي كتاب الموطّإ للإمام مالك[1]بن أنس:حدّثَني عن مالك،عن ابن شهاب،أنّه قال:أوّل من أخذ من الأعطية الزّكاة،مُعاويَة بن أبي سُفْيان.قال مالك:السّنّة التى لا اختلاف فيها عندنا،أنّ الزكاة تجب في عشرين ديناراً عيناً.كما تجب في مائتي درهم .

وهو في المدوّنة الكبرى بنفس اللفظ [2].

وفي الموطإ أيضاً (ج اص 407): حدّثني عن مالك،عن عبد الرحمن بن القاسم،عن أبيه،أنّ الناس كانوا، إذا رموا الجمار،مشوا ذاهبين وراجعين . وأوّل من ركب،مُعاويَة بن أبى سُفْيان.اهـ

وقال الشّوكانيّ في نيل الأوطار[3]:أخرج ابن أبي شيبة عن طاوس قال: خطب النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم قائماً وأبو بكروعمر وعثمان وأوّل من جلس على المنبر مُعاويَة(اهـ).

---

[1] الموطأ /مالك بن أنس ج 1ص 246

[2] - المدونة الكبرى - الامام مالك ج 1ص 272: قال ابن القاسم) حدثنى مالك عن ابن شهاب أنه قال أوّل من أخذ من الاعطية الزكاة معاوية بن أبى سفيان

3 نيل الأوطار ــ الشّوكانيّ ــ ج 3ص 330

قال الشوكاني[1]:وروى الطّبريّ عن أبي هُرَيْرَة أنّ أوّل من ترك التّكبير مُعاويَة،وروى أبو عبيد أنّ أوّل من تركه زياد.وهذه الرّوايات غير متنافية،لأنّ زياداً تركَه بترْك مُعاويَة،وكان مُعاويَة تركه بترك عثمان،وقد حمل ذلك جماعة من أهل العلم على الإخفاء،وحكى الطّحاويّ أنّ بني أُميّة كانوا يتركون التّكبيرفي الخفض دون الرّفع،وماهذه بأوّل سنّة تركوها.قال الشّوكانيّ: وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية طارق بن شهاب عن أبي سعيد قال:أوّل من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مَرْوان.وقيل:أوّل من فعل ذلك مُعاويَة،حكاه القاضي عياض وأخرجه الشافعيّ عن ابن عبّاس بلفظ حتّى قَدِمَ مُعاويَة فقدّم الخطبة.ورواه عبد الرّزاق عن الزُّهْريّ بلفظ :أوّل من أحدث الخطبة قبل الصّلاة في العيد مُعاويَة.وقيل:أوّل من فعل ذلك زياد بالبصرة في خلافة مُعاويَة،حكاه القاضي عياض أيضا.وروى ابن المنذرعن ابن سيرين أنّ أوّل من فعل ذلك زياد بالبصرة قال:ولا مخالفة بين هذين الأثرين وأثر مَرْوان،لأنّ كلاًّ من مَرْوان وزياد كان عاملاً لمُعاويَة،فيُحمل على أنّه ابتدأ ذلك وتبعه عمّاله.قال العراقيّ: الصّواب أنّ أوّل من فعله مَرْوان بالمدينة في خلافة مُعاويَة،كما ثبت ذلك في الصّحيحين عن أبي سعيد الخدريّ .قال:ولم يصحّ فعله عن أحد من الصّحابة،لاعُمر ولا عثمان ولا مُعاويَة ولا ابن الزّبير(انتهى).

قال الشّوكانيّ [2]: وروى ابن أبي شيبة في المُصنّف بإسناد صحيح عن ابن المسيّب قال : أوّل من أحدث الأذان في العيد مُعاويَة،وقد زعم ابن العربي أنّه رواه عن مُعاويَة من لا يوثَق به(اهـــ).

---

[1] نيل الأوطارج2ص266

[2] نيل الأوطار ـــ الشوكاني ـــ ج3 ص 364

وفي كتاب التمهيد [1] :واختُلِفَ في أوّل من فعل ذلك منهم فذكر ابن أبي شيبة قال حدّثنا وكيع قال حدّثنا هشام الدّستوائيّ عن قتادة عن سعيد بن المسيّب قال أوّل مَن أحدث الأذان في العيدين مُعاويَة قال وحدّثنا وكيع قال حدّثنا أبي عن عاصم بن سليمان عن أبي قلابة قال أوّل من أحدث للعيد الأذان في العيدين ابن الزّبير قال وحدّثنا عبدالله بن إدريس عن حصين قال أوّل من أخرج المنبر في العيدين بشْربن مَرْوان وأوّل من أذّن في العيدين زياد قال وحدّثنا حسين عن زائدة عن عبدالملك بن عمير قال أوّل من اتّخذ العودين وخطب جالسا وأذّن في العيدين قدّامه زياد قال وحدّثنا إسحاق بن منصور قال حدّثنا أبو كدينة عن أبي إسحاق عن يحيى بن وثاب قال أوّل من جلس على المنبر في العيدين وأذّن فيهما زياد الذي يقال له ابن أبي سُفْيان.اهــ قلتُ: هذه العبارة تدلّ على ورع يحي بن وثاب واحتياطه لدينه، فإنّه قال الذي " يقال له ابن أبي سفيان "وهو بهذا لا يقرّ باستلحاق زياد المنافي للقرآن الكريم.

---

[1] التمهيد – ابن عبد البر – ج10ص242/243

قال الشّوكانيّ [1]: وللبخاريّ:وكانوا يعطون قبل الفطر بيوم أو يومين . وعن أبي سعيد قال:كنّا نخرج زكاة الفطر صاعاً من طعام،أو صاعاً من شعير،أوصاعاً من تمر،أوصاعاً من أقط،أو صاعاً من زبيب أخرجاه وفي رواية:كنّا نخرج زكاة الفطرإذ كان فينا النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم صاعاً من طعام،أوصاعاً من تمْر،أوصاعاً من شعير،أوصاعاً من زبيب،أو صاعاً من أقط،فلم نزل كذلك حتّى قدم علينا مُعاويَة المدينة فقال:إنّي لأرى مُدّين من سمراء الشّام يعدل صاعاً من تمر فأخذ النّاس بذلك،قال أبو سعيد فلا أزال أخرجه كما كنت أخرجه؛رواه الجماعة لكنّ البخاريّ لم يذكر فيه:قال أبو سعيد فلا أزال الخ.وابن ماجة لم يذكر لفظة "أو فشيء منه".اهــ

وابن حزم في الإحكام يذكرالقصّة كما يلي[2]:حدّثنا أحمد بن عمر[..] حكيم بن حزام،عن عياض بن سعد قال:ذكرت لأبي سعيد الخدريّ صدقة الفطر فقال:لا أخرج إلاّ ما كنت أخرج في عهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم:صاعاً من تمْر أوصاعاً من شعيرأوصاع زبيب أوصاع أقط،فقلت له:أو مُدّيْن من قمح؟قال لا،تلك قيمة مُعاويَة لا أقبلها،ولا أعمل بها.(انتهى)

فالذي يُفهم من قول أبي سعيد الخدريّ "لا أقبلها " أنّه لا يعتبرها من الإسْلام،وقوله " لاأعمل بها " يُفهَم منْه أنّ العمل بها غير مُبرئٍ للذّمّة،وإن كان ذلك لا يحتاجُ إلى دليل باعْتبارأنّ مُعاويَة يخالف النبيّ صلى الله عليه و آله في المسألة،ويقدّمُ رأيَه على قوْل وفعْل و تقْرير النبيّ صلى الله عليه وآله .

---

[1] نيل الأوطار ج4ص 249

[2] الإحكام في أصول الأحكام ج 7ص 995

قال ابن أبي عاصم [1]: حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدّثنا جرير عن مغيرة عن الشّعبيّ قال أوّل من خطب جالساً مُعاويَةُ حين كثُر شحمُه وعظُم بطنُه قال أبو بكر بن عمرو ولم يرد الخلاف لأنّه كانت به علّة فلم يستطع أن يقوم ليس كما ظنّوا .(انتهى)

أقول: ينبغي البحث والتحقيق في قوله " ليس كما ظنّوا " ؟!

قال ابن أبي عاصم في الحديث الذي يليه :حدّثنا أبو بكر بن أبي شيبة أخبرنا يحيى بن آدم عن إسرائيل عن أبي إسحاق أوّل من خطب جالساً مُعاويَة رضي الله تعالى عنه ثمّ اعتذرإلى النّاس فقال إنّي اشتكي قدمي.اهـ

وإذا كان مُعاويَة يشتكي قدمَه إلى درجة ألاّ يستطيع القيامَ فلِمَ لمْ يُنِبْ غيرَه؟! [ولعلّ من الفقهاء من يرى ذلك الوجع الشديد من المرض المُعْفي من حُضور الجُمعة]!

قال ابن أبي عاصم [2]: حدّثنا وهبان [..]عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل قال بعث مُعاويَة رضي الله تعالى عنه إلى مَرْوان بن الحكم بالمدينة ليبايع لابنه يزيد فقال رجل من أهل الشّام ما يحبسك قال حتّى يجيء سعيد بن زيد فيبايع فإنّه أنْبَل أهل البلد وإنّه إذا بايع بايع النّاس .اهـ

وهذه أيضا لم يسبقه إليها أحد،فهي من أوائله إذْ لم يبايع أحد لمن بعده قبل مُعاويَة باتّفاق،وهذه البيعة هي التي جرّت على المسلمين الويلات فكان قتل أهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله بتلك الطريقة،وكانت وقعة الحَرّة،وكان ضرب الكعبة بالمنْجنيق،وكان وكان ،ومُعاويَة أعلم النّاس بابْنه.ثُمّ إنّ

[1] الآحاد والمثاني ــ ابن أبي عاصم ــ ج 1ص 380

[2] الآحاد والمثاني ج 1 ص 178

مَرْوان يقول عن سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل :إنّه أنبل أهل البلد،وهذا غيْرُ مسلّم، فإنّ في نَسَبه أمراً فظيعاً تشمئزّ منه النّفوس ذكرَه ابن قتيبة في المعارف، وابن الكلبيّ في المثالب،والبلاذري في الأنساب.وكيف يسمح صاحب دين لنفسه أن يقول عن سعيد بن زيد"أنبل أهل البلد " في حضور الحسين بن عليّ عليهما السّلام سيّد شباب أهل الجنّة؟!

وهناك أمرٌ تفرّد به مُعاويَة من بين النّاس حتى صاريُضرب به المثل،إذْ يمكن أن يُقال بحقّ إنّ مُعاويَة هو الملك الذي يحلُم بشبْعة، ومن الشّقاء أن يعيش المرء في قمّة التّرَف ولا ينالُ شبعةً واحدةً.وقد بلغ به الأمرأنّه كان ينظُرإلى الحاضرين وهم يأكلون،ويدقّق النّظر في طريقة أكلهم، يغبطهم على ذلك.قال ابن منظور[1]:وفي الخبر أنّ مُعاويَة رأى رجلاً يُجيد الأكل فقال إنّه لمخضد. الخضد شدّة الأكل و مخْضد مفعل منه كأنّه آلة للأكل.اهـ

قال ابن عدي [2]: حدّثنا أحمد بن عبدالله [..]عن أبى سلمة،عن أبى هُرَيْرَة أنّ الدّية كانت على عهد النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأبي بكروعُمَروعثمان وعليّ دية المسلم واليهوديّ والنصرانيّ سواء،فلما استخلف مُعاويَة صيّر دية اليهوديّ والنّصرانيّ على النّصف،فلمّا استخلف عمر بن عبد العزيز ردّه إلى القضاء الأوّل.اهـ

فإذا صحّ هذا فإنّ مُعاويَة يكون قد خالف النّبيّ صلى الله عليه و آله والخلفاء الأربعة.فكيف يكون رأسّ أهل السّنّة والجماعة؟!

---

[1] لسان العرب ج3ص163

[2] ميزان الاعتدال ج 1 ص 304

وفي تفْسير القُرْطبيّ[1]:السّابعة عشرة قال مالك رحمه الله وكان الخلفاء يقضُون بأنفسهم وأوّل من استقضى مُعاويَة.اهـ

وقال الجصّاص[2]: قال الزُهْريّ وهومن أفقه أهل المدينة في عصره القضاءُ بالشّاهد واليمين بدْعَة وإنّ أوّل من قضى به مُعاويَة.اهـ

وقال اليعقوبي[3]:توفي عمرو [ابن العاص] ليلة الفطر سنة 43 فأقرّ معاوية ابنَه عبد الله بن عمرو ثمّ استصفى مال عمرو فكان أوّلَ من استصفى مال عاملٍ ولم يكن يمُوت لمُعاوية عاملٌ إلاّ شاطر وَرثَتَه مالَه فكان يُكَلّم في ذلك فيقولُ هذه سنّة سنّها عمر بن الخطّاب.اهـ

وقال ابن خَلْدُون في تاريخه [4]: فأما البيت المقصورة من المسجد لصلاة السلطان فيتّخذ سياجاً على المحْراب فيحوزُه وما يليه ،فأوّل من اتّخذها مُعاويَة بن أبي سُفْيان حين طَعَنَه الخارجيّ والقصّة معروفةٌ وقيل أوّل من اتّخذها مَرْوان بن الحكم حين طعنه اليمانيّ ثمّ اتّخذها الخلفاء من بعدهما وصارت سنّة في تمييز السّلطان عن النّاس في الصلاة.

---

[1] تفْسير القُرْطبيّ ج15 ص180
[2] متاب الفصول في الأصول ـ الجصاص ـ ج 1ص 192
[3] تاريخ اليعقوبي ج2 ص221
[4] تاريخ ابن خلْدُون ج1 ص 269

الفصل السابع

أقوال في مُعاويَة

1- أحاديث النّبيّ (صلى الله عليه وآله) في مُعاويَة :

وهي أفضل ما يُبدأ به في هذا الباب،فإنّ قوله صلى الله عليه وآله يأتي بعد القرآن،فهوأصدقُ ما قال مخلوقٌ وأشرفُه.وقد ثبتت عنه أحاديثُ في حقّ معاوية أشهرُها " لا أشبع الله بطنه ".ومَن تتبّع الأحاديث الواردةَ في ذمّ معاوية وطالعَ سيرةَ الرّجُل لم يشكّ في صحّة ذلك وانْسجامه مع أفْعال أوّل ملوك بني أميّة؛لكنّ المُؤرّخين والمُحدّثين من أولي النّزعة الأُمويّة لم يرُقْ لهم ذلك ولم تقْبلْه نفُوسهم،فراحُوا يضْربون من كلّ جهة عَسَاهُم يضعفُونها ويقدَحُون في من بلّغَها إلى المسلمين.ولا أدري ما الذي يحمل رجلاً قضى قسماً من عمره في طلب العلْم وعرَفَ مصيرَ المدافعين عن الباطل،وقرأ مرّات ومرّات قوله تعالى "ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم وكيلا " ـ لا أدري ـ ما الذي يدفعه إلى الدّفاع عن شخص مثل معاوية ليس للنّبيّ صلى الله عليه و آله عنده حُرْمَة !وهؤلاء الذين يدافعون عن معاوية هم أنفسهم يتوقّفون ويتردّدون حين يتعلّق الأمر بعليّ بن أبي طالب عليه السلام.فإذا وجدوا من رَبأَ بنفسه عن مُتابعة معاوية في باطله انهالُوا عليه قدْحاً وطعْناً وسلَبُوه حتّى التّكريم الذي آتاه الله تعالى كلَّ بني آدمَ[1]؛ وأمّا حينما يتعلّق الأمر بشخص يُصرّح ببُغض عليّ عليه السلام فتَراهُم يلْتَمسُون له المَعاذير ويوجّهُون ويؤوّلون ولواقتضى الأمرُ تكذيبَ

---

[1] إشارة إلى الآية (70) من سورة الإسراء: ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلا .

النّبيّ صلى الله عليه وآله، كما هوشأنُهم في نسبة الاجتهاد إلى عبد الرحمن بن مُلجم الذي سمّاه النّبيّ صلى الله عليه وآله بصريح العبارة "أشْقَاهَا ".ولا يفوتُني في هذا المقام إلاّ أن أُكْبر وأُجلّ وأُحيّي أولئك الذين وفوا للنّبيّ صلى الله عليه وآله فدافعوا عن أحبّائه وتبرّأوا من أعدائه.وقد عقدت فصلاً خاصّاً بالمدافعين عن معاوية طيّ هذا الكتاب يأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى.

قال البلاذري [1]:حدّثني أسحاق [..]عن ابن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:كنت عند النبي صلى الله عليه و سلم قال يطلع عليكم من هذا الفجّ رجل يموت على غير ملّتي وكنت تركت أبي قد وضع له وضوء فكنت كحابس البول مخافة أن يجيء قال فطلع معاوية فقال النبي صلى الله عليه وسلّم هو هذا.

قال الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماريّ بخصوص هذا الحديث [2]: وهذا حديث صحيح على شرط مُسلم وهو يرفع كل غُمّة عن المؤمن المتحيّر في شأن هذا الطاغية قبّحه الله،ويقضي على كل ما يموّه به المموّهون في حقه.

وقال ابن عقيل الشافعيّ [3]:أخرج الإمام أحمد في مسنده وأبو يعلى كلاهما عن أبي برزة رضي الله عنه قال كنّا مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم فسمع صوت غناء فقال انظروا ما هذا فصعدت فإذا مُعاويَةُ وعمرُو بن العاص يتغنّيان

---

[1] أنساب الأشراف (الكبير) ج5 ص134 دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع 1996 تحقيق سهيل زكار و الدكتور رياض زركلي

[2] جؤنة العطار ــ أحمد بن الصديق الغماري ــ ج2ص154

[3] النصائح الكافية لمحمّد بن عقيل ص 125- والحديث أحرجه احمد في مسنده ج4ص421 مؤسسة قرطبة وأبو يعلى ج13ص430 دار المأمون للتراث دمشق 1404هـ

فجئتُ فأخبرتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال اللّهمّ اركسهما في الفتنة ركْساً اللّهمّ دعّهما في النّار دعّاً وأخرجه الطبرانيّ في الكبير عن ابن عبّاس رضي الله عنهما بمثل هذا. قال عبد الله بن أحمد بن حنبل حدّثنا أبي حدّثنا عبد الله بن محمّد وسمعته أنا من عبد الله بن محمّد بن شيبة حدّثنا محمّد بن فضيل عن يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص قال أخبرني رب هذا الدار أبو هلال قال سمعت أبا برزة رضي الله عنه قال كنّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فسمع رجلين يتغنّيان وأحدُهما يُجيب الآخر وهو يقول لا يزال حواي تلوح عظامه روى الحرعنه فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم مَنْ هُما قال فقالوا فلان وفلان [!] قال فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم اللّهمّ أركسهما ركساً ودعّهما إلى النّار دعّاً أورده ابن الجوزي في الموضوعات من طريق أبي يعلى حدّثنا علي بن المنذر حدّثنا ابن فضيل حدّثنا يزيد بن أبي زياد عن سليمان بن عمرو بن الأحوص عن ابن أبي برزة رضي الله عنه قال كنّا مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم فسمع غناءً فقال انظروا ما هذا فصعدت فنظرت فإذا مُعاويَة وعمرُو بن العاص يتغنّيان فجئتُ فأخبرْتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقال اللهم أركسهما في الفتنة ركساً اللّهمّ دعّهما إلى النّار دعّاً. قال ابنُ الجوزيّ لا يصحّ يزيد بن أبي زياد كان يلقّن بآخره فيتلقّن. قلت[1] يزيد بن أبي زياد احتجّ به الأربعة وروى له مسلم مقروناً وقد مرّ عن الحافظ العسقلانيّ أنّه قال يزيد وإن ضعّفه بعضُهم من قبل حفظه فلا يلزم أنّ كلّ ما يحدّث به موضوع .قال الجلال السّيوطيّ ما قاله ابن الجوزيّ لا يقتضي الوضعَ قال وله شاهد من حديث ابن عبّاس رضي الله عنهما رواه الطّبرانيّ في الكبير حدّثنا أحمد بن عليّ ابن الجارود الأصبهانيّ حدّثنا عبد الله بن عباد عن سعيد سنان حدّثنا عيسى بن الأسود النّخعيّ عن

---

[1] القائل هو محمد بن عقيل الشافعيّ

ليث عن طاوس عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال سمع النّبيّ صلى الله عليه وسلم رجُلَيْن وساق نحوَ سياق أحمد وسمّى الرجلين مُعاويَة وعمرو بنَ العاص ورواه ابنُ قانع في مُعجَمه حدّثنا محمّد بن كامل حدّثنا عبد الله بن عمر حدّثنا سعيد أبو العبّاس التّيميّ حدّثنا سيف بن عمر حدّثني أبو عمر مولى إبراهيم بن طلحة عن زيد بن أسلم عن صالح شقران رضي الله عنه قال بينما نحن ليلة في سفر إذ سمع النّبيّ صلى الله عليه وسلم صوتاً فذكرالحديث وسمّى الرّجُلين مُعاويَة بن رافع وعمرَو بن رفاعة وقال في آخرالحديث فمات عمرو بن رفاعة قبل أن يقدم النّبيّ صلى الله عليه وسلم من السّفر قال الجلال هذه الرواية أزالت الإشكال وبيّنت أنّ الوهم وقع في الحديث في لفظه واحدة وهي قوله ابن العاص وإنّما هو ابن رفاعة أحد المنافقين وكذلك مُعاويَة بن رافع أحد المنافقين. (انتهى) كلام ابن عقيل.

أقول:هذاالحديث موجود في كثيرمن مصادرالجمهور،ولكنْ تركُه على حاله لا يناسب معتقدَ العامّة في عدالة جميع الصّحابة،ودفاعَهم بصورة خاصّة عن مُعاويَة،لذلك امتدّت يدُ التّحريف كالعادة وراحت تارة تُخفي الأسماء وتعبّرعنها بـــ"رجلين"،وتارة تعبّر بـــ " فلان وفلان "،وتارة تأتي باسميْن مشابهين من أجل لتّعتيم .

وراحت إلى العطّار تبغي جمالَها وهل يصلحُ العطّار ما أفسد الدّهر

وهذه قائمة المصادر التي ورد فيها الحديث:

ــ مصنف ابن أبي شيبة[1] ج7ص526 بدل معاوية وعمرو (فلان وفلان)

ــ مجمع الزوائدج8ص121 [1]بدل معاوية وعمرو (فلان وفلان)

[1] مكتبة الرشد الرياض1409

ـ أحمد في مسنده [2]:ج4ص421 بدل معاوية وعمرو(فلان وفلان)

ـ مسند البزار[3]ج9ص303 بدل معاوية وعمرو (رجلين)

ـ مسند البزار ج9ص310 بدل معاوية وعمرو (رجلين)

ـ المعجم الاوسط[4]ج7ص133 بدل معاوية وعمرو(رجلا يطارح رجلاً)

ـ مسند أبي يعلى [5] ج13 ص430 بدل معاوية وعمرو(فلان وفلان)

ـ المعجم الكبير[6]ج11ص38 مُعاويَة وعمرو بن العاص

ـ سير أعلام النبلاء[7] ج3ص132 مُعاويَة وغمرو بن العاص

ـ سير أعلام النبلاء ج6ص131 مُعاويَة وعمرو بن العاص

ـ ميزان الاعتدال[8] ج7ص241 مُعاويَة وعمرو

ـ الكامل(العقيلي)[9]ج4ص4 مُعاويَة بن التابوت ورفاعة بن عمروبن التابوت

ـ كتاب المجروحين[10](ابن حبان) ج3ص101 مُعاويَة وعمرو

---

[1] دار الكتاب العربي1407

[2] مؤسسة قرطبة مصر

[3] مؤسسة علوم القرآن بيروت1409

[4] دار الحرمين القاهرة1415

[5] دار المأمون دمشق 1404

[6] مكتبة العلوم والحكم الموصل1404

[7] دار الرسالة بيروت1412

[8] دار الكتب العلمية1995

[9] دار الفكر1409

[10] دار الوعي حلب

ــ معجم الصحابة[1]ج2ص23 مُعاويَة بن التّابوت ورفاعة بن عمروبن التابوت

ــ نقد المنقول[2] (ابن قيم الجوزية)ج1ص109 وفيه يقول ابن القيم:

وحديث نظر النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلى مُعاويَة وعمرو بن العاص فقال أركسهما في الفتنة ركْساً ودُعّهُما إلى النّار دعّاً كذب مختلق.

ــ المنار المنيف[3](ابن قيم الجوزية)ج1ص118.وهنا أيضا يقول :

وحديث نظر النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلى مُعاويَة وعمرو بن العاص فقال اللهم اركسهما في الفتنة ركسا ودعهما إلى النار دعّاً كذب مختلق.

ــ القول المسدد[4](ابن حجر العسقلاني)ج1ص60

وفي موطإ مالك ج2ص580:وحدثني عن مالك،عن يحيى بن سعيد،أن سعيد بن المسيّب سُئل عن المرأة يطلقها زوجها وهى في بيت بكراءٍ،على من الكراء؟ فقال سعيد بن المسيب:على زوجها.قال:فإن لم يكن عند زوجها؟ قال:فعليها.قال:فإن لم يكن عندها؟قال:فعلى الأمير.ثم الحديث.حدّثنى يحيى عن مالك،عن عبد الله بن يزيد مولى الأسود بن سُفْيان عن أبى سلمة بن عبد الرحمن بن عوف،عن فاطمة بنت قيس،أنّ أبا عمرو بن حفص طلّقَها البتّة وهوغائب بالشام فأرسل إليها وكيله بشعير،فسخطته فقال:والله مالك علينا من شئ.فجاءت إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال(ليس لك

[1] مكتبة الغرباء المدينة1412

[2] دار القادري بيروت 1411

[3] مكتب المطبوعات الإسلاميّة حلب 1402

[4] مكتبة ابن تَيميَة القاهرة 1406هـ

عليه نفقة)وأمرها أن تعتدّ في بيت أمّ شريك.ثمّ قال(تلك امرأة يغشاها أصحابي.اعتدّي عند عبد الله بن أمّ مكتوم.فإنّه رجل أعمى.تضعين ثيابك عنده،فإذا حللْتِ فآذنيني) قالت:فلما حللتُ ذكرت لهُ أنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان،وأبا جهم بن هاشم خطباني.فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم(أماأبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه.وأمّا مُعاويَة فصُعْلُوك لامال له.انكحي أسامة بن زيد) قالت: فكرهته.ثمّ قال(انكحي أسامة بن زيد) فنكحته فجعل الله في ذلك خيراً.واغتبطت به .اهـ

وفي أعلام الموقّعين ج3ص64: وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: أما مُعاويَة فصعلوك لا مال له وأمّا أبو الجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه .اهـ

وليس من عادة النّبيّ صلى الله عليه وآله أن يقول عمّن لامالَ له إنّه صعلوك، فقد كان سلمانُ وأبوذرّ وغيرهما من أجلاّء الصّحابة فقراء لا مال لهم ولم يقُل صلى الله عليه وآله عن أحد منهم إنّه صعلوك.

وفي مجمع الزوائد[1]:في حديث لعمرو بن الحمق الخزاعيّ رضي الله عنه :..ثمّ هاجرت إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم،فبينا أنا عنده ذات يوم فقال لي يا عَمْرُوهَلْ لك أنْ أُريَك آية الجنّة تأكل الطّعام وتشرب الشّراب وتمشي في الأسواق قلت بلى بأبي أنت قال هذا وقَوْمُهُ وأشار بيده إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقال لي يا عمروهل لك أن أريك آية النّارتأكل الطعام وتشرب الشّراب وتمشي في الأسواق قلت بأبي أنت قال هذا وقومه آية النّار وأشارإلى رجل فلمّا وقعت الفتنة ذكرت قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم ففررْتُ من آية النّارإلى آية الجنّة وأرى بني أُميّة قاتلي بعد هذا قلت الله ورسوله أعلم قال والله إن كنت في حَجَر في جوف حَجَر لاستَخْرجَني بنوأُميّة حتّى يقتلوني

---

[1] مجمع الزوائد ـــ الهيثمي ـــ ج 9 ص 406

حدّثني به حبيبي النّبيّ صلى الله عليه وسلم إنّ رأسي أوّل رأس يُحتَزّ في الإسْلام وينقل من بلد إلى بلد رواه الطبرانيّ في الأوسط وفيه عبدالله بن عبدالملك المسعوديّ وهو ضعيف.اهـ

أقول:هبْ أنّ المسعوديّ ضعيف،أوأنّ الحديث ضعيف أليس هذا هو ما جرى بعد وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله بثلاثين سنة؟!ألم يُقتل عمرو بتلك الطريقة ؟!

شاهدُنا من الحديث آية الجنّة وآية النّا.وقد قال عمرو بن الحمق الخزاعيّ رضي الله عنه لّما وقعت الفتنة فررْتُ من آية النّارإلى آية الجنّة،وقد كان على رأس الفئة المُحقّة علي بن أبي طالب عليه السلام كما هو قول النّبيّ صلى الله عليه وسلم في الحديث،ولم يبق إلاّ آية النّارعلى رأس الفئة الباغية !

ومن أهمّ الأحاديث الدالة على ضلال معاوية كلمة النبي صلى الله عليه وآله في قتل عمار بن ياسررضي الله عنهما،والحديث رواه البخاري في صحيحه:(ج 1ص 115)،ورواه مسلم في صحيحه (ج 4ص 2236).وقد ذكره الحميدي في كتاب الجمع بين الصحيحين في مسند أبى سعيد الخدرى قال: إنّ النّبيّ " ص " قال : ويح لعمّار تقتله الفئة الباغية يدعوهم الي الجنة ويدعونه الى النار .[1] قال المناوي في فيض القدير ج6ص365 : قال القاضي في شرح المصابيح يريد به معاويةَ وقومَه.وهذا صريح في بغْي طائفة معاوية الذين

[1] لفظ الحديث في صحيح البخاري ج 1 ص 115: حدثنا مسدد قال حدثنا عبد العزيز بن مختار قال حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال لى ابن عباس ولابنه على انطلقا إلى ابى سعيد فاسمعا من حديثه فانطلقنا فإذا هو في حائط يصلحه فأخذ رداءه فاحتبى ثم انشأ يحدثنا حتى اتى ذكره بناء المسجد فقال كنا نحمل لبنة لبنة وعمار لبنتين لبنتين فرآه النبي صلى الله عليه وسلم فينفض التراب عنه ويقول ويح عمار يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار قال يقول عمار اعوذ بالله من الفتن .

قتلوا عمّاراً في وقعة صفّين وأن الحقّ مع عليّ وهو من الإخبار بالمغيبات يدعوهم أي عمّار يدعو الفئة وهم أصحاب معاوية الذين قتلوه بوقعة صفّين في الزّمان المستقبل إلى الجنّة أي إلى سببها وهو طاعة الإمام الحقّ ويدعونه إلى سبب النّار وهو عصيانه ومقاتلته قالوا وقد وقع ذلك في يوم صفّين دعاهم فيه إلى الإمام الحقّ ودعوه إلى النّار وقتلوه فهو معجزة للمصطفى وعلم من أعلام نبوته وإن قول بعضهم المراد أهل مكّة الذين عذّبوه أوّل الإسلام فقد تعقّبوه بالرّدّ قال القرطبيّ وهذا الحديث من أثبت الأحاديث وأصحّها ولمّا لم يقدر معاوية على إنكاره قال إنما قتله من جاء به.اهـ

قلتُ: وهو صريح في أنّ معاوية من دعاة النّار،والدّعوة إلى النّار من أعمال المشركين بدليل قول الله تعالى في سورة البقرة (الآية 221) " ولا تُنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مُؤمن خيْرٌ من مُشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون إلى النّار والله يدعو إلى الجنّة والمغفرة بإذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون "

ولابن كثير كلامٌ في ما جاء في الحديث يأتي لاحقاً إن شاء الله تعالى في الفصل الخاص بصفّين.

وقال ابن أبي الحديد [1]: وروى صاحب كتاب الغارات عن الأعمش ،عن أنس بن مالك،قال:سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول:سيظهر على النّاس رجل من أمّتي،عظيم السرم،واسع البلْعُوم،يأكل ولا يشْبَع،يحمل وزْر الثّقلين يطلب الإمارةَ يوماً،فإذاأدركْتُموه فابْقرُوا بطْنه،قال:وكان في يد النّبيّ صلى الله عليه وآله قضيب،قد وضعَ طرفَه في بطْن مُعاوية.قلتُ:هذا الخبرُ مرفوع

[1] شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ج 4 ص 108

مُناسب لما قاله عليّ عليه السلام في نهج البلاغة،ومؤكّد لاختيارنا أنّ المراد به مُعاوية ، دون ما قاله كثيرٌ من النّاس أنّه زياد والمُغيرة .اهـ

وفي السّير [1]: [..]عن أبي سعيد مرفوعا:" إذا رأيتم فلاناً يخطب على منبري،فاقتلوه ".رواه جندل بن والق،عن محمّد بن بشر،فقال بدل " فلانا " : معاوية.وتابعه الوليد بن القاسم،عن مجالد.

وأورد فخرالدّين الرّازيّ في المحصول[2] قصّةً فيها كلام بين الحسن بن عليّ عليهما السلام ومعاوية وبطانته فيها قول الحسن لمعاوية:" إنك كنت ذات يوم تسوق بأبيك ويقود به أخوك هذا القاعد وذلك بعدما عمي أبو سفيان فلعن النّبيّ صلى الله عليه وسلم الجمل وراكبه وسائقه وقائده فكان أبوك الرّاكب وأخوك القائد وأنت السائق ثُمّ قال لعمرو بن العاص إنّما أنت سبّة كما أنت فأمّك زانية اختصم فيك خمسة نفر من قريش كلهم يدعي عليك أنك أبنه فغلب عليك جزار قريش من الأمهم حسبا وأقلهم منصبا وأعظمهم لعنة ما أنت إلا شانئ محمد فأنزل الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم إن شانئك هو الأبتر ثم هجوت النّبيّ صلى الله عليه وسلم تسعين قافية فقال النّبيّ صلى الله عليه وسلم اللهمّ إنّي لا أحسن الشّعر فالعنْه بكلّ قافية لعنة ...".

* * *

---

[1] سير أعلام النبلاء – الذهبي ج 3ص 149

[2] المحصول – الرازي ج 4 ص 340

2- أقوال علي عليه السلام في مُعاويَة

وإنما قدّمت عليّاً عليه السلام للحديث الذي رواه البخاريّ وغيره وفيه قوله صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام:" أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي.".فهذه منزلة عليّ **عليه السلام** التي ارتضاها له الله ورسوله،ومَن توهّم أنّ شهادة عليّ لا تُقبل في مُعاويَة لمَكان الخُصومة بينَهما فإنّه يجد الجواب عن ذلك مُستوْفىً لاحقاً إن شاء الله تعالى.

قال ابن أبي الحديد[1]:ومن خطبة له عليه السلام:ألا وإن الشّيطان قد جمع حزبَه،واستجلب خيلَه ورجلَه،وإنّ معي لبَصيرَتي ما لبستُ على نفسي،ولا لبسَ عليّ.وأَيْم الله لأفرطنّ لهُم حوضاً أنا ماتحُه،لا يصدرون عنه،ولا يعودون إليه .

قال ابن أبي الحديد في شرح الخطبة:يمكن أن يعْنيَ بالشّيطان الشّيطانَ الحقيقيّ،ويمكن أن يعني به مُعاويَة،فإن عنى مُعاويَة، فقوله:" قد جمع حزبَه واستجلب خيْلَه ورجلَه " كلامٌ جارٍعلى حقَائقه،وإنْ عنى به الشّيطان،كان ذلك من باب الاسْتعَارَة،ومأخُوذاً من قوْله تعالى:(واسْتفزِزْمن استطعْتَ منهمْ بصوْتك وأجلبْ عليهمْ بخيْلك ورجلك)،والرّجل:جمع راجل،كالشّرب،جمع شارب،والرّكب:جمع راكب .

قال ابن أبي الحديد [2]: ودعا عليّ عليه السلام على بُسْر فقال : اللهمّ إنّ بُسْراً باعَ دينَه بالدّنْيا،وانْتهكَ محارمَك،وكانت طاعةُ مخْلوق فاجر آثرَ عندَه ممّا عندك؛اللهمّ فلا تُمتْه حتّى تسلبَه عقلَه،ولا توجبْ له رحمتَك ولا ساعةً من

---

[1] شرح نهج البلاغة ج 1 ص 239

[2] شرح نهج البلاغة ـــ ابن أبي الحديد ج 2ص 18

نهار،اللهم الْعنْ بُسراً وعمراً ومُعاويَة وليحلّ عليهم غضبُك،ولتنزلْ بهم نقْمَتك وليُصبْهم بأسُك ورجزُك الذى لا تردُّه عن القوْم المُجرمين .

وفيه أيضاً [1]: فقال عليّ عليه السلام:أيّها النّاس،إنّي أحقُّ منْ أجاب إلى كتاب الله ولكن مُعاويَة،وعمرو بن العَاص،وابن أبي معيط،وابن أبي سرْح،وابن مسْلمَة ليْسوا بأصْحاب دين ولا قُرآن،إنّي أعرَفُ بهمْ منْكم،صحبتُهم صغاراً ورجالاً،فكانُوا شرّ صغاروشرَّ رجَال،ويْحكُم إنّها كلمَة حقّ يُرادُ بها بَاطلٌ ! إنّهم ما رَفعُوها أنّهم يعْرفونَها ويعملون بها،ولكنّها الخديعةُ والوهنُ والمَكيدَة ! أعيرُوني سواعدَكم وجماجمَكم ساعةً واحدةً،فقدْ بلغَ الحقُّ مقْطعَه،ولم يبْقَ إلاّ أن يُقطعَ دابرُ الذين ظَلَمُوا .

وقال في كتاب إلى مُعاويَة[2]: وأمّا استْواؤُنا في الحرْب والرّجَال فلستَ بأمْضى على الشّكّ منّي على اليَقين.وليسَ أهلُ الشّام بأحْرصَ على الدّنْيا منْ أهْل العرَاق على الآخرَة.وأمّا قولُك إنّا بنُو عبد مناف فكذلك نحنُ.ولكنْ ليس أُميّةُ كهاشم،ولاحَرْبٌ كعبْد المطّلب،ولا أبوسُفْيان كأبي طالب[3]،ولا المهاجر كالطّليق،ولا الصّريح كاللّصيق،ولا المُحقّ كالمُبْطل ولا المُؤمن كالمُدْغل . ولبئْسَ الخلَفُ خلَفٌ يتبعُ سَلفاً هوَى في نار جهنّم وفي أيدينا بعدُ فضلُ النّبوّة التي أذْللْنا بها العزيزَ ونعشْنا بها الذّليل.

---

[1] شرح نهج البلاغة ج 2 ص 216

[2] نهج البلاغة ج 3ص 17

[3] يُستفاد من هذا أنّه لو كان أبو طالب مات على الكفر كما يدّعي خصوم أهل البيت عليهم السلام ، وكان أبو سفيان مات على الإسلام لما جاز لعليّ عليه السلام أن يفضّل أبا طالب عليه، ولما فوّتها معاوية أيضاً.وإنّما ظهر القول بكفر أبي طالب ــ والعياذ بالله ــ في زمن المنصور العباسي حتى يُوهم الناس أنّه ابن العمّ المؤمن (العبّاس) وأنّ الفاطميين أبناء العمّ غير المؤمن، وقد كانت حياة النبيّ (صلى الله عليه وآله أهمّ عند أبي طالب من حياة أبنائه، وأشعارُه في مدح النبي (صلى الله عليه وآله معلومة، ولو كان على غيرعقيدته لاتخذ موقفاً مشابهاً لموقف أبي لهب.

وفي مصنّف ابن أبي شيبة[1] : [..] عبدالرحمن بن مغفل قال:صلّيت مع عليّ صلاة الغداة،قال:فقنت فقال في قنوته:" اللهم عليك بمعاوية وأشياعه وعمرو بن العاص وأشـــياعه وأبي الأعور السّلمي وأشياعه وعبد الله بن قيسو أشـــياعه.

وقال عليه السلام [2]:ومتى كنتُم يا مُعاويَة ساسَةَ الرّعيّة وولاةَ أمْر الأمّة ؟ بغيْرقدم سابق ولا شرف باسق،ونعوذ بالله من لزوم سوابق الشّقاء وأحذّرك أن تكونَ مُتمادياً في غرّة الأمْنية مُختلفَ العلانيَة والسّريرة.

وفي جمهرة خطب العرب[3]:وولي عثمان رضي الله عنه فعمل بأشياء عابها النّاس عليه فساروا إليه فقتلوه ثمّ أتاني الناس وأنا معتزل أمورهم فقالوا لي بايع فأبيتُ عليهم فقالوا لي بايعْ فإنّ الأمّة لا ترضى إلاّ بك وإنّا نخاف إن لم تفعل أن يفترق النّاس فبايعتُهم فلم يرعْني إلاّ شقاق رجلَيْن قد بايعاني وخلافُ مُعاويَة الذي لمْ يجْعل الله عزّوجلّ له سابقةً في الدّين ولا سلفَ صدْق في الإسْلام طليق بن طليق حزْب من هذه الأحزاب لم يزلْ لله عزّوجلّ ولرسُوله وللمسْلمين عدوّاً هُو وأبُوه حتّى دخلا في الإسْلام كارهيْن.

وفيه [4]: انهدوا إليهم عليكم السّكينة والوَقار وقارالإسْلام وسيما الصّالحين فوالله لأقرب قوْم من الجهل قائدهم ومؤذّنهم مُعاويَة وابن النابغة وأبوالأعورالسّلمى وابن أبي معيط شارب الخمْرالمجلود حدّاً في الإسْلام وهم

---

[1] المصنّف ــ ابن أبي شـــيبة ــ ج2 ص 216

[2] في نهج البلاغة ج 3 ص 11

[3] جمهرة خطب العرب ج1ص336

[4] جمهرة خطب العرب ج1ص349

أولى من يقُومون فينقصُونني ويجدبُونني وقبْل اليوْم ما قاتلُوني وأنا إذ ذاك أدعُوهم إلى الإسْلام وهم يدْعُونَني إلى عبَادة الأصْنام.

قال ابن أبي الحديد [1]: فلما بلغ عليّاً (عليه السلام) ما صنع مُعاويَة قال

يا عجبا لقدْ سمعْت منْكَرا * * ****كذْباً على الله يُشيبُ الشّعرا

يسترقُ السّمْع ويُعشي البصَرا * * ما كان يرضي أحمد لو أخبرا

أن يقْرنُوا وصيّه والأبتَرا * * * شاني الرّسول واللّعين الأخْزرا

والمقصودُ باللّعين الأخْزر مُعاويَة ،ولو لم يكن مُعاويَة مستحقّاً للّعن لما لعنَه عليّ عليه السلام.

وقال البلاذري [2]:وانصرف أهل الشّام إلى مُعاويَة فسلّموا عليه بالخلافة وبايعُوه،ورجع ابنُ عبّاس وشُريْح بن هانئ إلى عليّ بالخَبر،فكان عليّ إذا صلّى الغداة قنت فقال:اللهمّ العنْ مُعاويَة وعمراً وأبا الأعْور،وحبيبَ بن مسْلمة وعبدَ الرّحمن بن خالد بن الوليد،والضّحاك بن قيس والوليد بن عقبة . فبلغ ذلك مُعاويَة فكان يلعن عليّاً والأشْتر،وقيْس بن سعْد والحسن والحسين وابن عبّاس وعبد الله بن جعفررضي الله تعالى عنْهم .

ومن كلام لعليّ **عليه السلام**[3]:والله ما مُعاويَة بأدهى مني ولكنه يغدرويفجر . ولولا كراهية الغدْرلكنت من أدهى الناس،ولكن كل غدرة

---

[1] شرح نهج البلاغة – ابن أبي الحديد ــ ج 2 ص 69

[2] أنساب الأشراف– البلاذري ص 351

[3] نهج البلاغة ج 2 ــ ص 180

فجرة،وكل فجرة كفرة.ولكل غادرلواء يعرف به يوم القيامة.والله ما أستغفل بالمكيدة،ولا أستغمز بالشديدة .

وقال ابن منظور[1]: في حديث عليّ **رضوان الله عليه** ودّ مُعاويَة أنّه ما بقيَ من بَني هاشم نافخ ضرْمَة أي أحدٌ لأنّ النّار ينفخُها الصّغير والكبير والذّكروَالأنْثى.

تلكم كانت أقوال عليّ عليه السلام في معاوية وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله "عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدورمعه حيث دار" وقال أيضاً " عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ.."

****

3 ـ أقوال صحابة وتابعين وآخرين جاءوا من بعدهم :

ـ الحسن بن علي عليهما السلام :

كتب إليه الحسن[2]: فاليوم فليتعجّب المتعجّب من توثّبك يا معاوية!على أمر لستَ من أهله،لا بفضل في الدين معروف،ولا أثر في الاسلام محمود وأنت ابن حزب من الاحزاب،وابن أعدى قريش للنّبيّ،ولكتابه.

ـ عائشة بنت أبي بكر

قال الأبشيهي[3]:ودخل عليه الحسن يوماً وهو مضطجع على سريره فسلّم عليه وأقعده عند رجليه وقال ألا تعجب من قول أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها تزعم أنّي لست للخلافة أهلاً ولا لها موضعاً.اهـ

---

[1] لسان العرب ج3ص63

[2] مقاتل الطالبيين ـ الأصفهاني ص35 وشرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد ـ ج16ص34

[3] المستطرف في كل فن مستظرف ج1ص351

وهذا قولُ مَن يُؤخذُ عنها نصفُ الدّين،والتي كانت حليفاً لمعاوية في حرب عليّ إلى أن قتل معاوية أخوَيْها فقَلَبَتْ لَهُ ظهْر المجَنّ.

وفي السّيَر[1]:...عن الاسود،قلت لعائشة : ألا تعجبين لرجل من الطّلقاء ينازع أصحاب محمّد في الخلافة؟قالت وما يعجب؟هو سلطان الله يؤتيه البرّ والفاجر وقد ملَكَ فرعونُ مصرَ أربع مئة سنة .

ولا يخفى ما تضمّنه الكلام من تشبيه معاوية بفرعون.

صعصعة بن صوحان

قال لمعاوية [2]:ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممَّنْ أجلبَ على النّبيّ صلى الله عليه وآله إنّما أنت طليق وابن طليق أطلقكما النّبيّ،فأنّى تصحّ الخلافة لطليق.

ـ سعد بن أبي وقاص

قال البلاذري في أنساب الأشراف[3]: حدّثني أبو مسعود الكوفيّ،عن ابن الكلبيّ،عن عوانة،عن أبيه قال:قال سعد بن أبي وقّاص لمُعاويَة في كلام جرى[بينهما]:قاتلتَ عليّاً وقد علمتَ أنّه أحقّ بالأمر منْك؟! فقال مُعاويَة:ولمَ ذاك ؟ قال:لأنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول[فيه] مَنْ كُنتُ مَوْلاهُ فَعَليّ مولاه اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه.ولفضله في نفسه وسابقته.قال:فما كنتَ قطّ أصغرَ في عيْني منْك الآن.قال سعد:ولمَ ؟ قال:لتَرْكِكَ نُصرتَه وقُعُودك عنْه وقد علمْت هذا من أمره.

---

[1] سير أعلام النبلاء – الذهبي ج 3 ص 143

[2] مروج الذهب ـ المسعودي ـ ج3 ص50 ط دار السعادة سنة 1377.

[3] أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ [هامش ص 109] تحقيق محمد باقر المحمودي

وقال الذّهبيّ في السّير[1]:وروى عمر بن الحكم:عن عوانة قال:دخل سعد على مُعاويَة،فلم يسلّم عليه بالإمرة،فقال مُعاويَة:لو شئت أن تقول غيرها لقلت. قال فنحن المؤمنون ولم نؤمّرك،فإنّك مُعجَب بما أنتَ فيه،والله ما يسرّني أنّي على الذي أنتَ عليه وأنّي هرقتُ محْجمَة دم .

- جرير بن عبد الله البجلي :

قال البلاذريّ [2]: ثم قام جريرفقال:ياأهل الشام إنّ مَن لم ينفعْه القليل لم ينفعْه الكثير،قد كانت بالبصرة ملحمة إن يسفح البلاء بمثلها فلا بقاء للإسلام بعدها فاتّقوا الله وروؤا في عليّ ومُعاويَة وانظروا أين مُعاويَة من عليّ،وأين أهل الشّام من المهاجرين والأنصار،ثم انظروا لأنفسكم فلا يكون أحد أنظر لها منها.ثم سكتَ وسكتَ مُعاويَة فلم ينطقْ وقال: أبلعْني ريقي يا جَرير . فأمسكَ [جرير] .

وفي كتاب من ابن عبّاس إلى عمرو بن العاص [3]:فإن كنت أردت الله بذلك ، فدع مصروارْجعْ إلى بيتك فإنّ هذه حرب ليس مُعاويَة فيها كعليّ ،بدأها عليّ بالحقّ و(انتهى) فيها إلى العُذر،وابتدأها مُعاويَة بالبغي فانتهي منها إلى السّرف،وليس أهل الشّام فيها كأهل العراق،بايع عليّاً أهلُ العراق وهو خيرٌ منهم ، وبايع أهل الشّام مُعاويَة وهمْ خير منه ، ولستَ وأنا فيها سواء أردتُ الله ، وأردتَ مصر ، فإن تردْ شرّاً لا يفتنا وإن تردْ خيرا لا تَسبقْنا [إليه].

---

[1] سيرأعلام النبلاء ج 1ص 122

[2] أنساب الأشراف- البلاذري ص 284

4أنساب الأشراف- البلاذري ص 308

ـ عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعي

في جمهرة خطب العرب ج1ص320:قام عبد الله بن بديل بن ورقاء الخزاعيّ فقال يا أميرالمؤمنين إنّ القوم لوكانوا الله يريدون ولله يعملون ما خالفونا ولكنّ القوم إنّما يقاتلوننا فراراً من الأسوة وحبّاً للأثرة وضنّاً بسلطانهم وكُرهاً لفراق دنْياهم التي في أيديهم وعلى إحَن في نفُوسهم وعداوَة يجدونَها في صُدورهم لوقائع أوقعتَها يا أميرالمؤمنين بهم قديمَة قتلتَ فيها آباءَهم وأعوانَهم ثمّ التفت إلى النّاس فقال كيف يبايعُ مُعاويَة عليّاً وقد قتلَ أخاه حنظلةَ وخالَه الوليدَ وجدّه عتبةَ في موقف واحد،والله ما أظنّهم يفعلون ولن يستقيموا لكم دون أن تقصف فيهم قنا المران وتقطع على هامهم السّيوف وتنثر حواجبهم بعمد الحديد وتكون أمور جمّة بين الفريقين....

وقال أيضا [1]: إن مُعاويَة ادّعى ماليس له ونازع الأمرأهلَه ومن ليس مثله وجادل بالباطل ليُدحض به الحقّ وصال عليكم بالأعراب والأحزاب وزيّن لهم الضّلالة وزرع في قلوبهم حبّ الفتنة ولبّس عليهم الأمور وزادهم رجسا إلى رجسهم وأنتم والله على نور وبرهان قاتلوا الطغام الجفاة.اهـ

ـ الحسن البصري :

قوله المشهور في معاوية الذي أورده الزّمخشريّ في ربيع الأبرار: إنّ في معاوية لثلاث مهلكات موبقات: غصب الأمّة أمرها،وفيهم بقايا من أصحاب النّبيّ،وولّى ابنَه سكّيراً خمّيراً يلبس الحرير ويضرب بالطّنبور،وادّعى زياداً وولاّه العراق وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم: "الولد

[1] جمهرة خطب العرب ج1ص352

للفراش وللعاهر الحجر، وقتل حجراً وأصحاب حجر. ويل له من حجر وأصحاب حجر"!

وقوله:أربع خصال كنّ في معاوية لو لم تكن فيه إلاّ واحدة لكانت موبقة له :

(1) أخذه الأمْرمن غير مشورة وفيهم بقايا الصحابة ذوو الفضيلة .
(2) استخلافه بعده ابنه سكّيرا خمّيرا يلبس الحرير ويضرب الطّنابير .
(3) ادعاؤه زيادا وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وآله الولد للفراش وللعاهر الحجر
(4) قتله حجرا وأصحاب حجر فيا ويْلاً له من حجر وياويلا له من حجر وأصحاب حجر[1].

ـ أبو القاسم البلخي:

قال ابن أبي الحديد [2]: قلت: قال شيخنا أبو القاسم البلخيّ **رحمه الله تعالى** : قول عمرو له:" دعني عنك " كناية عن الإلحاد،بل تصريحٌ به،أي دع هذا الكلام لا أصل له،فإنّ اعتقادَ الآخرة أنّها لا تُباع بعرَض الدّنْيا من الخرافات.وقال رحمه الله تعالى:وما زال عمْرو بنُ العاص مُلْحداً،ما تردّد قطّ في الإلحاد والزّندقَة وكان مُعاويَة مثْلَه،ويكفي من تلاعُبهما بالإسْلام حديثُ السّرار المرويّ،وأنّ مُعاويَة عضّ أذن عمرو،أين هذا من سيرة عمر؟وأين هذا من أخلاق عليّ عليه السلام ،وشدّته في ذات الله،وهما مع ذلك يعيبانه بالدّعابة !اهـــ

---

[1] الخلافة والملك ـــ أبو الأعلى المودودي ـــ ص106

[2] شرح نهج البلاغة ج 2 ص 65

ــ عمرو بن العاص:

قال عمرو[لمعاوية][1]: ليس كلّ ما ذكرت عظيما،أمّا ابن أبي حذيفة،فما يتعاظمك من رجل خرج في أشباهه أن تبعث إليه رجلاً يقتله أو يأتيك به ، وإن قاتل لم يضرّك.وأمّا قيصر فأهْد له الوَصائفَ وآنية الذّهب والفضّة ، وسله المُوادعة فإنّه إليها سريع.وأمّا عليّ فلا والله يا مُعاويَة،ما يسوّي العربُ بينَك وبينَه في شئ من الأشياء،وإنّ له في الحرب لحظّاً ما هولأحد من قُريْش،وإنّه لصاحب ما هُو فيه إلاّ أن تظلمَه. هكذا في رواية نصر بن مزاحم عن محمّد بن عبيد الله.

ــ السّهمي(ابن عمّ عمرو بن العاص):

قال ابن أبي الحديد [2]: قال نصر وكان لعمرو بن العاص ابن عمّ من بني سهم،أريب،فلمّا جاء عمرو بالكتاب مسروراً عجبَ الفتَى وقال:ألا تُخبرني يا عمرو بأيّ رأي تعيشُ في قُريْش!أعطيتَ دينَك وتمنّيت دنيا غيْرك ! أترى أهلَ مصر – وهم قتلةُ عثمان – يدفعونَها إلى مُعاويَة وعليّ حيّ ! أتراها إن صارت لمُعاويَة لا يأخذها بالحرف الذي قدّمه في الكتاب ؟ فقال عمرو : يا ابن أخي إنّ الامر لله دون عليّ ومُعاويَة،فقال الفتى:

ألا يا هند أخت بني زياد * * رمي عمرو بداهية البلاد

إلى أن يقول:أ لم تعرف أبا حسن عليّاً * * وما نالت يداه من الأعادي

عدلت به مُعاويَة بن حرب * * فيا بُعدَ البياض من السّواد !

---

[1] شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد ج 2ص 64

[2] شرح نهج البلاغة ج 2ص 68

ويا بُعد الأصابع من سُهَيْل * * ويا بُعد الصلاح من الفساد !

ـ عبد الله بن عبّاس

قال ابن عبّاس [1]: ابن عمّ النّبيّ وصهره وأوّل ذَكَر صلّى معه بدريّ قد شهد مع النّبيّ صلى الله عليه وآله كلّ مشاهده التي فيها الفضل ومُعاويَة مُشرك كان يعْبد الأصنام والذي ملك الملك وحده وبان به وكان أهله لقد قاتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام مع النّبيّ وهو يقول صدق الله ورسوله ومُعاويَة يقول كذب الله ورسوله فعليكم بتقوى الله والجدّ والحزم والصّبر والله إنّا لنعلم إنّكم لعلى حقّ وإنّ القوم لعلى باطل.

ـ عبد الله ابن الزبير

وقال أبو الفرج الأصفهاني [2]: قال الهيثم ثمّ إنّ ابن الزّبير مضى إلى صفيّة بنت أبي عبيد زوجة عبد الله بن عُمر فذكر لها أنّ خروجه كان غضباً لله تعالى ورسوله والمهاجرين والأنصار من أَثَرة مُعاويَة وابنه وأهله بالفيء وسألها مسألته أن يبايعه...

ـ النجاشي الشاعر

في الأخبار الطّوال للدينوري ص **161**:

فقولوا لكعب أخي وائل   ومن جعلَ الغثّ يوما سمينا
جعلتم عليّاً وأشياعه   نظير ابن هنْد أما تستحُونا

---

[1] جمهرة خطب العرب ج1ص351

[2] الأغاني ـ الأصفهاني ج1ص28

ــ قيس بن سعد بن عبادة:

قال ابن خَلْدُون[1]: وكان له انْحياشٌ إلى عليّ في حروبه مع مُعاويَة وهو القائل لمُعاويَة بعد مهلك عليّ رضي الله عنه وقد عرّض به مُعاويَة في تشيّعه فقال والآن ماذا يا مُعاويَة والله إنّ القلوب التي أبْغضْناك بها لفي صدُورنا وإنّ السّيوف التي قاتلناك بها لعلَى عوَاتقنا.

ــ وائل بن حجر

في تاريخ ابن خَلْدُون[2]: قدم وائل بن حجر راغباً في الإسْلام فدعا له ومسح رأسَه ونُودي الصلاة جامعة سروراً بقُدُومه وأمر مُعاويَة أن يُنزله بالحرّة فمشى معه وكان راكباً فقال له مُعاويَة اَعْطني نعلك أتوقّى بها الرّمضاء فقال ما كنتُ لألبسَها وقد لبستَها وفى رواية لا يبلغُ أهلَ اليمن أنّ سوقةً لبسَ نعلَ مَلك فقال أرْدفْني قال لستَ من أرْدَاف المُلوك ثمّ قال إنّ الرّمضاء قدْ أحرقت قَدَمي قال امْش في ظلّ ناقَتي كفَاك به شَرفاً ويُقال إنّه وفدَ على مُعاويَة في خلافته فأكْرَمَه . اهــ

فمُعاويَة في نظر هذا الملك من مُلوك اليمن " ليس منْ أرْداف المُلوك " ،وإنّما هو من " السوقة " و" لا ينبغي أن يبلغَ أهلَ اليمن أنّ **سوقة** لبسَ نعْل ملك، وكفاه شرفاً أن يمشي في ظلّ ناقة هذاالملك.وكلّ هذا يقوّي معنى"الصعلوك في الحديث النبويّ الذي تقدّم ذكره.ولو كان لمعاوية شرف في الجاهلية أو صدر الإسلام لما خفيَ على هذا المَلك من ملوك اليمن!

[1] تاريخ ابن خَلْدُون ج 2ص 294

[2] تاريخ ابن خَلْدُون ج 2ص56

ـ محمّد بن مسلمة :

قال نصر في وقعة صفّين [1]:

فكتب إليه محمّد [بن مسلمة]:"أمّا بعد فقد اعتزل هذا الأمر من ليس في يده من النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم مثل الذي في يدي.فقد أخبرني النّبيّ صلى الله عليه وسلم بماهو كائن قبل أن يكون،فلمّا كان كسرْتُ سيْفي،وجلسْتُ في بيْتي واتّهمت الرّأي على الدّين،إذْ لمْ يصحّ لي معروف آمرُ به،ولا منكَر أنْهى عنْه وأمّا أنت فلعمْري ما طلبتَ إلا الدّنْيا،ولا اتّبعْتَ إلاّ الهوَى. فإن تَنْصُرْ عثمانَ ميْتاً فقد خذلتَه حيّاً. فما أخرجَني الله من نعْمة ولا صيّرَني إلى شكّ.إن كنَت أبصرتَ خلافَ ما تحبني به ومن قبلَنا من المهاجرين والأنْصار،فنحنُ أولى بالصّواب منْك ".اهـ

ـ محمّد بن أبي بكر بن أبي قحافة:

وقد ارتأيت إيراد رسالة محمّد بن أبي بكرإلى مُعاويَة بن أبي سُفْيان كاملةً كما جاءت في كتاب وقعة صفّين لنصربن مزاحم ص**118**،نظراً لكوْن الرّجل ابنَ خليفَة المُسلمين وأخا عائشة وعبد الرحمن،وإن يكن مُعاويَة خالَ المسلمين،فمحمّدُ بن أبي بكرأيضاً خالُهُم،وأينَ أمّ حبيبَة من عائشة عند المخالفين لأهل البيت عليهم السّلام؟!وفي الرسالة تُهمٌ واضحة لمُعاويَة في دينه،وإصرارٌمن محمّد بن أبي بكرأنّ أبا سُفْيان مات على غيرالإسْلام.وأنّ مُعاويَة ابنه خلفَهُ على ذلك،قال نصر :

وكتب محمّد بن أبي بكر إلى مُعاويَة بسم الله الرّحمن الرّحيم من محمّد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخرسلامٌ على أهل طاعة الله ممّن هو مسلم

---

[1] وقعة صفين ـ نصر بن مزاحم المنقري ـ ص 76

لأهل ولاية الله.أمّا بعد فإنّ الله بجلاله وعظمته وسلطانه وقُدْرته خلق خلقاً بلاعَنَت ولا ضَعْف في قوّته،ولا حاجة به إلى خلْقهم،ولكنّه خلقَهم عبيداً،وجعل منْهم شقيّاً وسعيداً،وغويّاً ورشيداً،ثمّ اختارهم على علْمه،فاصطفى وانْتخَب منْهم صلى الله عليه وسلم،فاختصّه برسالته،واختاره لوحْيه،وائْتَمَنَهُ على أمْره،وبعثَه رسولاً مصدّقاً لما بين يديْه من الكُتب،ودليلاً على الشّرائع،فدعا إلى سبيل ربّه بالحكْمة والموْعظَة الحسنَة،فكان أوّل من أجَاب وأنَاب،وصدّق ووافق وأسلم وسلّم - أخوه وابنُ عمّه علي بن أبي طالب **عليه السلام**،فصدّقه بالغيْب المكْتوم،وآثرَه على كلّ حَميم،فوقَاه كلّ هوْل،وواساه بنفْسه في كلّ خوْف فحارَب حربَه،وسالَم سلمَه فلمْ يبْرَح مبتذلاً لنفْسه في ساعات الأزل ومقامات الرّوْع،حتّى برز سابقاً لا نظيرَ لهُ في جهاده،ولا مُقاربَ له في فعْله.وقدْ رأيتُك تُساميه وأنْتَ أنتَ.وهُوَ هُوَالمبرزالسّابق في كلّ خيْر،أوّل النّاس إسْلاماً،وأصدق النّاس نيّةً،وأطيبُ النّاس ذرّيّة،وأفضلُ النّاس زوْجةً،وخيرُ النّاس ابنَ عمّ.وأنت اللّعين ابن اللّعين.ثمّ لمْ تزلْ أنْتَ وأبُوك تبْغيَان الغوائلَ لدين الله،وتجْهدَان على إطفَاء نُورالله،وتجمعَان على ذلك الجُموعَ،وتبْذلان فيه المَالَ،وتخالفان فيه القبائل.على ذلك مات أبُوك،وعلى ذلك خلفْتَه،والشّاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقيّة الأحْزاب،ورؤوس النّفاق والشّقاق للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم.والشاهد لعليّ مع فضله المُبين وسبْقه القَديم أنْصارُه الذين ذُكروا بفضلهم في القرآن فأثنى الله عليهم،من المهاجرين والأنصارفهُم معه عصائب وكتائب حوله،يجالدون بأسيافهم،ويهريقون دماءَهم دُونَه،يروْن الفضلَ في اتباعه،والشّقاءَ في خلافه ،فكيف - يا لكَ الويْلُ - تعْدلُ نفسَك بعليّ وهووارثُ النّبيّ صلى الله عليه و آله وسلم،ووصيّه وأبُو ولده وأوّل النّاس له اتّباعاً،وآخرُهم به عهْداً،يُخْبرُه بسرّه ويُشْركُه في أمْره،وأنتَ عدُوّه وابنُ

عدوّه؟!فتمتّعْ ماستطعتَ بباطلك،وليمددْ لكَ ابنُ العاص في غوَايَتكَ،فكأنّ أجلَك قد انْقَضى،وكيدَك قدْ وَهى.وسوفَ يستبينُ لمَن تكونُ العاقبةُ العُليا. واعلمْ أنّكَ[إنّما] تُكايدُ ربّكَ الذي قد أمنْتَ كيدَه ،وأيستَ منْ رَوْحه.وهُو لك بالمرْصاد ،وأنتَ منْه في غُرور ،وبالله وأهْل رسوله عنْك الغناء،والسّل على من اتّبع الهُدى.اهــ

20- **مُعاويَة بن أبي سُفْيان :**

ويقول مُعاويَة عن نفسه كما في الآحاد والمثاني [1]:

حدّثنا دحيم أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا بن أبي مريم عن ثابت مولى سُفْيان بن أبي مريم قال سمعت مُعاويَة **رضي الله تعالى عنه** يقول يا أيّها النّاس والله ما أنا بخيركم وإنّ بينكم من هو خير مني عبد الله بن عمروعبد الله بن عمرو وغَيْرهُما من الأفاضل ولكن عسى أنْ أكونَ أنفعَكم لكم ولايةً وأنكاكُم في عدوّكم وأدرّكم حلباً.(انتهى)

هذه شهادة مُعاويَة على نفسه والإقرار سيد الأدلة.

وقال أيضا كما في الآحاد والمثاني [2]: حدّثنا عمرو بن عثمان أخبرنا أبي أخبرنا همام بن محمّد عمّن حدّثه أنّ مُعاويَة قام في جمعة شهدها فقال الا إنّ مَن زرعَ فقد آن حصادُه فقدْ بلغتُ سنّا ما بلغَها أحدٌ من أهْل بيْتي إلا هلَكَ وأيْم الله ما أحسبُني أغبر فيكم إلاّ قليلاً ولا أراكُم ترونْ بعدي إلاّ مَنْ هُو شرّ منّي كما لم يكُن قبْلي إلاّ مَنْ هُو خيْرٌ منّي. اهــ

---

[1] الآحاد والمثاني ــ ابن أبي عاصم ــ ج 1ص 377

[2] الآحاد والمثاني ج1 ص 379

21 ـ الحمانيّ الكوفي صاحب المسند الكبير :

الحافظ الإمام الكبير أبو زكريّا ابن المحدّث الثّقة أبي يحيى الحمّاني الكوفيّ صاحب المسند الكبير.قال عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان:إنّه مات على غير ملّة الإسْلام ! ذكر ذلك العقيلي.[1]

وهو [أي الحمانيّ] من رجال مسلم ووثّقه ابُن معين[2]!وقال عنه عمر بن شاهين في تاريخ أسماء الثقات- ص159 تحت رقم(912):وأبو يحيى الحمانيّ ثقة وابنه ثقة وأبو يحيى اسمه عبد الحميد.وقال أيضاً (في **تاريخ أسماء الثقات** ص270 تحت رقم 1657) حدّثني عمر بن أبي السّريّ الحافظ قال سمعت عبد الله بن محمد بن منيع يقول كنّا على باب يحيى بن عبد الحميد الحمانيّ فجاء يحيى بن معين على بغلته فسأله أصحاب الحديث فأبى وقال جئت مسلّماً على أبي زكريّا فدخل ثمّ خرج فسألوه عنه فقال ثقة ثقة.

22- مُعاويَة بن يزيد بن مُعاويَة :

قال القندوزي[3]: وإنّ معاوية بن يزيد بن معاوية لمّا وليَ العهد صعد المنبر فقال:إنّ هذه الخلافة حبل الله - تعالى - وإنّ جدّي معاوية نازع الأمرأهله ومَنْ هُو أحقّ به منه علي بن أبي طالب ، وركب بكم ما تعلمون

---

[1] ـ ضعفاء العقيلي ـ ج 4 ص 414: حدثني أحمد بن محمد بصدقة قال سمعت زياد بن أيـوب دلويـه سمعت يحيى بن عبد الحميد يقول مات معاوية على غير ملة الاسلام .

[2] ـ في الثقات - ابن حبان ـ ج 7 ص 121 : أبويحيى الحماني عبد الحميد بن عبد الرحمن الذي يقال له بشمين وحمان من تميم يروى عن الاعمش وابن أبى خالد روى عنه ابنه يحيى بن عبد الحميد وكان يحيى بن معين يقول الحمانيّ وأبوه ثقات.أقول: وهذا الموقف من معاوية هو الذي جعل الجوزجاني يقول عنه كما في تاريخ بغداد - الخطيب البغدادي ج 14 ص 181 : " يحيى بن عبد الحميد ساقط متلون ترك حديثه فلا ينبعث ".

3 ـ ينابيع المودة لذوي القربى - القندوزي - ج 3 ص 36

حتى أتته منيّته،فصارفي قبره رهينا بذنوبه،ثم قلّد أبي الأمر وكان غير أهله،ونازع ابن بنت رسولي الله صلى الله عليه وسلم،فقصف عمره،وأبتر عقبه،وصارفي قبره رهيناً بذنوبه.ثمّ بكى وقال:(إنّ) من أعظم الأمور خسارةً علينا علمُنا بسوء مصرعه،وبئس منقلبه،وقد قتل عترة النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأباح الخمر وخرب الكعبة،ولم أذُقْ حلاوةَ الخلافة،فلا أذُوقُ مرارَتها،ولا أتقلّدها فشأنكم في أمركم،والله لئن كانت الدنيا خيراً فقد نلْنا منْها حظّاً،وإن كانت شرّاً فكفى ذرّيّة أبي سفيان ما أصابوا منها .

وأورد الدّميري قريبا منه في حياة الحيوان،قال:إنّ معاوية بن يزيد قال على المنبر في مجتمع أهل الشام : ألا إنّ جدّي معاوية قد نازع في هذا الأمر من أولى به منه ومن غيره ، لقرابته من النّبيّ صلى الله عليه وآله وعظم فضله وسابقته:أعظم المهاجرين قدرا "،وأشجعهم قلبا "، وأكثرهم علما "،وأولهم إيمانا "، وأشرفهم منزلة،وأقدمهم صحبته،ابن عمّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وصهره وأخوه، زوّجه ابنته فاطمة،وجعله لها بعلا "،باختياره لها،وجعلها له زوجة باختيارها له،أبو سبطيه سيّدي شباب أهل الجنة،وأفضل هذه الأمة،تربية الرسول ، وابني فاطمة البتول من الشجرة الطيبة الطاهرة الزكية إلى آخر كلامه.

23- **عبد الرّزاق الصنعاني :**

قال ياقوت في معجم البلدان :حدّثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل قال سألت أبي قلت عبد الرّزاق أكان يتشيّع ويفرط في التّشيّع فقال أمّا أنا فلم أسمع منْهُ في هذا شيئاً ولكن كان رجلاً تعجبُه الأخبارُ.أنبأنا مخلد الشّعيريّ قال كنّا عند عبد الرّزاق فذكرَرجلٌ مُعاويَة فقال لا تقذّروا مجلسنا بذكْر ولد أبي سُفْيان.

24- محمّد بن عقيل الشافعي:

قال[1]:(فرقة) حكموا بفسقه وأوجبوا بغضه في الله وأجازوا لعنه ومنعوا من تسويده والتّرضّي عنه تعظيما له وإجلالا وهم أهل الحقّ والهدى ورئيسهم الأكبر يعسوب الدّين وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب **كرم الله وجهه** اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده.(وفرقة) ثانية آنست من الحقّ جانبا وادركت من شعاع الحقيقة وميضاً وعرفت مُعاويَة وفظاعةَ شأنِه وعظيمَ طغيانه وفاحشَ عصيانه ولكن قامت لديهم شُبَه زخرفَها مُتقدموهم ونمّقها سابقوهم فأحجموا بسببها عن تفسيقِه وإعلانِ بغضِه ولم يجيزوا لأنفسهم ما اجازته الفرقة الأولى زاعمين أنّ السّلامة في المسألة والنجاة في الاحتياط وجمدوا على ذلك وقعدوا عن الاجتهاد والبحث في إحقاق الحق وإبطال الباطل وهذه الفرقة المرجوّ لها إن شاء الله الرجوع إلى الصواب والتنكّب عن مسالك الخطأ إذا انقشع بالبحث غبارُ الشُّبَه التي قامت لديهم وأزيح ستار التّمويه الملتبس عليهم لاسيما إذا استحضروا قول الله تبارك وتعالى " فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما".(وفرقة) ثالثة أطروه بما ليس فيه والبسوه غير لباسه ووضعوا الأحاديث في فضله وانتحلوا له المناقب وبدّلوا سيّئاته حسنات يُريدون أن يرفعوا له في الدّين علَماً وضعه الله،ويحاولون أن ينصبوا له من الحقّ لواءً نكسه الله عناداً للحقّ ومغالاةً في التّعصّب،لا يلتفتون إلى دليل ولا يقبلون حُجّة يدفعون المتواتر في شأنه بالتّأويل ويقابلون الآحاد بالتّضعيف ليُزهقوا روح الحقّ وينعشوا روح الباطل ولهم أتباع وأذناب منتشرون في نواحي الأرض ملأوا البقاع نعيقاً وافعموا اليفاع نهيقاً

[1] النصائح الكافية- محمّد بن عقيل ص 21

لاتجد لديهم عند البحث إلاّ الصّخب والسّباب والنّفورعن سماع الحقّ والتّعصّب الصّرف لمقلّديهم وإذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم إذا فريق منهم معرضون وإن يكن لهم الحقّ يأتوا إليه مذعنين أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون(وهؤلاء) لا كلام لنا معهم ولا التفات إلى هذرهم وهذيانهم ولا اعتبار بخلافهم ولا نظر إلى تمحّلهم وانتحالهم ولا طمع في هدايتهم في آذانهم وقرعن سماع الحقّ وعلى أبصارهم غشاوة عن نور الهدى أرأيت من اتخذ الهه هواه أفأنت تكون عليه وكيلا أم تحسب أنّ أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل أضلّ سبيلا.وليس جوابهم إلا إهانتهم بالإعراض عنهم والسّكوت عند كلامهم فإنّما هم فئة الشّقاق والعناد وعبيد العصبيّة والهوى إن يتّبعون إلاّ الظّنّ وما تهوى الأ نفس ولقد جاءهم من ربّهم الهدى ،يحسبون أنّهم على شيء ألا إنّهم هم الكاذبون . اهـ

وهذا الكلام من طرف رجل شافعيّ المذهب يستحقّ عميق التّأمّل والتّدبّر،لأنّه يعبّرعن واقع تعيشه الأمّة منذ قرون،ولو لم تَردْ أحاديث في ذمّ مُعاويَة ولعْنه لكان الأمرُ سهلاً قابلا للأخذ والرّد،إنّما الثابت أنّ استخفاف مُعاويَة بالشّرع كان جليّاً لا يحتمل التّأويل عند أولي البصائر،وهو ممّا يؤكّد صحّة تلك الأحاديث ومناسبتها لحرص النّبيّ صلى الله عليه وآله على الأمّة ورحمته ورأفته بها."لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيزعليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم" .

وقال[1]:(فقد لعنَ اللهُ) جلّت عظمتُه في هذه الآيات المُفسدين في الأرض والقاطعين أرْحامهم ولعن المُؤْذين لله ورسوله ولعنَ الظّالمين مكرّراً ولعنَ

---

[1] النصائح الكافية- محمد بن عقيل الشافعي ــ ص 25

المعتدين والذين لا يتناهوْن عن المنْكر ولعن من قتَل مؤمناً متعمّداً ولعنَ من نقضَ الميثاق ولعن الأئمّة الدّاعين إلى النّار ولعن الكاذبين على ربّهم.(وقد لعَنَ)النّبيّ صلى الله عليه وآله مَن أحدث حدثاً أوآوى مُحدثاً ولعنَ من ضارّ بمسلم أومَكَر به ولعَنَ من سبّ أصحابه ولعن الرّاشيَ والمرتشي والرائش ولعن من غَيّرَ مَنارَالأرض ولعَنَ السّارق ولعَنَ شارب الخمر ومُشتريَها وحاملَها والمحمولةَ إليه.وقال من يلعن عمّاراً لَعَنَهُ الله ولعَنَ من وليَ من أمر المسلمين شيئا فأمّرعليهم أحداً مُحاباةً ولعَنَ مَنْ أخاف أهل المدينة ظُلما.(وأيّ صفة) من هذه الصّفات لم يتلبّس بها ذلك الطّاغية حتّى يفلت من دخوله تحت عُمومها والعمل بما جاء في كتاب الله تعالى والتأسّي بالنّبيّ صلى الله عليه و آله مطلوبٌ ومشروعٌ (قال الله تعالى) لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة الآية وكذا التأسي بالملائكة لأنّهم معصومون. اهـ

25- سيد قطب :

قال سيد قطب في كتابه كتُبٌ وشخْصيّات:(إنّ معاوية وزميله عمراً لم يغلبا عليّاً لأنّهما أعرف منه بدخائل النّفوس وأخبر منه بالتّصرّف النّافع في الظّرف المناسب ولكن لأنّهما طليقان في استخدام كلّ سلاح ،وهو مُقيّد بأخلاقه في اختيار وسائل الصّراع،وحين يركن معاوية وزميله الى الكذب والغشّ والخديعة والنّفاق والرّشوة وشراء الذّمم لايملك عليّ أن يتدلّى الى هذا الدرك الأسفل فلا عجب ينجحان ويفشل وإنّه لفشل أشرف من كل نجاح.

26- حامد حفني داود[1]:

قال:ونحن نرى أنّ انتصار معاوية على الإمام إنّما هو صورة من صور الثأر والتآمر التى نزع إليها الشّرك بعد أن غلبه الإسلام،فيه على حدّ تعبيرنا قصاص المُتَمَسْلمين و أدعياء الإسلام من المسلمين المؤمنين حقّاً . . وهم الذين قتلوا آباءهم وأجدادهم من أجل الحق وإعلاء كلمة الاسلام.

وقال أيضاً [2]:ثمّ اجتهد(معاوية) في المطالبة بدم عثمان،كما اجتهدت أمّ المؤمنين من قبل،ولكنّ اجتهاده لم يكن لأجل مصلحة الجماعة الإسلاميّة ولا لأجل المعاني الإنسانيّة،وإنّما ليجد من وراء ذلك القصد مطيّة رخيصة يصل بها إلى منصب الخلافة عنوة - فكان اجتهاده باطلاً،وذلك أسوأ مراتب الاجتهاد إن صحّ لنا أن نسمّي ذلك النّوع اجتهاداً وأصاب عليّ حين نبّه الجماعة الإسلاميّة إلى بطلان معاوية في موقفه فأصاب وأصاب كل من انحاز إلى جماعته،على حين أساء معاوية إلى الجماعة الإسلاميّة وكذلك أساء كل من سلك مسلكه وورد مورده فما من محارب قُتل في جيش عليّ رضي الله عنه دفاعا عن مُثُله ومَبادئه إلاّ وهو شهيد مجتهداً كان أو مقلّداً،وما من محارب قُتل في جيش معاوية دفاعاً عن مزاعمه إلاّ وهو عاص مجتهداً كان أو مقلداً ذلك لأنّه من الفئة الباغية التى قتلت عمّار بن ياسر كما نصّ عليه الحديث النبويّ.

---

[1] نظرات في الكتب الخالدة- حامد حفني داود ص48دار العلم مطبوعات النجاح القاهرة 1399

[2] نظرات في الكتب الخالدة- حامد حفني داود ص 151 دار العلم مطبوعات النجاح القاهرة1399

موقف الخليفة العباسي (المعتضد) :

قال الطبري[1]: في هذه السنة [أي سنة **284**] عزم المعتضد بالله على لعن معاوية بن أبى سفيان على المنابر وأمر بإنشاء كتاب بذلك يقرأ على الناس فخوّفه عبيد الله بن سليمان بن وهب اضطرابَ العامّة وأنّه لا يأمن أن تكون فتنة فلم يلتفت إلى ذلك من قوله وذكر أنّ أول شئ بدأ به المعتضد حين أراد ذلك الأمر بالتقدّم إلى العامّة بلزوم أعمالهم وترك الاجتماع والقضيّة والشّهادات عند السّلطان إلاّ أن يسئلوا عن شهادة إن كانت عندهم وبمنع القصّاص من القعود على الطّرقات وعملت بذلك نسخ قرئت بالجانبين بمدينة السّلام في الأرباع والمحالّ والأسواق فقرئت يوم الأربعاء لستّ بقين من جمادى الأولى من هذه السّنة ثمّ منع يوم الجمعة لأربع بقين منها القصّاص من القعود في الجامعين ومنع أهل الحلَق في الفتيا أو غيرهم من القعود في المسجدين ومنع الباعَة من القعود في رحابهما وفى جمادى الآخرة نودي في المسجد الجامع بنهي النّاس عن الاجتماع على قاصّ أو غيره ومنع القصّاص وأهل الحلَق من القعود وفى يوم الحادي عشر وذلك يوم الجمعة نودي في الجامعين بأنّ الذّمة بريئة ممّن اجتمع من النّاس على مناظرة أو جدل وأنّ من فعل ذلك أحلّ بنفسه الضّرب وتقدّم إلى الشّراب والذين يسقون الماء في الجامعين ألاّ يترحّموا على معاوية ولا يذكروه بخير وتحدّث النّاس أنّ الكتاب الذى أمر المعتضد إنشاءه بلعن معاوية يقرأ بعد صلاة الجمعة

---

[1] تاريخ الطبري ج 8 ص 182ـ190.

على المنبر فلمّا صلّى النّاس الجمعة بادروا إلى المقصورة ليسمعوا قراءة الكتاب فلم يُقرأ.[1]

[1] جاء في الكتاب المذكور ما يلي: ـ إلى قوله :ومنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم دعا بمعاوية ليكتب بأمره بين يديه فدافع بأمره واعتلّ بطعامه فقال النّبيّ لا أشبع الله بطنه فبقي لا يشبع ويقول والله ما أنزل الطعام شبعا ولكن أعيا ومنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلّم قال يطلع من هذا الفجّ رجل من أمّتي يحشر على غير ملّتي فطلع معاوية ومنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال إذا رأيتم معاوية على منبرى فاقتلوه ومنه الحديث المرفوع المشهور أنّه قال إنّ معاوية في تابوت من نار في أسفل درك منها ينادي يا حنّان يا منّان الآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ومنه انبراؤه بالمحاربة لأ فضل المسلمين في الإسلام مكاناً وأقدمهم إليه سبقا وأحسنهم فيه أثراً وذكراً عليّ بن أبي طالب ينازعه حقّه بباطله ويجاهد أنصاره بضُلاّله وغُوَاته ويحاول ما لم يزل هو وأبوه يُحَاولانه من إطفاء نور الله وجحود دينه ويأبى الله إلا أن يتمّ نوره ولو كره المشركُون؛يستهوي أهل الغباوة ويموّه على أهل الجهالة بمَكْره وبَغْيه الذين قدّم النّبيّ صلى الله عليه وسلم الخبرعنهما فقال لعمّار تقتلك الفئة الباغية تدعوهم إلى الجنّة ويدعونك إلى النّار مؤثراً للعاجلة كافراً بالآجلة خارجاً من ربقة الإسلام مستحلاّ للدّم الحرام حتّى سفك في فتنته وعلى سبيل ضلالته ما لا يحصى عدده من خيار المسلمين الذّابين عن دين الله والنّاصرين لحقّه مجاهدا لله مجتّهدا في أن يُعصى الله فلا يطاع وتبطل أحكامه فلا تقام ويخالف دينه فلا يدان وأن تعلوَ كلمة الضّلالة وترتفعَ دعوةُ الباطل وكلمة الله هي العليا ودينه المنصور وحكمه المتّبَع النّافذ وأمره الغالب وكيد من حادّه المغلوب الدّاحضُ حتى احتمل أوزار تلك الحروب وما اتبعها وتطوّق تلك الدّماء وما سفك بعدها وسنّ سنن الفساد التى عليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة وأباح المحارم لمن ارتكبها ومنع الحقوق أهلها واغترّه الإملاء واستدرجه الإمهال واللهُ له بالمرصاد.ثمّ ممّا أوجب الله له به اللّعنة قتلُه من قتلَ صبراً من خيار الصّحابة والتّابعين وأهل الفضل والدّيانة مثل عمروبن الحمق وحجر بن عديّ فمن قتل أمثالهم في أن يكون له العزّة والملك والغلبة ولله العزّة والملك والقدرة والله عز وجل يقول(ومن يقتل مؤمنا متعمّدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما) ومما استحقّ به اللّعنة من الله ورسوله ادّعاؤه زياد بن سميّة جرأة على الله والله يقول " ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله " والنّبيّ صلى الله عليه وسلّم يقول ملعون من ادّعى إلى غير أبيه وانتمى إلى غير مواليه ويقول الولدُ للفراش وللعاهر الحجرُ فخالف حكمَ الله عزّ وجلّ وسنّة نبيّه صلّى الله عليه وسلّم جهاراً وجعل الولدَ لغير الفراش والعاهر لا يضرّه عهره فأدخل بهذه الدّعوة من محارم الله ومحارم رسوله في أمّ حبيبة زوجة النّبيّ صلى الله عليه وسلم وفى غيرها من سفور وجوه ما قد حرّمه الله وأثبت بها قربى قد باعدها الله وأباح بها ما قد حظره الله مما لم يدخل على الإسلام خلل مثله ولم ينل الدّين تبديل شبهه ومنه إيثاره بدين الله ودعاؤه عباد الله إلى ابنه يزيد المتكبّر الخمّير صاحب الدّيوك والفهود والقرود وأخذه البيعة له على خيار المسلمين بالقهر والسّطوة والتّوعيد والإخافة والتّهدّد والرّهبة وهو يعلم سَفَهَهُ ويطّلع على خبثه ورهقه ويعاين سكرانه وفُجورَه وكُفرَه فلما تمكّن منه ما مكّنه منه ووطّأه له وعصى الله ورسوله فيه طلب بثارات المشركين وطوائلهم عند المسلمين فأوقع بأهل الحرّة الوقيعة التى لم يكن في الإسلام أشنع منها ولا أفحش مما ارتكب من الصّالحين فيها وشفى بذلك [عبد] نفسه وغليله وظنّ أن قد انتقم من أولياء الله وبلغ النّوى لأعداء الله فقال مجاهرا بكُفره ومُظهرا لشركه ليت أشياخى ببدر شهدوا * جزع الخزرج من وقع الأسل قد قتلنا القرم من ساداتكم * وعدلنا ميل بدر فاعتدل فأهلّوا واستهلّوا فرحا * ثم قالوا يا يزيد لا تسل لست من خندف إن لم أنتقم * من بنى أحمد ما كان فعل * لعبت هاشم بالملك فلا * خبر جاء ولا وحي نزل .هذا هو المروق من الدّين وقول من لا يرجع إلى الله ولا إلى دينه ولا إلى كتابه ولا إلى رسوله ولا يؤمن بالله ولا بما جاء من عند الله ثمّ من أغلظ ما انتهك وأعظم ما اخترم سفكه دم الحسين بن عليّ وابن فاطمة بنت النّبيّ صلى الله عليه وسلم مع موقعه من النّبيّ صلى الله عليه وسلم ومكانه منه ومنزلته من الدّين والفضل وشهادة النّبيّ صلى الله عليه وسلم له ولأخيه بسيادة شباب أهل الجنّة اجتراءً على الله وكفراً بدينه وعداوةً لرسوله ومجاهدة لعترته واستهانةً بحُرمته فكأنّما يقتل به وبأهل بيته قوماً من كفّار أهل التّرك والدّيلم لا يخاف من الله نقمةً ولا يرقب منه سطوةً فبترَ الله عمره واجتثّ أصلَه وفرعه وسلَبه ما تحت يده وأعدّ له من عذابه وعقوبته ما استحقّه من الله بمعصيته؛هذا إلى ما كان من بني مروان من تبديل كتاب الله وتعطيل أحكامه واتّخاذ مال الله دولاً بينهم وهدم بيته واستحلال حرامه ونصبهم المجانيق عليه

ورميهم إيّاه بالنيران لا يألون له إحراقاً وإخراباً ولما حرّم الله منه استباحة وانتهاكا ولمن لجأ إليه قتلاً وتنكيلاً ولمن أمنَهُ الله به إخافةً وتشريداً حتى إذا حقّت عليهم كلمةُ العذاب واستحقّوا من الله الانتقامَ وملأوا الأرض بالجوْر والعُدوان وعمّوا عباد الله بالظّلم والاقتسار وحلّت عليهم السّخطةُ ونزلتْ بهم من الله السّطوةُ أتاح الله لهم من عترة نبيّه وأهل وراثته مَن استخلصَهم منهم بخلافته مثل ما اتاح الله من أسلافهم المؤمنين وآبائهم المجاهدين لأوائلهم الكافرين فسفكَ الله بهم دماءَهم مرتدّين كما سفكَ بآبائهم دماءَ آباء الكفَرَة المشْركين وقطع الله دابرَ القوم الظالمين والحمد لله رب العالمين ومكّن الله المستضعفين وردّ الله الحقَّ إلى أهله المستحقّين كما قال جلّ شأنه " ونريد أن نَمُنَّ على الذين استُضعفُوا في الأرض ونجعلهم أئمّةً ونجعلَهم الوارثين " واعلمُوا أيّها النّاس أنّ الله عزّ وجلّ أنّما أمر ليُطاع ومثّل ليتمثّل وحكَمَ ليقبل وألزمَ الأخذَ بسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلّم ليُتّبع وإنّ كثيراً ممّن ضلّ فالتّوى وانتقلَ من أهْل الجهالَة والسّفَاه ممّن اتّخذوا أحبارهم ورُهبانهم أرباباً من دون الله وقد قال الله عزّ وجلّ " قاتلُوا أئمّة الكُفر " فانتهُوا معاشرَ النّاس عمّا يُسخط الله عليكم وراجعوا ما يُرضيه عنكم وارضوا من الله بما اختارَ لكُم والْزَمُوا ما أمَرَكُم به وجانبوا ما نهاكُم عنه واتّبعوا الصراط المستقيم والحجّةَ البيّنة والسُّبُلَ الواضحة وأهلَ بيت الرّحمة الذين هداكم الله بهم بديئاً واستنقَذَكُم بهم من الجوْر والعُدوان أخيراً وأصاركم إلى الخفْض والأمْن والعزّ بدولَتهم وشملكم الصّلاح في أديانكُم ومعايشكُم في أيّامهم والْعَنُوا مَنْ لَعَنَهُ اللهُ ورَسُولُهُ وفَارِقُوا من لا تنالُون القُربَة من الله إلاّ بمُفارقَته اللّهم الْعنْ أبا سُفيان بنَ حرْب ومُعاويةَ ابنَه ويزيدَ بن معاويةَ ومروانَ بنَ الحَكَم وولَده اللّهمّ الْعنْ أئمّة الكفْر وقادةَ الضّلالة وأعداءَ الدّين ومُجاهدي الرّسول ومُغيّري الأحكام ومُبدّلي الكتاب وسفّاكي الدّم الحرام .اللّهمّ إنّا نتبرّأ اليك من مُوالاة أعدائك ومن الإغماض لأهل معصيتك كما قلت " لا تجد قوماً يُؤمنون بالله واليوم الآخر يُوادّون من حادّ الله ورسولَه " يا أيّها النّاس اعرفوا الحقّ تعرفوا أهلَه وتأمّلوا سبُل الضّلالة تعرفُوا سابلَها فإنّه إنّما يبيّن عن النّاس أعمالهم ويلحقهم بالضّلال والصّلاح آباؤهم فلا يأخذكم في الله لومة لائم ولا يميلن بكم عن دين الله استهْواءُ من يستهْويكم وكيدُ من يَكيدُكم وطاعةُ مَن تُخرجكم طاعتُه إلى معْصيَة ربّكم .أيّها النّاس بنا هداكُم الله ونحن المُستحفظُون فيكم أمر الله ونحن ورثة النّبيّ والقائمون بدين الله فقفُوا عند ما نَقفُكم عليه وأنفذُوا لما نأمرُكم به فإنّكم ما أطعتم خلفاء الله وأئمّة الهُدى على سبيل الإيمان والتّقوى أمير المؤمنين يستعصمُ الله لكم ويسأله توفيقَكم ويرغبُ إلى الله في هدايتكم لرشدكُم وفى حفظ دينه عليكم حتى تلقَوْه به مستحقّين طاعتَه مستحقّين لرحمتَه والله حسبُ أمير المؤمنين فيكم وعليه توكّله وبالله على ما قلّده من أموركم استعانتُه ولا حولَ لأمير المؤمنين ولا قوّةَ إلا بالله والسّلام عليكم وكتب أبو القاسم عبيد الله بن سليمان في سنة 284.

الفصل الثامن

مُعاويَة وسبّ عليّ عليه السلام

جاء في صحيح مسلم[1] ما يلي :

[..]عن عامر بن سعد بن أبي وقّاص عن أبيه قال ثمّ أمرمُعاوية بن أبي سفيان سعداً فقال ما منعك أن تَسبّ أبا التّراب فقال أمّا ما ذكرتُ ثلاثاً قالهُنّ له النّبيّ صلى الله عليه وسلم فلن أسبّه لأنْ تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حمر النّعم سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول له خلفه في بعض مغازيه فقال له عليّ يا النّبيّ خلّفتَني مع النّساء والصّبيان فقال له النّبيّ صلى الله عليه وسلم أما ترضَى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي وسمعتُه يقول يومَ خيبر لأعطينّ الرّاية رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله قال فتطاولْنا لها فقال ادعوا لي عليّاً فأُتيَ به أرمدَ فبصقَ في عيْنه ودفعَ الرّاية إليه ففتح الله عليه ولمّا نزلت هذه الآية فقل تَعالوا ندعُ أبنَاءنَا وأبناءَكم دعا النّبيّ صلى الله عليه وسلم عليّاً وفاطمة وحسناً وحُسيناً فقالَ اللّهم هؤلاء أهلي.

وأخرج الحافظ محمّد بن ماجة في السّنن ج1ص45 بإسناده عن عبد الرّحمن بن سابط عن سعد قال :قدمَ مُعاويَة في بعض حجّاته فدخلَ عليه سعدُ فذكرُوا عليّاً فنال منْه فغضبَ سعدُ وقال:تقول هذا لرَجُل سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول من كنتُ مولاهُ فعليّ مولاه . وسمعتُه يقول : أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنّه لا نبيّ بعدي.و سمعتُه يقول :لأعطينّ الرّايةَ اليومَ رجُلاً يحبّ الله ورسوله .

---

[1] صحيح مسلم ج4ص1871 الحديث رقم 2404 دار إحياء التراث العربي بيروت تحقيق الأرنؤوط

1- حُكمُ مَنْ سَبَّ الصّحابَة:

قال ابن حجر الهيتمي[1]:قال القاضي عياض في سبّ الصّحابة قد اختلفَ العلماءُ فيه و مشهُور مذهَب مالك فيه الاجتهادُ والأدبُ المُوجع قال مالك رحمه الله من شتمَ النّبيّ قُتلَ وإن شَتمَ الصّحابةَ أُدّبَ و قال أيضاً من شَتم أحداً من أصحاب النّبيّ أبا بكرأوعمرأوعثمان أو مُعاويَة[!!]أوعمروبن العاص فإنْ قال كانُوا على ضلال أو كُفْر قُتلَ وإنْ شَتَمَهُم بغيْرهذا من مُشاتَمَة النّاس نُكّل نكالاً شديداً.(انتهى)

أقولُ : يبقى أمرُ ابْن حجر الهيتميّ غامضاً لأنّهُ منْ جهَةٍ يَعْتقدُ بخلافَة الرّاشدين الأرْبعَة ورابعُهُم عليّ عليه السلام، لكنّه في مَقام البيان قفزَ من عُثمانَ إلى مُعاويَة كأنّ عليّاً لم يُولدْ ولمْ يُرْزَقْ ،ولا أدْري على وجْه الدّقّة ما هُوالدّافعُ لهذه القفْزَة وإنْ كنْتُ لا اَستَبْعدُ أنْ يكُونَ تَنبَّهَ إلى أنّه إنْ ذَكرَ مَنْ سبَّ عليّاً ألْزمَ نَفسَه بمُؤاخَذة مَنْ سبُّوه وشَتَمُوهُ ولَعنُوه على المَنابر واتّخذُوا لعْنَه سنّةً دامَتْ ثَمَانين سنةً.ولست أدري أين يُصنّف مثلُ هذا حين يصدُرُ من مثل الهيتميّ،فهُومن جهة يُورد أقولاً تجعل من ينسب معاوية إلى الضّلال أوالكفر يُقتَل،ومن جهة أخرى يتغاضى تماماً عن سبّ عليّ عليه السلام،وهذا تدليس مهما هذّبنا العبارة والتمسنا لابن حجر المعاذير،لأنّه على فرض المساواة بين عليّ عليه السلام ومعاوية ـــ ونعوذ بالله من ذلك ـــ ينبغي على ابن حجرأن يلتزم القَواعد التي أقرّها العُقلاء وتسالمُوا عليها ومنها "حكم الأمثال ".

وقال في الصواعق المحرقة ج1ص12 :وأخرَجَ البغَويّ والطّبرانيّ وأبو نعيم في المعْرفة وابنُ عساكرعن عيَاض الأنْصاريّ احْفَظُوني في

[1] الصّواعق المحرقة ج1ص140

أصْحابي وأصْهاري وأنْصاري فمَنْ حَفظَني فيهم حفظَه الله في الدّنْيا والآخرَة ومَنْ لمْ يحْفظْني فيهم تخلّى الله منه ومن تخلّى الله منهُ يُوشكُ أنْ يأخذَه.

وفيه أيضاً (ج1ص12):وأخْرجَ هو والذّهبيّ عن ابْن عبّاس رضي الله عنهم مرفوعاً يكُون في آخر الزّمان قوْمٌ يُسمّوْن الرّافضةَ يَرفضُون الإسْلام فاقتُلوهم فإنّهم مُشْركُون.وأخْرجَ أيْضاً عنْ إبراهيمَ بْن حَسن بْن حسن بن عليّ عنْ أبيه عنْ جدّه رضي الله عنهم قال قال عليّ بْن أبي طالب كرّم الله وجهه قال النّبيّ يظْهرُ في أمّتي في آخرالزّمان قوْمٌ يُسمّوْنَ الرّافضةَ يَرْفضُون الإسْلام.اهـ

أقول:من المؤسف ألاّ يكونَ كلامُ عليّ عليه السلام رَاجحاً إلاّ حينَ يتعلّق بالرافضة!ولم تظهرعبارة الرّافضة بهذا المعنى إلا في القرن الثاني،ولكنّ الحاقدين على أهل البيت عليهم السلام وأتباعهم لا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذمّة ولذلك تراهم لا يبالون أن يوردوا أيّ شيء من شأنه أن يبرّر حقدَهم على من أُمرُوا بمودّتهم في القرآن الكريم.

وأيْضاً في الصّواعق المُحرقة ج1ص13 : أخرج الدّارقطنيّ عن عليّ عن النّبيّ قال سيأتي من بعْدي قوْمٌ لهُمْ نبْزٌ يُقالُ لهمُ الرّافضةُ فإنْ أدْركْتَهُم فاقْتُلْهم فإنّهم مُشْركُون قال قلتُ يارسول الله ما العلامةُ فيهم قال يقْرظُونَك بما ليْسَ فيكَ ويطْعنُون على السّلف.اهـ

أقول : منْ دَلائل وضْع هذا الحديث وُرودُ عبَارة "السّلف" التي لمْ تَظْهر إلاّ في نهايَة القرْن الأوّل،وإلاّ فمنْ يَكونُ سلفُ النّبيّ **صلّى الله عليه وآله**؟!

قال الهيْتميّ [1] : [..]التّرْمذيّ عنْ عبْد الله بْن مغفل:الله الله في أصْحابي لا تتّخذوهم غرضاً بعْدي فمَن أحبّهم فَبُحبّي أحبّهُم ومنْ أبْغَضهُم فببُغْضي

---

[1] الصّواعق المُحْرقة ج1ص14

أبْغَضَهُم ومَنْ آذاهم فَقَدْ أذاني ومَنْ آذاني فقدْ آذى اللهَ ومَنْ آذى اللهَ يُوشكُ أنْ يأْخُذَه .اهـ

وقال أيضاً في الصوّاعق ج1ص19 :أحمد ومسْلم عنْ أبي مُوسى النّجُوم أمنةٌ للسّماء فإذا ذَهبَت النّجومُ أتى السماءَ ما تُوعدُ وأنا أمنة لأصْحابي فإذا ذهبْتُ أنا أتى أصحابي ما يُوعدون وأصحابي أمنة لأمّتي فإذا ذهبَ أصْحابي أتى أمّتي ما يُوعدُون .

... و الطبّرانيّ والحَاكم عن جعْدة بن هبيرة خيْرُ النّاس قَرْني الذي أنا فيه ثمّ الذين يلُونهم ثمّ الذين يلُونَهم والآخرون أراذل .اهـ

أقول: كيْف يصف النّبيّ صلى الله عليه وآله الآخرين بأنّهم " أراذل " ثمّ يقولُ بعْد ذلك فيما رواه الحافظ الهيثميّ في مجمع الزوائد والطّبرانيّ في المعجم الكبير وابْن عبْد البرّ في التّمْهيد [1]: " أعْجَبُ النّاس إيماناً قَوْمٌ يجيؤون منْ بعْدي يُؤْمنُون بي ولَمْ يَرَوْني ويُصدّقُونني ولَمْ يَرَوْني أولئك إخْوَاني " ؟!

---

[1] مجمع الزوائد ج8ص300 عن ابن عباس والمعجم الكبير للطبراني ج12 ص87 و إسناده محمد بن خالد الراسبي عن محمد بن معاوية بن صالح عن خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب عن الشعبي عن ابن عباس ، والحديث في كتاب التمهيد لابن عبد البرّ ج20 ص247 وما بعدها بألفاظ متعددة : حدثنا خلف بن قاسم قال حدثنا عبد الله بن عمر بن إسحاق الجوهري قال حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج قال حدثنا عمرو بن خالد قال حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن بكير بن عبد الله بن وعثمان عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبيه قال قيل يا النّبيّ أرأيت من آمن بك ولم يرك وصدقك ولم يرك فقال ص أولئك إخواننا طوبى لهم طوبى لهم ومن حديث ابن أبي أوفى قال خرج علينا النّبيّ صلى الله عليه و سلم يوما فعقد وجاء عمر فقال يا عمر إني أشتاق إلى إخواني فقال عمر ألسنا بأخوانك يا النّبيّ قال لا ولكنكم أصحابي وإخواني قوم آمنوا بي ولم يروني. أخبرنا عبد الرحمن بن يحيى قال حدثنا أحمد بن سعيد قال حدثنا محمد ابن إبراهيم الديبلي قال حدثنا علي بن زيد الفرائضي قال حدثنا موسى بن داود عن همام عن قتادة عن أنس عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه و سلم قال طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبع مرات لمن لم يراني وآمن بي رواه أبو داود الطيالسي قال حدثنا همام عن قتادة عن أنس عن أبي أمامة قال سمعت النّبيّ صلى الله عليه و سلم يقول طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى سبعا لمن لم يراني وآمن بي]

وفي الصواعق المحرقة أيضاً ج1ص44 :حكى النّوويّ بأسانيد صحيحة عن سُفْيان الثّوريّ أنّ من قال إنّ عليا كان أحقّ بالولاية فقد خطّأ أبا بكر وعُمر والمهاجرين والأنصار وما أراه يرتفعُ له مع هذا عمل إلى السّماء.اهـ

وفي الصّواعق المحرقة أيضاً ج1ص75 : وأما أبو بكر فقد علمت من النّصوص السّابقة المصرّحة بخلافته،وعلى فرض أن لا نصّ عليه أيضاً ففي

قال ابن عبد البرّ] وهذا الحديث في مسند أبي داود الطيالسي أخبرنا بجميعه أحمد بن سعيد ابن بشر وأحمد بن عبد الله بن محمد بن علي إجازة عن مسلمة بن قاسم عن جعفر بن محمد بن الحسن الأصبهاني عن يونس بن حبيب بن عبد القاهر عن أبي داود وذكر مسلم بن الحجاج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة أن النّبيّ صلى الله عليه و آله قال من أشدّ أمتي حبّاً لي ناس يكونون بعدي يودّ أحدهم لو رآني بأهله وماله ومن مسند أبي داود الطيالسي عن محمد بن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر قال كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال أتدرون أيّ الخلق أفضل إيمانا قلنا الملائكة قال وحقّ لهم بل غيرهم قلنا الأنبياء قال حقّ لهم بل غيرهم قلنا الشّهداء قال هم كذلك وحقّ لهم بل غيرهم ثم قال النّبيّ صلى الله عليه و سلم أفضل الخلق إيمانا قوم في أصلاب الرجال يؤمنون بي ولم يروني يجدون ورقاً فيعملون بما فيه همْ أفضلُ الخلق إيمانا وحدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شاكر قال حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى قال حدثنا إسحاق بن محمد بن حمدان قال حدثنا أبو يحيى زكرياء بن يحيى الساجي قال حدثنا محمد بن المثنى قال حدثنا ابن أبي عدي عن ابن أبي حميد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال سمعت النّبيّ صلى الله عليه و سلم يقول أنبئوني بأفضل أهل الإيمان إيمانا قلنا الملائكة وذكر الحديث كما تقدم وذكر سنيد عن خلف بن خليفة عن عطاء بن السائب قال قال ابن عباس يوما لأصحابه أي الناس أعجب إيمانا قالوا الملائكة قال وكيف لا تؤمن الملائكة والأمر فوقهم قالوا الأنبياء قال وكيف لا تؤمن الأنبياء والأمر ينزل عليهم غدوة وعشية قالوا فنحن قال كيف لا تؤمنون وأنتم ترون من النّبيّ ص ما ترون ثم قال قال النّبيّ (صلى الله عليه وآله أعجب الناس إيمانا قوم يأتون بعدي يؤمنون بي ولم يروني أولئك أخواني حقّاً وكان سفيان بن عيينة يقول تفسير هذا الحديث وما كان مثله بين في كتاب الله وهو قوله وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله .

إجماع الصّحابة عليها غنىً عن النّص إذ هو أقْوى منه لأنّ مدلوله قطعيّ ومدلول خبر الواحد ظنّيّ.

وقال الهيتميّ[1]:

فمذهب أبي حنيفة رضي الله عنه أنّ مَن أنْكر خلافةَ الصّدّيق أوعُمَر فهُو كافرعلى خلاف حَكاه بعْضُهم وقال الصّحيحُ أنّه كافر، والمسألة مَذكُورة في كُتبهم في الغاية للسّروجيّ والفتاوى الظّهيريّة والأصل لمحمّد بن الحسن وفي الفتاوى البديعيّة فإنّه قسم الرّافضة إلى كُفّار وغيْرهم وذكر الخلاف في بعْض طوائفهم وفي مَن أنْكَر إمامةَ أبي بكْر وزعَم أنّ الصحيحَ أنّه يُكفّر.وفي المُحيط أنّ مُحمّداً لا يُجوّز الصلاة خلْف الرّافضة ثم قال لأنّهم أنْكروا خلافةَ أبي بكْروقد اجْتمعت الصّحابة على خلافته .وفي الخُلاصة من كُتُبهم أنّ مَنْ أنْكَر خلافةَ الصّدّيق فهُوَ كافرٌ و في تتمّة الفتاوى والرّافضي المتغالي الذي ينكر خلافةَ أبي بكر يعْني لا تجوزُ الصّلاة خلْفَه.اهـ

أقول :لقد جنى أصحاب هذه الفتاوى على أنفسهم لأنّهم أدْخلوا قصّة السّقيفة في العقائد،وليست منها، وحكموا بالكفرعلى المطهّرين بنصّ الكتاب الكريم الذين يُصلَّى عليهم في كلّ صلاة،والذين وردت أحاديث في الصّحيحين وغيرهما تفيد أنّهم سادة أهل الجنّة! فهذه فاطمةُ بنْتُ النّبيّ صلى الله عليه وآله أنْكرَتْ خلافةَ أبي بكْرصراحةً واتّهمتْه بمُخالفة القرآن الكريم وماتت وهي ساخطة عليه ولم تَرَهُ أهلا للصّلاة عليها فأوصت ألاّ يصلّيَ عليها؛ وبناءً على قوله: " وفي الخُلاصة من كُتُبهم أنّ مَنْ أنْكَر خلافةَ الصّدّيق فهُوَ كافرٌ " يُصبحُ كونُها((سيّدة نساء أهْل الجنّة)) في غاية الإشْكال،لكنّه واردٌ في صحيح البخاريّ،ودُون الطّعْن في ذاك الصّحيح خَرْط

[1] الصواعق المحرقة ــ ابن حجر الهيتمي ــ ج1ص138

القَتَاد،وتبقى القضيّة مطْروحة لأهْل البصائروالمتدبّرين.وهذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو من النّبيّ صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى لم يزلْ يشكو ظُلْم قريْش إيّاه إلى أنْ خرجَ من الدنْيا شهيداً،ولم يعتقد بشرعيّة السّقيفة ولم يصحّح فعل أصحابها،والأخبارفي ذلك كثيرة،وقصّته مع أنس بن مالك في الرّحْبة معلومةٌ عاش أنسُ بعدها سَاتِراً وجهَه ببرقع.ولو كان عليّ يصحّح خلافةَ أبي بكر لما رفض الخلافة حين اشترط عليه عبد الرحمن بن عوف أن يعمل بسيرة الشّيْخيْن،وليس هذا محلّ ماقشة ذلك وإنّما هي إشارة لمن أراد أن يطّلع.فما أورده ابن حجر الهيتمي من الفتاوى لا يزيد على أن يكشف عن مدى عداوة أصحابها للنّبيّ صلى الله عليه وآله وتعلّقهم بالكرسيّ! وإنّ ثقافة مبنيّة على تقديس الكرسيّ وتعظيم من تعاقبوا عليه لهيَ أوْهَنُ من بيت العنْكبُوت لوْ كَانوا يعلمون.أولَيسَ عُمرُ بن الخطّاب نفْسُه يطعنُ في السقيفة و يسمّيها فَلَتَةً وهوالذي أسّسها وهدّد لأجلها بإحراق بيت كان جبريل يستأذن لدخوله؟!أو ليس عُمَرنفسُه يقول " فمن عاد لمثلها فاقتلوه " ؟ فإن كان ما يقول حقّاً فإنّ جماعةَ السّقيفة يكونون مستحقّين للقتْل لأنّ حُكْمَ الأمْثَال في ما يجوز وما لا يجوز واحد!

قال ابن حجر الهيتميّ [1]:وفي الفتاوى البديعيّة من أنكر إمامة أبي بكر رضي الله عنه فهو كافروقال بعضهم وهو مبتدع والصّحيح أنّه كافرٌ وكذلك من أنكر خلافة عُمَر في أصحّ الأقْوَال،ولم يتعرض أكثرهم للكلام على ذلك.

قال[2]:ومن هذه الآية أخذ الإمام مالك في رواية عنه بكفرالرّوافض الذين يبغضون الصّحابة،قال لأنّ الصّحابة يغيظونهم ومن غاظه الصّحابة فهو

---

[1] في الصواعق المحرقة ج1ص139
[2] الصواعق المحرقةج2ص607

كافر؟وهو مأخذ حسن يشهد له ظاهر الآية،ومن ثمّ وافقه الشّافعيّ رضي الله تعالى عنه في قوله بكُفرهم ووافقه أيضا جماعه من الأئمّة.قال(ج3ص257): وأما من سبّ أحدا من الصّحابة رضي الله عنهم **[وكَأَنَّ عَلِيّاً لَيْسَ مِنَ الصَّحَابَةِ]** فإن كان جاهلاً فمعذور،وإن قامت عليه الحُجّة فتمادى غيرمُعاند فهو فاسق كمن زنى وسرق:وإنْ عاند الله تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه وسلم فهو كافر وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النّبيّ صلى الله عليه وسلم عن حاطب وحاطب مهاجر بدري:دعني أضرب عنق هذا المنافق.فما كان عُمَر بتكْفيره حاطباً كافراً بل كان مُخطئاً متأوّلاً،وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم آية النفاق بغض الأنصار.وقال لعليّ:لا يبغضك إلا منافق ! (انتهــى) .قلتُ: ومع ذلك فقد حكم ابن حزم باجتهاد عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليّ عليه السلام وأبي الغادية قاتل عمّاربن ياسررضي الله عنه،فقد حكم في الفصل بأنّهم مجتهدون وهم مأجورون فيما أخطأوا قال[1]: قطعنا أنّ مُعاويَة رضي الله عنه ومن معه مخطئون مجتهدون مأجورون أجراً واحداً.وعدّ (في الصفحة 160) مُعاويَة وعمروبن العاص من المجتهدين،ثم قال:إنّما اجتهدوا في مسائل دماء كالتي اجتهد فيما المُفْتون وفي المُفْتين مَن يَرى قتْلَ السّاحر وفيهم من لا يَراه وفيهم من يرى قتل الحُرّ بالعبْد وفيهم من لا يراه،وفيهم من يرى قتل المؤمن بالكافروفيهم من لا يراه،فأيّ فرق بين هذه الاجتهادات واجتهاد مُعاويَة وعمرو وغيرهما ؟ لولا الجهل والعمى والتخليط بغيرعلم.[!](انتهى)

وقد بقي سبّ علي بن أبي طالبعليه السلام سنّة جاريَةً على عهْد بني أُميّة باستثناء مدّة حكم عمربن عبد العزيز.ولم يكن الأمويّون يتورّعون عن أذى من يرفض سبّ عليّ مهما كانت منزلته ومهما ارتفع مقامه واشتهرتديُّنه.قال

---

[1] الفصل في الملل والنحل ـابن حزم ـ ج4ص161

الذّهبيّ[1]في ترجمةعبد الرحمن بن أبي ليلى: الإمام أبوعيسى الأنصاريّ الكوفيّ الفقيه والد[القاضي]محمّد رأى عمر يمسح على خفّيه،وروى عن عثمان وعليّ وابن مسعود وأبي ذرّوطائفة؛مولده في أثناء خلافة عمر بالمدينة،قال ابن سيرين جلستُ إليه وأصحابه يعظّمُونَه [كأنه أمير] وعن أبي حصين أنّ الحجاج استعمل عبد الرحمن بن أبي ليلى على القضاء ثمّ عزله ثمّ ضربه ليسُبّ عليّاً رضي الله عنه وكان يُوري ولا يصرّح،ثمّ[إنّه] خرج مع ابن الاشعث وغرق رحمه الله ليلة دُجَيْل سنة اثنتين أو ثلاث وثمانين(اهـ).

***

2- كلام في سبّ و لعْن علي عليه السلام

قال ابن حجرالعسقلانيّ[2]:ثمّ كان من أمرعليّ ما كان فنجمَت طائفة أخرى حاربُوه ثمّ اشتدّ الخطْب فتنقّصوه واتّخذوا لعنه على المنابرسنّة ووافقهم الخوارج على بغضه وزادوا حتى كفّروه مضموماً ذلك منهم إلى عُثمان،فصارالنّاس في حقّ عليّ ثلاثة أهل السّنّة والمبتدعة من الخوارج والمحاربين له من بني أُميّة وأتباعهم فاحتاج أهل السنّة إلى بثّ فضائله فكثر النّاقل لذلك لكثرة من يخالف ذلك...

وقال الحاكم[3]:اخبرنا أحمد بن كامل القاضي [..]عن أبي عبد الله الجدليّ قال دخلتُ على أمّ سلمة رضي الله عنها فقالت لى أيُسبّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم فيكم؟ فقلت معاذ الله أو سبحان الله أو كلمةً نحوَها فقالت سمعتُ النّبيّ صلى الله

---

[1] تذكرة الحفّاظ ــ الذهبي ــ ج 1ص 58

[2] في فتح االباري (شرح صحيح البخاري) ج 7ص 71

[3] المُستَدرك - الحاكم النيسابوري ج 3 ص 121 دار المعرفة / بيروت 1406هـ

عليه و آله يقولُ من سبّ عليّاً فقد سبّني * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وقد رواه بكير بن عثمان البجليّ عن أبي إسحاق بزيادة ألفاظ *[1]

وفي تاريخ اليعقوبي [2]:وروي أنّه – أي زياد بن أبيه – كان أحضر قوماً بلغَه أنّهم شيعةٌ لعليّ ليدْعُوَهم إلى لعْن عليّ والبراءَة منْه أو يضربَ أعناقَهم وكانُوا سبْعينَ رجلاً...

وفي تاريخ الطبري وتاريخ ابن عساكروالكامل لابن الأثير:[3]أقبل[أي مُعاويَة] على عبدالرحمن العنزيّ فقال إيه يا أخا رَبيعَة ما قولُك في عليّ؟ قال دعْني ولا تسألْني فإنّه خيرٌ لَك قال والله لا أدعُك حتّى تُخبرَني عنه قال أشهد أنّه كان من الذّاكرين الله كثيراً ومن الآمرين بالحقّ والقائمين بالقسْط والعافين عن النّاس قال فما قولك في عُثمان؟ قال هوأوّل من فتح باب الظّلم وأرتَجَ أبوابَ الحقّ! قال قتلتَ نفسَك قال بل إيّاك قتلْت ولا ربيعَة بالوادي يقول حين كلّم شمر الخثعميّ في كريم بن عفيف الخثعميّ ولم يكنْ له أحد من قوْمه يكلّمه فيه فبعثَ به مُعاويَة إلى زياد وكتب إليه أما بعد فإنّ هذا العنزي شرّ من بعثْت فعاقبْه عقوبتَه التي هو أهلُها واقتلْه شرّ قتْلة فلما قُدِم به على زياد بعث به زياد إلى قسّ النّاطف فدُفن به حيّاً!(اهـ).

---

[1] حديث بكير هو: سمعت أبا إسحاق التّميميّ يقول سمعت أبا عبد الله الجدليّ يقول حججتُ وأنا غلامٌ فمررتُ بالمدينة وإذا النّاس عنق وَاحد فاتبعتهم فدخلوا على أمّ سلمة زوج النّبيّ (صلى الله عليه وآله فسمعتُها تقول يا شبيب بن ربعيّ فأجابها رجل جلف جاف لبّيك يا امّاه قالت يُسبُّ النّبيّ (صلى الله عليه وآله في ناديكم قال وأنّى ذلك قالت فعليّ بن أبي طالب قال إنا لنقول أشياء نريد عرض الدّنيا قالت فاني سمعت النّبيّ (صلى الله عليه وآله يقول من سبّ عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى *

[2] تاريخ اليعقوبي ج2ص235 (دار صادر بيروت)

[3] تاريخ الطّبريّ ج3ص230-231 ./مؤسسة الأعلمي / بيروت، و تاريخ ابن عساكر ج2ص 379- / دار الفكر 1415 هـ والكامل لابن الأثير ج3 ص 209 / دار الكتب العلمية بيروت 1415 هـ

أقول:نعم،هذا هوالحِلم الذي لايُدانيه حلمُ حَليم " اقتُلْهُ شرَّ قتْلَة "،لأنّ القتلةَ البسيطةَ لا تشفي غليل معاوية الحليم فهويريد شرّ قتلة لخصومه، والحلم إنّما يجسّده العفو عن الخصوم عند المقدرة.

وفي المُستَدرك [1]: حدّثنا أبو جعفر أحمد [..]سمعت أبا إسحاق التميمي يقول سمعت أبا عبد الله الجدلي يقول ثم حججت وأنا غلام فمررت بالمدينة وإذا الناس عنق واحد فاتبعتهم فدخلوا على أم سلمة زوج النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فسمعتها تقول يا شبيب بن ربعي فأجابها رجل جلف جاف لبيك يا أماه قالت يُسبّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم في ناديكم قال وأنى ذلك قالت فعلي بن أبي طالب قال إنا لنقول أشياء نريد عرض الدّنْيا قالت فإني سمعت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول من سب عليّاً فقد سبّني ومن سبّني فقد سبّ الله تعالى قال(أخبرنا) أبو أحمد محمّد [..]عن معاوية بن ثعلبة عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال النّبيّ صلى الله عليه وآله من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن أطاع عليّاً فقد أطاعني ومن عصى عليّاً فقد عصاني * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه *(أخبرني) محمّد بن أحمد[..] ابن أبي مليكة عن أبيه قال جاء رجل من أهل الشام فسبّ عليّاً عند ابن عبّاس فحصبه ابنُ عباس فقال يا عدوّ الله آذيتَ النّبيّ صلى الله عليه وسلم إنّ الذين يؤْذُون الله ورسولَه لعنَهم الله في الدّنيا والآخرة واعدّ لهم عذاباً مُهيناً لو كانَ النّبيّ صلى الله عليه وآله حيّاً لآذيتَه * هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه *

وفي جمهرة خطب العرب[2]: تكلّم المغيرة بن شُعبة فشتم عليّا وقال والله ما أعيبُه فى قضيّة يخون ولا فى حكم يَميل ولكنّه قتل عثمان.اهـ

---

[1] المستدرك – الحاكم النيسابوري ج 3 ص 121
[2] جمهرة خطب العرب /أحمد زكي صفوت / ج 2ص22: المكتبة العلمية بيروت

وقال الجاحظ في البيان والتبيين [1]: جلس مُعاويَة رضي الله تعالى عنه بالكُوفة يبايع على البرءَاة من عليّ بن أبي طالب كرّم الله تعالى وجهه[!] فجاءه رجلٌ من بني تميم فأراده على ذلك فقال يا أمير المؤْمنين نطيع أحياءَكم ولا نبرأُ من موْتَاكم فالتفتَ إلى المُغيرة فقال إنّ هذا رجلٌ فاستوْص به خيراً .

ولا يفوت التنبيه على أنّ المغيرة بن شعبة مات وهو مُصِرٌّ على لعْن عليّ بن أبي طالب عليه السلام على المنبر. ففي سير الذهبيّ [2]: خطب المغيرة فـَنالَ من عليّ.....

و فيه أيضا (ص103) أنّ المغيرة كان في المسجد الأكبر وعنده أهل الكوفة فجاء رجل من أهل الكُوفة فاستقبل المغيرةَ فسبَّ و سبَّ فقال سعيدُ بنُ زيْد مَن يسبّ هذا يا مغيرة قال : يسبُّ عليَّ بنَ أبي طالب...

وفي سير الذهبي[3]: خطب المغيرة فنال من عليّ...

وفي المعجم الكبير[4]:عبد الملك بن الصباح المسمعي حدّثنا عمران بن حدير أظنه عن أبي مجلز قال قال عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة لمُعاويَة إنّ الحسن بن علي عييّ وإنّ له كلاما ورأيا،وإنّه قد علمنا كلامه يتكلّم كلاما فلا يجد كلاما فقال لا تفعلوا فأَبَوْا عليه فصعد عمْرُو المنبرفذَكَرَعليّاً ووقعَ فيه ثمّ صعدَ المغيرةُ بن شعبة فحمد الله وأثنى على عثمان ثمّ وقع في عليّ رضي الله عنه...

---

[1] البيان و التّبيين / الجاحظ / ج1 ص 266: دار صعب بيروت 1968
[2] سير أعلام النبلاء /الذّهبيّ / ج1 ص105مؤسسة الرسالة /بيروت /1413هـ
[3] سير أعلام النبلاءج1 ص104
[4] المعجم الكبير للطبراني ج 3ص 71-72 دار إحياء التراث العربي / مكتبة ابن تَيْميَة القاهرة:

وقال الأبشيهيّ [1]:حُكيَ أنّ مُعاويَة رضي الله تعالى عنه بينما هو جالس في بعض مجالسه وعنده وجوهُ النّاس فيهم الأحنف بن قيس إذ دخل رجل من أهل الشّام فقام خطيباً وكان آخر كلامه أنْ لَعَنَ عليّاً ـــ رضي الله تعالى عنه ولعن لاعنهُ ـــ فقال الأحنفُ يا أمير المؤمنين إنّ هذا القائل لو يعلمُ أنّ رضاك في لعْن المُرسلين لَلَعنَهُم فاتّق الله يا أميرالمؤْمنين ودعْ عنْك عليّاً رضي الله تعالى عنه فلقد لقيَ ربّه وأفرد في قبْره وخلا بعَمَله وكان والله المبرورَ سيفُه الطّاهرَ ثوبُه العظيمةَ مصيبتُه فقال مُعاويَة يا أحنف لقد تكلّمت بما تكلّمت وأيمُ الله لتصعدَنّ على المنْبر فتَلْعَنه طوعاً أوكرهاً فقال له الأحنفُ يا أميرالمؤمنين إن تُعْفني فهو خيرٌ لك وإن تُجْبرْني على ذلك فوالله لا تجري شفتايَ به أبداً فقال قُمْ فاصعدْ قال أما والله لأُنصفنَّك في القوْل والفعْل قال وما أنت قائل إنْ أنْصفْتني قال أصعدُ المنبرَ فأحمد الله وأُثني عليه وأُصلّي على نبيّه محمّد ثمّ أقول أيّها الناس إنّ أمير المؤمنين مُعاويَة أمرني أن ألعنَ عليّاً ألا وإنّ مُعاويَة وعليّاً اقتتلا فاختلفَا فادّعى كلّ واحد منهما أنه مبْغيٌّ عليه وعلى فئَته فإذا دعوْتُ فأمّنوا رحمَكُم الله ثمّ أقول اللهمّ ألعنْ أنتَ وملائكتك وأنبياؤك وجميع خلْقك الباغيَ منهُما على صاحبه والْعَن الفئةَ الباغيةَ اللهمّ العنْهُم لعناً كثيراً أمّنُوا رَحمكُم الله يا مُعاويَة لا أزيد على هذا ولا أنقص حرْفاً ولو كان فيه ذهابُ رُوحي فقال مُعاويَة إذاً نُعْفيك يا أبا بحْر.

وقال مُعاويَة لعقيل بن أبي طالب إنّ عليّاً قد قطعك وأنا وصلتُك ولا يُرضيني منْك إلاّ أنْ تلعنَه على المنْبر قال أفعلُ فصعدَ المنبرَ ثمّ قال بعدَ أنْ حمدَ اللهَ وأثْنى عليْه وصلّى على نبيّه أيّها النّاس إنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان قد أمرَني أنْ ألعنَ عليّ بن أبي طالب فالْعَنُوه فعليْه لعنه الله ثمّ نزل فقال له

---

[1] المستطرف في كل فن مستظرف ج1ص100

مُعاويَة إنّك لم تبيّن من لعنتَ منهما بيّنْهُ فقال والله لا زدْتُ حرفاً ولا نقصْتُ حرفاً والكلامُ إلى نيّة المتكلّم.اهـ

أقول:ليس عجيباً أن تنطليَ مغالطةٌ ما على أهْل حيّ أو قرْية، لكن عجيبٌ أن تنطليَ على أجيال من أهل القراءة والكتابة،الذين تتميّزعندهم المفاهيمُ بحدُودها ورُسومها؛فكيف غابَ عمّن ينسبُون إلى مُعاوية الحلْم أنّ قلبَه كان غليظا لا أثرللرّحمة فيه؟! وهل يجتمعُ الحلمُ وبغضُ عليّ والحَسن والحُسين؟أليس الحليمُ هو الذي يعفُوعند المقْدرة عمّن أساءَ إليه؟ فمتَى فعلَ مُعاوية هذا وتلك قصّته مع حجْر بن عديّ وأصْحابه، وله قصّة مع عمْروبن الحمق وقصّة مع عبد الرحمن العنزيّ تجعل الولدان شيبا[1]،وقصّةٌ أخرى مع عبد الرحمن بن عديس البلويّ الذي بايع تحت الشجرة؛ثمّ إنّ الحليمَ لا يذكُر الموْتى إلاّ بخيْر ومعاوية كان يسبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام و يشتمُه ويلعَنُه على المنْبر ويشْترط ذلك على كلّ من يُولّيه على رقاب المُسْلمين؛وهل يجتمع الحلم والغدرُ؟وقد افتتح معاوية حكمَه بالغدْر حين قال أمام الملإ في مسجد الكوفة " ألا وإنّ كل شرط أعطيته للحسن بن عليّ فتحت قدميّ هاتين[2]!

---

[1] القصة مذكورة في كل من تاريخ الطّبريّ ج3ص230-231./مؤسسة الأعلمي / بيروت، و تاريخ ابن عساكر ج 2 ص379 - ابن عساكر/ دار الفكر 1415 والكامل لابن الأثير ج 3ص 209 . / دار الكتب العلمية بيروت 1415 هـ

[2] العبارة في شرح نهج البلاغة كما يلي: وأما أبو إسحاق السّبيعيّ فقال : إنّ معاوية قال في خطبته بالنّخيلة : ألا إنّ كل شيء أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدميّ هاتين لا أفي به . قال أبو إسحاق : وكان والله غدّاراً .(شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج 16 ص 46).

الفصل التاسع

أثر معاوية في الحديث النبوي

1- روايات مُعاويَة

لمعاوية روايات في كتب الحديث والتّفسير،تلقّاها العلماء بالقبول بناءً على ثقافَة الكرسيّ التي تجعل الحاكمَ فوق كلّ اعتبار،وقد قام بأعمال مُنافية للإسلام تعمّدَ فيها جرْحَ مشاعر المُسلمين والاستخْفَاف بشخص النّبيّ صلى الله عليه وآله .والحقيقةُ المُرّة أنّ وضع الأحاديث على عهْد معاوية كان أعظمَ منْه في أيّ زمن سابق أوْلاحق،فإنّه أشْرَفَ بنفْسه على ذلك،وقرّب الوضّاعينَ الكذّابين،وحاربَ الصّادقين الوَرعين.وعلى الرّغم من أنّ عُلماء الجرْح والتّعديل يُؤاخذون الرّواةَ على كلّ صغيرة وكبيرة،إلى درجة أنْ يُبطلُوا أهليّة الرّجل للرواية لأنّه قرأ كتابَ "المثالب"،فإنّهم تساهَلُوا مع مُعاويَة مع كلّ مُوبقَاته،وزادُوا على ذلك أنْ جعلُوه مَحبتَه والترضّيَ عنه علامةً على الصّلابة في الدّين والتّمسّك بالسّنّة.وأنا مُوردٌ ههُنا شيئاً من رواياته ومعلّقٌ على ما جاء فيها متى تطلّب الأمر ذلك.

قال ابن قانع في المعجم [1]:حدّثنا عليّ بن محمّد أخبرنا أبو الوليد أخبرنا شعبة قال سعد بن إبراهيم أنبأني قال سمعت معبد الجهنيّ يقول كان مُعاويَة قلّما حدّث عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم فذكرهؤلاء الكلمات عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال إنّ الله عزّ وجلّ إذا أراد بعبد خيراً يفقّهه في الدّين وإنّ هذا المالَ حُلْو خَضرٌ فَمَن يأخذْه بحقّه يباركْ له فيه وإيّاكم والتّمادُحَ فإنّه الذّبح.اهـ

[1] معجم الصحابة ـ ابن قانع ـ ج3ص72

لكنّ معاويةَ كانَ يحبّ التّمادُح،وقد سبقتْ قصتّه مع عُبادةَ بن الصّامت في هذا المعنى[1].

وفي حلية الأولياء ج5ص162: حدّثنا مخلد [..] حدّثنا أبو عبد ربه قال سمعتُ مُعاويَة على منبَردمشْق يقُول سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول إنّه لم يَبْقَ من الدّنْيا إلا بَلاء وفتْنةٌ وإنّمَا العملُ كالوعَاء إذا طاب أعْلاه طابَ أسفلُه واذا خبُث أعلاهُ خبُثَ اسفله رواه الوليد بن مسلم.وعن عبّاس مثله.لم يروه عن مُعاويَة إلا أبو عبد ربه.حدّثنا محمّد بن علي[..] عن أبي عبد ربه قال سمعت مُعاويَة يقول سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول إنّ الله لا يُغلب ولا يُخلب ولا يُنبّأ بما لا يعلّم ومن يُرد الله به خيراً يفقّهه في الدّين.تفرّد به ثابت عن أبي عبد ربه حدّثنا مخلد بن جعفر حدّثنا جعفر الفريابيّ حدّثنا سليمان بن عبد الرّحمن حدّثنا محمّد بن شُعيب . وحدّثنا فاروق الخطابيّ [..]عن عبيدة عن أبي المُهاجر أنّه حدّثه عن مُعاويَة أنّه قال سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول إنّ رجلاً كان يعمل السّيّئات وقتل سبْعاً وتسْعين نفساً كلّها يقتل ظُلماً بغير حقّ فأتى ديرانيّاً فقال يا راهب إنّ الآخر لم يدع شيئا من الشرّ إلاّ قد عمله إنّه قتل سبعاً وتسعين نفسا كلّها قتل ظلماً بغير حقّ فهل له من توبة قال لا فضربه فقتله ثمّ أتى آخر فقال له مثل ما قال لصاحبه فقال ليس لك توبة فقتله ثم أتى آخر فقال له مثل ما قال لهما فردّ عليه مثل ما ردّا عليه فقتله أيضا ثم أتى راهبا آخر فقال له إنّ الآخر لم يدع شيئا من الشّرّ إلاّ قد عمله إنّه قتل مائة نفس كلّها ظلماً يقتل بغير حقّ فهل له من توبة فقال والله لئن قلت لك إنّ الله لا يتوب على من تاب إليه لقد كذبت ههنا دير فيه قوم متعبّدون فأْتهم فاعبد الله معهم فخرج تائباً حتّى إذا كان ببعض الطّريق بعث الله اليه ملَكاً

[1] القصة في سير أعلام النبلاء ج 2ص 7

فقبض نفسَه فحضرت ملائكةُ العذاب وملائكة الرّحمة فاختَصمُوا فيه فبعث الله اليهم ملَكاً فقال لهم أيّ الدّيرين كان أقرب فهو منهم فقاسوا ما بينهما فوجدوه أقرب الى دير التّوابين بقيس أنملة فغفر الله له تفرّد به عبيدة بن عبد ربه عن مُعاويَة ورواه جماعة عن قتادة عن أبي الصديق عن أبي سعيد الخدري ورواه ابن عائذ عن المقدام بن معدي كرب ورواه ابن أنعم عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن عبدالله بن عمرو ورواه ابن لهيعة عن عبيدالله بن المغيرة .

وفي حلية الاولياء ج6 ص128 : حدّثنا عليّ بن أحمد [..] ربيعة بن يزيد عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان وعبدالله بن عمرو أنّهما سمعا النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول لا قُدّستْ أُمّةٌلا يُقْضَى فيها بالحقّ فيأخذ ضعيفها حقَّهُ من قويّها غير مُتَعتَع،رواه بقيّة عن سعيد عن يونس بن ميسرة عن مُعاويَة وعبدالله مثله مرفوعاً.أهـ

قلتُ:لوْ لمْ يَرْوِ معاويةُ هذا الحديث لكان خيراً له،فإنّه جَسّد عُلُوّ فرعون في الأرْض،ودَفَنَ النّاس أحياء،وسلّط المجرمين على المؤمنين،وجعل من المنابر التي يُفْتَرَضُ أن تَبُثّ الخيْر وتَدْعُوَ إليه، محطّات تبثّ لعن أولياء الله تعالى وأحبّاءه.فمتى أخذ الضعيف حقّه من القويّ في دولة معاوية؟!

وفي أبجد العلوم ج1ص360 :في حديث مُعاويَة رضي الله عنه قال إن النّبيّ صلى الله عليه وسلم نهى عن الأغلوطات رواه أبو داود.

وفي الأدب المفرد[1]: حدّثنا إسماعيل قال حدثني مالك عن يزيد بن زياد عن محمّد بن كعب القرظي قال مُعاويَة بن أبي سُفْيان على المنبر إنّه لا مانع

---

[1] الأدب المفرد ــ البخاري ــ ج1ص232

لما أعطيْت ولا مُعطيَ لما منع الله ولا ينفع ذا الجدّ منه الجدّ ومَنْ يُرد الله به خيرا يفقهه في الدين سمعت هؤلاء الكلمات من النّبيّ على هذه الأعواد.اهـ

وفي مقدمة ابن الصلاح (ص171):في حديث يُروى عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان قال لعن النّبيّ صلى الله عليه وسلم الذين يشقّقون الخُطب تشقيق الشّعر.ذكر الدّارقطني عن وكيع أنّه قاله مرّة بالحاء المهملة وأبو نعيم شاهد فردّه عليه بالخاء المعجمة المضمومة . .

وفي تاريخ خليفة [1]:أخبرنا أبو داود قال : أخبرنا زهير عن أبي إسحاق قال:قال عبد الله بن عتبة:تُوفّي النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستّين فقال عامرُبْنُ سعْد:حدّثني جريرقال:كنّا عند مُعاويَة فقال: توفّي النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستّين.حدّثنا أبو أحمد وسلم بن قتيبة قالا : أخبرنا يونس بن أبي إسحاق عن أبي المظفر عن الشعبي عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان : قال توفي النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستّين سنة.اهـ

إن يكن مُعاويَة قد قال هذا الكلام في حياة العبّاس بن عبد المطلب وغيره ممن حضروا ولادة النّبيّ صلى الله عليه وآله ففي كلامهم ما يُغني عن كلامه،فإنّهم شَهدوا ولمْ يشهدْ،لأنّه وُلد قبل الهجرة بعشرين سنة،وكان عمر النّبيّ صلى الله عليه وآله يومَها ثلاثاً وثلاثين سنةً فلا يُمكن أن تكُون شهادتُه شهادةَ عيان. وإن يكن قد قال هذا الكلام بعد وفاة العبّاس وغيره،فإنّما هوتحصيل حاصل لأنّ النّاس كانوا قد عرفوا تفاصيل حياة النّبيّ صلى الله عليه وآله في حياته من طرف شهود لا تُردّ شهادتهم أمثال حليمة السّعدية ظئره

[1] تاريخ خليفة بن خياط العصفري ص 58

صلى الله عليه وآله والشّيماء أخْته من الرضاعة وفاطمة بنت أسد[1] رضي الله عنها التي ربّته حتّى إنّه كان يسميها أمّه،والعبّاس عمّه وجماعة كثيرة ،فأين كلامُ مُعاويَة من كلام هؤلاء؟!

وبالمُناسبة فقد حَرص بعض السّذّج أن يجعلوا بين وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله ووفاة أبي بكرشَبَهاً فزعمُوا أنّ أبا بكرأيضاً تُوفّي وعُمره ثلاثٌ وستّون سنة،لكنّهم روَوْا بعد ذلك أموراً يحارُ لَهَا اللّبيب،ففي تاريخ خليفة[2]: عن ابن أبي عديّ عن حبيب بن الشّهيد عن ميمون بن مهران عن يزيد بن الأصمّ أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال لأبي بكر:أنا أكبرُ أمْ أنت ؟ قال:بل أنت أكبرُ وأكْرم وخيْر،وأنا أسنُّ منْك.وكانت ولايته [يعني ولاية أبي بكر] سنتين وثلاثة أشْهُروَعشْرينَ يوما ويقال عشرة أيام.(اهـ)!وهذا كلام عجيب لأنّه إذا كان أبو بكر أسنَّ من النبيّ صلى الله عليه وآله فكيف يكونُ عُمرُهُ يومَ وفاته ثلاثاً وستّين وقد بقيَ بعْد النّبيّ صلى الله عليه وآله سنتين وثلاثة أشهر وعشرين يوما؟!والحالُ أنّه على فرْض كوْنهما وُلدا في سَنَة واحدة يكونُ أبو بكر يومَ وفَاته قد تجاوز الخامسة والستين.!!

ولمُعاويَة مثْلُها في وفاة عمر:ففي تاريخ خليفة[3]: أبو داود[..] عن جرير عن مُعاويَة قال:مات عُمَرُوِهُوَابنُ ثلاث وستّين.وروى أبو أحمد وسلم عن يونس بن أبي إسحاق عن أبي السفرعن الشّعبيّ عن مُعاويَة مثْله.اهـ

---

[1] فاطمة بنت أسد رضي الله عنها تُوُفّيتْ في حياة النبي (صلى الله عليه وآله لكن لا شكّ أنها كانت تتحدث عن طفولة النبي (صلى الله عليه وآله لمن حولها من المُهاجرات والأنصاريّات.

[2] تاريخ خليفة بن خياط العصفري ص81

[3] تاريخ خليفة بن خياط العصفري ص 109

ونفس الكلام في الطبقات [1]ــ وفي الإسناد حريزُ بن عثمان النّاصبيّ المشهورالذي كان يلعن عليّاً عليه السلام قبل الخروج من المسجد سبعين مرّة ويقول لا أحبّه قتل آبائي ــ:أخبرنا يحيى بن عبّاد قال أخبرنا شعبة قال أخبرني أبو إسحاق عن عامر بن سعد عن حريزأنّه سمع مُعاويَة يقول توفي عمر وهو ابن ثلاث وستين.اهــ

وبعد،فإنّ الموت في الثّالثة والستّين ليس فضيلة بنفسه،والإنسان لا يختارُيومَ وفاته،فالمسيحيّ يموت في الثالثة والستّين واليهوديّ يموت في الثّالثة والستّين والبوذيّ يموت فيها والعلمانيّ أيضاً ومَنْ لا دينَ له.وهذا نُوحٌ لعلّه تجاوز الألف،وإبراهيم تجاوز الثّمانين وزكريّا بلغ من الكبرعتيّا،ويعلمُ الله عُمُريعقوب بن إسحاق يوْمَ وفاته وقد حكى القرآن قول أولاده " إنّ لهُ أباً شيخاً كبيراً....." فلماذا كل هذا الحرْص والتّركيزعلى الثالثة والستّين؟!

وكان من كلام معاوية كما في شرح النهج[2]:فإن تركْتُم شيْخَنا هذا يموتُ على فراشه وإلاّ خرجَ منكم ولا ينْفَعُكُم سبْقُكم وهجْرتُكم.فقال له عليّ **عليه السلام** ما أنت وهذا يا بن اللّخناء!فقال مُعاويَة مهلاً يا أبا الحسن عن ذكْر أمّي،فما كانت بأخسّ نسائكُم![3]ولقدْ صافَحَها النّبيّ صلى الله عليه يومَ أسلمَتْ ولمْ يُصافح امْرأةً غيْرَها،أمَا لَوْ قَالَها غيْرُك!فنَهَضَ عليٌّ عليه السلام ليخْرُجَ مُغْضَباً فقال عُثمان:اجلسْ،فقال له:لا أجلسُ،فقال:عَزَمْتُ عليك لتجلسَن،فأبَى وولّى فأخذَ عُثْمانُ طرَفَ ردائه فتَرَكَ الرّداءَ في يَده وخَرجَ،فأتْبَعَهُ عُثمانُ

[1] الطبقات الكبرى لمحمّد بن سعد ج 3ص 365

[2] شرح نهج البلاغة ــ ابن أبي الحديد ــ ج1ص 339

[3] مرّ بك سابقاً أنّها كانت من ذوات الرايات، وأنها كانت تُذكر بعهر وفجور، وقد هجاها حسان بن ثابت بذلك ولم يتجرأ على نفيه أحد من بني أمية لا معاوية ولا غيره.

بَصرَه،فقالَ والله لا تَصلُ إليْك ولا إلى أُحَد من ولدك[1].(اهـ)والمقصودُ هُنا القولُ المنسوبُ إلى مُعاويَة "ولقد صافحها النّبيّ صلى الله عليه يومَ أسلمتْ ولم يصافح امْرأة غيرَها " وفيه تُهْمةٌ كبيرة للنّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم فإنّ مُصافحة الأجنبيّة حرام باتّفاق العلماء،ولا يُمكن لمُعاويَة أن يتفوّه بمثل هذا وقد كان غائباً حين أسلمتْ أمّه يوم فتْح مكّة!! فالكلامُ لا يعْدُوأنْ يكون زيادةَ من الرّواة النّواصب الذين لم يَجدُوا مطْعناً في عليّ عليه السلام فراحُوا يمْدَحون أعداءه باخْتلاق ما لا يَكُون ولوْ على حساب النبيّ صلى الله عليه وآله وحساب قيَم الإسْلام.وإذا كان النبيّ صلى الله عليه وآله لم يتحمّل النظرإلى وحشيّ قاتل حمزة فكيف يتحمّل من مَضَغَتْ كَبدَه ولاكَتْهَا ويخُصُّهَا بالمصافحة من بين سائر النساء،فَويْلٌ لَهُمْ ممّا كَتَبَتْ أيْديهمْ ووَيْلٌ لَهُمْ ممَّا يَكْسبُون.

وفي كتاب العقل[2]:حدّثنا خلف بن هشام البزّار قال حدّثنا بقيّة بن الوليد عن خليد عن مُعاويَة رحمه الله قال قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم النّاسُ يَعْمَلُونَ بالخَيْرعلَى قَدْر عُقُولهم.

وفي هذا شهادة من معاوية على نفسه بنقصان عقله،فإنّ حَظَّهُ من الخَيْرحظُ الأعمى من النّور،وقد قال عليّ عليه السلام فيه وفي أصحابه " صحبْتُهُم صغاراً وكباراً فكانوا شرّ صغار وشرّ كبار".

---

[1] أقول:لقد حنث عثمان في قوله هذا،فإنّ أشرف وأعظم خلافة هي الخلافة الإلهية التي تكون على يد المهدي يملأ الأرض عدلا كما ملأها بنو أمية ظلما وجوراً،والمهدي من ولد عليّ عليه السلام ،ولم يتحقّق هذا لأحد قبله.

[2] كتاب العقل وفضله ـ ابن أبي الدّنيا ـ ص 37

وفي كتاب ذمّ المسكرلابن أبي الدّنْيا(ص61):حدّثني عمْرو النّاقد[..] يعلى بن شدّاد قال سمعت مُعاويَة بن أبي سُفْيان يقول سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول ألا إن كلّ مسكر حرام على كلّ مسلم .اهـ

قال الدّكتور عجيل جاسم النّمشي[1]:وعن مُعاويَة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال " إذا شربوا الخمر فاجلدوهم ثمّ إذا شربوا فاجلدوهم ثمّ إذا شربوا الرّابعة فاقتلوهم " رواه الخمسة إلا النّسائيّ . قال التّرمذيّ : إنّما كان هذا في أوّل الأمر ثمّ نُسخ بعده ، هكذا روى محمّد بن إسحاق عن محمّد بن المنكدر .

وروى أحمد بن حنبل في مسنده [2]عن عبد الله بن بُرَيدة قال:دخلت أنا وأبي على معاوية فأجلسنا على الفرش،ثم أتينا بالطعام فأكلنا،ثم أُتينا بالشّراب فشربَ معاوية ثُمّ ناول أبي ثمّ قال:ما شربتُه منذُ حرّمه النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال معاوية كنت أجمل شباب قريش وأجوده ثغراً وما شيء كنت أجد له لذّة كما كنت أجده وأنا شابّ غير اللّبن أو إنسان حسن الحديث يحدّثني.قال الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائدج5ص42):" رجاله رجال الصحيح ".

وسيأتي في فصل "موقف مُعاويَة من السّنّة "الحديث عن اعتراض أبي الدّرداء روايا الخَمْرِ تُساقُ إلى مُعاويَة[3]،فإن كان مُعاويَة صادقاً في ما يَرْويه فلماذا يستَقْبلُ الرّوايا،وما باله يشربُ المحرّم كما في الحديث السابق؟!

---

[1] هامش الصّفحة 403 من فصول الجصّاص

[2] مسند أحمد بن حنبل ج5ص347

[3] " القصة رواها ابن عساكر والحسن بن سُفْيان وابن مندة .ذكر ذلك محمد بن عقيل الشافعي في " النصائح الكافية ص 123

وفي كتاب الآحاد والمثاني[1]:حدّثنا أبو بكر[..] عن جرير أنّه سمع مُعاويَة رضي الله تعالى **عنه** يخطب يقول توفّي النّبيّ صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث وستّين وأبو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.اهـ

أقول:يموت الأنبياء وعُمُرأحدهم ثلاثٌ وستّون سنة ويموت الأولياء وعمر أحدهم ثلاث وستون ويموت الطّواغيت وعمر أحدهم ثلاث وستّون، فلا أدري ماذا يقصد مُعاويَة بهذا الكلام إنْ صحّ عنه!!وكذلك الشّأن بالنّسبة للولادة،والله كلّ يوْم هو في شأن،في كلّ يوم يولَد للمُؤمنين وللمُشركين؛وإنّما تكون بَرَكَة يوْم الولادة ويوْم الوفاة إذا انضمّ إليها عملٌ صالحٌ واستقامةٌ في الدّين،والمتتبّع للتّراجم والسّيَر يجدُ مِن الصّالحين من وُلد في اليوم الذي وُلد فيه أحدُ الجبّارين،فلو كانَ اليومُ بذاته مُباركاً لعمّتْهُما البَرَكَةُ.ولعلّ مُعاويَة من أعلم النّاس بأنّ فاطمة بنت النبيّ صلى الله عليه وآله ماتتْ واجدةً على الشّيْخيْن غاضبة عليهما متأذّيةً منْهُما،وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وآله " "من آذاها فقد آذاني" وقال أيضا:" من أغضبها فقد أغضبني ".

في كتاب السّنن الواردة في الفتن[2]:حدّثنا محمّد بن خليفة[..] عن أبي عبد ربه قال سمعت مُعاويَة يقول سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول لم يبْقَ من الدّنْيا إلاّ بلاءٌ وفتنةٌ فأعدُّوا للبلاء صبراً.اهـ

ولا يفوتُ اللبيبَ ههنا أن يتذكّر أنّ الجزء الأكبر من البلاء المذكور قد جرى على يد معاوية، بدليل ما ذكره المدائني في كتاب " الأحداث " كما في شرح نهج البلاغة.[1]

---

[1] الآحاد والمثاني لابن أبي عاصم ج1ص 81

[2] السّنن الواردة في الفتن ـ الداني ـ ج1ص182

وفي السنن أيضاً [2]:حدّثنا محمّد بن عبدالله [..] عن زيد بن أبي عتّاب قال قام مُعاويَة على المنبر فقال قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم النّاس تبع لقُريْش في هذا الأمرخيارُهم في الجاهليّة خيارُهم في الإسْلام.اهـ

قلتُ إن صحّ هذا الحديث فإنّه يجرّد الخليفتين أبا بكْروعُمَر من الأفضلية التي فُرضت على المسلمين بالحديد والنار،فإنّ أبا سفيان نفسه يسميّ تيماً وعديّاً أذلّ حيّ في قريش،وحديث دغفل المشهور [3] يضع الخليفة ابا بكر في "زمعات قريش" .

وفي الصواعق المحرقة [4]:روى الزبير بن بكارعن مُعاويَة قال أمّا أبو بكر فلم يُرد الدّنْيا ولم تُردْه وأما عُمَر فأرادتْه الدّنْيا ولم يردْها وأمّا نحْنُ فتمرّغْنا فيها ظهراً لبطن.اهـ

[1] قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج 11 ص 44 روى أبو الحسن على بن محمد بن ابى سيف المدايني في كتاب (الاحداث) قال كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل ابى تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرءون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته وكان اشدّ الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة على عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام على عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدى والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم.

[2] السنن الواردة في الفتن ج2ص486 تحت رقم 195

[3] الخبر مذكور في الإصابةج2ص389(دار الجيل1412 بيروت هـ) وكتاب الثقات ـ ابن حبان ـ ج1ص81وج3ص119 (دار الفكر 1395هـ) ولسان العرب ج1ص379 (دار صادر بيروت) و الفائق للزمخشري ج3ص423 (دار المعرفة لبنان ط2)،، البداية و النهاية ج 3ص 142(مكتبة المعارف بيروت) والرياض النضرة ج3ص53 (دار الغرب الإسلامي بيروت1996).

[4] الصواعق المحرقة ـ ابن حجر الهيتمي ـ ج1ص284

قلتُ:إن كان معاوية يقصد بـــ " نحن " نفسَه وبني أميّة فَقَولُه صحيح لا يدافعه أحدٌ،وإن كان يقصد كلّ مَنْ سوَى أبي بكر وعُمر فغيْرُ صحيح،وقد حفظ النّاس قول عليّ بن أبي طالب في الدّنْيا " غرّي غيْري غُرّي غيْري طلّقتُك ثلاثاً ".وموقفُ علي بن أبي طالب عليه السّلام من الدّنْيا معلوم بغضّ النّظَرعنْ هذا القولِ أيضاً،ويكْفي في ذلك أنّ الطّرق الصوفيّة - باستثناء النقشبندية- كلّها تدّعي أنّ طريقتَها تتّصل بعليّ بن أبي طالب عليه السلام. وليس هُنا مجالُ مناقشة ذلك،وإنّما القصْدُ إيرادُ ما تواتَرعنْد أهْل العلم من إعْراض عليّ عليه السلام عن زخارف الدّنْيا؛ونحن لا نتوقّع من مُعاويَة أنْ يمدحَ عليّاً عليه السلام،ولكن كانَ الأوْلى به أنْ يقولَ " أنا " لا أن يقولَ " نحن " لأنّه هُو وأصحابُه قد تمرّغوا فيها فعْلاً، كما أنّ عليّا وأصحابَه زهدُوا فيها فعْلاً.على أنّ حبّ الدنيا لا ينْحَصر في المَال والمطْعم والمَسْكَن،فإنّ أعلى مراتب حبّ الدنيا حبُّ الرئاسة،ولم يكُن الشّيْخان (أبو بكروعمر) زاهديْن في الرّئاسة كما يدّعي معاوية؛وكيف يكون ذلك وقد استَسْهَلا دُونَها تحريقَ بيْت فاطمة بنت النّبيّ صلى الله عليه وآله الذي عظّم الله حُرمته،وفيه المطهّرون بنصّ الكتاب العزيز.ومن استصغرشأنَ ذلك لم يفْقَهْ قولَه تعالى" وتَحْسبُونَهُ هَيّناً وَهوَعنْدَ الله عَظيمٌ ".فمعاويةُ إنّما أرادَ من الكلام السّابق تغييبَ زُهْد عليّ عليه السلام في ما تنافَسَ فيه غيْرُه،وإظهارَه بصُورة واحد من الحكّام بينما هُو منْ النّبيّ صلى الله عليه وآله بمنزلة هارون من موسى.

وفي ما هو قريب من هذا المعنى تصبّ رواية كعب الأحبار كما في كتاب الفتن [1]:حدّثنا ضمرة [..] عن أبي العوّام عن كعب قال تدو خمس وعشرين بعد وفاة نبيهم صلى الله عليه وسلم ثُمّ تنشأُ فتنةٌ فيكونُ فيها قتلٌ وقتالٌ ثمّ

[1] الفتن ــ نعيم بن حماد ــ ج1ص58

يعودون في الأمن والطمأنينة حتى يكونوا في الاستواء كالدوامة يعني مُعاويَة ثم تنشأ فتنة يكون فيها قتل وقتال فإنّي أجدها في كتاب الله المظْلمة تلْوي بكل ذي كبر.اهـ

يسمّي كعب كتابه " كتاب الله " بعد أن أخبر الله تعالى في كتابه الكريم (القرآن العظيم)أنّ اليهود قد حرّفوا الكلم عن مواضعه،وقد شهد معاوية نفسه على كعب الأحبارهذا بالكذب[1] .وقال المحقّق بهامش الصفحة 490 من الجزء3 من سير أعلام النبلاء[2]:وما يحكيه كعْب عن الكُتُب القديمة فليس بحُجّة عند أحد من أهل العلم ، ....وقال : وليس كل ما نُسب إليه في الكُتب بثابت عنه،فإنّ الكذّابين من بعده قد نسبُوا إليه أشياء كثيرةً لم يقُلْها وأخطأ مَنْ زعمَ أنّه خرج له البُخاري ومُسلم،فإنّهما لم يُسندَا من طريقه شيئاً منَ الحَديث وإنّما جرى ذكْرُه في " الصّحيحَين " عرضاً،وليْسَ يُؤثَرُ عنْ أحد من المتقدّمين توثيقُ كعْب،إلاّ أنّ بعْض الصحابَة أثنى عليه بالعلْم.اهـ

والدليل على كذب كعْب أو مَن نَسب الحديثَ إليه حديثُ سفينة " الخلافة ثلاثون سنة " في صحيح ابن حبان ج15 ص36 وتهذيب الكمال ج10ص378 والمعجم الكبير للطبراني ج1ص55 ومُسند ابن الجعد ص 479 ومسند ابن راهويه ج4ص164والآحاد والمثاني ج1ص116 وكتاب السّنّة لابن أبي عاصم ص549 وموارد الظمآن للهيثميّ ص369 والبداية والنّهاية ج3ص266.وإنّما أُريدَ من راء حديث كعب التّشكيكُ في خلافة عليّ **عليه السلام** وإضفاء الشّرعيّة على ملك معاوية.ولست أدري ما معنى قوله " ثمّ

---

[1] قال البخاري في التاريخ الصغير – ج 1ص 87: حدثنا أبو اليمان أنا شعيب عن الزهري أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان يحدث رهطا من قريش بالمدينة وذكر كعب الاحبار فقال أن كان من صدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب وأن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب.

[2] سير أعلام النبلاء بتحقيق نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي ــ مؤسسة الرسالة بيروت ــ 1413هـ

يعُودون في الأمن و الطمأنينة "؟!لأنّه إن كان يقصد مُدّة حكم معاوية فإنّها كانت أمناً وطمأنينةً على المُجرمين والمُلحدين وأعداء النبيّ صلى الله عليه وآله ؛ وأمّا المؤمنون الصادقون فإنّهم لم ينْجوا من كيْد وسطْوة مُعاوية وزياد بن سميّة واستبدادهما.وكيف يُسمّى زمَنَ أمْن وطُمأنينَة زمَنٌ لا يستطيع المرْءُ فيه أنْ يسمّيَ ابنَه عليّاً تيمُّناً باسْم من يحبّ الله ورسولَه ويحبّه اللهُ ورسولُه.نعم، لقد خاف النّاس على أنفسهم وأهليهم فالتزموا الصمت،وصَمْتُ المُكْرَه غيْرُصَمْت الرّاضي؛والدّليل على ذلك اندْلاع الثّورات إثْر وفاة مُعاوية وقمْعُها بشدّة من طرف يزيد ابْنه بطريقة لا تزال تشوّه تاريخَ المسلمين إلى اليوم لا يرحضها شيء.

في كتاب الجهاد لعبد الله بن المبارك ص177:أخبرنا إبراهيم[..] عن أبي الأكدرعن عمربن الخطّاب رضي الله تعالى عنه قال تعلّموا المهَنَ فإن احتَاج الرّجل إلى مهنَتَه انْتَفَع بها قال وحدّثنا أشياخُنا أنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان كان يقول ليرقعْ أحدُكم ثوبَه وليُصلحْه فإنه لا جديدَ لمَن لا خَلَق له.وفي مسند أبي داوود ص94:حدّثنا أبو داوود قال حدّثنا شعبة عن أبي عبد الله الشّاميّ قال سمعت مُعاويَة يخطب وهو يقول يا أهل الشّام حدّثني الأنصاريّ يعني زيد بن أرْقم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال لا يزالُ طائفةٌ من أمّتي يقاتلُون على الحقّ حتّى يأتي أمرُالله وإنّي أراكمُوهُم يا أهلَ الشام(اهـ).قلتُ:هذا التطبيق داخلٌ في الكَذب على النّبيّ صلى الله عليه وآله ،فإنّه لا خلافَ بيْنَهم في أنّه قال في حقّ عمّار بن ياسر رضي الله عنهما " تقتلُه الفئة الباغيةُ "، وعليْه يكونُ أهلُ الشّام الفئةَ الباغيةَ.فكيف تكون الفئةُ الباغيةُ هي الطائفةَ التي لا تزالُ تُقاتلُ على الحقّ؟!

وفي الإتقان [1]:أخرج الترمذيّ عن مُعاويَة سمعتُ النّبيّ يقول " طلحةُ ممّنْ قضى نحبَه" (اهـ). وهذا يعارضُه ما واجَه به عُمربنُ الخطّاب طلحةَ حيث قال له: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم تُوفّي وهو ساخط عليك للكَلمة التي قلت[2].ويصادره الواقع أيضاً فإنّ طلحة مات عاصياً يُحاربُ إمامَه بعد أن بايعه،وبيعة عليّ **عليه السلام** كانت عن طواعية في المسجد لا في سقيفة.وقد سمّى النّبيُّ صلى الله عليه وآله جماعة الجمل " النّاكثين "ولا يكون النّاكث ممّن صدق ماعاهد الله عليه فإن النّكْث وصدْق العهْد لا يجتمعان أبداً.

وفي تذكرة الحفاظ للذهبي ج 1ص7: عن ابن علية عن رجاء بن أبي سلمة قال بلغني أنّ مُعاويَة كان يقُول عليكُم من الحديث بما كان في عهد عُمرفإنّه كان قد أخاف النّاس في الحديث عنْ النّبيّ صلى الله عليه وسلم(اهـ).لا تعليق!

وفي تلبيس إبليس لابن الجوزي ج1ص15:روى أبو داوود[3] في سُننه من حديث مُعاويَة بن أبي سفْيان أنّه قام فقال ألا إنّ النّبيّ قام فينا فقال ألا إنّ

---

[1] الإتقان في علوم القرآن ج2ص524

[2] قال جلال الدين السيوطي في الدر المنثور ج5ص214 : وأخرج ابن أبى حاتم عن السدي رضي الله عنه قال بلغنا أنّ طلحة بن عبيد الله قال أيحجبنا محمّد عن بنات عمّنا ويتزوّج نساءنا من بعدنا لئن حدث به حدثٌ لنتزوّجنّ نساءه من بعده !! فنزلت هذه الآية.وأخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة رضي الله عنه قال : قال طلحة بن عبيد الله لو قبض النبيّ صلى الله عليه وسلم تزوّجت عائشة رضي الله عنها فنزلت وما كان لكم أن تؤذوا النّبيّ الآية . وأخرج ابن سعد عن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم في قوله وما كان لكم أن تؤذوا النّبيّ قال نزلت في طلحة بن عبيد الله لأنّه قال إذا تُوفّي النّبيّ صلى الله عليه وسلم تزوّجتُ عائشة رضي الله عنها .

[3] الحديث في يقظة أولي الاعتبار : وفي يقظة أولي الاعتبار ج1ص 198كما يلي:

عن مُعاويَة رضى الله عنه قال قام فينا النّبيّ فقال ألا إنّ من كان قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على اثنتين وسبعين ملّة وإنّ هذه الأمّة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فى النار وواحدة فى الجنّة

مَنْ قبْلكم من أهْل الكتاب افْتَرَقُوا على اثنتين وسبْعين ملّة وإنّ هذه الملّة ستفترق على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون في النّاروَوَاحدةٌ في الجنّة وهي الجماعة وإنّه سيخرج من أمّتي أقوامٌ تجارى بهم تلك الأهواءُ كما يتجارى الكلب بصاحبيه(اهـ).

أقول:إنّ الحسن والحسين وأمّهما وأباهما قطعاً في الجنّة،فهُم وأتْباعهم الفرقة الناجية؛فهل يكون معهم من سبّهم وشتَمَهم ولَعَنَهم وحَارَبَهم وقَتَلَهم؟! ثمّ أيّة جماعة يقصد معاوية؟جماعة فيها عليّ عليه السلام والحسنان،أم جماعة ليس فيها عليّ ولا الحسنان؟ إنّه ليس في وُسعنا إرضاء مُحبّي مُعاويَة على حساب النبيّ صلى الله عليه وآله ،فقد أخبرَ أنّ الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأنّ أباهما خيرٌ منهما،وأخْبرأيضاً أنّ عليّاً عليه السلام مع الحقّ والحقّ معه يدُورمُعَهُ حيثُ دارَ،وأخبرَأنّ عليّاً عليه السلام مع القرآن والقرآن معه ولن يفترقا حتى يردا عليه الحوض.ولمْ يألُ مُعاويَة جهداً في محاربته وسبّه ولعْنه،والمُنصفُ لايَرَى في ذلك إلاّ سبّ القرآن وسبّ الحقّ.وإذا أضفنا إلى ذلك حديثَ النّبيّ صلى الله عليه وآله " من سبّ عليّاً فقد سبّني ومَن سبّني فقد سبّ الله تعالى " تمّ النّصاب.فأيْن يكون محلّ الفئة الباغية من الإعراب في جملة الثّلاث وسبعين فرقة؟!

وهى الجماعة أخرجه أبو داود فى كتاب السّنة له وهذا الحديث رواه أبو داود من طـريقين أحـدهما مـن طريق أحمد بن حنبل ومحمّد بن يحيى الذّهلى والثاني من طريق عمر بن عثمان عن بقية عن صفوان تفرد به صفوان عن أزهر.اهـ

وفي صحيح البخاري[1]:حدّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزّهري قال كان محمّد بن جبير بن مطعم يحدّث أنّه بلغ معاوية وهوعنده في وفد من قريْش أنّ عبد الله بن عمْرو بْن العاص يحدّث أنّه سيكون ملَكٌ من قَحطَان فغَضب معاوية فقام فأثْنى على الله بما هو أهْله ثمّ قال أمّا بعْد فإنّه بلغني أنّ رجالاً منْكم يتحدّثون أحاديث ليستْ في كتاب الله تعالى ولا تُؤثَر عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلم فأولئك جُهّالُكم فإيّاكم والأماني التي تُضلّ أهلها فإني سمعْتُ النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول إنّ هذا الأمر في قريش لا يُعاديهم أحدٌ إلا كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين.اهـ

هذا الأمْر في قُريش كما يقول معاوية، لكنّه انتقلَ إلى الأتْراك والفُرس والمَغول...؛واقتتلتْ قُريش فيما بيْنها كلٌّ يريده لنفسه،ومعاوية نفسُه عادى خيرة قريش عترة النبيّ صلى الله عليه وآله وحارَبهم وسبَّهم وافْترى عليهم،فأين الحرجُ في أنْ يكون ملَكٌ من قحْطان؟! ثمّ إنّ عبد الله بن عمروبن العاص لم يقلْ ما قال تخْميناً وإنّما حدّثَ به،وأحاديثُه بعضُهاعن النّبيّ صلى الله عليه وآله وبعضُها عن أهْل الكتاب.فلماذا لم يتوجّهْ إليه معاويةُ شخصيّاً؟!ثمّ إنّ في ذيل الحديث الذي احتجّ به معاويةُ شرْطاً تجاهَله وهوالقُرشيُّ الفصيحُ والدّاهيةُ الفَطن،فالحديث يقول " ما أقاموا الدين "والقاعدةُ أنّه بانْتفاء الشّرط ينْتفى المشْرُوط.فإذا لم يُقيموا الدّين كان انْتقالُ الأمْرإلى قحْطانيّ أوغيْر قحطانيّ أمراً معقولاً لا غرابةَ فيه.ولعلّ هذه الحادثةَ تفسّر بعضَ ما كان يقومُ به معاويةُ من إيقاد نارالفتْنة بيْن العدْنانيّة والقحْطانيّة وإغْراء الشّعراء بهجاء القبائل.ثمّ ما معنى قول معاوية " لا تؤثرعن النّبيّ " ؟ فَمَتَى أحاطَ مُعاوية

---

[1] صحيح البخاري ج3ص1289 الحديث رقم (3309) دار ابن كثير بيروت 1409 تحقيق د.مصطفى ديب البغا

بكُلّ أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو الذي أسلم عام الفتح فى آخر حياة النبي صلى الله عليه وآله ؟!ومتى كان للطلقاء علم بالحديث؟ على أنّه لا يخفى على القارئ ما في كلام معاوية من تكذيب لعبد الله بن عمرو، فقد قال بصريح العبارة " بلغني أنّ رجالاً منْكم يتحدّثون أحاديث ليستْ في كتاب الله تعالى ولا تُؤثَر عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم "؛وإذا لم تكن الأحاديث في كتاب الله ولا تُؤثَرُعن النّبيّ فمن أين جاءت؟!ألا يتحرّج المسلمون بعد ذلك في أخذ الأحاديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص وقد اتّهمه معاوية صراحة باختلاق الأحاديث و نسبتها إلى النبي صلى الله عليه وآله؟

قال ابن كثير[1]:قال الإمام أحمد:حدثنا أبو المغيرة [..]عبد الله بن لُحَيّ، قال: حججنا مع معاوية بن أبي سفيان فلما قدمنا مكّة، قام حين صلّى الظّهر فقال: إنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال:«إنّ أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملّةً،وإنّ هذه الأمّة ستفترق على ثلاث وسبعين ملّةً ــ يعني الأهواء ــ كلّها في النّارإلا واحدة ــ وهي الجماعة ــ وإنه سيخرج في أمّتي أقوام تُجَارى بهم تلك الأهواء كما يتجارى الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله» والله يامعشر العرب، لئن لم تقوموا بما جاء به نبيكم صلى الله عليه وسلم لغَيرُكُم من النّاس أحرى أن لا يقوم به،وهكذا رواه أبو داود عن أحمد بن حنبل ومحمد بن يحيى، كلاهما عن أبي المغيرة واسمه عبد القدوس بن الحجاج الشامي به، وقد ورد هذا الحديث من طرق.

***

[1] تفسير ابن كثير ج2ص78

2- أحاديث فضائل مُعاويَة:

خيرُ ما يُفتتَح به هذا الفصل قول الحافظ الذّهبيّ عن إسحق بن راهويه أنّه قال[1]:" لا يصحُّ عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم في فضل مُعاويَة شيء ". اهـ

والذّهبيّ غير متّهم في عَقيدَته في معاوية،بل هو معدُود في محبّيه والمدافعين عنه،وكذلك إسحاق بن راهويه شيخ البخاريّ.وللرّجلين في الرّواية والدّراية منزلة لا يستطيع الطّاعنون نفيَها ولوكان بعضُهم لبعض ظهيرا.وإذا ضممْنا إلى ذلك موقفَ النسائيّ وقوله المشهور تَمّ نصابُ شهادة أكثرمن اثنين من أولي الخبرة،فإنّ الذّهبيّ وإن كان في عَقيدته لا يضلّل مُعاويَة إلا أنّه لمْ يعقّب على كلام إسْحاق بن راهَويْه.وقد عقد ابن القيّم[2] في(نقد المنقول) " فصلاً خاصّاً بما وُضع في فضائل مُعاويَة بن أبي سُفْيان فقال:ومن ذلك ما وضعَه بعضُ جهَلَة أهل السّنّة في فضائل مُعاويَة بن أبي سُفْيان.قال إسحاق بن راهَويْه لا يصحّ في فضائل مُعاويَة بن أبي سُفْيان عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم شيء.قلتُ[3]وَمُرادُه ومرادُ من قال ذلك من أهل الحديث أنّه لم يصحّ حديثٌ في مناقبه بخُصوصه وإلاّ فما عُلم عندي في مناقب الصّحابة على العُموم ومناقب قُريْش فمُعاويَة رضي الله عنه داخل فيه.اهـ

وهذا التّعليق من طرف ابن القيّم من أعْجَب ما يُلاقيه الباحثُ، فإنّه لا يعدُو أن يكون تحصيلَ حَاصل،لأنّ إسحاق بن راهويَه ذكرَ مُعاويَة ولم يذكُرْ معه غيرَه،فما معنى قول ابن القيّم " في مناقبه بخُصوصه"؟! وأمّا ما يردُ في مناقب الصّحابة على وجه العُموم فإن لم يُشتَرطْ فيه الإيمان دخل فيه

---

[1] سير أعلام النبلاء ج3ص 132

[2] نقد المنقول ـــ ابن قيم الجوزية ـــ ج1ص106

[3] القائل هو ابن القيّم

المُنافقون،وإن اشتُرط فيه الإيمان تعَيّنَ إثباتُ إيمَان مُعاويَة أوّلاً،وهو أمرٌ دونَه خرطُ القتاد بعد أن ثبتَ قول النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام:" لا يبغضُك إلاّ مُنَافق " ولا يختلفُ اثْنان في بغض مُعاويَة لعليّ **عليه السلام**.ومع ذلك، فإنّ بعض المحدّثين كانوا يشترطُون في من يأخُذُ عنهم أن يكون موقفُه من معاويةَ موقفَ المعظِّم المبجّل .قال الخطيب البغدادي[1]:سمعت غيرَ واحد يحكي عن أبي عمرالزّاهد أنّ الأشرافَ والكتّابَ وأهلَ الأدَب كانُوا يحضُرون عندَه ليسمَعُوا منه كُتُبَ ثعْلب وغيرَها وكان له جزءٌ قد جمَع فيه الأحاديثَ التي تُروَى في فضائل معاوية[علْماً أنّه لا يَصحُّ في فضلِ مُعاويةَ شيءٌ] فكان لا يترك واحداً منهم يقرأ عليه شيئاً حتى يبتدئَ بقرَاءة ذلك الجُزء ثمّ يقْرأ عليْه بعدَه ما قصدَ لهُ.وكان جماعةٌ من أهْل الأدَب يطعُنون على أبي عمر ولا يوثّقُونَه في علْم اللّغة حتى قال لي عبيدُ الله بن أبي الفتْح يُقال إنّ أباعمر لو كان طارَ طائرٌ لقالَ حدّثَنا ثعْلب عن ابن الأعْرابيّ ويذْكُرفي معنى ذلك شيئاً فأمّا الحديث فرأينا جميعَ شيُوخنا يوثّقونه فيه ويصدّقونه.(اهـ) وهذا الجَوزجَانيّ يَتّهم الحمانيّ لكَلمَته في معاوية؛قال الخطيب البغدادي[2]:حدّثنا عبد

[1] تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي ج 3 ص 160

[2] تاريخ بغداد – الخطيب البغدادي ج 14ص 181 .أقول : وكلمة الحمانيّ هي " مات معاوية على غير الإسلام ".وقد كلّفته هذه الكلمة غالياً وصوّبت إليه سهام المحدّثين والرّجاليين.وقد وثّقه ابن معين ، وقال الرّماديّ بخصوص تكلّمهم فيه(تاريخ بغداد ج14ص 179). : هو عندي أوثق من أبي بكر بن أبي شيبة وما يتكلّمون فيه فيه الاّ من الحسد.

[2] الرياض النضرة في وصف كل واحد من العشرة بصفة حميدة ج1ص218

العزيز بن أحمد [..] حدّثنا إبراهيم بن يعقوب الجوزجانيّ قال يحيى بن عبد الحميد ساقطٌ متلوّن تُركَ حديثُه فلا ينبعث(اهـ). وهذا موقف الذهبيّ من أبي بكر بن أبي دارم الكوفي إذ يقول[1]: مات أبو بكر[بن أبي دارم] في المحرّم سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة وقيل سنة إحدى وخمسين قال الحاكم هو رافضيّ غير ثقة.وقال محمّد بن حمّاد الحافظ كان مستقيم الأمْرعامّةَ دهْره ثمّ في آخر أيّامه كانَ أكثرُ ما يُقرأ عليْه المثالبَ حضرتُه ورجلٌ يقرأ عليه أنّ عمررفَس فاطمةَ حتّى أسقطت مُحسناً،وفي خبرآخرقولُه تعالى وجاء فرعون عُمَر ومن قبْله أبو بكْر والمؤتفكاتُ عائشةُ وحفصةُ فوافقتُه وتركتُ حديثَهُ. قلتُ[2] شيخٌ ضالٌّ معثرٌ.[3]

نعم،كانَ مستقيمَ الأمرعامّةَ دهْره حتّى قُرئ عليه كتاب المثالب وانكشفت له مسرحية السقيفة،فسقطت عدالته فجأة!وأصبح في نظر الذّهبيّ شيخاً ضالاً معثراً.وهذه جملة من الأحاديث المفتعلة التي اختلقها أعداءُ عليّ بن أبي طالب **عليه السلام** ليقدّموا من أخّره الله ويؤخّروا من قدّمه الله غافلين عن قوله تعالى " ومَنْ يُهن الله فَمَا لَهُ منْ مُكْرم".

---

[1] سير أعلام النبلاء ج15 ص578

[2] القائل هو الذهبيّ

[3] المعثر : من تكثر منه العثرات

وعن ابن عبّاس رضي الله عنهما[1] قال قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم أرحم أمّتي بأمّتي أبوبكروأقواهُم في دين الله عُمروَأشدُّهم حياءَ عُثمان وأقضاهُم عليّ بن أبي طالب ولكلّ نبيّ حواريّ وحواريّ طلحة والزّبير وحيثُما كان سعد بن أبي وقّاص كان الحقّ مَعَه وسعيدُ بنُ زيْد من أحبّاء الرّحمن وعبد الرّحمن بن عوف من تجّار الرّحمن وأبوعبيدة بن الجرّاح أمين الله وأمين النّبيّ ولكل نبيّ صاحب سرّوَصاحبُ سرّي مُعاويَة بن أبي سُفْيان فَمَنْ أحبّهم فقدْ نَجَا ومنْ أبْغَضَهُم فقد هلكَ.خرجه الملا في سيرته(اهــ).

والمفروضُ أنّ الحديث يدور حول العشرة،لأنّ الفصل يتحدّث عنهم،وعنوان الكتاب يشير إليهم لاإلى غيرهم،وهم معلُومون عند الجمْهُور،أولّهم أبوبكْر وبعدهُ عُمرثمّ عُثمان ثمّ عليّ عليه السلام ثمّ طلحة ثمّ الزّبير ثمّ سعد بن أبي وقّاص ثمّ سعيد بن زيد ثمّ عبد الرّحمن بن عوف ثمّ أبو عبيدة بن الجرّاح.فهؤلاء عشرة ليس فيهم أنصاريّ! فمن أين جاء اسم مُعاويَة ومَن الذي أقحمه في القائمة؟!إنّ هذا لايُناسبُ عنوان الفصل لأنّه يصرّح بعشرة،والمدْرَجُون في الحديث أحدَ عشرَ رجلاً!وبما أنّ أسماء العشرة معلومة عند المسلمين في بقيّة الكتب،وكلّهم من المهاجرين وليس معاوية من المُهاجرين إذْ لا هجْرةَ بعْد الفتْح ،فلا شكّ أنّ يدَ التّحريف قد امتدّت إلى الرّوايَة ــ على فرض ثبوتها ــ إمّا قديماً أو حديثاً،وليس هذا أوّل ما يشكّك في صحّة أحاديث الفَضائل.

وفي طبقات الحنابلة **ج1ص**347:أخبرني بركة الدّلاّل [..] مهنّا قال سألت أحمد عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان فقال لَهُ صُحْبَة فقلت ومنْ أيْنَ هُو قال مكّيّ قَطَنَ الشّامَ.

---

[1] **الرياض النضرة ــ محب الدين الطبري ــ ج1ص**216

وقال السّيوطيّ [1]:أخرج أحمد في مسنده عن العرباض بن سارية: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يقول اللهمّ علّم مُعاويَة الكتاب والحساب وقه العذاب!

قلتُ:بَدَلَ التّعْليق،أُحبّذ للقارئ أن يتمعّن في البحث الذي جاء به حسن السّقاف في كتابه(تناقضات الألبانيّ) بخصوص هذا الحديث.

قال السّيوطيّ :وأخرج ابن أبي شيبة في المُصنّف والطّبرانيّ في الكبير عن عبد الملك بن عمير قال قال مُعاويَة ما زلتُ أطمَعُ في الخلافة منْذ قال لي النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يا مُعاويَة إذا ملكْتَ فأحْسنْ.وكان مُعاويَة رجلاً طويلاً أبيضَ جميلاً مَهيباً وكان عُمَر ينظرُ إليْه فيقول هذا كسْرى العرب وعن عليّ قال لا تكْرَهوا إمْرة مُعاويَة فإنّكم لو فقدتُموه لرأيْتم الرّؤوس تنْدرُعن كوَاهلها.وقال المقبريّ تعجبُون من دهاء هرقْل وكسْرى وتَدَعُون مُعاويَة وكان يُضرَب بحلْمه المثَل وقد أفردَ ابنُ أبي الدّنْيا وأبو بكر بن أبي عاصم تصنيفاً في حلم مُعاويَة. قال ابنُ عوْن كانَ الرّجل يقولُ لمُعاويَة والله لتستقيمَنَّ بنا يا مُعاويَة اولنُقوّمَنّك فيقول بماذا فيقول بالخَشَب فيقول إذن نَستقيم.وقال قبيصة بنُ جابر صحبتُ مُعاويَة فما رأيتُ رجلاً أثقلَ حلْماً ولا أبْطأ جهْلاً ولا أبْعد أناةً منْه.ولما بَعَث أبو بكْر الجُيوش إلى الشّام سارَ مُعاويَةُ مع أخيه يزيد بن أبي سُفْيان فلمّا مات يزيدُ استخلفَه على دمشْق فأقرّهُ عُمر ثُمّ أقرّه عُثْمان وجَمعَ لهُ الشّام كلَّه فأقام أميراً عشرين سنةً وخليفةً عشرين سنة.قال كعبُ الأحْبار لن يَمْلكَ أحدٌ هذه الأمّة ما ملكَ مُعاويَة[2] قال الذّهبيّ

---

[1] تاريخ الخلفاء ج1ص194

[2] هذا القول غير صحيح، فإنّ الخليفة العبّاسي النّاصر لدين الله ملك مدّة أطول و في ظروف رخاء وعزّة ، قال الذّهبيّ فيما نقل عنه السّيوطيّ في تاريخ الخلفاء ج1ص448: " لم يَلِ الخلافةَ أحدٌ أطولَ مدّة منه فإنّه أقام فيها سبعاً وأربعين سنة ولم تزل مدة حياته في عزّ وجلالة وقمع للأعداء واستظهار على الملوك ولم

تُوفِّي كعب قبل أن يستخلف مُعاويَة قال وصدق كعب فيما نقله[1] فإن مُعاويَة بقي خليفة عشرين سنة لا ينازعه أحد الأمر في الأرض بخلاف غيره ممّن بعده فإنّه كان لهم مخالف وخرج عن أمرهم بعض الممالك وخرج مُعاويَة على علي .اهـ

أقول:إضافة إلى بطلان قول كعب وبطلان قول الذّهبيّ كما أشرت إليه بهامش الصفحة،فإنّ استدلال السّيوطيّ ومَن على شاكلته عجيبٌ حيث يركّزون على مسألة الخروج وعدم الخروج.أليس قد خرج مُسيلمة وغيره على النبيّ صلى الله عليه وآله ؟ فهل يقدَحُ ذلك في شرعيّة حُكْمه؟! وإنّما يُلام الخارجُ لا الحاكمُ الشّرعيّ.وإنّك لا تجدُ من عوامّ النّاس مَن يقْتَنع بما اقْتَنع به السّيوطيّ ومن ينْحُو نحوَه إذا تبيّن له الأمرعلى وجهه.وليتَنا كنّا نعلم شيئا عن إحساسات السّيوطيّ ووجدانيّاته حينما يقرأُ حديثَ النّبيّ صلى الله عليه وآله "عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدُورمَعه حيثُ دار" وحديث "عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ".

يجدْ ضَيْماً ولا خرجَ عليه خارجيٌّ إلاّ قمعه ولا مُخالف إلاّ دفعه وكُلُّ مَن أضمرَ لهُ سوءاً رماه الله بالخذلان " اهـ

أقول : وكان على مذهب الشّيعة الإماميّة لا خلاف بين المؤرّخين في ذلك.

[1] هذا من عجائب ما يأتي به الذّهبيّ، فإنّه منقوض بما قاله في حقّ الناصر لدين الله العبّاسيّ ـ كما سبق ـ ، ولا خلاف بين المؤرخين في أنّ مدة خلافة الناصر تجاوزت الأربعين عاماً .وقال السيوطي في تاريخ الخلفاء (ج1ص450) في وصف مدة خلافته: قال ابن النّجار: " فتح البلاد العديدة وملك من الممالك ما لم يملكه أحد ممن تقدّمه من الخلفاء والملوك وخطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين وكان أشد بني العباس تتصدع لهيبته الجبال وكان حسن الخَلق لطيف الخُلق " .اهـ أقول : وشذّ ابن الأثير فتحامل عليه بدافع الانتماء المذهبيّ لأنّ النّاصر كان معلناً بتشيّعه.ولا يفوت التنبيه إلى أنّ كثيرا مما كان كعب الأحبار يدّعي وجوده في التوراة لا وجود له في التوراة المتداولة بين أيدي الناس اليوم بشتّى اللغات، وهذا معناه أنّه كان لكعب توراة خاصة به،لا علاقة لها بتوراة موسى عليه السلام.

وإليك كلاماً يزيد المؤمن بصيرة في دينه؛قال حسن بن عليّ السقّاف في كتابه تناقضات الألباني[1]:حديث عميربن سعيد قال:لا تذكروا مُعاويَة إلا بخير فإنّي سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول:" اللّهمّ اهْد به ".رواه التّرمذيّ في سُنَنه(ج5 ص687) وغيرُه.قلتُ:صحّحه الألبانيّ في(صحيح سنن التّرمذيّ ج3 ص236) فقال:(صحيح بما قبله)اه ! قلْتُ[2]:كلاّ والذي برأ النّسمة،فإنّه حديثٌ موضوعٌ لاشكَّ في ذلك فإنّ في سنده عمروبن واقد،وقد قال فيه الألبانيّ نفسه في ضعيفته[3](ج2ص341) متناقضاً:(وعمرُوبنُ وَاقد مترُوك كما في التّقريب)اه.وقال في صحيحته (ج1 ص458)عن طريق فيها عمروهذا:(فهذه طريق أخرى عن اسماعيل ولكنّها واهية فإنّ عمرو بن واقد متروك)اه.قلتُ:بلْ هو كذّاب كذّبه جماعة من الحفّاظ،ففي(تهذيب التهذيب) (ج8ص102) قال أبو مسهر:كان يكذب وقال البخاريّ وأبو حاتم ودحيم ويعقوب بن سُفْيان:ليس بشيء وكان مَرْوان يقول:عمروبن واقد:كذّاب وقال النّسائيّ والدّارقطنيّ والبرقانيّ:مترُوك الحديث . . وقال ابن حبّان:يقلّب الأسانيد ويروي المناكير عن المشاهير واستَحقّ التّرك اه. فعلى الألبانيّ أن يضرب على هذا الحديث لأنّه موضوع وراويه كذّاب مترُوك وهو لا ينفع ولا يصلح في الشّواهد!(انتهى) كلام السّقّاف.

ومن أحاديث الفضائل:عن خارجة بن زيد عن أبيه مرفوعا[4]:يا أمّ حبيبة!للهُ أشدُّ حبّاً لمُعاويَة منْك كأنّي أراه على رفارف الجنّة . ،قال الذّهبيّ: خبرٌ باطلٌ اتُّهم بوضْعه مُحمّد بن رجاء(اهــ).قلتُ: اللهُ أشدّ حبّاً لعليّ عليه السلام

[1] تناقضات الألباني الواضحات – السقّاف ــ ج 2ص 227

[2] القائلُ هو السّقّاف

[3] ضعيفته :أي سلسلة الأحاديث الضعيفة ،وصحيحته سلسلة الأحاديث الصحيحة

[4] ميزان الاعتدال ج3 ص56

وأشدّ حبّاً لمعاوية،و"حبُّ المُتَعَادِيَيْن "هذا هُوَالذي حيّرَالعقولَ،إذْ يَسُوغ في شَرْعِه أن تحبَّ موسى عليه السلام وفرعونَ وإبراهيمَ عليه السلام ونمرودَ وجبرائيلَ عليه السلام وإبليس والإمام الخمينيّ رحمه الله تعالى وصدام حسين!وَتِلْكَ الأمْثَالُ نَضرْبُهَا للنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إلاَّ العَالِمُونَ.

وقال ابن كثير في تاريخه [ج8ص122]،: ثُمّ ساقَ ابن عساكر أحاديثَ كثيرةً موضوعةً بلا شكّ في فضل مُعاويَة،أضربْنا عنْها صفْحاً،واكتفيْنا بما أوردْناه من الأحاديث الصّحاح والحسان والمُستَجادات عمّا سواها من الموضوعات والمُنكَرات (اهــ).

والحقّ أن ابنَ كثير يُغالِطُ وكَأَنَّ الله لا يعلمُ كثيراً ممّايصنع،لأنّ التي يسمّيها صحاحاً مُستجادةً أيضاً لا يصحّ منها شيءٌ كما سبق بيانُه من قول أهل الفنّ وتدفعُها أحاديثُ صحيحةٌ واردةٌ في مدح عليّ عليه السلام وأهل بيته وذمّ مُعاويَة وأهل بيْته،وحاشا للنّبيّ صلى الله عليه وآله أن يكون في كلامه تناقُضٌ وهُو الذي لا ينطقُ عن الهَوى.ولكنّ ابنَ كثير شاميّ أُمَويّ الهَوَى،وشيخُهُ ابنُ تَيْمِيَة الحرّانيّ، ومَنْ يُشَابهْ شيخَهُ فما ظلم.

وقد ذهب بعضُهم إلى نسبْة أحاديثَ باطلَة إلى عليّ بن أبي طالب **عليه السلام** لِيُضفُوا صبغَة الشّرعيّة على مُلك مُعاويَة الذي سماه النّبيّ **صلى الله عليه و آله** مُلْكاً عَضُوضاً.ومنْ ذلك ماروّاه نعيم في الفتن[1]: حدّثنا محمّد[..] سُفْيان بن الليل قال سمعت حسن بن عليّ يقول سمعت عليّاً رضي الله عنه يقول سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول لا تذْهَبُ اللّيالي والأيّام حتى يجتَمعَ أمرُهذه الأمّة على مُعاويَة(اهــ).وهذاشيءٌ تأْبَاهُ القلوب المتبصّرة والضمائرالحيّةُ

النَّزيهَة،فإنّه لا أحدَ من المُنصفين بَقُول باجْتماع النَّاس على مُعاويَة[1].كيْفَ وهو القائلُ في مسجد الكُوفة بعد صلح الحسن " وإنّما قاتلتُكم لأتأمّرَ عليكم " وإذا كانَ النّاسُ قد اجتَمعُوا عليْه فما بالُهُ يتتبّعُ شيعةَ عليّ عليه السلام في كلّ مكان ويتفنّنُ في قتْلهم وتعْذيبهم لايُراعي فيهم صُحبَتَهُم النّبيّ صلى الله عليه وآله وسوابقهم في الإسْلام!!غير أنّ ههنا حديثاً يُستشَفّ منْه موقفُ النّبيّ صلى الله عليه وآله من معاوية واستخفافُ الأخير بأمْرالنّبيّ صلى الله عليه و آله وتعامُلُه معَه بسوء الأدب. ففي صحيح مسلم وغيره[2]من طريق ابن عبّاس قال:كنْتُ ألعبُ مع الغلمَان فإذا النّبيّ صلى الله عليه وسلم قد جاء فقلت:ما جاء إلاّ إليّ فاختبأتُ على باب فجاءَني فخطاني خطى أو خطاتين ثم قال:اذهبْ فادْعُ لي مُعاويَة قال: فذهبت فدعوْتُه له فقيل:إنّه يأكُلُ،فأتيْتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقلت:إنّه يأكُل فقال:اذهبْ فادْعُه،فأتيتُه الثّانيَة فقيل:إنّه يأكُل فأخبرتُه،فقال في الثّالثة: لا أشْبعَ اللهُ بطْنَه قال: فما شَبعَ بعْدها(اهـ).

هذا الحديث عدَّه ابنُ كثير مَنْقَبةً لمُعاويَة فقال:قد انتفعَ مُعاويَة بهذه الدّعوَة في دُنياه وأخْراه،أمّا في دُنياه فإنّه لمّا صارإلى الشّام أميراً،كان يأكُل في اليوْم سبْعَ مرّات يُجاءُ بقصْعَة فيها لحْمٌ كثيرٌ وبَصلٌ فيأكُل منْها،ويأكُل في اليوْم سبعَ أكلات بلَحْم[!] ومن الحلْوى والفاكهَة شيئاً كثيراً ويقول:والله ما أشبعُ وإنّما أعياه،وهذه نعْمةٌ ومَعدةٌ يرْغَب فيها كلّ المُلوك.وأمّا في الآخرة

---

[1] دعوى اجتماع الناس على ملك معاوية تشبه دعوى المخلوع صدّام إجماعَ العراقيّين على انتخابه بنسبة 100% قبيلَ سقوطه ونهايته التعيسة.

[2] صحيح مسلم ج8ص28[دار الفكر بيروت]وأسد الغابة ج4ص368 وتهذيب الكمال ج1ص338[مؤسسة الرسالة 1406]وتهذيب الكمال ج22ص344[مؤسسة الرسالة1412]وميزان الاعتدال ج3 ص239[دار المعرفة بيروت]وسير أعلام النبلاء ج5ص388[مؤسسة الرسالة بيروت1412]وشرح مسلم ج16 ص156 [دار الكتاب العربي بيروت1407].

فقد أتبعَ مسلمُ هذا الحديثَ بالحديث الذي رواهُ البخاريّ وغيرهما من غيْر وجْه عنْ جماعَة من الصّحابَة أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال:أللّهمّ إنّما أنا بشرٌ فأيّما عبد سببْتُه[1] أوجَلدْتُه أودعوْتُ عليه وليسَ لذلك أهلاً فاجْعلْ ذلك كفّارةً وقُربَةً تُقرّبُه بها عنْدَك يوْم القيامَة.فركّبَ مُسْلم منَ الحديث الأوّل وهذا الحديثُ فضيلةٌ لمُعاويَة ولم يورد له غير ذلك (اهــ).

أقول:أوّل ما يلفت انتباه المتتبّع للكَلام محاولةُ ابن كثير التّحريفَ والتزويرَ ونسْبَةَ الباطل إلى نبيّ الهدى،فإنّه صلى الله عليه وآله دعا ـــ في الحديث ـــ على مُعاويَةَ ولَمْ يدْعُ له،والفرْقُ بيْن الدّعْوتيْن معلُوم،وهذا شأنُ أفْعال مُعيّنَة في اللّغة العربية مثل رَغبَ ومَالَ وانْصرَفَ وغيْرها فإنّها تدُور مَدارَ الحرْف الذي يَليها وهو يحقّق نسبة التّقابل فيها ،فإن قال القائلُ: " رَغبَ فيه " أوْ " رَغبَ إليْه " فإنّهُ يقْصدُ بذلك الميْلَ والطّلَبَ أمّا إنْ قال " رَغبَ عنه " فإنّهُ يقْصدُ التّرْكَ والإعْراضَ والنّفورَ.فَمعَ أنّ الفعل واحدٌ إلاّ أنّ المعْنى تَغيّرَبتغيُّر حرْف المعنى الذي يَليه.وكذلكَ الشّأنُ في "مال" و"انْصرف" و"تولّى"وغيْرها.وهو الشّأنُ نفْسُه في الفعل " دعا " إذا قلْتَ " دَعَا له " فإنّ معْناهُ طَلَب الرّحْمَة، وأمّا " دعا عليه " فالمقصودُ منْه طلَبُ نُزُول النّقْمَة،والنّسْبَةُ بيْن الفعْلين معلُومة لكلّ مَن يَعْرف العربيّة.لكنّ ابنَ كثير معَ تَيقّنه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أفْصحُ من نطقَ الضّاد يأْبَى إلاّ الانقيادَ للتّعصُّب المَقيت.وكيف يَصحُّ ما ذهبَ إليْه ابنُ كثير بعْد أنْ حذّر النّبيّ صلى الله عليه و آله من الإكْثار منَ الأكل وذمَّ فاعلَه وقالَ عن المَعدَة إنّها بَيتُ الدّاء،وقال

[1] هذا الحديث يتضمّن القدح في شخص النبيّ الكريم (صلى الله عليه وآله إذ يدّعي راويه أنّ النّبيّ (صلى الله عليه وآله يسبّ من ليس أهلاً للسّبّ ويجْلد مَن ليس أهْلاً للجلْد، وهذا ينافي قوله تعالى " وإنّك على خلق عظيم " وكيف يقول النبيّ (صلى الله عليه وآله للمسلمين : " المؤمن ليس بسبّاب.." ويقول أيضاً " سباب المسلم فسوق " ثم يبادر إلى فعل ما نهى الآخرين عن فعله ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم.

بصريح العبارة: " ما ملأ ابنُ آدمَ وعاءً شرّاً منْ بطْنه بحَسب ابْن آدم لُقيْمَات يُقمْن صُلْبَه،فإن كان ولا بدّ فاعلاً فثُلُثٌ لطعامه وثُلُثٌ لشَرابه وثُلثٌ لنَفَسه".وقد ملأ مُعاويَةُ الأثْلاثَ كلَّها بأكلاته السّبْع إضافةً إلى الحلْوَى والفاكهة.ولو أنّ غيرَ مُعاويَة فَعَلَ هذا لأنْزلَ عليه ابنُ كَثير وابلاً من اللّوْم والتّوْبيخ،ولَشَبّهَهُ بالأنْعام السّائمَة،ولكن مُعاويَة هوالفاعل،وإذاً فلابأس بفتْح باب التّأويل وتحريف كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله ولو بما يضحك الثكلى!أين ذلك من قول علي عليه السلام " ألا وإنّ خليفتَكم قد اكْتفى منْ طعَامه بقُرْصيْه ومن لباسه بطمريه " ؟!

قال ابن عساكر[1]:أخبرنا أبو محمّد بن الإسفرايني[..] محمّد بن زياد عن عوف بن مالك الأشْجعي قال:بينما أنا راقد في كنيسة يوحنّا – وهي يومئذ مسجد يصلى فيها – إذ انتبهت من نوْمي فإذا أنا بأسَد يمْشي بين يدي فوثبتُ إلى سلاحي ، فقال الأسد : مه . إنّما أُرسلت إليك برسالة لتبلّغَها، قلت: ومن أرسلك ؟ قال: الله أرسلني إليك لتبلغ مُعاويَة السّلام وتعلمه أنّه من أهل الجنّة فقلت له:ومن مُعاويَة ؟ قال : مُعاويَة بن أبي سُفْيان (اهــ).

قُلْتُ:هذا ليسَ ببعيد! وما أرسلنا من رسُول إلاّ بلسان قومه؛فلا عجب أن يرسل الوحوشَ إلى الوُحُوش!

محمّد بن زياد هوالحمصيّ،شاميّ ناصبيّ من ألدّاء أعداء أمير المؤمنين عليّ عليه السلام،وثقه ابن معين،وقال:ثقة مأمون،وذكره ابن حبّان في الثّقات وقال:لا يعتد بروايته إلاّ ما كان من رواية الثّقات عنه.وقال الحاكم:اشتهرعنه النّصب كحريزبن عثمان[تهذيب التهذيب ج9 ص170

---

[1] تاريخ مدينة دمشق – ابن عساكر ج 59 ص 109 :دار الفكر 1415

].[1]عوف بن مالك الأشجعي صحابيّ.ولكن له أخبار تنمّ عن شخصية مذبذبة.قال ابن حزم[2]:من طريق محمد بن إسحاق في مغازيه عن يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن مالك الأشجعيّ قال:كنت في غزة ذات السلاسل فذكر قسمته الجزور بين القوم وأنّهم أعطوه منها فأتى به إلى أصحابه فطبخوه فأكلوه ثم سأله أبو بكروعمرعنه؟ فأخبرهما فقالا له:والله ما أحسنتَ حين أطعمتَنا هذا ثمّ قاما يتقيّآن ما في بطونهما(اهـ).وقال محمّد بن سعد في الطبقات الكبرى[3]:عوف بن مالك الأشجعيّ أسلم قبل حنين وشهد حنيناً وكانت راية أشجع معه يوم فتح مكّة وتحوّل إلى الشّام في خلافة أبي بكر فنزل حمص وبقي إلى أوّل خلافة عبد الملك بن مَرْوان ومات سنة ثلاث وسبعين وكان يكنى أبا عمرو.

وقال ابن سعد أيضاً[4]:أخبرنا عبد الوهاب بن عطاء العجليّ قال أخبرنا أبو سنان عن بعض أصحابه أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم آخى بين أبي الدّرداء وبين عوف بن مالك الأشجعيّ قال محمّد بن عمر وشهد عوف بن مالك خيبَر مُسْلماً وكانت رايةُ أشجع مع عوف بن مالك يوم فتح مكّة قال أخبرنا عبيد الله بن موسى وعبد الوهّاب بن عطاء قالا أخبرنا أسامة بن زيد اللّيثيّ عن مكحول قال جاء عوف بن مالك الأشجعيّ إلى عُمر بن الخطاب وعليه خاتم من ذهب فضرب عُمَرُ يَدَهُ وقال أتلبسُ الذّهب فرمى به فقال له عُمَر ما

---

[1] نعيم بن حماد أيضا قالوا عنه،وهو مشهور بمخالفته لأبي حنيفة وردوده على الجهمية،وقد وثقه أحمد ويحي بن معين؛والباحث في مسألة الجرح والتعديل يجد أنه قلّما يسلم من الجرح أحد حتى رؤساء المذاهب .

[2] المحلى – ابن حزم ج 8 ص 143

[3] الطبقات الكبرى ابن سعد ج 7 ص 400 دار صادربيروت

[4] الطبقات الكبرى / ابن سعد /ج4ص280 / دار صادربيروت

أرانا إلا وقد أوجعناك وأهلكنا خاتمك فجاء من الغد وعليه خاتم من حديد فقال حلْيَة أهل النّار فجاء من الغد وعليه خاتم من ورق فسكت عنه.قال محمّد بن عُمَرَوَتحوّلَ عوفُ بنُ مالك إلى الشّام في خلافة أبي بكر فنزل حمْص وبقي إلى أوّل خلافة عبد الملك بن مَرْوان ومات سنة ثلاث وسبعين وكان يكنى أبا عمرو(اهـ).

فالرّجل كان دائماً مع أهْل الشام،لم ينْصرْعليّاً عليه السلام ضد النّاكثين والقاسطين والمارقين ولا هو نَصرَ الحسينَ عليه السلام.

وفي طبقات خليفة [1]:عوف بن مالك يكنى أبا عبد الرحمن ويُقال أبا عمرو من ساكني الشّام. مات سنة ثلاث وسبعين.

وفي التاريخ الكبير[2]:محمّد بن عامر[..]عن أبي بردة عن عوف بن مالك سمع النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول الشّفاعة لمن مات من أمّتي لا يشرك بالله شيئا(اهـ).وفي التاريخ الكبير أيضاً[3]:عوف بن مالك أبوعبد الرحمن الأشجعيّ نزل الشّام لُه صحبة وقال ابن عفير عن عطّاف عن إسماعيل بن رافع غزا عوف مع يزيد بن مُعاويَة قسطنطينية،كنّاه عبد الرحمن بن مهدى عن مُعاويَة بن صالح،وقال يحيى بن واضح كنيته أبوحمّاد،وقال عبد الله بن صالح حدّثني مُعاويَة بن عبد الرحمن بن جبير بن نفيرعن أبيه عن عوف بن مالك كنّا نرقي في الجاهليّة فقلنا يارسول الله كيف ترى في الرُّقَى؟قال اعرضوا عليّ رُقَاكُم لا بأس بالرُّقَى ما لم يكُنْ شرك (اهـ).وفيه أيضاً[4]:عن

---

[1] طبقات خليفة بن خياط ص 95 / دار الفكر 1414

[2] التاريخ الكبير ــ البخاري ج 1ص 184

[3] التاريخ الكبيرــ البخاري- ج 7 ص56

[4] التاريخ الكبير - البخاري ج 7ص 271

مسلم بن قرظة الأشجعيّ عن عوف بن مالك الأشجعيّ عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم(خياركم و)خيار أئمّتكم الذين تحبّونهم ويحبّونكم(وقال الحميدى حدّثنا الوليد قال حدّثني جابر سمع رزيقا سمع مسلم بن قرظة سمع عوفا عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم مثله).

وفي التاريخ الصغير[1]:عوف بن مالك غزا مع يزيد بن مُعاويَة قسطنطينية كنيته أبو عبد الرحمن الأشجعيّ سكن الشّام(اهـ).هذا في ما يخصّ الصحابيّ عوف بن مالك الأشجعيّ الذي عُلّم مَنْطقَ الأُسُود،وإذا كان الله تعالى يصْطفي من الملائكة رُسُلاً ومنَ النّاس، فإنّ الرّسولَ في قصّة مَالك الأشْجعيّ أسدٌ؛ وكان مالك نائما في كنيسة هي مسجدٌ يُصلّى فيه!وفي عوف هذا كلام على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله،فقد ذكرعلاء الدين المارديني (الشهير بابن التّركمانيّ) في كتابه الجوهرالنّقيّ[2]أنّ مدديّاً قتَلَ روميًّا فاستكثرعليه خالدُ بنُ الوليد سلبَه فشكاه عوفُ بنُ مالك للنّبيّ عليه السلام فأمرَه بردّ سلَبه له ثمّ غضب عليه السلام على عوف فقال يا خالد لا تردّ عليه) الحديث.قال ابن حزم بخصوص هذه الواقعة[3]: " وثالثها أنّ في نصّه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم إنّما أمره بأن لا يردّ عليه لأنّه علم أنّ القاتل صاحب السّلب أعطاه بطيب نفْس ولم يطلب خالداً به وأنّ عوفاً يتكلّم فيما لا حقّ له فيه وهذا هو نصّ الخبر "(اهـ). فمن كانت هذه حاله مع النّبيّ صلى الله عليه وآله إلى درجة أن غضبَ عليه فإنّه لا يُستبعَدُ أن تَكونَ سيرتُه غيرَ محْمُودة في زمن الفتنة.

---

[1] التاريخ الصغير البخاري ج 1 ص 152 : دار المعرفة بيروت 1406
[2] الجوهر النقي – المارديني ج 6ص 310
[3] المحلى – ابن حزم ـ ج 7 ص 338

وبخصوص ملك معاوية وابنه،يصرّ عبد الله بن عمروبن العاص على محاولة الحطّ من شأن عليّ بن أبي طالب وسيدي شباب أهل الجنة؛ففي كتاب الفتن ج1ص110:حدّثنا ابن علية [..] عن عقبة بن أوس السّدوسيّ قال قال عبد الله بن عمروأبو بكرالصديق أصبتم اسمه عمرالفاروق قرن من حديد أصبتم اسمه ابن عفان ذوالنورقُتل مظلوما أوتي كفلين من الرّحمة،ملكُ الأرض المقدّسة مُعاويَة وابنه قالوا ألا تذكر حَسناً ألا تذكر حُسيناً قال فعاد لمثل كلامه حتى بلغ مُعاويَة وابنَه وزادَ السّفّاح وسلام ومنصوروجابر والأمين وأمير العصب كلّهم لا يرى مثله ولا يدرك مثله كلّهم من بني كعب بن لؤي فيهم رجل من قحطان منهم من لا يكون إلا يومين منهم من يقال له لتبايعنا أو لنقتلنك فإن لم يبايعهم قتلوه(اهـ).وأنت ترى كيف استنكر السّامعون واعترضوا كلامه قائلين:ألا تذْكُرحسناً ألا تذْكُر حُسيْناً؟!إنّهم لم يقولوا له ألا تذكرعليّاً،لأنّ ذكْرَعليّ عليه السلام قضيّة تمسّ أمْن الدّولة،لكنّهم سألوه عن حسن وحسين سيّدي شباب أهل الجنّة وعادَ لمثل كلامه! ولا عَجب من ذلك إذا عُلم أنّ الرّجل حارب عليّاً عليه السلام في صفّين،وأقرّه معاوية على ما كان تحْت يَد أبيه من حُطام الدّنيا،وقد كان مُعاويَة يشترط على الذين ينصّبهم في المناصب المرموقة أن يسبّوا عليّاً ويشتمُوه ويلعنُوه على المنابرويُقْصُوا محبّيه ويُقرّبوا أعداءه، ولم يرفض عبدُ الله بن عمروبن العاص هذه الشّروط الآثمةَ ولا استعْفَى من منْصبه،بل بقي على ولائه لمُعاويَة المستلزم معاداته لعليّ وأهل بيته عليهم السّلام . وفي كتاب الفتن ج1ص125 : حدّثنا ابن علية [..] عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال بعد عمرابن عفّان ثمّ مُعاويَة وابنه (اهـ).قلتُ: إن يكن الحديث على جهة الإخبار فهو بمنزلة تحصيل الحاصل بعد أن ذكرالنّبيّ صلى الله عليه وآله فتنة بني أُميّة وما يجْنُونه في حقّ أهل بيته عليهم السّلام.وإن يكُن الحديثُ مقصوداً منه

إضفاءُ الشّرعيّة على حكم بني أُميّة فجوابه " ضَعُفَ الطالبُ والمطلوبُ "،لأنّ الشّرعيّة لا تكُون بكلام شخْص أو رأيه.وقد كان عبد الله بن عمرو بن العاص هذا مُلازماً لكَعْب الأحْبار اليهوديّ،أخذ عنه كثيراً من الضّلالات،وكانَ كثيرٌ من النّاس يتجنّبُون الرّوايَةَ عنْه لأجْل ذَلك.على أنّ عبد الله بن عمرومات بعد وفاة كلّ من معاوية وابنه يزيد[1]،ولا مانع أيضاً أن يكون مطّلعا على مؤامرة اغتيال عمر فإنّه من تلاميذ كعب الأحبار الذي تنبّأ بقتل عمر بعد ثلاث لاأكثر ولا أقلّ، وزعم أنّ اغتيال عمر موجود في التوراة!!

[1] قال ابن حجر في الإصابة ج 4 ص 167 : " قال الواقديّ ماتَ [عبد الله بن عمرو] بالشّام سنةَ خمْس وستّين وهو يومئذ ابنُ اثْنتيْن وسبْعين وقال ابن البرقيّ وقيل مات بمكّة وقيل بالطائف وقيل بمصْر ودُفن في داره قاله يحيى بن بكير وحكى البخاريّ قولاً آخرَ أنّه مات سنةَ تسْع وستّين وبالأوّل جزم ابن يونس وقال ابنُ أبي عاصم مات بمكّة وهو ابن اثنتين وسبعين وقيل مات سنة ثمان وستين وقيل تسع وستين " اهـ

الفصل العاشر

عقائد معاوية

عقائد معاوية :

1- عقيدة مُعاويَة في الإسراء والمعراج :

قال ابن كثير [1]: وقد حكى ابن إسحاق فقال حدّثني بعض آل أبي بكر عن عائشة أمّ المؤمنين أنها كانت تقول:ما فُقد جسدُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم ولكنّ الله أسرى بروحه.قال:وحدّثني يعقوب بن عتبة : أنّ مُعاويَة كان إذا سُئل عن مسرى النّبيّ صلى الله عليه وسلم قال:كانت رُؤيا من الله صادقة.قال ابن إسحاق:فلم يُنكَر ذلك من قولهما لقول الحسن إن هذه الآية نزلت في ذلك(وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس)وكما قال إبراهيم عليه السلام:(يا بنيّ إنّي أرى في المنام أنّي أذبحك) وفي الحديث:" تنام عيناي وقلبي يقظان " قال ابن إسحاق:فالله أعلم أيّ ذلك كان قد جاءه،وعاين فيه ما عاين ، من أمر الله تعالى،على أيّ حالة كان نائماً أو يقظان كل ذلك حقّ وصدق.قلت:وقد توقّف ابن إسحاق في ذلك وجوّز كلاً من الأمرين من حديث الجملة،ولكنّ الذي لا يشكّ فيه ولا يتمارى أنّه كان يقظان لا محالة لما تقدّم وليس مقتضى كلام عائشة رضي الله عنها أنّ جسده صلى الله عليه وسلم ما فُقد وإنّما كان الإسراء بروحه أن يكون مناماً كما فهمه ابن إسحاق،بل قد يكون وقع الإسراء بروحه حقيقةً وهو يقظان لا نائم وركب البراق وجاء بيت المقدس وصعد السماوات وعاين ما عاين حقيقةً ويقظة لا مناما.لعلّ هذا مراد عائشة أمّ المؤمنين رضي الله عنها،ومراد

[1] البداية والنهاية ابن كثير ج3 ص 141

من تابعها على ذلك.لا ما فهمه ابنُ إسحاق من أنّهم أرادوا بذلك المنام والله أعلم .اهـ

وقد ذكر ابن كثير بعد ذلك أقوال من أرادوا الجمع بين الرّوايات المختلفة التي لا تُناسب ما جاء في الآية الشريفة.كل ذلك ليصوّب كلام مُعاويَة كما هي عادتُه وعادةُ غيره من الشاميّين أمثال أستاذه ابن تَيْميَّة ونظيره ابن قيّم الجوزية والذّهبيّ وابن حجر وغيرهم.على أنّ القرآن الكريم يذكر عبارة عبْده ويقصد بها العبد لا روح العبد كما يدعي معاوية،فمن ذلك قولُه تعالى في سورة الكهف:" فوجدا عبدا من عبادنا..." فإنّهما وجدا العبدَ لحماً ودماً وعظماً ولم يَجدا روحَه في المنام! ومنه أيضاً قوله تعالى: " وإنّه لمّا قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدا..." فقد قام بتمام نفسه روحاً وبَدَناً يدعو الله تعالى ولم يكن ذلك في المنام!

وأورد القُرْطبيّ أيضا ذلك في تفْسيره ج10 ص209 وقال بعده:" وقد اعترض قول عائشة ومُعاويَة إنّما أسري بنفس النّبيّ صلى الله عليه وسلم بأنّها كانت صغيرة لم تشهدْ ولاحدّثت عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم. وأما مُعاويَة فكان كافراً في ذلك غير مستشهد للحال ولم يحدّث عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم ومن أراد الزّيادة على ما ذكرنا فليقف على كتاب الشّفاء للقاضي عياض يجد من ذلك الشّفاء. اهـ

وقال الطّبريّ في تفْسيره (ج15 ص 16): وقال آخرون بل أسري بروحه ولم يُسر بجسده.ذكر من قال ذلك حدّثنا ابن حميد [..]أنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان كان إذا سُئل عن مَسْرى النّبيّ قال كانت رؤيا من الله صادقة.اهـ

وجمهور المسلمين على أنّ الإسراء كان بالجسد والرّوح لا كما يدّعي معاوية[1]، وبَعيدٌ أن يكون معاوية قال برأيه هذا في حياةالإمام عليّ **عليه السلام** والسابقين من المهاجرين والأنصار،وإنّما يكون قاله في زمن دولته بعد استبعاد الصالحين وتقريب الوضّاعين.

***

2- عقيدة معاوية في النّبيّ (صلى الله عليه و آله):

قال ابن أبي الحديد[2]:وروى الزّبير بن بكّار في" الموفّقيّات " ـ وهو غير متّهَم على مُعاويَة،ولا منسُوب إلى اعتقاد الشّيعة،لما هو معلوم من حاله من مجانبة عليّ عليه السلام،والانحراف عنه- :قال المطرف بن المغيرة بن شعبة دخلتُ مع أبي على مُعاويَة،فكان أبي يأتيه،فيتحدّث معه،ثمّ ينصرف إليّ فيذكر معاوية وعقله،ويعجب بما يرى منه،إذ جاء ذاتَ ليلة فأمسك عن العشاء،ورأيتُه مغتمّاً فانتظرتُه ساعةً،وظننت أنّه لأمْرحدثَ فينا،فقلتُ:مالى أراك مغتمّاً منذ الليْلة ؟ فقال:يا بنيّ،جئتُ من عنْد أكْفرالنّاس وأخبثهم،قلتُ وما ذاك ؟ قال:قلتُ له وقد خلوْتُ به:إنّك قد بلغتَ سنّاً يا أمير المؤمنين،فلوْ أظهرتَ عدلاً،وبسطتَ خيراً فإنّك قد كبرتَ،ولوْ نظرتَ إلى إخْوتك من بنى

---

[1] قال القنوجي في " قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر " ج1ص114 : وأجمع القائلون بالأخبار والمؤمنون بالآثار أن النّبيّ أسري به ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى بنص القرآن ثم عرج به إلى السماء واحدا بعد واحد حتى إلى فوق السموات السبع وإلى سدرة المنتهى بجسده وروحه جميعا ثم عاد إلى السماء إلى مكة قبل الصبح وفيه أيضا دليل على علو الرب تعالى وكونه فوق العرش مستويا عليه كما قال سبحانه في مواضع من كتابه الرحمن على العرش استوى فمن قال إنّ الاسراء في ليلة والمعراج في أخرى فقد غلط ومن قال إنه منام وأنه لم يسر بعبده فقد كفر. اهـ وقريب منه ما جاء في شرح العقيدة الطحاوية ج1ص249 .

[2] شرح نهج البلاغة ج 5 ص 129

هاشم،فوصلتَ أرحامَهم فوالله ما عندَهم اليومَ شيءٌ تخافُه،وإنّ ذلك ممّا يبقى لك ذكْرُه وثوابُه، فقال:هيهات هيهات!أيّ ذكْر أرجُو بقاءَه!ملَكَ أخو تيْم فعدَلَ وفعلَ ما فعلَ،فما عدا أن هلكَ حتّى هلك ذكْرُه،إلاّ أن يقولَ قائل:أبوبكْر،ثمّ ملَكَ أخُوعَديّ،فاجتهدَ وشمّرَ عشْرسنين،فما عدا أن هلك حتى هلك ذكْرُه،إلاّ أن يقولَ قائل:عُمَر،وإنّ ابنَ أبى كبشة ليُصاحُ به كلَّ يوْم خمسَ مرّات:(أشهد أنّ محمّداً رسول الله)،فأيّ عمل يبقى،وأيّ ذكر يدوم بعد هذا لا أبا لك!لا والله إلاّ دفناً دفناً(اهـ).

***

3- مُعاويَة و التبرك :

في طبقات فحول الشعراء ج1ص 103:...فكساه النّبيّ [أي كسا الشاعر كعبَ بن زهير] بردةً اشتراها مُعاويَة من آل كعب بن زهير بمال كثير قد سُمّي فهي البُردة التى تلبسها الخلفاء فى العيدين .زعَم ذلك أبَان.

وفي تاريخ دمشق [1]: كان[أي مُعاويَة] يقول رحم الله عبداً دعا لي بالعافية وقد رميتُ في أحْسني وما يبدو منّي ولولا هواي في يزيد لأبصرت رشدي.ولما اعتلّ قال وددتُ أنّي لا أعمّر فوق ثلاث فقيل إلى رحمة الله ومغفرته فقال إلى ما شاء وقضى قد علم أنّي لم آلُ وما كره الله غيّر.وكان عنده قميص النّبيّ صلى الله عليه وسلم وإزاره ورداؤه وشعره فأوصاهم عند موته فقال كفّنوني في قميصه وأدرجُوني في ردائه وآزروني بإزاره واحشُوا منخريّ وشدْقيّ بشَعره وخلّوا بيني وبين رحمة أرحم الرّاحمين.كان حليماً وقُورا وليَ العمالةَ من قبَل الخلفاء عشرين سنةً واستولى على الإمارة بعد

---

[1] تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ج 59 ص 61

قتل عليّ عشرين سنة فكانت الجماعة عليه عشرين سنةً من سنة أربعين إلى سنة ستّين فلمّا نزل به الموتُ قال ليتني كنتُ رجلاً من قُريْش بذي طوى وأنّي لم أل من هذا الأمر شيئاً !اهـ

أين هذه الكلمة من قول عليّ بن أبي طالب عليه السلام " فزت وربّ الكعبة ".

***

4 ـ مُعاويَة وشهداء أحد :

قال محمد بن سعد[1]:أخبرنا شهاب بن عباد العبديّ قال أخبرنا عبد الجبّار بن ورد عن الزّبير عن جابر بن عبدالله قال لمّا أراد مُعاويَة أن يُجري عينه التي بأُحُد كتبُوا إليه إنّا لا نستطيع أن نجريَها إلاّ على قبور الشّهداء قال فكتب انبْشُوهُم! قال فرأيتُهم يُحملُون على أعناق الرّجال كأنّهم قوم نيَامٌ وأصابت المسحاةُ طرفَ رجْل حمْزة بن عبد المطلب فانْبعثتْ دماً...

وقال أيضا[2]: لما أجرى مُعاويَة كظامه نادى مُناديه بالمدينة من كان له قتيل بأُحُد فليشهدْ فخرج النّاس إلى قتلاهم فوجدُوهم رطاباً يتثنّوْن وكان قبْر سعد بن الرّبيع وخارجة بن زيد معتزلاً فتُرك وسُوّي عليه التّراب.اهـ

أقول:المعلُوم أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله هو الذي صلّى على حمزةَ ودَفَنَه،فلو كانت الأرضُ ملْكاً لآل أبي سفيان أوغيْرهم لمادفَنَه فيها.والمعلومُ أيضاً أنّ للمدفون على ما دُفن عليه حمزة سيّد الشّهداء حُرمةٌ فلا يُنْبَشُ قبرُه.ومسألة حُرمة نبش القبر محلُّ إجْماع عند الإماميّة،وأمّا ما استُثني فلا

---

[1] الطبقات الكبرى ـ محمّد بن سعد ـ ج 3 ص 11

[2] الطبقات الكبرى محمد بن سعد ج 3 ص 524

يدْخُل فيه ما أقدم عليه مُعاوية.هذا على فرض أن يكون حمزةُ واحداً من عوامّ المسلمين أما وهو شهيدٌ قُتل في سبيل الله تعالى بين يدي النّبيّ صلى الله عليه و آله فالأمرمختلفٌ؛ يقول السيّد الكلبايكاني (من علماء الإماميّة)[1]:يَحْرُمُ نبْشُ قَبْرِ الميْت المُسْلم،وإن كان طفلاً أو مجنوناً،إلاّ إذا عُلم أنّ بدَنَه قد بلَيَ وصار تُراباً.وقبورُ الشّهداء والعُلماء وأبناء الأئمة والصّلحاء يحرُم نبْشُها مُطلقاً وإنْ طال عليها الزّمن(اهـ).

نعم،لاحُرمةَ لشُهدَاء أُحُد إذا تعلّق الأمْربعيْن يُجريها مُعاويَة،مع أنّه بإمكانه أن يجري العيون في غيرأُحُد؛ولا ندْري إن صحّت القصّة كيف أُعيد دفْنُ الشّهداء،وهل أعيدُوا إلى أماكنهم أم تغيّر مكان دفنهم.ولئن كانت هند(أمّ معاوية) قد بقرتْ بطنَ حمزة ولاكت كبده ثم لفظتها،فإنّ معاوية قد سارعلى دربها،واستخرجه من قبره الشريف،ظلماً وعلوّاً،وأسال الدم من جسده الشريف؛ولا ندري بالضبط ما الذي حدث بعد ذلك.

***

5- مُعاويَة و هجاء الأنصار :

قال ابن سلام الجمحي[2]:قال أبو يحيى أرسل إليه يزيد [أي إلى الأخطل]أن اهْجُهُم فقال كيف أصنع بمكانهم أخافهم على نفسي قال لك ذمّة أميرالمؤمنين وذمّتي فذلك حين يقول:ذهبت قُرَيْش بالسّماحة والنّدى.. واللؤمُ تحْت عمائم الأنصار.فجاء النّعمان بن بشير الأنصاريّ إلى مُعاويَة فقال يا

---

[1] مختصرالأحكام- السيد الگلپايگاني ص 44 ،وانظر تحرير الوسيلة للسيد الخميني ج1ص93 وكتاب الطهارة للسيد الخوئي ج 9 ص239 والعروة الوثقى للسيد اليزدي ج1ص 449 ومستدرك العروة للسيد الحكيم ج4ص267 وهداية العباد للطف الله الصافي ج1ص 76 .

[2] طبقات فحول الشعراء ج2 ص 463

أمير المؤمنين بلغ منّا أمرٌ ما بلغ منّا مثلُه في جاهليّة ولا إسْلام قال مَن بلغ ذاك منْكم قال غلامٌ نصرانيٌ من بني تغلب قال ما حاجتك فيه؟ قال لسانُه قال ذاك لك.وكان النّعمان ذا منزلة من مُعاويَة[!] وكان مُعاويَة يقول يا معشرالأنصار تستبطئونني وما صحبني منكم إلاّ النّعمان بن بَشيروقد رأيتُم ما صنعتُ به وكان ولاّه الكوفة وأكرمه فأُخْبِرَالأخْطلُ فصارَإلى يزيد فدخل يزيد إلى أبيه فقال يا أمير المؤمنين هجَوْني وذكَرُوك فجعلتُ له ذمّتك وذمّتي على أن ردّ عنّي فقال مُعاويَة للنّعمان:لا سبيل إلى ذمّة أبي خالد.

وفي البيان والتّبيين[1]:قال أبو عبيدة قال أبو الوجيه حدّثني الفرزدق قال كنّا في ضيافة مُعاويَة بن أبي سُفْيان ومعنا كعب بن جعيل التّغلبي فقال له يزيد إنّ ابن حسان يريد عبد الرحمن قد فَضَحَنا فاهْجُ الأنصار قال أرادّي أنتَ إلى الإشراك بعد الإسْلام؟ لا أهجو قوماً نصروا رسول الله ولكنّي أدلّك على غُلام منّا نصرانيّ كأنّ لسانه لسان ثور يعني الأخطل!

قلتُ:هذا مبلغُهم من العلم، يمتنعُ كعْبُ بن جعيل من هجاء الأنصار لكنّه يدلّ يزيد بن معاوية على من يهجوهم وينسى أنّ الدّالّ على الشّرّ كفاعله.وربّ عذر أقبح من ذنب.

و فيه (ج1ص158):لمّا اجتمع الناس وقامت الخطباء لبيعة يزيد وأظهر قومٌ الكراهةَ قام رجلٌ يُقالُ لهُ يزيدُ بن المقنع فاخترط من سيفه شبْراً ثمّ قال هذا أمير المؤمنين وأشار بيده الى مُعاويَة فإن مات فهذا وأشار بيده إلى يزيد، فمن أبي فهذا وأشار بيده إلى سيفه فقال مُعاويَة أنت سيّد الخطباء.اهـ

---

[1] البيان والتّبيين للجاحظ ج1ص103

وفيه أيضاً[1]:ووفد ابن أبي محجن على مُعاويَة فقام خطيباً فأحسن فحسدَه مُعاويَة وأراد أن يُوقعَه فقال له أنت الذي أوصاك أبوك بقوله:

إذا متّ فادفنّي إلى جنب كرْمة تروّى عظامي بعد موتي عروقُها
ولا تدفننّي في الفلاة فإنّني أخاف إذا ما متّ أن لا أذوقُها

قال بل أنا الذي يقول أبي :

لا تسأل النّاس ما مالي وكثرتُه وسائل النّاسَ ما جُودي وما خُلُقي
أعطي الحسامَ غداةَ الرّوع حصّتَه وعامل الرّمح أرويه من العلق
وأطعنُ الطّعنة النّجلاء عن عرض وأكتم السرّ فيه ضربةُ العُنق
ويعلمُ النّاسُ أنّي من سرَاتهم إذا سما بصرُ الرّعْديد بالفَرَق

فقال له مُعاويَة أحسنتَ والله يا ابنَ أبي محْجن وأمر له بصلَة وجائزَة(اهـ).

وفي البيان والتّبيين ج1ص131 :نظر مُعاويَة الى النخّار بن أوس العذريّ الخطيب النّاسب في عباءة في ناحية من مجلسه فأنكَره وأنكرَ مكانَه زرايةً منْه عليْه فقال مَن هذا فقال النّخار يا أمير المؤمنين إنّ العَباءَة لا تُكلّمك إنّما يُكلّمك مَن فيها.

وفي روضة العقلاء لابن حبّان ج1ص19:أخبرنا عمرو بن محمّد الأنصاريّ حدّثنا محمّد بن عبيد الله الجشمى حدّثنا المداينى قال قال مُعاويَة بن أبي سُفْيان لرجل من العرب عُمّر دهراً أخبرْني بأحسن شيء رأيتَه قال عقْلٌ طُلب به مروءة مع تقوى الله وطلب الآخرة(اهـ).

---

[1] المستطرف في كلّ فن مستظرف ج1ص131

ولا شكّ أنّ مُعاويَة فهمَ فحوى الخطاب، فإنّ العقل شيء والشّيطَنة شيء آخر.

***

6 ـ مُعاويَة وإبطال الحدود:

قال ابن كثير[1]:وقال القاضي الماورديّ في الأحكام السّلطانيّة:وحُكي أنّ مُعاويَة أُتي بلصوص فقطعَهم حتّى بقي واحد من بينهم،فقال :

يميني أميرَ المؤمنين أُعيذُها * بعفْوك أن تلْقى مكانا يَشينُها

يدي كانت الحسناءَ لو تمّ سترُها * ولا تعدمُ الحسناءُ عيباً يشينُها

فلا خير في الدّنْيا وكانت حبيبةً * إذا ما شمالي فارقتها يمينُها

فقال مُعاويَة: كيف أصنع بك ؟ قد قطعنا أصحابَك ؟ فقالت أمّ السارق : يا أمير المؤمنين ! اجعلْها في ذُنُوبك التي تتوب منها . فخلّى سبيلَه ، فكان أوّلَ حدّ تُرك في الإسْلام.اهـ

أقولُ:وما جاء في آخر كلام القاضي الماوردي ليس محلَّ تسليم،فإنّ حدوداً أخرى تُركَتْ قبل ذلك على عهْد أبي بكر وعمر وعثمان،فقد تركَ أبوبكْرإقامة الحدّ على خالد بن الوليد في قضيّة مالك بن نويرة بعد أن قال عمر لخالد ما قال،وتركَ عُمرإقامة الحدّ على المغيرة بن شعبة،وترك عثمان إقامة الحدّ على عبيد الله بن عمربن الخطاب.قال ابن سعد[2]:أخبرنا محمّد بن عمر قال حدّثني محمّد بن عبد الله عن الزُهْريّ قال لمّا استُخْلفَ عُثمان دعا المهاجرين والأنصار فقال أشيروا في قتل هذا الذي فتق في الدّين ما فتق

---

[1] البداية والنهاية ـ ابن كثير ـ ج 8 ص 145

[2] الطبقات الكبرى ـ محمد بن سعد ج 5 ص17

فأجمعَ رأيُ المُهاجرين والأنْصارعلى كلمة واحدة يشجّعون عثمان على قتله وقال جلّ النّاس أبعدَ الله الهرمزان وجُفَيْنة يُريدون يُتبعون عبيد الله أباه فكثُر ذلك القول فقال عمروبن العاص يا أمير المؤمنين إنّ هذا الأمرَقدْ كانَ قبلَ أنْ يكونَ لكَ سلطانٌ على النّاس فأعْرضْ عنه فتفرّق النّاسُ عن كلام عمروبن العاص.أخبرنا محمّد بن عُمرقال فحدّثني ابن جريج أنّ عُثمان استشار المسلمين فأجمعوا على ديَتهما ولا يُقتل بهما عبيد الله بن عمر،وكانا قد أسلما وفرض لهُما عُمر وكان عليّ بن أبي طالب لما بُويع له أراد قتلَ عبيد الله بن عمر فهرب منه إلى مُعاويَة بن أبي سُفْيان فلم يزل معه فقتل بصفّين (اهـ).

وهذه القصّة قد تضمّنتْ ما تضمّنتْ إذا تجرّد المُطّلعُ عليها من التّعصّب،فإنّه يذكرُ فيها أنّ المسلمين أجمعوا على ديتهما وألا يُقتل بهما عبيد الله بن عمر فهل دخلَ عليّ بن أبي طالب في هذا الإجماع؟! أم أنّهم لا يعدّونه من المسلمين؟! وكيف يكون ذلك وابن سعد نفسه يذكر في طبقاته ما يلي[1]: أخبرنا محمّد بن عمر قال حدّثني كثير بن زيد عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب قال قال عليّ لعُبَيْد الله بن عُمَر ما ذَنْبُ بنْت أبي لُؤْلُوَةَ حين قتلْتَهَا قال فكان رأيُ عليّ حين استشاره عُثمانُ ورأيُ الأكابر من أصحاب النّبيّ على قتْله لكنّ عمرو بن العاص كلّم عثمانَ حتى تَركَهُ فكانَ عليّ يقول لو قدرتُ على عُبيد الله بن عُمَرَ ولِي سُلطانٌ لاقتصصْتُ منه(اهـ).
قلتُ:القضيّة تتعلقُ بحدّ من حدود الله وعُبيد الله بن عُمَر قد قَتَل على الظّنّ لا أكثر،وإنّ الظّنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً!وقد رَجّحَ رأيُ عمْروبْن العاص عند عثمان على مَوْقف الأكَابرمن الصّحابة لأنّ المهمَّ عنْدَه أنْ يفتتحَ عهْدَ حُكمه بعافيَةٍ ولَوْعلى حساب الحُدود الشّرعيّة.وقد أنزل اللهُ حُكمَ القصاص واختلقَ

---
[1] الطبقات الكبرى ـــ محمد بن سعد ج5ص 16

عمرُوبن العاص حُكماً من عنده،فاتّبعَهُ عثمانُ وترَكَ حكمَ الله تعالى،ومَنْ لمْ يحكمْ بما أنزل الله فأولئك هُم الفاسقون.ولا يصحُّ اجتهادٌ في حدود الله،وحتّى على فرْض شيْء من ذلك فليس عمرُوبْنُ العاص من أهل الاجتهاد. والعجيب أنّ ابن سعد يذكر في الصّفحة التي قبلها[1] يذكر ما يلي:أخبرنا محمّد بن عمر [..] عن أبي وجزة عن أبيه قال رأيت عبيد الله يومئذ وإنّه لَيُناصي عثمان وإنّ عثمان لَيقول قاتلك الله قتلت رجلاً يصلّي وصبيّةً صغيرة وآخر من ذمّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ما في الحقّ ترْكُك قال فعجبت لعثمان حين وليَ كيف تَرَكَه ولكن عرفت أنّ عمرو بن العاص كان دخل في ذلك فلَفَتَه عن رأيه.

***

7ـ مُعاويَة والصلاة :

قال الشّوكانيّ[2]:روى الشافعيّ بإسناده عن أنس بن مالك قال:صلّى مُعاويَة بالنّاس بالمدينة صلاةً جهَرَ فيها بالقراءة فلمْ يقرأْ بسم الله الرّحمن الرّحيم ولم يُكبّرْ في الخفْض والرّفْع،فلمّا فرغ ناداه المُهاجرون والأنصارُ:يا مُعاويَة نقصت الصلاة أين بسم الله الرحمن الرحيم؟وأين التكبيرإذا خفضْت ورفعْت؟ فكان إذا صلّى بهم بعدَ ذلك قرأ بسم الله الرحمن الرحيم وكبّر(اهــ).[3]

---

[1] الطبقات الكبرى ج5 ص 16

[2] نيل الأوطار ــ الشوكاني ــ ج 2 ص217

[3] وأخرجه الحاكم في المُستَدرك وقال : صحيح على شرط مسلم .

أقول:رواية الشافعيّ في كتاب المسند بإسنادين،وهُما كما يلي[1]:(1)أخبرنا إبراهيم بن محمد حدّثنى عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إسماعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه أنّ معاوية قدمَ المدينةَ فصلّى بهمْ ولم يقرأُ بسم الله الرّحمن الرّحيم ولم يُكبّرإذا خفضَ وإذا رفعَ فناداهُ المهاجرُون حينَ سلّم والأنْصارُ أي معاوية سرقت صلاتك أين بسم الله الرحمن الرحيم وأين التّكبيرإذا حفضْت وإذا رفعْت ؟ فصلّى بهم صلاة أخرى فقال ذلك فيها الذى عابوا عليه.(2)أخبرنا يحيى بن سليم عن عبد الله بن عثمان بن خثيم عن إسمعيل بن عبيد بن رفاعة عن أبيه عن معاوية والمهاجرين والأنصار مثله أو مثل معناه لا يخالفه وأحسب هذا الإسناد أحفظ من الإسناد الأوّل.

قال الشّوكانيّ [2]:وروى الطّبريّ عن أبي هُرَيْرَة أنّ أوّل مَن ترك التّكبير مُعاويَة ، وروى أبوعبيد أنّ أوّل من تركه زياد وهذه الرّوايات غير متنافية ، لأنّ زياداً تركه بترْك مُعاويَة ، وكان مُعاويَة تركَه بترْك عُثمان ، وقد حمل ذلك جماعةٌ من أهل العلم على الإخفاء ،وحكى الطّحاويّ أنّ بني أُميّة كانوا يتركون التّكبير في الخفْض دون الرّفع وما هذه بأوّل سُنّة تركوها . اهـ

قال:[باب"جهر الإمام بالتكبيرليسْمع مَن خلْفه وتبْليغ الغيْرلَه عند الحاجة][3]: عن سعيد بن الحرث قال : صلّى بنا أبُوسَعيد فجَهرَ بالتّكْبير حينَ رفعَ رأسَه من السّجود،وحين سجد،وحين رفَعَ،وحينَ قامَ من الرّكْعتَين وقال:هكذا رأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله **وسلم**.رواه البخاريّ وهو لأحمد بلفظ أبسط من هذا.الحديثُ يدلّ على مشروعيّة الجهْر بالتّكبير للانتقال،وقد كان

---

[1] كتاب المسند الإمام الشافعي ص 37 دار الكتب العلمية بيروت

[2] نيل الأوطارج 2ص 266

[3] نيل الأوطارـ الشّوكانيّ ـ ج 2ص 269

مَرْوان وسائر بني أُميّة يسرّون به[!]،ولهذا اختلف النّاس لمّا صلّى أبو سعيد هذه الصّلاة فقام على المنبر فقال:إنّي والله ما أُبالي اختلفتْ صلاتُكم أمْ لمْ تختلفْ إنّي رأيت النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم هكذا يصلّي.وقد عرفتَ ممّا سلف أنّ أوّل من ترك تكبيرالنّقْل أي الجهْر به عثمانُ،ثمّ مُعاويَة،ثمّ زياد،ثمّ سائربني أُميّة (اهـ).

قال الشّوكانيّ[1]:وقد ثبت في صحيح مسلم من رواية طارق بن شهاب عن أبي سعيد قال:أوّلُ مَن بدأ بالخُطبة يوْم العيد قبْل الصّلاة مَرْوانُ.وقيل:أوّلُ مَن فعلَ ذلكَ مُعاويَةُ،حكاهُ القاضي عياضُ وأخرجَهُ الشّافعيُّ عن ابن عبّاس بلفظ "حتى قدم مُعاويَة فقدم الخطبة ".ورواهُ عبدُ الرّزّاق عن الزّهْريّ بلفظ " أوّلُ مَن أحدثَ الخُطبةَ قبلَ الصّلاة في العيد مُعاويَةُ ".وقيل:أوّلُ مَن فعلَ ذلك زيادُ بالبصْرة في خلافة مُعاويَة،حكاه القاضي عياض أيضاً.وروى ابن المُنذرعن ابْن سيرين أنّ أوّلَ مَن فعلَ ذلك زيادُ بالبصرة قال:ولا مخالفة بين هذين الأثرين وأَثَرَيْ مَرْوان،لأنّ كلاًّ من مَرْوانَ وزياد كانَ عاملاً لمُعاويَة،فيُحمَل على أنّه ابتدأ ذلك وتبعَهُ عُمّالُه.قال العراقيّ:الصّوابُ أنّ أوّلَ مَن فعلَهُ مَرْوانُ بالمدينة في خلافة مُعاويَة،كَما ثبتَ ذلك في الصّحيحين عن أبي سعيد الخدْريّ.قال:ولم يصحّ فعلُه عن أحد من الصّحابة،لا عُمَرولا عثْمان ولا مُعاويَة ولا ابن الزّبير(انتهى).وقد عرفتَ صحّة بَعض ذلك فالمصيرُ إلى الجمْع أولى.وقد اختُلف في صحّة صلاة العيدين مع تقدّم الخُطبة،ففي مُختصرالمزَنيّ عن الشافعيّ ما يدلّ على عدم الاعتداد بها.وكذا قال النوويُّ في شرح المهذّب إنّ ظاهرَ نصّ الشافعيّ أنّه لا يعتدُّ بها قال وهو الصّواب(اهـ).

---

[1] نيل الأوطار ج3 ص 363

و في التاريخ الكبير[1]:[..]عن محمّد بن يوسف مولى عثمان بن عفّان قال سمعت أبى أنّ مُعاويَة صلّى بهم فقامَ في الرّكعتين فسبّح النّاس فأبى أن يجلسَ حتى جلسَ للتّسْليم فسجَد سجْدتيْن ثُمّ قال رأيت النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فعَلَ هذا،وقال لي ابنُ أبى مريْم أخبَرَنا يحيى بنُ أيّوب أخبرنا ابنُ عجلان سمع محمّد بن يوسف مولى عثمان عن أبيه – بهذا،وقال ابن جريج اخبرني محمّد بن يوسف عن أبيه – بهذا (اهــ). وفيه أيضاً [2]: [..] عن إياس بن ابى رملة الشامي قال سمعت مُعاويَة يسأل زيد بن أرقم:هل شهدت العيد مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم و الجمعة ؟قال نعم – صلّى العيد ثمّ أتى الجمعة (اهــ).

قال الشّوكانيّ في نيل الأوطار ج 2 ص 266 : وروى الطّبريّ عن أبي هُرَيْرَة أنّ أوّل من ترك التّكبير مُعاويَة ، وروى أبو عبيد أنّ أول من تركه زياد وهذه الرّوايات غير متنافية ، لأنّ زيادا تركه بترك مُعاويَة ، وكان مُعاويَة تركه بترك عثمان ، وقد حمل ذلك جماعة من أهل العلم على الإخفاء،وحكى الطّحاويّ أنّ بني أُميّة كانوا يتركون التّكبير في الخفض دون الرّفع ، وما هذه بأول سُنّة تركوها .

أقول : وعُثمان تَرَكَهُ بتَرْك مَن؟!

وفي اعلام الموقعين ج3ص147 :

الوجه الخمسون أنّه نهى أن توصل صلاة بصلاة الجمعة حتّى يتكلّم أو يخرج لئلا يتّخذ ذريعة إلى تغيير الفرض وأن يُزاد فيه ما ليس منه. قال السّائب بن يزيد صلّيت الجمعة في المقصورة فلما سلّم الإمام قمتُ في مقامي فصلّيت فلمّا دخل مُعاويَة أرسلَ إليّ فقال لاتعُدْ لمَا فعلتَ إذا صلّيت الجُمعة

[1] التاريخ الكبير ــ البخاري ــ ج1ص263
[2] التاريخ الكبير ــ البخاري ــ ج 1ص 438

فلا تَصلْها بصلاة حتّى تتكلّم أو تخرج فإن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أمر بذلك ألاّ تُوصل الصّلاة حتى يتكلّم أو يخرج.اهـ

أقول:إذا كان لا يجوز وَصلُ الجمعة بصلاة أخرى قبل الخروج من المسجد، ومُعاويَة نفسه يروي ذلك، فكيف سمح لنفسه هو أن يقدّمَ الجمعةَ ويصلّيَها يومَ الأربعاء والقرآن الكريم يقول "إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة " ؟!

***

8 ـ موقف مُعاويَة من السنّة:

قال ابن قيّم الجوزيّة [1]:روى ابن وهب أخبرني سُفْيان بن عيينة عن عمر بن سعيد أخي سُفْيان بن سعيد الثوري عن أبيه عن عباية قال ابن الأشرف عند مُعاويَة فقال ابن يامين كان قتلُه غدراً فقال محمّد بن مسلمة يا مُعاويَة: أيُغَدَّرُ عندك النّبيّ صلى الله عليه وسلم ولا تُنْكر،والله لا يُظلّني وإيّاك سقْفُ بيْت أبداً ولا يخلُو لي دمُ هذا إلاّ قتلته(أهـ).

وقال ابن عقيل[2]: أخرج ابن عساكر والحسن بن سُفْيان وابن مُنْدة عن محمّد بن كعب القرظيّ قال : غزا عبدالرّحمن بن سهل الأنصاريّ في زمن عثمان ومُعاويَة أمير على الشّام فمرّت به روايا خمْر ـ لمَنْ هي؟ لمُعاويَة كما يدلّ عليه السّياق وصرّح به البعض ـ تُحمل فقام إليها عبدالرّحمن برُمْحه فبقر كلّ راوية منها فناوشَه غلمانُه حتّى بلغَ شأنُه مُعاويَةَ فقال دَعُوهُ

---

[1] أحكام أهل الذمّة ـ ابن قيم الجوزية ـ ج3ص1448

[2] النّصائح الكافية- محمّد بن عقيل الشّافعيّ ـ ص 123

فإنّه شيخٌ قدْ ذهبَ عقلُه فقال كذب والله ما ذهب عقلي ولكنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله نهانا أن ندخلَه بطونَنا وأسقيتَنا وأحلفُ بالله لئنْ بقيتُ حتّى أرى في مُعاويَة ما سمعت من النّبيّ صلى الله عليه وآله لأبقرنَّ بطنَه أولأمُوتَنَّ دُونَه(اهـ)[1].

أقول:إنّ أعجبَ ما في هذا هُوأنّ مُعاويَةَ نفسَه يَرْوي في الخمْر.قال ابن القيّم [2]: في سُنن ابن ماجه أيضا عن يعلى بن شدّاد بن أوس قال: سمعت مُعاويَة يقول سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقولُ كلُّ مُسْكر حَرام على كلّ مؤمن قال ابن ماجه وهذا حديث العراقيّين .

وقال الأبشيهي[3]:ذَكَر السّلاميّ أنّ النّبيّ كان يتختّم في يمينه والخلفاء بعده فنقله مُعاويَة رضي الله تعالى عنه إلى اليسار وأخذ الأمويّة بذلك.اهـ

وفي صحيح البخاري[4]:حدّثنا أبو اليمان أخبرنا شعيب عن الزّهري قال كان محمّد بن جبير بن مطعم يحدّث أنّه بلغ معاوية وهوعنده في وفْد من قريْش أنّ عبد الله بن عمْرو بْن العاص يحدّث أنّه سيكون ملَكٌ من قَحطَان فغَضب معاوية فقام فأثْنى على الله بما هو أهْله ثمّ قال أمّا بعْد فإنّه بلغني أنّ رجالاً منْكم يتحدّثون أحاديث ليستْ في كتاب الله تعالى ولا تُؤثَر عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم فأولئك جُهّالُكم فإيّاكم والأماني التي تُضلّ أهلها فإني سمعْتُ النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول إنّ هذا الأمر في قريش لا يُعاديهم أحدٌ إلا كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين(اهـ).ولايخفى ما في هذا من تهمة معاوية

---

[1] الحديث موجود أيضاً في الإصابة ــ ابن حجر ــ ج4ص313

[2] حاشية ابن القيّم ــ ج10 ص86

[3] المستطرف ج2ص62

[4] صحيح البخاري ج3ص1289 الحديث رقم (3309) دار ابن كثير بيروت 1409 تحقيق د.مصطفى ديب البغا

للصّحابة بوضْع الأحاديث،لأنّها إذا لم تكن في كتاب الله ولا تُؤثرُ عَن النّبيّ صلى الله عليه وآله فمن أين جاءت؟أ

وعن يعلي بن أُميّة[1]: طُفتُ مع عُمر فلمّا بلغنا الرّكن الغربيّ الذي يلي الأسود جررت بيده ليستلم فقال ما شأنك فقلت ألا تستلم فقال ألم تطُف مع النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقلت بلى قال أفرأيته يستلم هذين الركنين الغربيّين قال لا قال أليس لك فيه أسوة حسنة قلت بلى قال فانفذ عنك قال وجعل مُعاويَة يستلم الأركان كلّها فقال له ابن عبّاس لمَ تستلمُ هذين الرّكنين ولم يكن النّبيّ صلى الله عليه وسلّم يستلمهما فقال مُعاويَة ليس شيء من البيت مهجورا فقال ابن عبّاس لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة فقال مُعاويَة صدقت.

وفي موطإ مالك ج 2 ص 861 :

حدّثني يحيى عن مالك ، عن يحيى بن سعيد ، أنّه سمع سعيد بن المسيّب يقول:قضى عُمر بن الخطّاب في الأضراس ببعير بعير.وقضى مُعاويَة بن أبى سفْيان في الأضراس بخمسة أبعرة ، خمسة أبعرة . قال سعيد بن المسيّب: فالدّية تنقص في قضاء عُمر بن الخطاب وتزيد في قضاء مُعاويَة. فلو كنتُ أنا لجعلت في الأضراس بعيرين بعيرين. فتلك الدّية سواء وكلّ مجتهد مأجور! (اهــ).

***

9 ــ استلحاق زياد:

ومن أعمَال مُعاويةَ التي خالفَ بها القرآنَ والسّنّةَ علانيةً،ما أقدم عليه في شأن زياد بن عُبَيد،ومات ولم يتراجع عن ذلك ولا ندم عنه. قال ابن

---

[1] اعلام الموقّعين ــ ابن قيّم الجوزيّة ــ ج2ص293

خَلْدُون[1]: ثمّ استعمل عليّ زياداً على فارس فضبطَها وكتب إليه مُعاويَة يتهدّده ويعرّض له بولادة أبى سُفْيان إيّاه فقام في النّاس فقال عجباً لمُعاويَة يخوّفني دين ابن عمّ الرّسول في المهاجرين والأنصار وكتب إليه عليّ إنّي ولّيتك وأنا أراك أهلاً وقد كان من أبي سُفْيان فلتةٌ من آمال الباطل وكذب النّفس لا توجبُ ميراثاً ولا نسباً ومُعاويَة يأتي الإنسان من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله فاحذر ثمّ احذر والسّلام (اهـ).

ولا يختلفُ اثنان في أنّ سورة الأحزاب أبْطلَت التبنّيَ،وأنّ النّبيَّ صلى الله عليه وآله قال بصريح العبارة بما لا يحتملُ التّأويل " الولد للفراش و للعاهر الحجر"، ووردتْ عنه صلى الله عليه وآله أحاديثُ بخصوص هذا الباب تقطع الطّريقَ على كل مُتأوّل مُتنطّع،فمن ذلك ما في سُنن ابن ماجه[2]:حدّثنا أبو بشر [..]عن سعيد بن جبير،عن ابن عبّاس، قال:قال النّبيّ صلّى الله عليه وسلم " من انتسب إلى غير أبيه،أو تولىّ غير موَاليه، فعليه لعنةُ الله والملائكة والنّاس أجمعين " (اهـ). وفيه أيْضا [3]: حدّثنا أبو بكر بن أبى شيبة حدثنا يزيد بن هرون أنبأنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة ،عن شهْر بن حوْشب،عن عبد الرّحمن بن غنم ، عن عمرو بن خارجة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم خطبهم وهو على راحلته.وإنّ راحلتَه لتقْصعُ بجرّتِها وإنّ لغَامَها ليسيلُ بيْن كتفيَّ ، قال " إنّ الله قسمَ لكلّ وارثٍ نصيبَه مِن الميراث،فلا يجوزُ لوارثٍ وصيّة.الولدُ للفراشِ وللعاهرِ الحجرُ . ومَن ادّعى إلى غيرِ أبِيه،أوْ تَولّى غيرَ مَواليه،فعليْه لعنةُ الله والملائكة والنّاس أجمعين.لا يُقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ " (أو قال:عدل ولا صرف) (انتهى).

---

[1] تاريخ ابن خَلْدُون ج3 ص7

[2] سنن ابن ماجة ج 2 ص 870 الحديث رقم2609 :

[3] سنن ابن ماجة ج 2 ص 905 الحديث رقم 2712

ولا يخفى أنّ ذيلَ هذا الحديث ينطبِقُ على زياد بن أبيه،وإنّما حملَه على ذلك معاوية فهُو شريكُه في اللّعْن،وهذا أمرٌ يتحاشاه المحدثون وكتّاب التّراجم والسّيَر ويتجنّبُون التّطرّقَ إليه لما يلزَمهم من ترتيب الآثار والحُكم على معاوية بمايستحقّ.

وفي سنن أبي داود [1]:

حدّثنا محمّد بن كثير،أخبرنا سفيان،عن الأعمش،عن إبراهيم التّيميّ ،عن أبيه عن عليّ رضي الله عنه قال:ما كتبنا عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم إلاّ القرآن ، وما في هذه الصّحيفة ، قال:قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم : " المدينة حرمٌ ما بين عائر إلى ثور،فمن أحدث حدثاً أوآوى مُحْدِثاً فعليهِ لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين،لا يُقبل منه عدل ولا صرْفٌ،وذمّةُ المسلمين واحدةٌ يسعى بها أدْناهُم فمن أخْفرَ مُسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين لا يُقبلُ منْه عدلٌ ولا صرْفٌ،ومن والَى قوماً بغيْرِ إذنِ مَواليه فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين لا يُقبلُ منه عدل ولا صرف "(اهــ).

وفيه سنن أبي داوود أيضاً [2]: عن أنس بن مالك،قال:سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول:(من ادّعى إلى غيرِ أبيه أوانتَمى إلى غيْرِ مَواليه فعليه لعنة الله المتتابعةُ إلى يوم القيامة) (انتهى).

وفي سنن الترمذي [3]: ...التّيمي عن أبيه قال خطبنا عليّ فقال : من زعم أنّ عندنا شيئا نقرؤه إلاّ كتاب الله وهذه الصحيفة فيها أسنان الإبل وأشياء من الجراحات فقد كذب،وقال فيها:(قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم:المدينةٌ

[1] سنن أبي داود السجستاني ج 1ص 451و452
[2] سنن أبي داوود أيضا ج 2 ص 502
[3] سنن الترمذي ج 3ص 297

حرمٌ ما بينَ عير إلى ثوْر،فمَن أحدثَ فيها حدثاً أو آوى مُحدِثاً فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين ،لا يَقبلُ اللهُ مِنْه يومَ القيامة صرفا ولاعدْلاً ،ومن ادّعى إلى غير أبيه أو تَولّى غيرَ مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين،لا يُقبل منه صرف ولا عدل ، وذمّة المسلمين واحدة يسْعى بها أدْناهُم)(انتهى).

وبعدَ هذا فَهلْ كانَ للقُرآن الكريم والحديث النّبويّ الشّريف حُرْمَةٌ عند مُعاويَة؟!

إنّ معاوية يتحدّى حكماً شرعيّاً معلوماً بالضّرورة نزل بخُصوصه قرآن يُتلى، ولا خلاف في كُفْر مَن أنْكر حُكماً معلوما بالضّرورة طائعاً غير مُكْرَه، لكن حينما يتعلّق الأمر برجُل كان الآمِرَ النّاهيَ في زمانه، تنْفتح أبوابُ التّأويل والمعاذير ويصبح مُنكرالمعلُوم من الدين بالضرورة من الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه!

قال ابن خَلْدُون [ج 3 ص 8]:

وكان عبد الله بن عامر يبغض زياداً وقال يوماً لبعض أصحابه من عبد القيس:ابن سميّة يقبّح آثاري ويعترض عمّالي لقد هممت بقسامة من قُريْش أنّ أبا سُفْيان لم يَرَ سميّة فأُخبر زيادُ بذلك فأخبرَ به مُعاويَة فأمر حاجبه أن يردّه من أقْصى الأبْواب وشكا ذلك إلى يزيد فركب معه فأدخله على مُعاويَة فلما رآه قام من مجلسه ودخل إلى بيْته فقال يزيد نقعد في انتظاره فلم يزالا حتى عدا ابن عامر فيما كان منه من القول وقال إنّي لا أتكثّر بزياد من قلّة ولا أتعزّز به من ذلّة ولكن عرفت حقّ الله فوضعتُه موضعَه فخرج ابن عامر وترضّى زياداً ورضي له مُعاويَة!!اهـ

وهذا شيء يهتزّ له ابن خَلْدُون طرباً، غير عابئ بما وراءه من انتهاك لحرمة الشّريعة واستخفاف بمبلّغها الذي لعن من ادّعى لغير أبيه.على أنّ عبد الله بن عامر ليس أوّل من ساء زياداً في نسبه المُفترَى، فإنّ يزيد بن معاوية نفسَه كان يحطّ من شأنه ويُذكّره شؤمه بمحضر أبيه ؛ فقد ذَكَر الزّمخشريّ في ربيع الأبرار أنّ زياداً قَدِمَ على معاوية بهدايا فيها سقط جوهر، فأُعجب به معاوية، فقال زياد: دوّخت لك العراق، جبيتُ لك برّها، ووجّهت إليك بحرها؛ فقال يزيد: إنْ تفعل ذلك يازياد فإنّا نقلناك من ثقيف إلى قُريش،ومن القَلَم إلى المنابر،ومن عُبيد إلى حرب بن أميّة. فقال معاوية: حسبك فداك أبوك(اهـ). قلتُ : هذا جزاءُ مَن ادّعى إلى غيْر أبيه،بلْ هذا أوّلُ آثاراللعن وإنّ الحُرّ الأبيَّ شريفَ النّفس ليُفضّل الموتَ على أن يسمعَ مثلَ ما سمع زيادُ من يزيد بمحْضَر معاوية. وما قيمةُ حرب بن أميّة حتى يفخرَ به يزيدُ وأبُوه؟إنْ هُو إلاّ أحدُ فُرُوع الشّجرة الملعُونة في القرآن لو كان زياد ممّن يفقه في الدين أو ألقى السمع وهو شهيد.

وفي الموطإ أيضاً (ج 2ص 872):

حدثني يحيى عن مالك ،أنّه بلغه أنّ مَرْوان بن الحكم كتب إلى مُعاويَة بن أبي سُفْيان يذكر أنّه أُتي بسكران قد قَتل رجلاً.فكتب إليه مُعاويَة : أن اقْتلْه به (اهـ).

أقولُ:لماذا يسألُ مَرْوان مُعاويَةَ وعندَه في المدينة سيّدا شباب أهل الجنّة أو أحدُهما إنْ كانت الواقعة بعد سنة50، وعبد الله بن عبّاس حبر الأمّة الفقيه في الدّين ؟!

قال الشّوكانيّ في نيل الأوطار ج 2ص 118 :

وعن مُعاويَة قال: قُلت لأم حبيبة : هل كان يصلّي النّبيّ **صلى الله عليه وسلم** في الثّوب الذي يجامع فيه ؟ قالت : نعم إذا لم يكن فيه أذى. رواه الخمسة إلاّ التّرمذي (اهـ).

قلتُ : لقد كان بإمْكان مُعاويَة أن يكلّفَ غيرَه ليسألَ هذا السّؤال، فإنّ الحياء يمنع الرّجلَ أن يتطرّق إلى مثل هذه العبارات مع أخْته ــ التي هي في نفس الوقت أمّه إن كان من المؤمنين ــ .لكن يبدو أنّه ليس لآل أُميّة نصيب من الحياء،والحياء من الإيمان.ولايُقال ههُنا إنّه لا حياءَ في المسائل الشرعيّة فإنّ المقصود من ذلك هو ألاّ يمنع الحياءُ الرّجل أو المرأة من السؤال لا أن يهتك ما بينه وبين أقاربه من الأدب الحشمة، والعُرف والوجدان يشهدان بذلك.

***

10 ــ مُعاويَة والحديث النّبويّ :

لمُعاويَة مع الحديث النّبويّ قصّةٌ يجهلُها كثيرٌ من أبناء المسلمين وخصوصاً منهم الذين لم يلتحقوا بالمدارس لأسباب الاستعماروغيرها.وقد ساعد على استمرار خفائها كوْنُ أئمّة المساجد لا يتطرّقون إلى ذلك من قريب أوبعيد.وقد حاولتُ هُنا أن أُثيرَ النّقطة لدى من يبحث عن الحقيقة،وعليه أن يطلبَ التّفصيل في مظانّه،وبالله التّوفيق.والأمرُ يدورُ بين اتّجاهين مُهمّيْن تفرّعتْ عنهُما كثيرٌ من المصائب التي استعْصتْ على علماء الحديث والرّجال،ولا زالت آثار ذلك إلى يومنا يستغلّها المستشرقون والمُغرضُون والعلْمانيّون ومن جمَعَهم الحقدُ على الإسْلام وإن اختلفت أهواؤهم ومبانيهم.يتجلّى الاتّجاه الأول في تبنّي الدّولة منْعَ رواية أحاديث

فضائل أهل البيت عليهم السّلام كما يتجلّى الثاني في تشجيع اختلاق أحاديث فضائل لكلّ من عادى أهل البيت النبويّ وخالفهم وأساء إليهم .قال ابن أبي الحديد [1]:وذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافيّ رحمه الله تعالى - وكان من المتحقّقين بمُوالاة عليّ عليه السلام،والمبالغين في تفضيله،وإن كان القول بالتّفضيل عامّاً شائعاً في البغداديّين من أصحابنا كافّة،إلاّ أنّ أبا جعفر أشدُّهم في ذلك قولاً،وأخلصُهم فيه اعتقاداً - أنّ معاوية وضعَ قوماً من الصّحابة وقوماً من التّابعين على رواية أخبار قبيحة في عليّ عليه السلام،تقتضي الطّعن فيه والبراءةَ منه،وجعل لهم على ذلك جعْلاً يُرغب في مثْله، فاختلقوا ما أرضاه،منهم أبوهُريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ، ومن التّابعين عروة بن الزّبير(اهـ).

وبعدَ أنْ أحكمَ معاويةُ ما يُريد، وضمنَ أحاديثَ من رُواتها أبوهريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة،راح يَحُوط إنجازَه بما يُوحي للبُسطاء بتشدُّده في مسألة الحديث ، ويُصوّرُه بمنْزلة الحَريص على حديث النّبيّ صلى الله عليه و آله من الزيادة والنقصان! أورد الذّهبيّ ما يلي[2]:[..] ابن علية عن رجاء بن أبي سلمة قال بلغني أنّ مُعاويَة كان يقول عليكم من الحديث بما كان في عهد عُمر فإنّه كان قد أخاف النّاس في الحديث عن النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم (اهـ).

ولوأنّ معاويةَ قال"عليكم من الحديث بما كان في عهد النبيّ صلى الله عليه و آله" لصدّقه كل من يبلغُ سمعَه هذا الكلامُ،لكنْ قد صرّح عُمَر نفسُه في حديث المتْعتيْن أنّ عهدَه غيرُ عهد النّبيّ صلى الله عليه وآله ،فقد قال "متعتان كانتا على

---

[1] شرح نهج البلاغة - ابن أبي الحديد ـــ ج 4 ص 63

[2] تذكرة الحفاظ ـــ الذهبي ـــ ج 1 ص7

عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وأنا أنهى عنهما وأعاقبُ عليْهما "[1]،فإمّا أن تكون الأحاديث زادتْ عمّا كانت عليه زمان النّبيّ صلى الله عليه وآله وإمّا أن تكون قد نقصتْ وفي كلْتَا الحالتيْن بلاءٌ عظيمٌ.أمّا القول أنّها لم تزدْ ولمْ تنقُصْ فمدفوعٌ بأحاديثَ صحيحة ووقائعَ تاريخيّة لا يدفعها إلاّ مكابر. والمقصودُ في هذا البحْث المخْتَصَرِ الإشارةُ إلى ذلك لا التّفصيلُ فيه.فإذا كان الصّحابة جميعُهم عُدولاً فلماذا يخصُّ عهْد عُمر دُون غيره؟![2] وكيف صار عهد عُمر مُقدّماً على عهد النبيّ صلى الله عليه وآله ؟!

***

11- مُعاويَة والغدر:

قال محمد بن الحسن الشيباني في كتاب السّير[3]: ودلّ على هذا قولُه تعالى { وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتّى يسمع كلام الله ثمّ أبلغه مأمنه }. واستُدلّ عليه بحديث مُعاويَة ، فإنّه كان بينه وبين الرّوم عهد فكان يُشيرنحْوَ بلادهم كأنّه يقول:حتّى نفيَ بالعهْد ثُمّ نغيرُعليهم.يعنى أنّ العهد كان إلى مدّة،ففي آخرالمُدّة سارَ إليهم ليَقرُبَ منْهم حتّى يُغيرَ عليهم مع انْقضاء

---

[1] الحديث في السنن الكبرى للبيهقي ج7ص206 ومسند أحمد ج1ص52وعلل الدارقطني ج2ص156 وميزان الاعتدال ج3ص552.

[2] قال جابر فيما رواه مسلم في صحيحه ج 4 ص 38: تمتعنا مع النّبيّ صلى الله عليه وسلم فلما قام عمر قال ان الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء وان القرآن قد نزل منازله فأتموا الحج والعمرة لله كما امركم الله وابتوا نكاح هذه النساء فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى اجل الا رجمته بالحجارة *والعبارة المسطّر تحتها تتضمن أمراً خطيرا، لأنها تعارض حديث " حلال محمد حلال إلىيوم القيامة.." ولأنّ الله تعالى كان يحلّ لرسوله ولمن يأتمّ به.

[3] السيَر الكبير محمد بن الحسن ج 1ص 265

المُدّة.قال: وإذا شيخٌ يقول:الله أكبر! وَفَاء لا غدْر، وفاء لا غدْر . وكان هذا الشّيخ عَمرو بن عنبسة السّلَميّ.تبيّن له بما قال أنّ في صنعه معنى الغدْر،لأنّهم لا يعلمون أنّه يدْنو منْهم يُريد غارتهم وإنّما يظنّون أنّه يدْنو منهم للأمان.فقال مُعاويَة:ما قولك وفاء لا غدْر؟ قال سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول:أيُّما رجُل بيْنه وبيْن قوْم عهْد فلا يحلّنّ عقْدة ولا يشدّها حتّى يمْضي أمَدها وينْبذ إليهم على سواء (اهــ).

قال الشّيبانيّ [1]: وقد حُكيَ أنّ مثلَ هذه الحادثة وقعَ في زمن مُعاويَة.وكان الذي يسعى في طلب الأمان للجماعة قد آذى المسلمين. فقال مُعاويَة رضي الله عنه:اللّهمّ أغفلْه عن نفْسه.فطلب الأمانَ لقوْمه وأهْله ولم يذكر نفسه بشيء.فأُخذ وقُتل.ثمّ الإنسان في مثْل هذه الحالة قد يسْعى في استنْقاذ أهْله منْ غيْر أن يقصُدَ نفسَه بذلك[!] إمّا لانقطَاع طمَعه بأنّه لا يؤمن إن طلبَ ذلك لنفسه،أو لأنّه ملَّ من نفسه لفرْط الضّجَر. فباعتبار المقصود الدّليلُ مشترك،وباعتبار اللّفظ لا ذكْرَ لهُ (اهــ).هذا كلامُ الفقيهِ الكبيرِ صاحبِ أبي حنيفةَ،وقد كنتُ أودُّ ألاّ أعلّقَ هُنا بشيْء وأنْ أدعَ الأمرَ للقارئ يحكُمُ بما يراهُ فالقضيّةُ فقهيّةٌ بالدّرجة الأُولى،ومذاهبُ الفقهِ مُتشعّبة؛لكنّ ضميري لم يُطاوعْني في غضّ الطرْف عن الحيلَة التي يمارسُها الشّيْبانيّ وأضرابُه باسْم الإسْلام منْ أجْل تبْريرعمَل مُعاويةَ وأمثاله؛ فهل يُعقَل أنْ يَسْعَى رَجُلٌ في فَكَاكِ أهْله وَقَوْمِه وَلاَ يَعْنِي بذلك نفْسَهُ مَعَهُمْ؟ونَحْنُ نرَى في زَمَاننا هذا مُفَوَّضين وسُفَرَاء ومُمَثّلين يَدْخُلُون في مُفَاوضات تخُصُّ شُعوبَهم ولَوْ ذكَّرَ أحدُهُم بُوُجوب دُخوله في ما يَتَفَاوَضُون في شأْنه لاسْتَهْجَنَه العُقلاءُ ونَسَبُوهُ إلى الحَمَاقَة. فهل كان النّبيّ **صلى الله عليه وآله** يُمضي قولَ الشّيبانيّ

[1] السير الكبير ــ محمد بن الحسن الشيباني ج 1 ص 326

هذا يُصوّبُ ما أقدمَ عليْه مُعاويةُ؟ أيسوغُ في عقْل مَن يَخافُ اللهَ تعالى أنْ يُبنَى الفقْهُ على الحيلَة والمكْر ليتلقّفَ المُستشرقُون والعلْمانيُّونَ نتائج ذلك ويحتجُّوا بها على المسلمين؟!

نعمْ،حينما يحكُم الطُّلَقَاء باسْم الأنبياء تُستباحُ الدّماءُ المعصُومةُ وتُنتهَكُ الحُرُماتُ وتُضيَّعُ الحقوقُ،وليسَ الرّوميُّ السّاعي في الأمان لقوْمه في القصّة السّابقة أعظمَ حُرمةً منْ حجْر بْن عديّ وعمْرو بْن الحمق ومحمّد بن أبي بكْر ومحمّد بن أبي حذيفة، وقد غدَرَ بهم معاويةُ جميعاً ولمْ يَرقُبْ فيهم إلاًّ ولا ذمّةً.إنّ مثل هذه الأعمال تؤكّد ــ في نظري ــ صحّة ما ذهب إليه الحمانيّ الكُوفيّ يحْي بنُ عبْد الحميد منْ أنّ مُعاوية " ماتَ على غيْر ملّة الإسلام ".

وقال ابن حجر العسقلاني[1]:

ثمّ كان من مسير مُعاويَة بن أبي سُفْيان إلى مصْر لّما أراد المسير إلى صفّين فرأى ألاّ يتركَ أهْلَ مصْر مع ابن أبي حُذيفة خلفَه فسارَ إليهم في عسْكر كثيف فخرجَ إليهم ابنُ أبي حُذيفة في أهل مصْر فمنعُوه منْ دُخول الفُسطاط فأرْسل إليهم إنّا لا نُريدُ قتالَ أَحَد وإنّما نطلبُ قَتَلَةَ عُثمان فدار الكلامُ بينهم في المُوادعَة واستخلفَ ابنُ أبي حُذيفة على مصْر الحَكَم بنَ الصّلت بن مخرمة بن المطلب بن عبد مناف وخرجَ مع جماعَة منهم عبدُ الرّحمن بن عديس[2]وكنانَة بن بشْر وأبو شمربن أبرهة بن الصّباح فلمّا بلغوا به غدر بهم عسكرُ مُعاويَة وسجَنُوهُم إلى أن قُتلوا بعد ذلك(اهــ). قال بعده: قال أبوأحمد الحاكم خدعَ مُعاويَة محمّدَ بن أبي حذيفة حتى خرج إلى العريش

---

[1] الإصابة ــ ابن حجر العسقلاني ــ ج 6 ص 10

[2] عبد الرحمن بن عديس البلوي صحابي ممن بايع تحت الشجرة.

في ثلاثين نفسا فحاصره ونصب عليه المنجنيق حتى نزل على صلح فحُبس ثمّ قُتل(اهـ).

قلتُ:يدخُلُ في الغدْرنكْثُ العُهود وجُحودُها،وقد ثبت أنّ معاوية قال في الكوفة بعد صلح الحسن "كلّ شرْط شرطتُه للحَسن فتحْتَ قَدَميّ هاتين".وقد قال النبي صلى الله عليه وآله [1]:"من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مَاتَ ميتةً جاهليّةً ومن قاتلَ تحتَ راية عمية يغضب لعصبة أويدْعو إلى عصبة أو ينصرعصبة فقُتل فقتْلةٌ جاهليلة،ومن خرج على أمّتى يضرب برَّها وفاجرَها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذى عهْد عهدَه فليْس منّى ولستُ منه "(اهـ).وقد فعلَها معاويةُ جميعاً، فقاتلَ بغير حقّ إمامَ الأُمّة وغدرَبكَثيرٍ من الصّحابة والتابعين،وأثارالعصبيّة بين العدنانية والقحطانية وأشعل نيران الفتنة بشتّى الوسائل لا يستثني من ذلك شعرَ الشّعراء ووضعَ الأحاديث.فينطبق عليه قوله صلى الله عليه و آله " فليس منّي ولست منه ".

---

[1] صحيح مسلم – ج 6 ص 21/20 حدثنا شيبان بن فروخ حدثنا جرير (يعنى ابن حازم) حدثنا غيلان ابن جرير عن ابى قيس بن رياح عن ابى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : من خرج....الحديث

الفصل الحادي عشر

المدافعون عن معاوية

المدافعون عن معاوية :

1- ابن خَلْدُون [1]

قال ابن خَلْدُون في تاريخه[2]:

" فإيّاك أن تظنّ بمُعاويَة رضي الله عنه أنّه علمَ ذلك من يزيد فإنّه أعدلُ من ذلك وأفضلُ،بل كان يعذلُه أيّام حياته في سمَاع الغناء وينْهاهُ عنْه وهُو أقلّ من ذلك،وكانت مذاهبهم فيه مختلفة،ولمّا حدثَ في يزيد ما حدثَ من الفسْق اختلفَ الصّحابةُ حينئذ في شأْنه،فمنْهم من رأى الخروجَ عليْه ونقضَ بيْعَته

[1] قال العقاد: [...فالدولة الأموية في الأندلس أنشأت للشرق الإسلاميّ تاريخا لم يكتبه مؤرخوه ولا يكتبونه على هذا النحو لو أنهم كتبوه،وجاءت تلك الدولة الأندلسية بمؤرخين من الأعلام ينصبون الميزان راجحا لكل سيرة أموية لا يقصدونها بالمحاباة ولكنهم لا يستطيعون أن يقصدوها بالنقد والملامة لأنهم مصروفون بهواهم عن هذا الطريق. من هؤلاء اناس في طبقة ابن خَلْدُونن يضع معاوية في ميزانه فيكاد يحسبه بقية الخلفاء الراشدين ويتمحل المعاذير له في إسناد ولاية العهد إليه مع فسوقه وخلل سياسته وكراهة الناس لحكمه حتى من أبناء قومه.ولا يهولن قارئ التاريخ اسم ابن خَلْدُون فيذكره وينسى الحقائق البديهية التي لا تكلفه اكثر من نظرة مستقيمة إلى الواقع الميسر لكل ناظر في تواريخ الخلفاء الراشدين وتاريخ معاوية.فما في وسع ابن خَلْدُون ان يخرج من هذه التواريخ بمشابهة بعيدة تجمع بين معاوية والصدّيق والفاروق وعثمان وعلي في مسلك من مسالك الدين أو الدنيا وفي حالة من أحوال الحكم أو المعيشة، وإنه لفي وسع كل قارئ أن يجد المشابهات الكثيرة التي تجمع بين معاوية ومروان وعبد الملك وسليمان وهشام، فلا يفترقون إلا بالدرجة والمقدار،أو بالتقديم والتأخير.وإذا كان هذا شأن ابن خَلْدُون ، فقل ما شئت في سائر المؤرخين وسائر المستمعين للتواريخ، من مشارقة شهدوا زمان الدولة ومشارقة لم يشهدوه، ومن مغاربة عاشوا في ظل تلك الدولة، وتعلقت أقدارهم بأقدارها،وأيقنوا أنهم لا ينقصون منها شيئا ثم يستطيعون تعويضه من الأندلس بما يغنيهم عنه، وما زال العهد بالمنبت عن أرومته أن يلصق بها أشدّ من لصوق القائمين عليها.] موسوعة أعمال عباس محمود العقاد/المجلد الرابع ص325_326/دار الكتاب اللبناني

[2] تاريخ ابن خَلْدُون ج1ص212

منْ أجْل ذلك، كما فعل الحُسين وعبدُ الله بن الزّبير رضي الله عنهما ومن اتّبعهما في ذلك،ومنْهم مَن أباهُ لما فيه من إثارة الفتْنة وكثْرة القتْل معَ العجْز عن الوفاء به،لأنَّ شوكةَ يزيد يومئذ هي عصابَة بني أُميّةَ وجمْهُور أهْل الحلّ والعقد من قُريْش وتتبع عصبيّة مضر أجْمَع،وهي أعظمُ منْ كلّ شوْكة ولا تُطاقُ مُقاومَتُهم،فأقصروا عن يزيد بسبَب ذلك وأقامُوا على الدُّعاء بهدايَته والرّاحة منْه،وهذا كان شأن جمْهُور المُسلمين.والكلّ مُجتهدون ولا يُنكَر على أحَد منَ الفريقيْن،فمَقَاصدُهم في البرّ وتَحَرّي الحقّ معرُوفَة ،وفّقنا الله للاقتداء بهم.(اهـ).

وقد استجيبتْ دعوةُ ابْن خَلْدُون ووُفّق للاقتداء بمُعاويَة ويزيد فماتَ يبْغضُ أهلَ البيت عليهم السلام ويعظّمُ بني أُميّة ويترضّى عمّن لَعَنَهُ النّبيّ صلى الله عليه وآله ويبغضُ مَن يحبّه رسول الله صلى الله عليه وآله فهنيئاً لهُ مَا اخْتار! ويبدُو لي مُهمّاً أن تُقَدَّمَ نُبذةٌ عن حياة وشخصيّة ابْن خَلْدُون قبْل مُناقشَة كلامه ومَوَاقفِه حتّى لا يَكُونَ في الحديثِ عنْه غُبْنٌ لَهُ،وللقارئ الكريم أن يدقّق في التّناسب بين الشّخصيّة والمَواقف ليُحدّدَ مَدى توافُق ذلك أ استبعاده . قال الشّوكانيّ [1]:

عبد الرّحمن بن محمّد بن محمّد بن محمّد بن الحسن بن محمّد بن جابر بن محمّد بن ابراهيم بن محمّد بن عبد الرحيم وليّ الدّين الإشبيليّ الأصل التّونسيّ ثُمّ القاهريّ المالكيّ المعروف بابن خَلْدُون.وُلد في أوّل رمضان سنة 732اثنتين وثلاثين وسبعمائة بتُونس وحفظَ القرآنَ والشاطبيّتيْن ومُختصرَ ابنِ الحاجبِ الفرعيّ والتّسْهيل في النّحو وتفقّه بجماعَة من أهْل بَلَده وسمعَ الحديثَ هُنالك وقرأ فى كثير من الفُنون ومهر فى جميع ذلك لاسيما الأدب

[1] البدر الطالع الشّوكانيّ ـ ج1ص337

وفنّ الكتابة .ثمّ توجّه فى سنة 753 إلى فاس فوقع بين يدي سلطانها ثمّ امتُحن واعتُقل نحو عامين ثمّ وليَ كتابة السرّ وكذا النّظر فى المظالم ثمّ دخل الأندلسَ فقدمَ غرناطةَ فى أوائل ربيع الأوّل سنة764 وتلقّاه سُلطانُها ابنُ الأحمرعنْد قُدومه ونظمَه في أهْل مجْلسِه وكانَ رسولَه إلى عظيم الفرنْج بإشبيلية فقام بالأمر الذى نُدب إليه ثمّ توجّه في سنة766الى بجاية ففوّض إليه صاحبُها تدبيرَ مملكته مدّة ثمّ استأذن في الحجّ فأذن له فقدم الدّيار المصريّة فى ذي القعدة سنة784 فحجّ ثم عاد الى مصر فتلقّاه أهلُها وأكرمُوه وأكثرُوا من مُلازَمته والتودّد إليه وتصدّرَ للإقْراء في الجامع الأزْهر مُدّةً ثم قرّرهُ الظّاهر برقوق فى قضاء المالكيّة بالدّيار المصريّة في جمادى الآخرة سنة786 وفتكَ بكثير من الموقعين وصار يعزّر بالصّفْع ويُسمّيه الزّجّ فإذا غضب على إنسان قال زجّوه فيُصنَفع حتّى تحمرَّ رقبتُه! وعُزل ثُمّ أُعيد وتكرّرَ له ذلك حتّى مات قاضياً فجأةً في يوم الأربعاء لأربع بقين من رمضان سنة808 ثمان وثمان مائة ودُفن بمقابر الصّوفية خارج باب النّصر. ودخل مع العسْكر في أيّام انفصاله عن القضاء لقتال تيمور فقُدّر اجتماعه به وخادعه وخلص منه بعد أن أكرمه وزوّده.قال بعض من ترجمه إنّه كان في بعض ولاياته يُكثر من سماع المُطْربَات ومُعاشَرة الأحداث[!] وقال آخر كان فصيحاً مفوّهاً جميل الصُّورة حسنَ العِشْرة إذا كان معزُولاً فأمّا إذا وليَ فلا يُعاشَر بل ينْبَغي أن لا يُرى؛وقال ابنُ الخطيب إنّه رجلٌ فاضلٌ جمُّ الفَضائل رفيعُ القدْر أصيلُ المَجْد وَقُورُ المجْلس عالى الهمَّة قويُّ الجأْش مُتقدّمٌ فى فنون عقْليّة ونقْليّة مُتعدّدُ المَزايا شديدُ البحْث كثيرُ الحفْظ صحيحُ التَّصوُّر بارعُ الخطّ حسنُ العِشْرة وأثْنى عليه المَقْريزيّ وكان الحافظُ أبو الحسن الهيثميُّ يُبالغُ فى الغَضّ منْه قال الحافظُ ابنُ حَجر فلمّا سألْتُه عن سبَب ذلك ذكرَ لي أنّه بلغَه أنّه قال فى الحسين السّبط رضي الله عنه إنّه قُتلَ بسيْف جدّه ثُمّ

أردفَ ذلكَ بلعْن ابْن خَلْدُون وسبّه وهُو يبْكي. قال ابنُ حجَر لمْ تُوجَد هذه الكلمةُ فى التّاريخ الموجُود الآن وكأنّه كان ذكَرها في النّسْخة التى رجعَ عنْها قال والعجبُ أنّ صاحبَنا المقريزيَّ كان يُفرطُ فى تعْظيم ابْن خَلْدُون لكوْنه كان يجْزمُ بصحّة نسَب بني عُبيد الذين كانوا خلفاءَ بمصْر ويُخالف غيرَهُ في ذلك ويدفعُ ما نُقلَ عن الأئمّة منَ الطّعْن في نَسَبهم ويقول إنّما كتبوا ذلك المحْضرَ مُراعاةً للخليفة العبّاسيّ وكان المقريزيُّ ينْتمي إلى الفاطميين كما سبق فأحبّ ابنَ خَلْدُون لكوْنه أثْبتَ نسبَهم وجهلَ مُرادَ ابْن خَلْدُون فإنّه كان لانْحرافِه عن العلويَّة يُثْبتُ نسبَة العُبيديّين إليهم لما اشْتهرَ منْ سُوء مُعتقَدهم وكوْن بعضهم نُسبَ إلى الزّنْدقَة وادّعاء الإلهيّة كالحاكم فكأنّهُ أرادَ أنْ يجعلَ ذلك ذريعةً إلى الطّعْن ؛هكذا حكاهُ السّخاويّ عن ابن حجر والله أعلم بالحقيقة. واذا صحّ صدُور تلك الكلمَة عن صاحب التّرجمَة فهُوَ ممّن أضلّه الله على علْم وقدْ صنّف تاريخاً كبيراً في سبْع مجلّدات ضخمة أبانَ فيها عن فصاحَة وبراعَة وكانَ لا يتزيّى بزيّ القُضاة بل مُستمرّ على زيّ بلاده وله نظم حسن فمنه :أسرفن فى هجرى وفي تعذيبى** وأطلن موقف عبرتى ونحيبى وأبين يوم البين وقفة ساعة ** لوداع مشغوف الفؤاد كئيب وترجمه ابن عمّار أحدُ مَن أخَذ عنه فقال:الأُستاذُ المنوّهُ بلسانه سيفُ المُحاضرَة كانَ يسلُك فى إقرَائه للأُصول مسلَك الأقْدَمين كالغزاليّ والفخر الرّازيّ مع الإنكارعلى الطّريقة المتأخّرة التى أحدثَها طلبةُ العَجَم ومَنْ تَبعهم من التّوغُّل فى المُشاحّة اللّفظيّة والتّسلسل فى الحدّيّة والرّسميّة اللّتيْن أثارهُما العَضُدُ وأتباعُه في الحوَاشي عليه وينْهى النّاقلَ غُضون إقرَائه عن شيْء منْ هذه الكُتب مُستنداً إلى أنّ طريقةَ الأقْدمينَ من العرَب والعجَم وكتبهم فى هذا الفنّ على خلاف ذلك وأنّ اختصارَ الكُتب فى كلّ فنٍّ والتقيُّدَ بالألْفاظ على طريقَة العضُد وغيْره منْ مُحدَثَات المُتأخّرين والعلمُ وراءَ ذلك كلّه .قال وله

من المؤلّفات غير الانشاءات النّثْريّة والشّعْريّة التى هي كالسّحر التّاريخُ العظيمُ المترجَمُ بالعبَر في تاريخ المُلوك والأُمَم والبَربَر حوَتْ مُقدّمتُه جميعَ العلُوم(انتهى).

ثمّ إنّه يكادُ ينفردُ بطريقَته في التّرضّي عن الصّحابة، وكأنّما يستكثرُ في آل النبيّصلى الله عليه وآلهالترضّيَ فضلاً عن الصّلاة، وأنا مُوردٌ هنا بعض ما يتجلّى فيه ذلك كي لا تغيبَ البيّنَة. قال ابن خَلْدُون في تاريخه [ج 2 ص 328]:وبنو ربيعة بن عبد شمس منهم عتبة وشيبة ابنا ربيعة ومنْ عُتبةَ ابنُه الوليدُ وقُتل يومَ بدْر كافراً وأبو حُذيفة صحابيٌّ وهُوَ مولى سالم قُتلَ يوْم اليمامة وهنْدُ بنتُ عتبةَ أمّ مُعاويَة رضي الله عنها(اهـــ).فانظُرْ إلى قوله عن أبي حذيفة " قُتلَ يوْم اليَمامَة "دونَ أن يترضّى عنْه،علْماً أنّ الذين قُتلوا يومَ اليمامَة شُهداءُ في ظاهر أمْرهم لأنّهمْ كانُوا يُحاربُون مُسيلمةَ الكذّاب وجُنودَه ولا خلافَ بيْن المُسلمين في كُفر مُسيلمةَ وأنّ مُحارَبَته جهَادٌ صحيحٌ.وانظُرْ كيْفَ يَترضّى عنْ آكلة الأكْباد صاحبَةِ الرّايةِ ذاتِ الأمْرالمشْهور،ويكْفي لتَحقُّق ذلك منْها مُطالعةُ أشْعار حسّان بْن ثابت التي كانَ يهْجُو بهَا المُشركينَ ذبّاً عن رسول الله صلى الله عليه وآله،فإنّها مشحونةٌ بالحَديث عن رُسُوخ هنْد بنْت عُتبةَ في الفُجُور؛ولوْ كانَ حسّانُ مُتّهماً لَها في ما ذَكَرلمَا أقرَّهُ النّبيّ صلى الله عليه وآله عليه؛ ثُمّ إنّه ساوَى بيْن سيّدة نساء العالمين سلام الله عليها وبيْن آكلة الأكْبَاد وهذا ممّا يُؤذي قلبَ النّبيّ صلى الله عليه وآله والذين يُؤذُون رسول الله لهم عذاب أليم.

وقال في[ج2ص328]:" أبو العاصى بن الربيع بن عبد العزى صهر النّبيّ وكانت له منها أمامة تزوّجها عليّ بعد فاطمة رضي الله عنها "(اهـــ).وأنتَ تَرى أنّه ترضّى عن اثنين لا أكثر،فلم يترضَّ عنْ أُمامةَ ولا عنْ أبي العاص بن الرّبيع،وكان بإمْكَانه أن يضَعَ ميمَ الجَمْع فتكُون(هُمْ) بَدَلَ(هُمَا)،ولكنْ يَبْدُو

أنّ لابْن خَلْدُون هوىً في مَنْ يبغضُ علياً وآل بيت النبيّ صلى الله عليه و آله،ومنْ تتبَّع أسلوبَه ونَسَقَ كَلامِه لمْ يخفَ عليْه ما ذَكرْتُ فإنّهُ في تاريخه كثيرٌ.

ثمّ يقولُ في ذكربني أُميّة الأكْبَرفي نفس الصّفحة: " وأبو سُفْيان بن حرب بن أُميّة وأبناؤه مُعاويَة أمير المؤمنين ويزيدُ وحنْظلةُ وعُتبةُ وأمُّ حبيبة أمّ المُؤمنين"(اهـ).فَهُوَ لا يشكُّ في أنّ مُعاويَة خليفةٌ شرعيٌّ وأميرٌللمُؤمنين،وموقفُ النّبيّ صلى الله عليه وآله مِنْ مُعاويَة معلُومٌ،والأحاديثُ في ذلك لا تخْفَى على المُنْصفينَ،من بيْنها أنّ معاويةَ يَمُوتُ على غيْرملّة الإسلام[1]؛على أنّ ابْن خَلْدُون نَفسَه يذْكرُمُعاويَة بْن أبي سُفْيان فيما بعدُ في المؤلَّفَة قُلُوبهم،والمؤمنُ لا يَحتاجُ إلى ذلك،ولكنْ ما يضُرُّ ابنَ خَلْدُون أن يَردَّ تلكَ الأحاديثَ ويحكمَ عليْها بالضّعْف تارةً وبالوضْع أُخْرى وَهُوَ الذي شكّكَ في حديث المهديّ عليه السلام الذي تسالم عليه أهل القبلة.

لقد كانَ ابنُ خَلْدُون مُعجَباً ببني أُميّة، مُبالغاً في مديحهم بما ليس فيهم، ميّالاً إليهم،غالياً في تَمْجيدهم مع كلّ ما صدر منهم في حقّ أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ،وهذا كافٍ لتصنْيفه ضمْنَ النّواصب الكبار.وقدْ ثبت أنّ النّبيَّ

---

[1] الحديث رواه البلاذري بسندين في ترجمة معاوية من كتاب أنساب الاشراف : ج 2 الورق / 75 / أ / من مخطوطة تركيا – قال :[حدثني عبد الله بن صالح حدثني يحيي بن آدم عن شريك عن ليث عن طاووس : عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي . قال [عبد الله] : وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع فطلع معاوية . وحدثني إسحاق قال :حدثنا عبد الرزاق بن همام أنبأنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن عبد الله بن عمرو بن العاص ..]لكنّ أيدي الرقابة امتدت إليه وتلاعبت بالمفردات،وقد تناول القضية الحافظ أحمد بن الصديق المغربي وقال من بين ما قال : ومن أعجب ما تسمعه أن هذا الحديث خرّجه كثير من الحفاظ في مصنفاتهم ومعاجمهم المشهورة ولكنهم يقولون : فطلع رجل ولا يصرّحون باسم اللعين معاوية ستراً عليه وعلى مذاهبهم الضلالية في النّصب وهضم حقوق آل البيت ولو برفع منار أعدائهم فالحمد لله الذي حفظ هذه الشريعة رغماً على دسّ الدسّاسين وتحريف المبطلين)).

صلى الله عليه وآله قال:إنّ أشدّ قوْمنا لَنَا بُغْضاً بنُو أُميّةَ وبَنُو مخْزُوم[1].ومع ذلك لا يتورّعُ ابنُ خَلْدُون عن مَديحهم والمُبالغة فيه.ومنْ أمْثلَة ذلك قوله[2]: واستعمل يزيدَ بنَ أبى سُفْيان على الشّام وطال أمد ولايَته إلى أن هلك في طاعون عمواس سنة ثماني عشرة فولّى مكانه أخاه مُعاويَة وأقرّه عثمانُ منْ بعْد عُمر فاتّصلتْ رياستُهم على قُريْش في الإسْلام برياستهم قُبيل الفتح التى لم تحلْ صبغتُها ولا يُنْسَى عهْدُها أيّامَ شُغلَ بنُو هاشم بأمْر النّبوّة ونبذُوا الدّنْيا من أيْديهم بما اعْتاضُوا عنْها من مُباشرَة الوحْي وشَرَف القُرْب منَ الله برَسُوله وما زالَ النّاسُ يَعْرفُون ذلك لبنى أُميّة وانظُرْ مقالةَ حَنظلة بن زياد الكاتب لمُحمّد بن أبي بكر إنّ هذا الأمر إنْ صارَإلى التّغالُب غلبَك عليه بنو عبد مناف(اهـ).

ولكنّ هذا القول من ابن خَلْدُون يردّه قول علي بن أبي طالب عليه السلام في كتابه الى مُعاويَة كما في نهج البلاغةج**3** ص**11** تحت رقم**10**: " وَمَتَى كُنتمْ يا مُعاويَة ساسةَ الرّعيّة وولاةَ أمْر الأمّة ؟ بغيْرِ قَدَم سابق ولا شَرَف باسق ونَعوذُ بالله من لُزُوم سَوَابق الشّقاء وأُحَذِّرُكَ أنْ تكونَ مُتمادياً في غرّة الأُمْنيَة مختلفَ العلانيَة والسّريرَة (اهـ).

ونحنُ مهْما اعتبرْنا ثقافةَ ابْن خَلْدُون ومنزلتَه العلميّةَ فإنّهُ ليْس بوُسْعنا أن نُقدّم كلامَه على كلام عليّ بن أبي طالب عليه السلام،لا منْ جهَة كون عليّ صحابيّاً مُشاهداً للأحْداث بنفسه معايناً لتَفاصيلها فَحَسْب،بلْ لأنَّ بيْن أيْدينا أحاديثَ نبويّةً تُقْصي ابنَ خَلْدُون وتُثبتُ كلام عليّ عليه السلام منها حديثُ "عليّ مع الحقّ والحَقّ مع عَلِيّ يدُورُ معَه حيْثُ دار" وحديثُ " أنا

---

[1] رواه الحاكم في المُستَدرك ج4 ص 534
[2] تاريخ ابن خَلْدُون ج 3 ص 3

مدينة العلم وعلي بابها"[1]، وأمثال هذه الأحاديث تجعل علياً عليه السلام حاكماً على أقوال الآخرين وأفكارهم مُصَحّحاً لأخْطائهم.وعليْه تَكونُ دعْوى ابْن خَلْدُون باطلةً لا تصلُح للاستدْلال.لكنّها تُساعدُ على بَيان ومعْرفة حَقيقة ابن خَلْدُون من جهَة ميْله إلى بني أُميّة وانْحرافه عن أهل البيت عليهم السّلام.ومن حقّنا أن نعجب من كلام ابن خَلْدُون حين يقول: " وما زال النّاس يعرفون ذلك لبنى أُميّة "! فإن كان ابن خَلْدُون يقصد بالنّاس " الأُمَّة " و " الرَّعيَّة " فإنّ استفهام عليّ عليه السلام السّابقَ استنْكَارِيٌّ يُفيدُ النّفْيَ.ثُمّ إنّ ذلك لمْ يَخرُجْ مِنْ بَني هاشم قبلَ السّقيفَة،توَارثُوه كابراً عن كابر[2].وإن كان يقْصدُ ما بعد السّقيفة فإنّها ليستْ قيادةً شرْعيّةً لأنّها لم تخلُ منَ المُؤامَرات والمَكْر،والوحيدُ الذي سعتْ إليه الخلافةُ ولمْ يسْعَ إليْها هُو عليٌّ بنُ أبي طالب عليه السلام،فإنّ النّاس هجمُوا عليه في بيْته يُريدونَه للبيْعة،ولمْ يقبل بادئَ الأمْر،وحينَما أَصرُّوا عليْه أشارَ إلى المسْجد وقال قولتَه الشهيرة التي لا تزال تؤرّقُ أصحابَ الكواليس والسّقائف:"إنّ بيعة مثْلي لا تكُون سرّاً "! وقد تخلّفَ عن بيْعته مَنْ تخلّفَ من أهْل الأهْواء والمَطامع فلمْ يُكرهْ منهم أحداً ولا هدّدَ بتَحْريق البُيُوت عليْهم بالنّار.على أنّ المُتخلّفين عن بيْعَته نَدمُوا في أوَاخر أيّام حيَاتهم ألاّ يكُونوا حارَبُوا مَعَه الفئةَ البَاغيةَ،وَلاتَ حينَ منْدَم.

ويُدافع ابنُ خَلْدُون عن مُعاويَة في كُلّ المَواقف، ويتّخذُ مِنْ تصْويب أقوَاله وأفعَاله ديناً يَدينُ به،وينْسبُ تخْميناتِه وما تُوَسْوِسُ به نفسُه إلى الإسلام، ومن ذلك قوله في المقدمة ج1ص203: " ولما لقي مُعاويَة عُمربْن

---

[1] خذا الحديث حديث شكك في صحته النواصب وردّ عليهم الحافظ أحمد بن الصديق المغربي وفنّد مزاعمهم في كتابه " فتح الملك العليّ بصحّة باب مدينة العلم علي "

[2] فضل بني هاشم على سائر العرب قبل الإسلام معلوم، وقد ذكرت أمثلة لذلك في كتاب " قراءة في سلوك الصحابة ".

الخطّاب رضي الله عنهما عنْد قُدومه إلى الشّام في أبّهة الملك وزيّه من العديد والعدّة استنكر ذلك وقال أكسرويّة يا مُعاويَة ! فقال يا أمير المؤمنين إنّا في ثغْر تجاه العدوّ وبنا إلى مباهاتهم بزينة الحرب والجهاد حاجة فسكت ولم يخطّئه لمّا احتجّ عليه بمقصد من مقاصد الحقّ والدّين.فلو كان القصدُ رفضَ المُلك من أصله لم يُقنعْه الجوابُ في تلك الكسرويّة وانتحالها بل كان يحرّضُ على خروجه عنهُما بالجُمْلة وإنّما أراد عُمَر بالكسرويّة ما كان عليه أهلُ فارس في مُلْكهم من ارْتكَاب الباطل والظُّلْم والبغْي وسلوك سُبُله والغفْلة عن الله وأجابَهُ مُعاويَةُ بأنَّ القصدَ بذلك ليس كسرويّةَ فارس وباطلَهم وإنّما قصدُه بها وجْهُ الله فسكت " (اهـــ).

زعم ابنُ خَلْدُون أنّ مُعاويَة أراد بالأبّهة وجهَ الله تعالى،وهذا كلام لا يقولُه من يعرفُ حُرْمَة وجْه الله تعالى، فإنّ الأبّهة غيرُ الزّينة ،وإنّما هي سيرةُ الفراعنَة والمُستكْبرين.والزّينةُ نفسُها منْها مَحمُودٌ ومنْها مذْمومٌ.وعلى فرْض صحّة ما رامَهُ ابنُ خَلْدُون،فإنّ الذي يُريد وجهَ الله تعالى يريدُه في كلّ الأحْوال،فهلْ تتّفقُ أعمالُ مُعاويَةَ وجرائمُه مع إرادة وجه الله تعالى؟ أم أنّ ابن خَلْدُون يذرّ الرّماد في العيون!وهل عزب عن ابن خَلْدُون أنّ مُعاويَة لعنه النّبيّ صلى الله عليه وآله وقال: إذا رأيتم مُعاويَة على منبري فاقتلوه؟! وكيف يأمر النّبيّ صلى الله عليه وآله بقتْل رَجُل يريدُ وجه الله تعالى؟

على أنّ مُعاوية في كلامه هذا مُجَانبٌ للصواب،لأنّه فيما بعدُ صالَحَ ملكَ الرّوم ليتفرّغَ لحرْب عليّ بن أبي طالب عليه السّلام،فأين المباهاة التي ذكر لعُمَر؟ ؟ وهل يجوز في الإسلام مصالحة الكفّار للتّفرّغ لمحاربة المسلمين؟! وهل يكون من ابتغاء وجه الله تعالى أن يصالح الكفّار ليحارب المسلمين؟!

وقال في ج2 ص181 : وجاء الأشترُ فنزل على صاحب الخَراج بالقلْزَم فماتَ هنالك وقيلَ إنّ مُعاويَةَ بعث إلى صاحب القلْزَم فسمَّه على أنْ يُسقط عنهُ الخراجَ وهذا بعيد !(اهـ).

ولا أدري لم يكون هذا بعيدا بعد أن قتل مُعاويَة بالسمّ الحسنَ بن عليّ عليهما السّلام وسعدَ بن أبي وقّاص ؟ أيكون الأشتر أعزَّ منهُما أم أنّ مُعاويَة توقّف فجأة عن الاغتيال بالسّمّ؟

إنّ ابنَ خَلْدُون بقوْله هذا من دُون تقديم دليل يُؤكّدُ أنّهُ من أرْباب التّحكُّم الذين لا يلتفتُون إلى أدلّة الخصْم ولا يُلقُون بالاً إلى ما يُخالفُ مَبانيَهم ، وما ذلك إلاّ نتيجَة هَوَى بني أُميّة .وينسى ابنُ خَلْدُون أويتَنَاسى أنّ معاوية نفسَه كان يقول "إنّ لله جنودا منها العسل "، وينْسى أو يَتَنَاسى المؤرّخين وأربابَ التّراجم الذين ذكروا أنّ معاوية سمَّ الأشْتر على يد دهقان من الدّهاقين وأظهر السرور حين بلغَه موتُه.ولوأنَّ ابنَ خلْدون ذكرَ سبب الاستبعاد حين قال " هذا بعيد " لكان في سعَةٍ منْ أمْره ولَمَا وسعَ مُخالفَه إلاّ أن يعْذرَه في ما ذهب إليه،لأنّ الباحث يصيب ويخطئ،لكنّه رأى نفسَه فوْق تَقديم الدّليل وبيان وجْه الاستبعاد،ولوْ فُتحَ هذا البابُ لكلّ باحث لاستَوَت الأنوار والظُّلَمُ.

قال ابن خَلْدُون في مقدمته ج1 ص205 :

ولمّا وقعت الفتنة بين عليّ ومُعاويَة وهي مقتضى العصبيّة كان طريقُهم فيها الحقَّ والاجتهادَ ولم يكُونُوا في مُحاربَتهم لغَرَضٍ دُنْيَويّ أو لإيثار باطل أو لاستشعار حقْد كما قدْ يتوهّمُه مُتوهّمٌ وينْزعُ إليه مُلْحد[!] وإنّما اختلفَ اجتهادُهم في الحقّ وسفّه كلّ واحد نظرَ صاحبه باجتهاده في الحقّ فاقتتلوا عليه وإن كان المصيب عليّاً فلم يكن مُعاويَةُ قائماً فيها بقصْد الباطل إنّما قصدَ الحقّ وأخطأ ،والكلُّ كانُوا في مقاصدهم على حقّ ثُمّ اقتضتْ طبيعةُ

المُلْك الانفرادَ بالمجْد واستئثار الواحد به ولم يكن لمُعاويَة أنْ يدفع عن نفسه وقومه[1] فهو أمر طبيعيّ ساقتْهُ العصبيّةُ بطبيعَتها واستشعرتْه بنو أُميّة ومن لم يكن على طريقة مُعاويَة في اقتفاء الحقّ من اتباعهم فاعصوصبوا عليه واستماتوا دونَه ولوْ حملَهُم مُعاويَة على غير تلك الطّريقة وخالفَهم في الانْفراد بالأمْر لوَقعُوا في افتراق الكَلمة التي كان جمْعُها وتأليفُها أهمَّ عليه من أمر ليس وراءه كبير مُخالفَة .وقد كان عُمَر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول إذا رأى القاسمَ بن محمّد بن أبي بكر لو كان لي من الأمر شيءٌ لولّيتُه الخلافةَ ولو أرادَ أن يعهدَ إليه لفعلَ ولكنّه كان يخْشى من بني أُميّة أهْل الحلّ والعقْد لما ذكرناه فلا يَقْدر أن يُحوّل الأمْرَ عنْهم لئلاّ تقعَ الفُرقة(اهـ).

يزعمُ ابنُ خَلْدُون أنّ الذي يظنُّ من مُعاويَة وحزبه طلبَ الغرَض الدّنيويّ وإيثارَ الباطل ملحدٌ!وبيْن أيْدينا كَثير من كلمات الصّحابة تشْهَد على مُعاويَة أنّه نازَع عليّاً **عليه السلام** ظُلماً وعلوّاً واستكباراً بغير الحقّ، مستغلاً كثرةَ أعْداء عليّ عليه السلام؛والنّبيّ صلى الله عليه وآله نفسُه شهدَ على مُعاويَةَ وجماعته أنّهُم الفئَةُ الباغيَةُ.بل إنّ مُعاويَةَ (الحفيد) بْن يَزيد بْن مُعاويَة بن أبي سُفْيان نفسَه يشهد على جدّه أنّه نازع الأمرَ أهْلَه **بغيرحقّ**.فهل يكون ابن خَلْدُون أشدّ سُفْيانية من حفيد مُعاويَة؟!وهل يَرضى ابنُ خَلْدُون أن يكونَ الصّحابة والتّابعون في عداد المَلاحدَة كَمَا هُوَ لازمُ كلامه؟!أوليس في محاولته نفْيَ صفة البغْي عن معاوية وجماعته تكذيبٌ صريح للنّبيّ صلى الله عليه وآله ؟!

وقد شهدَ عليٌّ بنُ أبي طالب عليه السلام على مُعاويَة وأصحابه أنّهم ليسوا أهلَ دين ولا قرآن،وهُو الذي صحبَهم صغاراً وكباراً فكانُوا شرّ صغار وشرّ

---

1 الصواب : ولم يكن لمعاوية إلاّ أن يدفع عن نفسه وقومه

كبار مَا آمنوا مُذْ كفرُوا،فهل يكذّب ابنُ خَلْدُون عليّاً عليه السلام وقد قال النّبيّ صلى الله عليه وآله " عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار"[1]؟ وكيف يطلب مُعاويَةُ الحقَّ في مُخالفة عليّ عليه السلام والحقّ مع عليّ لا يُفارقه؟ وكيف يفارقُ عليّ الحقَّ وهُو مع القرآن والقرآنُ معَه ولنْ يفترقَا حتّى يَردَا على النبيّ صلى الله عليه وآله الحَوْض؟! ولِمَ لا يعتمدُ ابنُ خَلْدُون شهادة مُعاويَة على نفسه أنّه قاتلَ أهلَ العراق ليتأمّرعليهم لاغير، وزعم أنّ الله آتاه ذلك؛قال ابن كثير في البداية والنهاية [2]:وقال يعقوب بن سُفْيان : حدّثنا أبوبكر بن أبي شيبة وسعيد بن منصور قالا:حدّثنا أبو مُعاويَة حدّثنا الأعمش عن عمرو بن مرّة،عن سعيد بن سويد.قال:صلّى بنا مُعاويَة بالنخيلة - يعني خارج الكوفة - الجُمعة في الضّحى ثمّ خطبنا فقال:ما قاتلتُكم لتصُوموا ولا لتُصلّوا ولا لتحجّوا ولا لتُزكّوا،قد عرفْتُ أنّكم تفْعلون ذلك ولكن إنّما قاتلْتُكم لأتأمّرعليكم،فقد أعطاني الله ذلك وأنْتم كارهُون "(اهـ).

فهذا معاويةُ يُقرُّ أنّه حاربَ ليتأمّرَ،والعبارة واضحةٌ وضوح الشمس،وابنُ خَلْدُون ينْفي ذلك ويدفعُه مُكابرةً،فهل يُعتبَرالذي يُقاتلُ المسلمين ليتأمّرَعليْهم مجتهداً ؟ وهلْ هُو منَ العقْل والدّين أنْ يُقدّمَ اجتهادُ ابن خَلْدُون بشأن مُعاويَة على إقرار مُعاويَة على نفسه؟!

يقول ابن خَلْدُون بعد ذلك:[ثمّ اقتضت طبيعة المُلْك الانفرادَ بالمجد واستئثار الواحد به] ونحن نُسائل ابنَ خَلْدُون عن طبيعة المُلك كما يسمّيها فنقول له:هذه الطّبيعة التي ذكرتَها هل هي تخضعُ لمعاييرَ وقِيَم أخلاقيّة

---

[1] هذا الحديث نفى ابن تيمية في منهاج السنة أن يكون رواه أحد بسند صحيح أو ضعيف، والحال أنه ورد في عشرين مصدرا من أهم المصادر عِند المسلمين بأسانيد بعضها صحيح وبعضها ضعيف، والواقع يشهد لعليّ عليه السلام أنه كان دائما مع الحق.

[2] البداية والنهاية ج 8 ص 140[دار إحياء التراث العربي 1408 هـ]:

إسلاميّة أمْ أنّها فَوْضى وهَمجيّة لا يحكُمها إلا القوّة والعناد؟ فإن كانتْ طبيعة الملْك محكومةً بقيم إسلاميّة فأينَ هذه القيَم في سلُوك مُعاويَة؟ ولماذا بقي يلاحقُ علياً عليه السلام بالسّبّ واللّعن والشّتم بعد شهادته؟ ولماذا يفْخر بنقْضِه العهْدَ حين تلفّظ بتلك العبارة المشؤومة قائلاً: ألا وإنّ كلّ شرط شرطته للحسن تحت قدميّ هاتين؟ألم يقلْ النّبيّ صلى الله عليه وآله " المسلمون عند شروطهم " ؟ألم يقل القرآن الكريم " يا أيّها الذين آمنوا أوفوا بالعقود "؟ ألم يقل النّبيّ صلى الله عليه و آله فيما رواه مسلم عن أبى هريرة [1] " مَن خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتةً جاهليّةً ومَنْ قاتل تحْت راية عمية يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينْصرعصبَة فقُتل فقتْلةٌ جاهليّةٌ ومَنْ خرج على أمّتي يضرب برَّها وفاجرَها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهْد عهدَه فليس منّي ولست منه "؟وهذه الأوصاف كلّها تنطبق على معاوية، فالنّبيّ صلى الله عليه وآله يتبرّأ منه بمُقْتَضَى قوله " فليس منّي ولست منه ".

ولماذا يتحدّث ابنُ خَلْدُون عن المُلْك في الإسْلام وقد علمَ أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله لم يكنْ مَلكاً بل ذمّ مُلوك بني أُميّة وسمّى حُكمَهم مُلكاً عَضوضاً؟ لا شكّ أنّ ابن خَلْدُون لا يُقيم لكلام النّبيّ صلى الله عليه وآله وزْناً إلاّ حين يُوافق هواهُ فكأنّه معنيّ بقول الله تعالى " أفي قلوبهم مرض أم ارتابوا أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون " [2].ونحنُ إنّما نعتمدُ قولَ من يستند إلى ما صحّ عن النبيّ صلى الله عليه و آله في كلّ حال،لا في حال دون حال حسبما يقتضيه المزاج.

---

[1] صحيح مسلم ج 6ص 20

[2] [النور 50]

قال ابن خَلْدُون [ج1 ص206]: ولقد انفرد سليمان وأبوه داود صلوات الله عليهما بمُلك بني إسرائيل لما اقتضتْه طبيعةُ المُلك من الانفراد به وكانوا ما علمتَ من النبوءة والحقّ و**كذلك** عَهد مُعاويَة إلى يزيد خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت بنو أُميّة لم يرضوا تسليم الأمر إلى مَن سواهم .فلو قد عَهدَ إلى غيره اختلفوا عليه مع أن ظنّهم كان به صالحاً ولا يرتاب أحد في ذلك، ولا يظنّ بمُعاويَة غيره فلم يكن ليعهد إليه وهو يعْتقد ما كان عليه من الفسْق ،حاشا الله لمُعاويَة من ذلك ؛وكذلك كان مَرْوانُ بن الحكم وابنُه وإن كانوا ملوكاً لم يكن مذهبُهم في المُلك مذهبَ أهل البطالة والبغْي،إنّما كانوا مُتَحَرّين لمقَاصد الحقّ جهدَهُم إلاّ في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هوأهمّ لديهم من كلّ مَقصد، يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتّباع والاقتداء وماعلم السّلَف من أحوالهم ومقاصدهم فقد احتجّ مالك في الموطإ بعَمَل عبد الملك.وأمّا مَرْوان فكان من الطبقة الأولى من التّابعين وعدالَتُهُم معرُوفة.ثمّ تدرّج الأمر في ولد عبد الملك وكانوا من الدّين بالمكان الذي كانوا عليه وتوسّطهم عمربن عبد العزيز فنزع إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصّحابة جهده ولم يهمل(اهــ).

قلتُ: لا يتورّعُ ابنُ خَلْدُون أنْ يشبّه مُعاويَةَ بداوود عليه السلام ويزيدَ بنَ مُعاويَة بسليمانَ بن داوود عليهما السّلام،واللهُ سائلُه عن هذا التّشْبيه الذي تشمئزُّ لسمَاعه نفُوس المُؤمنين.وكيف يُشبَّه صاحبُ القُرود والفُهود شاربُ الخمْر المُعلنُ بذلك والمُجاهرُ بفُسوقه ــ كيفَ يُشَبَّهُ مَنْ هَذه حالُهُ ــ بسُلَيْمَانَ الشّكُور؟!

ويجعلُ ابنُ خَلْدُون من احتجاج مالك في الموطّإ بعمل عبد الملك بن مَرْوان دليلاً يتوقّع أن يتقبّلَه أولوالألباب،ومتَى نزلَ جبريلُ على مالك بن أنس حتّى تكون كُلُّ أقْوَاله وأفْعاله وتقْريرَاته محلَّ قَبول ؟ على أنّ لمُحمّد بن

إسحاق صاحب السّيرة أقوالاً في مالك بن أنس،لكنّ ابنَ خَلْدُون مالكيٌّ ولذلك فهُوَ يتصرّفُ كمَا لو كان كلُّ مَنْ عليْها على مذهب مالك.ولمحمّد بن إسحاق صاحب السّيرة كلامٌ في مالك بن أَنَس وعلْمِه يَحسُنُ الاطّلاعُ عليه.

على أنّ احتجاجَ مالك بعمل عبد الملك بن مَرْوان لا يُغني عن الأخير شيئاً ولا يرفَعُ لهُ هامةً،فقد غدَرَ عبدُ المَلك غدْرتَهُ المشْهُورةَ بعمرو بن سعيد الأشدق بعد أن أعطاه العُهُودَ والمَوَاثيقَ ثُمَّ ما لَبثَ أنْ ذَبَحَهُ بيَدِه .[1]

قال ابن خَلْدُون [ج1ص 210] : " ...لاسيما إذا كانت هناك داعيةٌ تدعُوإليه من إيثار مَصْلحة أو توقُّع مَفْسدة فتنتَفي الظِّنّة في ذلك رأساً كما وقع في عهد مُعاويَة لابْنه يزيد وإن كان فعْلُ مُعاويَة مع وفَاق النّاس له حُجّةً في الباب[!] والذي دعا مُعاويَة لإيثارابْنه يزيد بالعهْد دونَ مَن سواهُ إنّما هو مُراعاةُ المَصلحة في اجتماع النّاس واتّفاق أهوائهم باتّفاق أهل الحلّ والعقد عليه حينئذ من بني أُميّة إذ بنو أميّة يومئذ لا يَرضَوْن سواهُم وهُم عصابة قُريْش وأهل الملّة أجمع وأهل الغلب منهم فآثره بذلك دون غيره ممن يظنّ أنّه أولى بها وعدل عن الفاضل إلى المفضول حرصاً على الاتّفاق واجتماع الأهواء الذي شأنه أهمّ عند الشارع وإن كان لا يظنّ بمُعاويَة غيرهذا فعَدَالتُه وصُحبتُه مانعةٌ مِنْ سوى ذلك وحضورُ أكابر الصّحابة لذلك وسكوتُهم عنه دليلٌ على انْتفاء الرّيب فيه فليسوا ممّن يأخذهم في الحقّ هوادة وليس مُعاويَة

[1] تفاصيل القصة ذكرها ابن كثير في تاريخه في أحداث سنة تسع وستين (البداية والنهاية ج8ص337 وما بعدها ــ دار إحياء التراث العربي ــ بيروت 1408 هــ) وهي جديرة بالمطالعة،ومن بين ما جاء فيها : " وقد كان عبد الملك بعث إلى امرأة عمرو بن سعيد أن ابعثي إليّ بكتاب الأمان الذي كنت كتبته لعمرو ، فقالت : إني دفنته معه ليحاكمك به يوم القيامة عند الله " .

ممّن تأخذه العزّةُ في قَبول الحقّ فإنّهم كلّهم أجلُّ من ذلك وعدالتُهم مانعةٌ منه وفرارُ عبد الله بن عُمر من ذلك إنّما هو محمولٌ على تورُّعه من الدُّخول في شيْء من الأُمُور مُباحاً كان أو محظوراً كما هو معروفٌ عنه. ولم يبْقَ في المُخالفة لهذا العهد الذي اتّفق عليه الجمهور إلاّ ابنُ الزّبير[!] ونُدُور المُخالف معروفٌ. ثمَّ إنّه وقع مثل ذلك من بعد مُعاويَة من الخلفاء الذين كانوا يتحرّون الحقّ ويعملون به مثل عبد الملك وسليمان من بني أُميّة والسّفّاح والمنصور والمهديّ والرّشيد .

قلت: أوّلاً،لقد أساء ابنُ خلدون ودلّس حين حصَر خلاف يزيد بن معاوية في عبد الله بن الزبير،إذاً فلماذا قُتِلَ الحُسَيْنُ بن عليّ عليهما السلام ولِمَ قُتِلَ أهلُ الحَرَّة بعْدَه؟!

ثُمَّ،لايعجب القارئُ لمثل هذه الأمور،فإنّ ابن خَلْدُون ينتمي إلى مدرسة تعمل بالمصالح المرسلة وسدّ الذرائع حتى مع توفّر النصّ الجليّ.وابن خَلْدُون بعباراته السابقة يتجاهل أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله في ما يخصّ تولية الرّجال والقضيّة تتعلّق بشأن المسلمين جميعا لا بولاية مَدينة أو ناحيَة.والذي يتّفق مع ما يَميل إليه العقلاء على اختلاف ثقافاتهم وأديانهم هو أن يكون على رأس الدولة مَن هُو حَريصٌ على مصالحها وأمْنها وأمَانها وتيسير سُبُل النّجاة لها.ولذلك تراهُم مَدحُوا منْ حسُنتْ سيرتُه في الرّعيّة وإنْ بعُدَ العهد وذمُّوا من أساءَ التّصرف والمعاملةَ ولوْ كانَ ابنَ شيخ العشيرة.وجَلَدَ عُمرُ بنُ عبد العزيز رجلاً قال بحَضْرَته عن يزيد بن معاوية " أمير المؤمنين ".وأوردَ الزّيعليّ في نصب الراية حديثاً في المعْنى رواه الحاكم وغيره[1].فإذا كانَ عُمَر بنُ عبد العزيز يرى أنّ تسميةَ يزيد بن معاوية

---

[1] قال الزيعلي (ت سنة 762) في نصب الراية ج 5 ص 37 :

بأميرالمؤمنين تستوْجبُ التّعزيرَ،وهُوَ مِنْ قَبيلَته وقَريبُ العهْد به فينْبَغي على ابن خَلْدُون أن يُراعيَ ذلك وأمثالَه حين إصداره الأحْكام،وليسَ عُمَرُ بنُ عبْد العزيز ممّن يُتّهم عند أهل السنّة والجماعة في معتقده وسلوكه وآرائه.

ولعمر بن الخطاب أيضاً كلام في هذا المعنى رواه ابن عساكر قال[1]:أخبرنا أبو غالب بن البنا [..]عن عثمان بن مقسم قال قال المغيرةُ بن شُعبة لعُمَر أدُلُّكَ على القويّ الأمين قال بلى قال عبدُ الله بن عُمَر قال ما أردتَ بقولك هذا والله لأنْ يموتَ فاكفّنه بيديّ أحبُّ إليّ من أن أوليّه وأنا أعلم أنّ في النّاس من هو خير منه(اهـ).فعَلَى فرْض ضعْف الحديث الذي رواه الحاكم وغيرُه،فإنّ لقول عُمَرعنْدَ مَن يأتَمُّ به شأنٌ وأيُّ شأن!وهوعنْد العامّة

الحديث الثاني قال عليه السلام من قلّد إنسانا عملاً وفي رعيّته من هو أولى منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين قلت روى من حديث ابن عباس ومن حديث حذيفة فحديث ابن عباس أخرجه الحاكم في المستدرك في كتاب الأحكام عن حسين بن قيس الحربيّ عن عكرمة عن ابن عباس قال قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم من استعمل رجلاً على عصابة وفي تلك العصابة من هو أرضى لله منه فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين (انتهى) وقال حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وتعقبه شيخنا شمس الدّين الذهبيّ في مختصره وقال حسين بن قيس ضعيف (انتهى) قلت رواه بن عدي في الكامل وضعف حسين بن قيس عن النّسائيّ وأحمد بن حنبل ورواه العقيلي أيضا في كتابه وأعلّه بحسين بن قيس وقال إنّما يعرف هذا من كلام عمر بن الخطاب (انتهى) وأخرجه الطبراني في معجمه عن حمزة النصيبيني عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم من تولّى من أمر المسلمين شيئا فاستعمل عليهم رجلا وهو يعلم أنّ فيهم من هو أولى بذلك وأعلم منه بكتاب الله وسنّة رسوله فقد خان الله ورسوله وجماعة المسلمين مختصر وأخرجه الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد عن إبراهيم بن زياد القرشي عن خصيف عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعا بلفظ الطبراني قال الخطيب وإبراهيم بن زياد في حديثه نكرة وقال بن معين لا أعرفه (انتهى) وأما حديث حذيفة فرواه أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا أبو وائل خالد بن محمد البصري ثنا عبد الله بن بكر السهمي حدّثنا خلف بن خلف عن إبراهيم بن سالم عن عمرو بن ضرار عن حذيفة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أيّما رجل استعمل رجلاً على عشرة أنفس وعلم أنّ في العشرة من هو أفضل منه فقد غشّ الله ورسوله وجماعة المسلمين (انتهى)

[1] تاريخ مدينة دمشق - ابن عساكر ـ ج 31 ص 178

(أهل السنّة والجماعة) قَطْعاً أفضلُ من مُعاوية بحيْثُ لا وجهَ للمُقايسة،وابنُه عبدُ الله بن عُمَر أيضاً أفضلُ منْ يزيد بن مُعاوية بحيثُ لا سبيلَ إلى المقايسة ومع ذلك لم يرْضَ عمرُ أن يولّيَ ابْنَه مع وجود من هوخيْرٌ منه؛ويلزم من هذا أن يُخطّئ ابن خَلْدُون الخليفةَ عُمرَ في فعله وموْقفه لأنّه صوّب فعلَ معاويةَ ورأيَه وهُوَ على نقيض ذلك تماماً.

قال ابن خَلْدُون [ج1 ص 211]: ولا يُعابُ عليهم إيثارُ أبنائهم وإخوانهم وخروجُهم عن سُنَن الخُلفاء الأربعة في ذلك فشأنُهم غيرُ شأن أولئك الخُلفاء فإنّهم كانوا على حين لم تحدثْ طبيعةُ المُلك وكان الوازعُ دينيّاً فعند كلّ أحَدِ وازعٌ منْ نفْسه فعهدوا إلى من يَرتَضيه الدّينُ فقط وآثرُوه على غيره ووكَلُوا كلَّ مَن يسمُو إلى ذلك إلى وازعه.وأمّا مَنْ بعدَهم مِنْ لدُنْ مُعاويَةَ فكانت العصبيّةُ قد أشرفتْ على غايَتها من الملك والوازعُ الدّينيُّ قد ضعُفَ واحتيَجَ إلى الوازع السُّلطانيِّ والعصبانيّ فلوعهد إلى غير من ترتضيه العصبيّة لردّتْ ذلك العهد وانتقض أمره(اهــ).

قلتُ:إنّ كلامَ ابن خَلْدُون ههُنا خالٍ من النَّفَس الدّينيّ مع أنّه يتحدّثُ عنْ أمْر دينيّ ما سُلّت السيوف لشيء مثل ما سُلّت له،فكأنّك تستَمعُ إلى أحد المُسْتشْرقين الذين يحلّلون ويوجّهون بهواهُم غيرَ متقيّدين بأوامرَ ولانوَاهيَ شرْعيّة؛ويكفي أن يُسأل ابنُ خَلْدُون عن هذه العصبيّة هلْ هيَ محْكُومَةٌ بالإسلام أم هيَ حاكمة عليه ؟ فإنْ كانتْ محكومةً بالإسلام فإنّه ليْسَ لها أنْ ترُدَّ ما يرتضيه الإسلامُ،ولييس لها أن تقدّم المزاجَ والانتماءَ القبليَّ على الانتماء الدّينيّ . ولوْ كَانَ ابن خَلْدُون يلتزمُ بكلام النبيّ صلى الله عليه وآله لَمَا

خطّتْ يمينُه ما سبق،فقد جاء في صحيح مسلم وغيره[1]:" من خرج من الطّاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهليّة ومن قاتل تحت راية عميّة **يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة** فقُتِل فقتْلَةٌ جاهليّةٌ ومن خرج على أمّتي يضرب برَّها وفاجرَها ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس منّي ولست منه " .وهذا الحديث صريح في نفي ما ذهب إليه ابن خَلْدُون في ترجيح ما ترتضيه العصبية، بل هو يجعلها من الجاهلية ومن مات في الدّفاع عنها مات ميتة جاهلية!

قال ابن خَلْدُون في تاريخه [ج1ص213]: * والأمر الثالث شأن الحروب الواقعة في الإسْلام بين الصحابة والتّابعين فاعلم أنّ اختلافهم إنّما يقع في الأمور الدّينيّة وينشأ عن الاجتهاد في الأدلّة الصّحيحة والمدارك المعتبرة والمجتهدون إذا اختلفوا فإن قلنا إنّ الحقّ في المسائل الاجتهادية واحدٌ من الطّرفين ومن لم يصادفْه فهُو مخطئ فإنّ جهته لاتتعيّن بإجماع فيبقى الكلّ على احْتمال الإصابة ولا يتعيّن المخطئُ منْها والتّأثيمُ مدفُوع عن الكلّ إجماعاً وإنْ قُلنا إنّ الكلَّ حقّ وإنّ كلّ مجتهد مصيب فأحْرى بنفْي الخطإ والتّأثيم وغايةُ الخلاف الذي بين الصّحابة والتّابعين أنّه خلافٌ اجتهاديٌّ في مسائل دينيّة ظنّيّة وهذا حكمه والذي وقع من ذلك في الإسْلام إنّما هو واقعة

[1] الحديث رواه مسلم (ج6ص20) و البخاري في صحيحه ج8ص88 و105وفي سنن النسائي ج7ص123 وسنن البيهقي ج8ص156 و157و وسنن الدارمي ج2ص241 و مجمع الزوائد ج1ص324 وج 5ص218وما بعدها وهو أيضا في مسند أحمد ج1ص297و310 ومسند أحمد ج2ص70و83 و93 و123 و154وج3ص445وج4ص96 ومسند أبي داوودص259ومصنف عبد الرزاق ج2ص 379و مصنف ابن أبي شيبة ج 8ص598 و605ومسند ابن راهويه ج1ص192 تفسير القرطبي ج14 ص56 وتفسير ابن كثير ج1ص518 والمعيار و الموازنة لأبي جعفر الإسكافي ص24 ومسند ابن الجعد ص330 ومصادر أخرى..

عليّ مع مُعاويَة ومع الزّبير وعائشة وطلحة وواقعة الحسين مع يزيد وواقعة ابن الزّبيرمعَ عبد الملك فأمّا واقعة عليّ فإن النّاس كانوا عند مقْتل عثمان مفتَرقين في الأمصار فلم يشهَدُوا بيْعةَ عليّ والذين شهدُوا فمنْهُم مَن بايعَ ومنْهم مَن توقّفَ حتّى يجتمعَ النّاس ويتّفقُوا على إمام كسعْد وسَعيد وابْن عُمَر وأُسامَة بْن زيْد والمُغيرة بن شُعبة وعبد الله بن سلام وقُدامة بن مَظعون وأبي سعيد الخذريّ وكَعْب بن مالك والنُعمَان بن بَشير وحسّان بن ثابت ومسلمة بن مخلد وفضالة بن عبيد وأمثالهم من أكابر الصّحابة والذين كانوا في الأمصار عدلوا عن بيعته أيضا إلى الطّلب بدم عثمان وتركوا الأمْر فوْضى حتّى يكونَ شُورى بين المُسلمين لمن يُولُّونَه وظنّوا بعليّ هوادةً في السّكوت عن نصْر عُثمان من قاتله لا في المُمَالاة عليه فحاشا لله من ذلك.ولقد كان مُعاويَةُ إذا صرّحَ بمَلامَته إنّما يُوجّهُها عليه في سُكُوته فقط.ثمّ اختلفوا بعد ذلك فرأى عليّ أن بيعتَه قد انعقدتْ ولزمتْ مَن تأخّرَ عنها باجتماع من اجتمع عليها بالمدينة دار النّبيّ صلى الله عليه وسلم ومَوْطن الصّحابة وأرجأ الأمر في المطالبة بدم عثمان إلى اجتماع النّاس واتّفاق الكلمة فيتمكّن حينئذ من ذلك ورأى الآخرون أنّ بيعتَه لم تنعقدْ لافتراق الصّحابة أهل الحلّ والعقد بالآفاق ولم يحضر إلاّ قليل ولا تكون البيعة إلاّ باتّفاق أهل الحلّ والعقْد ولا تلزم بعقد من تولاّها من غيرهم أو من القليل منهم وإن المسلمين حينئذ فوضى فيطالبون أوّلاً بدم عثمان ثمّ يجتمعون على إمام وذهبَ إلى هذا مُعاويَةُ وعمرُو بنُ العاص وأمُّ المؤمنين عائشةُ والزّبيرُ وابنُه عبدُ الله وطلحةُ وابنُه محمّدُ وسعدُ وسعيدُ والنّعمانُ بنُ بشير ومُعاويَةُ بن خديج ومن كان على رأيهم من الصّحابة الذين تخلّفوا عن بيعة عليّ بالمدينة كما ذكرنا إلاّ أنّ أهل العصر الثّاني من بعدهم اتّفقوا على انعقاد بيعة عليّ ولزومها للمسلمين أجمعين وتصويب رأيه فيما ذهب إليه وتعيين الخطإ من جهة مُعاويَة ومن

كان على رأيه وخصوصاً طلحة والزّبير لانتقاضهما على عليّ بعد البيعة له فيما نُقل مع دفع التّأثيم عن كلّ من الفريقين كالشّأن في المجتهدين وصار ذلك إجماعاً من أهل العصر الثّاني على أحد قولي أهل العصر الأوّل كما هو معروف ولقد سُئل عليّ رضي الله عنه عن قتْلى الجمَل وصفّين فقال والذي نفسي بيده لا يموتنّ أحد من هؤلاء وقلبُه نقيّ إلاّ دخل الجنّة يشير إلى الفريقين نقله الطّبريّ وغيره. فلا يقعنّ عندك ريب في عدالة أحد منهم ولا قدح في شيء من ذلك فهُم مَن علمتَ وأقوالُهم وأفعالُهم إنّما هي عن المستندات وعدالتُهم مفروغٌ منها عند أهل السّنّة إلاّ قولاً للمعتزلة فيمن قاتل عليّاً لم يلتفت إليه أحدٌ من أهل الحقّ ولا عرّج عليه. وإذا نظرتَ بعين الإنصاف عذرتَ النّاس أجمعين في شأن الاختلاف في عُثمان واختلاف الصّحابة من بعد وعلمتَ أنّها كانت فتنة ابتلى الله بها الامة (اهـ).

أقول:هذا كلام يفتقد إلى الصّواب،وهو بالوعْظ أشبهُ منه بالتّحقيق التّاريخيّ وإلاّ فكيف يُقال إنّ الحقّ مُتعدّدٌ بعدَ أن قال الله تعالى في القرآن الكريم "وماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال"؟ وإذا كان أهلُ العصر الثّاني من بعدهم اتّفقوا على انْعقاد بيعة عليّ ولزومها للمسلمين أجمعين وتصويب رأيه فيما ذهب إليه وتعيين الخطإ من جهة مُعاويَة ومن كان على رأيه وخصوصاً طلحة والزّبير لانتقاضهما على عليّ بعد البيعة له فيما نقل ، فما بال ابن خَلْدُون يستمرّ في دفاعه عن مُعاويَة في كلّ صَغيرٍ وَ كَبير من جرائمه؟!

والذي يتمعّن في كلام ابن خَلْدُون يخطُرُبباله أنّ ربَّ الصّحابَة غيرُ ربّ بقيّة العالَمينَ،فالقتْلُ حرّمَهُ ربُّ العالمين،لكنْ حينما يُمارسُه الصّحابة تتَغيّر حقيقتُه فجأةً ويصبحُ موضعَ اجتهَاد للقَاتل والمقْتُول!وبيْعةُ السّقيفَة تنْعَقدُ برجُلين اثْنين أبي عبيدة بن الجراح وعمرَ بْن الخطّاب،وهُما لا يملْكَان أيّ تفْويض أو وكَالَة من طَرف الآخرين،أمّا بيعةُ عليّ عليه السلام التي اجتمع عليها

المُهاجرُون والأنصارُ طائعينَ غيرَ مُكرَهين فيكفي أنْ يتخلّفَ عنها الطُّلقاءُ وأشباه الطلقاء حتى تفقد شرعيّتها وتُصبح محلّ نظر! ويقولُ ابن خَلْدُون عن الذين قاتلوا عليّاً عليه السلام "وعدالتُهم مفروغٌ منْها عند أهل السّنّة إلاّ قولاً للمُعتزلة فيمن قاتل عليّاً لم يلتفتْ إليه أحدٌ من أهل الحقّ ولا عرّج عليه" وهُو من أعلَم النّاس بالحديث الذي يقول فيه النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام.

" سلْمُكَ سلْمي وحَرْبُكَ حَرْبي "[1]، فهلْ يعْني ابنُ خَلْدُون أنّ قول النبيّ صلى الله عليه وآله لم يلتفتْ إليه أحدٌ منْ أهل الحقّ ولا عرّج عليه ؟!

قال ابن خَلْدُون [ج1ص217]: واعلم أنّه إنّما ينفذ من أعمال الفاسق ما كان مشروعاً،وقتال البغاة عندهم من شرطه أن يكون مع الإمام العادل وهو مفقود في مسئلتنا، فلا يجوز قتالُ الحسين مع يزيد ولا ليزيد بل هي من فعلاته المؤكّدة لفسْقه والحسين فيها شهيد مُثاب وهو على حقّ واجتهاد والصّحابة الذين كانوا مع يزيد على حقّ أيضا واجتهاد! وقد غلط القاضي أبو بكر بن العربيّ المالكي في هذا فقال في كتابه الذي سمّاه بالعواصم والقواصم ما معناه "إن الحسين قُتل بشرع جدّه " وهو غلط حملته عليه الغفلة عن اشتراط الإمام العادل ومَن أعدلُ من الحُسين في زمانه في إمامته وعدالته في قتال أهل الآراء .. اهــ

قلت:هذا الكلام محلّ نَظَربِلِحَاظ القائل لا بلحاظ المضمُون، فقد ذكر الشوكانيّ في ترجمة ابن خَلْدُون ما يعارضه؛ قال الشوكاني [2] : وكان الحافظ

---

[1] قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ج 2 ص 297 : قد ثبت عنه (صلى الله عليه وآله) في الاخبار الصحيحة أنّه قال : (عليّ مع الحقّ ، والحقّ مع عليّ ، يدور حيثما دار ،) وقال له غير مرة : (حربك حربى وسلمك سلمى).

[2] البدر الطالع ــ الشوكاني ــ ج1ص339

أبو الحسن الهيثميّ يبالغ فى الغضّ منه [أي من ابن خَلْدُون] قال الحافظ ابن حجر فلمّا سألته عن سبب ذلك ذكر لي أنه بلغه أنّه قال فى الحسين السّبط رضي الله عنه إنّه قُتل بسيف جدّه ثم أردف ذلك بلعن ابن خَلْدُون وسبّه وهو يبكى قال ابن حجر لم توجد هذه الكلمة فى التّاريخ الموجود الآن وكأنّه كان ذكرها في النّسخة التى رجع عنها[!] قال: والعجب أنّ صاحبنا المقريزيّ كان يفرط فى تعظيم ابن خَلْدُون لكونه كان يجزم بصحّة نسب بنى عبيد الذين كانوا خلفاء بمصر ويخالف غيره في ذلك ويدفع ما نقل عن الأئمّة من الطّعن في نسبهم ويقول إنّما كتبوا ذلك المحضر مراعاة للخليفة العبّاسيّ وكان المقريزيّ ينتمى إلى الفاطميّين كما سبق فأحبّ ابن خَلْدُون لكونه أثبت نسبهم وجهلَ مرادَ ابن خَلْدُون فإنّه كان لانْحرافه عن العلويّة يثبت نسبة العبيديّين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدهم وكون بعضهم نسب إلى الزّندقة وادّعاء الإلهيّة كالحاكم فكأنّه أراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى الطّعن هكذا حكاه السّخاويّ عن ابن حجر والله أعلم بالحقيقة، واذا صحّ صدور تلك الكلمة عن صاحب التّرجمة فهو ممّن أضله الله على علم(اهــ).

وبعيد أن يتّخذ الحافظ الهيثميّ هذا الموقف من ابن خَلْدُون دون تثبّت، فإنّه كان معاصراً له، وتوفّي قبله بسنَةٍ واحدة[1].والذي تلقّى كلام الهيثميّ مشافهةً هو ابن حجر العسقلانيّ أحد تلاميذ ابن خَلْدُون،وهويشهد بوجود نسخة سابقة لابن خَلْدُون رجعَ عنْها؛ وهذه مشكلةٌ أخرى تنضمُّ إلى مشاكل تُراثنا الإسلاميّ ذي النُّسَخ المتعدّدة والمعدّلة.ويجدُر التأمّل في قول ابن حجر عن شيخه ابن خَلْدُون:" *وجهلَ مرادَ ابن خَلْدُون فإنّه كان لانْحرافه عن العلويّة يثبت نسبة العبيديّين إليهم لما اشتهر من سوء معتقدهم وكون بعضهم نسب إلى الزّندقة وادّعاء الإلهيّة كالحاكم فكأنّه أراد أن يجعل ذلك ذريعة إلى*

[1] توفّي الحافظ الهيثميّ سنة807وتوفّي ابن خَلْدُون سنة808

الطّعن " فإنّ فيه إخباراً عن قلّة نَزاهة ابن خَلْدُون وبُعْده عن الأمانة العلميّة لأنّ الذي يُثبت نَسب الفاطميّين لا لصحّته ولكنْ للطّعن في العلويّة بعيدٌ عن الأمانة حقيقٌ أن يُشَكّ في كلّ ما يصدر عنه.وفي عبارة " انحرافه عن العلويّة " آية للمتوسّمين.

قال ابن خَلْدُون [ج1ص218] : *وعبد الملك صاحب ابن الزّبيرأعظم النّاس عدالةً وناهيك بعدالته احتجاجُ مالك بفعْله وعُدول ابن عبّاس وابن عمر إلى بيعته عن ابن الزّبير*(اهـ).

يقول ابن خَلْدُون عن عبد الملك بن مَرْوان إنّه أعظم النّاس عدالة، ومن حقّ من يسمع هذا الكلام أن يحقّق فيه إذ ليس هناك أحد فوق الحقّ لا مؤرّخ ولا فقيه ولا أصوليّ،وإنّما الكلام يدور مدارَ مطابقَة الواقع،فإنْ كان كذلك فهُو حقٌ وإلاّ فهُوَ باطل مهْما هذّبنا العبارة وقلنا "اشتباهٌ" أو"خطأٌ" أو"غلطٌ" أو"وهمٌ " أو "غفلة".وقد سبق الكلام عن عبد الملك بن مروان أعظم النّاس عدالةً في نظر ابن خَلْدُون وكيف غَدَرَ بعمْرو بْن سعيد الأشْدق بعد أن أعطاهُ الأمَانَ بالعُهُود والمَواثيق.هذا مع أنّ ابن خَلْدُون نفسه ينقل في الصفحة 207 من الجزء الأوّل من تاريخه عن المسعوديّ أنّ أبا جعفر المنصورالخليفة العبّاسيّ قال وقد حضرعمومتُه وذكروا بني أميّة: " أما عبد الملك فكان جبّاراً لا يبالي بما صنع وأمّا سليمان فكان همّه بطنَه وفرجَه وأمّا عُمر فكان أعورَ بيْن عُميَان وكان رجُلَ القوم هشامُ ".ولم يتعقّب ابن خَلْدُون قول المنصور بشيء.فكيف يكُون الجبّارالذي لا يبالي بما صنع أعظمَ النّاس عدالة؟!

قال ابن خَلْدُون [ج1ص 218]: والكلّ مُجتهدون محمُولون على الحقّ في الظّاهر وإن لم يتعيّن في جهة منهُما والقتلُ الذي نزل به بعد تقرير ما قرّرناه يجيء على قواعد الفقه وقوانينه مع أنّه شهيدٌ مُثابٌ باعتبار قصْده

وتحرّيه الحقّ. هذا هو الذي ينبغي أن تحمْلَ عليه أفعال السّلف من الصّحابة والتّابعين فهم خيار الأمّة وإذا جعلناهم عُرضةً للقدْح فمن الذي يختصّ بالعدالة والنّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول خيرُ النّاس قرني[1] ثمّ الذين يلونهم مرّتين أو ثلاثا ثمّ يفشو الكذب فجعل الخيرة وهي العدالة مختصّة بالقرن الأوّل والذي يليه (أهــ).

ثم يقفز ابن خَلْدُون في نفس السّياق من سرد الوقائع التّاريخية ومحاولة بيان المخارج الشّرعيّة لها إلى الوعْظ والإرْشاد فيقول :" *فإيّاك أن تعوّدَ نفسَك أو لسانَك التّعرّضَ لأحد منْهم ولا يشوّش قلبك بالرّيب في شيء ممّا وقع منهم والتمسْ لهم مذاهب الحقّ وطُرُقَه ما استطعتَ فهُم أولى النّاس بذلك وما اختلفوا إلّا عن بيّنة وما قاتلوا أو قتلوا إلا في سبيل جهاد أو إظهار حقّ. واعتقدْ مع ذلك أنّ اختلافهم رحمة لمن بعدهم من الأمّة ليقتدي كلّ واحد بمن يختارُه منهم ويجعلَه إمامَه وهاديَه ودليلَه فافهمْ ذلك وتبيّن حكمة الله في خلقه وأكوانه واعلم أنّه على كلّ شيء قدير وإليه الملجأ والمصير والله تعالى أعلم*(اهــ).

وهذا الأسلوبُ يرفضُه المنهجُ العلميّ،لأنّه وإن كان من حقّ ابن خَلْدُون أن يبدي رأيَه و يحبّذ و يشنّع فليس من حقّه أن يُلقّنَ القارئ ويَصرفَه عن عرْض المقدّمات والتّوالي والخُروج من ذلك بنتيجة اعتمدَ على نفسه في الوصول إليها.وهذا النّوع من الوصاية الفكريّة التي يمارسُها ابن خَلْدُون ومَن على شاكلته يُولّد التّعصّب والجمود وربّما أدّى إلى إنْكار الحقّ والتّنظير

---

[1] في متتن هذا الحديث كلام وأيّ كلام،فقد جاء في صحيح البخاريّ في حديث الحوض : "ارتدوا على أدبارهم القهقرى " وأيضاً : " لا أراه يخلص منهم إلا مثل همل النعم ".فكيف يكون الهالكون خير القرون؟!!

للباطل ، وهي أمور نهى عنها الإسْلام الحنيف وحذّرَ مِن مغبّتها دنيا وآخرة.وكان على ابن خَلْدُون أن يحترم القارئَ ويقرّر في ما بينه وبين ضميره أنّ الذي وهبه عقلاً يستدلّ به وهبَ الآخرين أيضاً عقولاً يستدلّون بها، فلمَ لا يطرح القضايا أمامهم ثمّ يترك لهم الحرّية في اختيار المواقف التي تمليها عليهم ضمائرُهم؟!

ولا يكتفي ابن خَلْدُون بالدّفاع عن معاوية و بني أميّة، بل يرى فيه وفيهم رأياً مخالفاً تماماً لما صرّح به كثير من الصّحابة والتابعين ،ولا عجب في ذلك حين يصدُر من ابن خَلْدُون الذي يصرّح تلامذتُه بانحرافه عن ذرّية النّبيّ صلى الله عليه وآله ، فهُويعتبرُ معاويةَ من الخلفاء الراشدين فيقول[1]:*وقد كان ينبغي أن تُلحق دولةُ معاوية وأخباره بدُول الخلفاء وأخبارهم فهو تاليهم في الفضل والعدالة والصّحبة ولا ينظر في ذلك إلى حديث الخلافة بعدى ثلاثون سنة فانّه لم يصحّ والحقّ أنّ معاوية في عداد الخلفاء* (اهـ). ولا بدّ هُنا من كلمة بخصوص حديث الخلافة الذي ادّعى ابن خَلْدُون أنّه لا يصحُّ ،فقد قال الحافظ ابن حجربخُصوصه[2]:"أخرجه أحمد وأصحاب السّنن وصحّحه ابن حبّان وغيرُه من حديث سفينة أنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلم قال الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثمّ تصيرُمُلْكاً عضوضا".وقال[3]:"المراد به خلافة النّبوّة وأمّا معاوية ومن بعده فكان أكثرهم على طريقة الملوك ولوسُمُّوا خلفاء والله أعلم". ورواه الطّبرانيّ في المعجم الكبير ج1ص89 وج7ص84والهيثميّ في موارد الظّمآن ص369 .

---

[1] تاريخ ابن خَلْدُون ق2 – ابن خَلْدُون ج 2 ص 188

[2] – فتح الباري ــ ابن حجر ــ ج 8 ص 61

[3] – فتح الباري – ابن حجر ج 12 ص 346

قال ابن خَلْدُون [ج3ص4]: *إلى أن ملك مُعاويَة وخلع الحسنُ نفسَه واتّفقت الجماعة على بيعة مُعاويَة في منتصف سنة إحدى وأربعين عند ما نسي النّاس شأن النّبوّة والخوارق ورجعوا إلى أمر العصبيّة والتّغالب[!] وتعيّن بنو أُميّة للغلب على مضر وسائر العرب ومُعاويَة يومئذ كبيرهم فلم تتعدّه الخلافة ولا ساهمه فيها غيره فاستوت قدمُه واستفحل شأنُه واستحكمتْ في أرض مصر رياستُه وتوثّق عقدُه وأقام في سلطانه وخلافته عشرين سنةً ينفق من بضاعة السّياسة التى لم يكن أحد من قومه أوفر فيها منه يداً من أهل التّرشيح من ولد فاطمة وبنى هاشم وآل الزّبير* (اهـ).

وهذا صريح في أنّ ابن خَلْدُون يقدّم معاوية على الحَسنَيْن سيّديْ شباب أهل الجنّة و سعد بن أبي وقّاص الذي رشّحه عمر بن الخطاب للخلافة إذ جعله من السّتّة في قصّة الشّورى المعروفة.ولا شكّ أنّ عمل ابن خَلْدُون في سلك القضاء لدى الحكّام قد أثّر في نظْرته إلى السّياسة ومن يمارسُها؛ ولأنّها ميدان سرعان ما يتلوّث الرّاكض فيه ويغدو يسمّي المداهنةَ مداراةً والكذبَ دبلوماسيّةً وخلفَ الوعد استراتيجيّةً، فليس بعيداً أن تكون المفاهيم عند ابن خَلْدُون مطّاطيّة قابلةً للضّيق والسّعة حسب ما يقتضيه المقام من دفاع عن بني أميّة وتحامل على ذرّيّة النبيّ صلى الله عليه و آله.

وأكتفي بهذا القدر من مناقشة كلام ابن خَلْدُون،فإنّ في ما كتبه عن بني أميّة كلام كثي،لا يرتاب صاحبُ الضّمير الحيّ في مخالفته للقيَم التي جاء الإسلام لينشرها بين الناس.وقد كانت كلمة العقّاد بشأنه كافية وافية،وإشارات الشّوكانيّ والهيثميّ واضحة صافية،ولم يثبت أنّه تاب من نصبه ومُعاداته لأهل البيت عليهم السّلام،وخصوصاً من كلمته الآثمة التي يتأذّى لها قلبُ النّبيّ

صلى الله عليه وآله فإنّه قال[1]: "*وشذّ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصّحابة بالقدح وعلى قولهم بعصمة الأئمّة ورفع الخلاف عن أقوالهم وهي كلّها أصول واهية* "(اهـ).وهو كلام يبدو فيه الاستخفاف بكتاب الله تعالى صريحاً،إذ لا يُعقل أن يُنسَب الشذوذ إلى المطهّرين بالنّصّ من طرَف مُصدّق بما نزل به الروح الأمين،وقد قال الله تعالى في حقّ أهل البيت " إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيرا ".ولو أنّ ابن خَلْدُون قال:" وشذّ شيعة أهل البيت.."لكان أوسعَ له،فإنّ النّواصب الذين كفّروا مُحبّي النّبيّ وأهل بيتّه عليهم السلام لم يخلُ منهم عصر،وفتاوَاهم التّكفيريّة شاهدة تسوّد صحائفَهم من عهد بني أميّة،لكنّه قال:"وشذّ أهل البيت"فنَسَبَ الشّذُوذَ إلى من صرّح القرآن بطهارته،فكان بذلك رادّاً لكتاب الله تعالى منسلخاً من آياته فأتْبَعَهُ الشّيطانُ فكانَ من الغَاوين.وحقّ للشّوكانيّ أن يقول عنه "فهو ممّن أَضلّه الله على علم "[2] .

عقيدة ابن خَلْدُون في المهديّ عليه السلام :

وقد لاحظتُ أثناء البحث في أقوال ابن خَلْدُون ما يكشفُ عن انْحرَاف فكريٍّ خَطيرٍ، كأنّما يردُّ فيه أحاديثَ النّبيّ صلى الله غليه وآله بخُصوص المهديّ (عليه السلام)؛ فهو يقول:فهذه جملةُ الأحاديث التي خرجها الأئمّةُ في شأن المهديّ

---

[1] تاريخ ابن خَلْدُون ج 1 ص 446

[2] هذا القول من الشافعيّ مشروط بصحّة نسبة الكلمة الكبيرة "قتل الحسين بسيف جدّه " إلى ابن خَلْدُون.وقد كان معاصره الهيثميّ يعتقد بصحّة نسبتها إليه ويلعنه لأجلها،كما أنّ تليذه ابن حجر لم ينف وجودها في النسخة التي رجع عنها.والقرائن تقوّي صدورها منه وإن كان يخطّئ ابن العربي في عبارة مشابهة، فإنّ دفاعه عن يزيد وطواغيت بني أميّة هو بذاته تهجّم على الحسين و آل النّبيّ صلى الله عليه وآله.

وخروجه آخر الزّمان وهي كما رأيت[!] لم يخلُصْ منْها منَ النّقد إلاّ القليل والأقلّ منه وربّما تمسّكَ المُنْكِرون لشأنه[1] بما رواه محمّد بن خالد الجنديّ عن أبان بن صالح بن أبي عياش عن الحسن البصري عن أنس بن مالك عن النّبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال لا مهديّ إلاّ عيسى بن مريم...(اهـ).

***

2 ـ ابن عبد ربّه الأندلسي:

قال المحقّق عزّالدّين عُمرموسى في مقدّمة كتاب"**دررالسّمط في خبر السّبط** "[2]: نظم ابن عبد ربّه أرجوزته التي أسقط فيها خلافة عليّ واعتبر مُعاويَة رابعَ الخلفاء،حتّى قيل إنّ تلك الأُرجوزةَ قد شقّت على المعزّ الفاطميّ إلى أن عارضَهَا شاعرُه الإياديّ التّونسيّ بأخرى . ولكنّ روح المحافظة السّنّيّة في المجتمع الأندلسيّ وإن تقبّلت الهجوم على الشّيعة سياسيّاً فلم ترض عن انتقاص عليّ كخليفة،وقد ردّ مُنذرالبلوطيّ قاضي الجماعة في قرطبة على ابن عبد ربّه ردّاً عنيفاً ولم يعرّض ذلك منذراً لسخط النّاصر، ممّا يؤكّد أنّ القضية كلّها كانت موجّهة ضدّ فاطميّ إفريقية.وحسبك أنّ ابن حزم الذي تشيّع " لأمراء بني أميّة ، ماضيهم وباقيهم بالمشرق والأندلس " اعتقد بإمامة عبد الله بن الزّبير ويرى أنّ مقتل الحسين من أكبر مصائب الإسْلام .اهـ

---

[1] لا شك أن ابن خَلْدُون يقصد نفسه فإنّه لم يعرف من الأعلام من ينكر المهدي في زمان ابن خَلْدُون وقبله.وكان يُذكرأيام قصة الجهيمان في الحرم المكي أنّ الشيخ عبد العزيز بن باز استدلّ بحديث الجيش الذي يغزو مكة من تبوك، وهذا ديل على إيمانه بحديث المهدي .

[2] دررالسّمط في خبر السّبط لابن الأبّار القضاعيّ ص 34 . تحقيق عز الدين عمر موسى

قلتُ:لو كان في الأرجوزة المذكُورة خيرٌ لبقي ينتفع به النّاس،" فأمّا الزّبد فيذهب جفاء و أمّا ما ينفع النا فيمكث في الأرض ".والرّد الذي ردّه القاضي مُنذرعلى ابن عبد ربّه ذكرَه المقرّيّ في نفح الطيب فقال في ترجمة خلف بن فتح الجبيريّ [1]: " وعليه نزلَ القاضي مُنذربْن سعيد بطرطوشة وهو يومئذ يتولى القضاء في الثُغُورالشّرقيّة قبل أن يليَ قضاء الجماعة بقُرطُبة فأنزله في بيته الذي كان يسكنه فكان إذا تفرّغ نظرَ في كتاب أبي على يديه كتاب فيه أرجوزة ابن عبد ربّه يذكر فيها الخلفاء ويجعل معاوية رابعهم ولم يذكر عليّاً فيهم ثمّ وصل ذلك بذكرالخُلفاء من بني مَروان إلى عبد الرّحمن بن محمّد فلما رأى ذلك منذر غضب وسبّ ابنَ عبد ربّه وكتب في حاشية الكتاب:

أوَ مَا علَيٌّ ــ لا بَرحْتَ مُلَعّناً ــ يا ابنَ الخَبيثَة عنْدكُم بإمَام

ربّ الكسَاء وخَيْرُ آل مُحَمّد دَاني الولاء مُقَدَّمُ الإسْلام

قال أبو عبيد والأبيات بخطّه في حاشية كتاب أبي إلى السّاعة.

قلتُ:وذكر كُتّابَ الوحْي في كتابه " العقد الفريد " فسمّى زيْدَ بن ثابت، ومُعاوية بن أبي سُفيان [!]، وحَنْظلة بن الرّبيع الأسديّ، وعبدُ اللّه بن سعْد بن أبي سرح الذي ارتدّ ولحق بمكّة مُشركاً،ولم يذكر عليّاً عليه السلام الذي لم يفارق النّبيّ صلى الله عليه وآله من قبل أن ينزل عليه الوحي إلى أن التحق بالرفيق الأعلى.ولم يثبت أنّ ابن عبد ربّه تراجع عن موقفه في مسألة الخلفاء [2]،ومع

---

[1] نفح الطيب –المقري التلمساني ــ ج2ص984

[2] أسقط ابن عبد ربّه اسم عليّ من الخلفاء في أرجوزته، لكنّه أورده في العقد الفريد في فصل تحت عنوان " خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه " وقال. وقُتل يوم الجمعة بالكوفة، وهو خارج إلى المسجد

ذلك يقول عنه ابن كثير[1]:" كان من الفضلاء المكثرين والعلماء بأخبار الأوّلين والمتأخّرين،وكتابُه العقْد يدلّ على فضائل جمّة،وعلوم كثيرة مهمّة،ويدلّ كثير من كلامه على تشيّع فيه،وميل إلى الحطّ على بني أميّة [!] وهذا عجيب منه،لأنّه أحد مواليهم وكان الأولى به أن يكون ممن يواليهم لا ممن يعاديهم . قال ابن خلكان : وله ديوان شعر حسن ، ثمّ أورد منه أشعارا في التغزّل في المردان والنّسوان أيضا(اهـ).

قلتُ: يبدوأنّ ابنَ كثيرلمْ يطّلع على كثير من مؤلّفات ابن عبد ربّه، وإلاّ لما شكّ في مدحه لبني أميّة،فإنّ بعض قصائده فيهم تقارب الغلوّ؛ والأدباء واللّغويون يستشهدون بأشعاره في هذا الباب ؛ بل إنّ له منظومة في أكثر من أربعمائة بيت يمدح فيها حاكم الأندلس في أيّامه!وكيف يكون شيعيّاً مَن يقول في العقد الفريد:" الرّافضة يهود هذه الأمّة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النّصرانيّة " ؟![2]ولا يفوتُ التّذكيرُ هنا أنّ الذّهبيَّ،ترجمَ في سيَر أعلام النّبلاء في الجزء السادس عشر للقاضي مُنْذر بْن سعيد البلوطيّ تحت رقم127[3]،وذكر تفاصيل عن حياته وكراماته،لكنّه تعمّد ترْكَ قصّته مع أبيات ابن عبد ربّه،وهذه واحدة أخرى تنضمّ إلى سجلّ الذّهبي الذي يتحكّم فيه

لصلاة الصبح، لسبع بقين من شهر رمضان، فكانت خلافته أربعَ سنين وتسعةَ أشهر، صلى عليه ولدُه الحسن.

[1] البداية والنهاية – ابن كثير ج 11 ص 219

[2] أورد الأمينيّ ــ رحمه الله تعالى ــ في موسوعته (الغدير) كثيرا من أقوال ابن عبد ربّه وافتراءاته على شيعة أهل البيت عليهم السلام وردّ عليه بما يثلج الصدر، وهذا أيضاً ممّا يؤكّد غلط ابن كثير في نسبة الرّجُل إلى التشيّع.

[3] توجد ترجمة القاضي منذر بن سعيد في سير أعلام النبلاء ج16 من آخر الصفحة173 إلى آخر الصفحة 179.

الهوى الأمويّ إلى درجة أن يمارس كتمان الحقيقة عمّن هوبحاجة إلى معرفتها.

***

3 ـ ابن قيّم الجوزية:

وأمّا ابن قيّم الجوزية فقد فاقهم جميعاً، وراح ينفي الأحاديث الواردة في ذمّ بني أُميّة، علماً أنّ المُفسّرين قد ذكروا أنّ قوله تعالى " والشّجرة الملعونة في القرآن " إنّما يقصد به بنو أُميّة " . قال ابن قيّم الجوزيّة في نقد المنقول ج1ص108 في فصل أحاديث المناقب والمثالب :

ومن ذلك الأحاديث في ذم مُعاويَة

وكلّ حديث في ذمّه فهو كذب

وكلّ حديث في ذمّ عمرو بن العاص فهو كذب

وكلّ حديث في ذم بني أُميّة فهو كذب

وكلّ حديث في مدح المنصور والسّفاح والرّشيد فهو كذب

وكلّ حديث فيه ذمّ يزيد بن مُعاويَة فكذب وكذلك أحاديث ذمّ الوليد وذمّ مَرْوان بن الحكم

وكذا كلّ حديث في مدح بغداد وذمّها والبصرة والكوفة ومرو وقزوين وعسقلان والاسكندرية ونصيبين وأنطاكية فهو كذب.

وكذا كلّ حديث في تحريم ولد العبّاس على النّار فهو كذب

وكلّ حديث في ذكر الخلافة في ولد العبّاس

وكذا كلّ حديث في مدح أهل خراسان الخارجين مع عبدالله وولد العبّاس فهو كذب. (انتهى) كلام ابن القيم .

والواقع أنّ حال معاوية ويزيد وعمرو بن العاص لا تحتاج إلى أحاديث، فإنّ أخبارهم في كتب الماضين مسطورة ، وأعمالهم في محاولات هدم الإسلام مشهورة، ولو لم يكن سوى ضرب الكعبة بالمنجنيق واستباحة المدينة المنوّرة حرم النّبيّ صلى الله عليه و آله وقتل آل النبيّ وأصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله لكفى؛ كيف وقد امتلأت الأرض في أيّامهم ظلماً حتى صار الصالحون من الأمّة بمنزلة العبيد،لا يستطيعون أمراً بمعروف ولا نهْياً عن منكر.ولكنّ ابن قيّم الجوزيّة شاميّ أمويّ الهوى،وهو تلميذ ابن تيمية الناصبيّ الذي ردّ الأحاديث الصحيحة انتصارا لمذهبه، ومن يشابه أبه فما ظلم.

* * *

4 ـ ابن تَيْمِيَة:

لا يتورع ابن تَيْمِيَة عن إضفاء لقب الإمام على مُعاويَة بن أبي سُفْيان إذ يقول في منهاج السّنّة النّبويّة ج1ص537 : *أضطرب النّاس في خلافة عليّ على أقوال ، فقالت طائفة إنّه إمام وإنّ مُعاويَة إمام وإنّه يجوز نصب إمامين في وقت إذا لم يمكن الاجتماع على إمام واحد وهذا يحكى عن الكراميّة وغيرهم* (اهـ).

ثمّ راح يُفَنْقِلُ ويُفَذْلِكُ محاولاً الجمع بين المتناقضات، فقال في ج1ص538: وقالت طائفة ثالثة بل عليّ هو الإمام وهو مصيب في قتاله لمن قاتله وكذلك من قاتله من الصّحابة كطلحة والزّبير كلّهم مجتهدون مصيبون،وهذا قول من يقول كلّ مجتهد مصيب ، كقول البصريّين من المعتزلة أبي الهذيل وأبي عليّ وأبي هاشم ومن وافقهم من الأشعريّة

كالقاضي أبي بكر وأبي حامد وهو المشهور عن أبي الحسن الأشعريّ. وهؤلاء أيضا يجعلون مُعاويَة مجتهدا مصيبا في قتاله كما أنّ عليّا مصيب وهذا قول طائفة من الفقهاء من أصحاب أحمد وغيرهم ذكره أبو عبد الله ابن حامد(اهـ) .

وقال[1]:وطائفة خامسة تقول إنّ علياً مع كونه كان خليفة هو أقرب إلى الحقّ من مُعاويَة (اهـ).

قلتُ:إنّه لَمِنْ عمَى البصيرة أن يُقال لمَن هُو مع الحقّ والحقّ معه يدُور معه حيث دار" إنّه أقربُ إلى الحقّ ".وكيف يكونُ أقربَ إليه وهو في قلبه!! فإنّها لا تعمى الأبصارُ ولكنْ تعْمَى القلوبُ التي في الصّدور.لكنّ ابن تَيْميَة تعوّدَ جحودَ الحقائق والتّنكّر للقيَم إذا لم يكنْ ذلك يَصبُّ في هوَاه.لذلك تراه في الجزء الخامس من منهاجه أنكرَ أن يكونَ حديثُ " عليّ مع الحقّ والحقّ مع عليّ " مروياً في كتب المُسلمين لا بإسناد صحيح ولا ضعيف.والحديثُ مرويٌّ بأسانيدَ صحيحةٍ وأُخْرى حَسَنة وأُخرى ضَعيفة،وتَحصّلَ بذلك كذبُ ابن تَيْميَة.ومنْ أبْغض الخلْق إلى الله تعالى شيْخ كذّابٌ.

قال ابن تيمية[2]:ومما يبيّن هذا أنّ الرّافضة تعجزُعنْ إثبات إيمان عليّ وعدالته مع كونهم على مذهب الرّافضة ولا يمكنهم ذلك إلاّ إذا صاروا من أهل السنّة فإذا قالتْ لهمُ الخوارجُ وغيرُهم ممّن تكفّره أوتُفسّقُه لا نُسلّم أنّه كان مؤمناً بل كان كافراً أو ظالماً كما يقولُون هُم في أبي بَكْروعُمَرلمْ يكُنْ لهمْ دليلٌ على إيمانه وعدله[!]إلاّ وذلك الدّليل على إيمان أبي بَكْروعُمَروَعُثْمان أدلّ .فإن احتجُّوا بما تَواترَ من إسلامه وهجْرَته وجهاده فقد

---

[1] منهاج السنة النبوية ــ ابن تيمية ــ ج1 ص 539

[2] منهاج السنّة النّبويّة ج2ص62

تواترَ ذلك عن هؤلاء بل تَوَاتَرَإِسْلامُ مُعاويَةَ ويَزيد وخلفاءِ بني أُميّة وبني العبّاس وصلاتهم وصيامهم وجهادهم للكفّار افإن ادّعوْا في واحد من هؤلاء النّفاق أمكن الخارجيَّ أن يدَّعي النّفاق وإذا ذكروا شبهةً ذكرَ مَا هُو أعظمُ منها (اهـ).

أقول:هذا كلام يتأذّى منه رسول الله صلى الله عليه وآله ،والذين يُؤذون رسولَ الله لهم عذاب أليم.ولو كان ابنُ تيمية يُقيم لحديث النّبيّ صلى الله عليه وآله وزناً لما استشهد بالخوارج كلاب النّار، ولراعى معتقدَ أبناء طائفَته الذين يُقرُّون أنّ عليّا عليه السلام رابعُ الخلفاء،وخامسُ أصحاب الكساء.ولو كان ابن تيميةَ صادقاً في انتسابه إلى السنّة النبويّة التي عنونَ بها كتابَه لرعى حُرمة الله تعالى ورسوله في حبيبهما،فإنّه قد صحّ عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قولُه في حقّ عليّ عليه السلام: " يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه اللهُ و رسولُه "، وأين ما قدّمه ابنُ تيمية للإسلام بالنّسبة إلى قدّمه عليّ عليه السلام؟!وهؤلاء أبناء طائفته يشهدون عليه شهادات تجعلُه في عداد من لا قيمة لكلامه عند أولي الألباب.

ولا أُطيلُ في بيان ما يخُصّ ابنَ تيمية لأنّ القصدَ الإشارةُ لا التّفصيل،وفي كتاب الدُّرَرالكامنَة في أعيان المئة الثامنة(لابن حجرالعسْقلانيّ) أخبارٌ حولَه لمن أراد أن يطّلع أكثر.

***

5 ـ شمس الدين الذّهبيّ :

أما الذّهبيّ فإنّ طريقتَه تختلفُ عن طريقة ابن تَيْمِيَة وابن قيّم الجوزية وابن كثير،والرّجلُ قد عاصرَهُم وتابعَ أحوالَهم ورأى تعاملَ النّاس معهم،وردودَ الفعل الصّادرة من فضلاء ذلك العصر،فلجأ إلى طريقة لا يتّضح فيها النّصب إلاّ بعدَ التمعُّن ولِمَنْ كان مُتحرّراً من التّعصّب

المَقيت.وفي اعتقادي أنّ النّصبَ الذي انطوَى عليه باطنُ الذّهبيّ أضعافُ ما كان عليه ابن تَيْميَة،وإنّما اشتهر ابنُ تَيْميَةَ بذلك دونَه لكونْه يُصرّحُ به ويسيءُ في التّعبير.أمّا الذّهبيّ فإنّه يتخيّرُالعبارات،وإذا أرادَ تسديدَ ضَرَباته هيّأ لذلك ومهّدَ لهُ بقليل من المدْح لمَنْ يُريدُ ضَرْبَهُ حتّى يمُرَّ الأمرُ بسلام،ومثلُ هذا العمل لايصدُرإلاّ عن باطن غيرسليم،لأنّ فيه التّلاعب بمشاعر القُرّاء واستغْلال طيبَتهم وحُسْن طويّتهم؛وهوإضافة إلى أنّه أمر يرفضُه الشّرع،عملٌ سيّءٌ مُستهجَنٌ عند العقلاء في كلّ الثّقافات.والذّهبيُّ مع كلّ هذا يدّعي أنّه يتولّى عليَّ بن أبي طالب عليه السّلام كما في سيَرأعلام النبلاء ج3 ص39 إذ يقول:"وقد كان بيْن الطّائفتين من أهْل صفّين ما هو أبْلغُ من السّبّ السّيف،فإن صحّ شيءٌ فسبيلُنا الكفّ والاستغفارُ للصّحابة ولا نحبّ ما شجَرَ بيْنهم ونعوذُ بالله منْه ونتولّى أميرَ المؤمنين عليّاً ". لكنّ أعمالَ الذّهبيّ ومواقفَه من أتْبَاع عليّ عليه السلام لا تنْسجمُ مع ذلك المُدّعَى،وله قبل ذلك موقف خطير يدلّ تعبّده بكتمان العلم[1]؛وأنا مُوردٌ ههنا مايدلّ على تحامله على أتباع أهل البيت بصورة جليّة بسيطة:

قال الذّهبيّ في تذكرة الحفّاظ :ج 4 ص 1448[وما بعدها] في ترجمة ابن مسدى :

---

[1] يقول الذهبي في سير أعلام النبلاء ج10ص92:" قلت كلام الأقران إذا تبرهن لنا أنه بهوى وعصبية لا يلتفت إليه بل يطوى ولا يروى كما تقرر عن الكف عن كثير مما شجر بين الصحابة وقتالهم رضي الله عنهم أجمعين

وما زال يمر بنا ذلك في الدواوين والكتب والأجزاء ولكن أكثر ذلك منقطع وضعيف وبعضه كذب وهذا فيما بأيدينا وبين علمائنا فنبغي طيّه وإخفاؤه بل إعدامه لتصفو القلوب وتتوفرعلى حب الصحابة والترضي عنهم وكتمان ذلك متعين عن العامة وآحاد العلماء وقد يرخّص في مطالعة ذلك خلوة للعالم المنصف العريّ من الهوى بشرط أن يستغفرلهم كما علمنا الله تعالى.

ابن مسدى الحافظ العلاّمة الرّحّال أبو بكر محمّد بن يوسف بن موسى بن يوسف بن مسدى الأزديّ المهلبيّ الأندلسيّ الغرناطيّ ،أحد من عُنى بهذا الشّأن،كتب عن خلْق بالأندلس في سنة نيف وعشر،وارتحلَ بعدَ العشرين ولحق بحلَب أبا محمّد[ابن] علوان الأستاذ،وبدمشق أبا القاسم بن صصرى وبمصرْ الفخرْ الفارسيّ،وبالثّغرمُحمّد بن عباد،وبتونُس وتلمسان،وعمل مُعجماً في ثلاث مجلّدات كبار رأيْتُه وطالعْتُه وعلقت منه كراريس،وله تصانيفُ كثيرةٌ وتوسّعَ في العُلوم وتفنّن،ولهُ اليدُ البيضاءُ في النّظم والنّثر ومعرفة بالفقه وغير ذلك وفيه تشيّع وبدعة.روى عنهُ الأميرُ علم الدّين الدّواداريّ ومجد الدّين عبد الله بن محمّد الطّبريّ وغيْرُ واحد وشيخُنا الدّمياطيّ في معجمه.حكى لي المحدّثُ عفيفُ الدّين ابن المطريّ أنّه سمع التّقيّ المعمريّ يقول سألتُ أبا عبد الله بن النّعمان المزاليّ عن ابن مسدى فقال:ما نقمنا إلاّ أنّه تكلّم في أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها.ثمّ حدّثني العفيف أنّ ابن مسدى كان يُداخل الزّيديّة بمكّة فولّوهُ خطابةَ الحَرَم فكان يُنشئُ الخُطَبَ في الحال وأكثرُ كُتُبه عنْد الزّيديّة ثمّ أرانى عفيفُ الدّين له قصيدةً نحواً منْ ستّ مائة بيْت ينالُ فيها من مُعاويَة وذويه،ورأيتُ بعضَ الجماعة يضعّفونَه في الحديث وأنا قرأتُ لهُ أوهاماً قليلةً في مُعجمه،وقد خرج لابْن الحميْريّ فوَهمَ،خرج له من رابع المحامليات عن شهدة،وهذا خطأ.وممّن روى عنه أبو اليمن بن عساكروَعفيف الدّين[ابن] مزروع،وكان شيخُنا رضيّ الدّين بن إبراهيم إمامُ المقام ممّن يمنعُ الرّواية عنه.و" مَسْدى " بالفتح وياء ساكنة ومنهم من يضمه وينوّن.قُتِلَ ابنُ مسدى[بمكّة] غيلةً وطُلّ دَمُه في سنة ثلاث وستّين وستّ مائة عن نحْو من سبْعين سنة.كتب إلي الإمام عبد الله بن محمّد بن محمّد المكّيّ أنّه قرأ على أبي بكر ابن مسدى قصيدته هذه :

يا ذا الذى لَمْ يَزَلْ في مُلْكِهِ أزلا * ما ذا أقُولُ ولا أُحْصى الثّنَاءَ وَلا

عَلَوْتَ قَدْراً فَمَا قَدْرُ العُقُولِ وَقَدْ ****عَقَلْتَهَا فيكَ عَنْ مَفْهُوم قَوْلِ عَلا

(انتهى) كلام الذّهبيّ .

قلتُ :أورد العلاّمة ابن عقيل الشّافعيّ في كتابه " **العتب الجميل على أهل الجرح والتّعديل** " كلامَ الذّهبيّ في حقّ ابْن مسْدى ثمّ قالَ:" وأقولُ أسْخَنَ اللهُ عُيُونَ النّوَاصب وصَبَّ عليْهم عذابَهُ الوَاصبَ؛ ما نَقَمُوا من ابْن مسْدى إلاّ قُربَه منَ الزّيديّة وحُبَّهُ العتْرةَ النّبويّةَ،ووجودَ كُتُبه عنْدهُم وذَمَّهُ لعدوِّ الله وعَدُوِّ الإسْلام مُعاويَة،ويرحمُ اللهُ الشّيخَ عبد الغنيّ النابلسيّ حيث يقول :

إن كان في اليمن الفيحاء زيدية فإن في شامنا هذا يزيدية

(انتهى) كلامُ ابن عقيل.

والذي يَرْمي إليه الذّهبيُّ هُوَأنّ ابنَ مسْدى بذمّه لمُعاويَةَ يَسقُطُ من الاعْتبَار،ولعلّه أراد ذلك بقَوْله في بدايَة كَلامه "وفيه تشيُّعٌ وبدْعةٌ ".وذَكرَبَعْدَ ذلك أنّه " طُلّ دمُه " ولم يعلّقْ عليْه بشيء بعْدَ أن ذكرَ من علْم الرّجُل ماذَكَرَ،والحالُ أنّ دماءَ أهْل القبْلة معْصُومَةٌ.ولوْ كانَ ابنُ مسْدى من الحَامدين لسيرَة مُعاويَةَ لألْبَسَهُ الذّهبيُّ لَقَبَ الشَّهيد وصبّ على قاتليه وابلاً من اللّعْن وبيلاً؛إنّما الرّجلُ يبغضُ مُعاويَةَ بنَ أبي سُفْيان في الله وهذه عند الذّهبيّ جريمةٌ لا تُغتَفَرُ.يُضافُ إلى ذلك ما تضمّنتْهُ أبيات ابن مسدى السّابقة فإنّه يُخالفُ ما يذهب إليه الذّهبيُّ في مسألة العُلوّ،وقد ألَّف الذّهبيُّ في العُلوّ كتابَه المشهورَ " العلو للعليّ العالي".

وذكرالذّهبيّ في تذكرة الحفّاظ[1] قصّةَ النّسائيّ عن محمّد بن موسى المأمونيّ صاحب النّسائيّ وقال فيه:سمعتُ قوماً يُنكرُون على أبى عبد الرّحمن كتاب الخصائص لعليّ رضي الله عنه وتَرْكَهُ تصنيفَ فضائل الشّيخين فذَكرْتُ لهُ ذلك فقال:دخلتُ دمشْق والمُنحرفُ عن عليّ بها كثيرٌفصنّفتُ كتابَ الخصائص رجوتُ أن يهديَهم الله،ثمّ إنّه صنّف بعد ذلك فضائل الصّحابة،فقيل له وأنا أسمَعُ:ألا تُخرجُ فضائلَ مُعاويَة؟ فقال أيّ شيء أُخرجُ؟ حديث:اللّهمّ لا تُشْبعْ بَطنَه؟ فسكتَ السّائلُ.قلت[2]:لعلّ هذه مَنْقَبَة مُعاويَة لقول النّبيّ صلى الله عليه وآله :اللّهمّ مَن لعنْتُه أو شتمْتُه فاجعلْ ذلك له زكاةً ورحمةً(اهــ).

يقول الذّهبيّ عن حِرْمان مُعاويَة من الشّبع " لعلّ هذه منقبة " مُصادراً كلّ ما عليه النّاس،العوامّ منْهُم قبل الخواصّ،فإنّ ألمَ الجُوع يُعلَم بالغريزة.ثمّ إنّ لهيبَ الجُوع مُضرٌّ بالبَدَن والعقْلِ إلاّ ما كان من الصّيام لأنّه تجويع اختياري بقصد العبادة،وليس جوعاً؛وفي وُسع الصّائم أن يشبع بعد الإفطار.ومُعاويَة نفسُه يتضجّرُويتذمّرُويُقسمُ أنّهُ لم يشبَعْ وإنمّا تَعبَ من المضْغ.ولم يشغلْ أهلَ النّارما هُم فيه من العذاب أنْ نادَوا أصحابَ الجَنّة أنْ أَفيضُوا علينا من الماء أو ممّا رزقكم الله. بل إنّ منَ التّعذيب يومَ القيَامة ألاّ يشبعَ أهلُ النّارلأنّ طعامَهم " لا يُسْمنُ ولا يُغْني منْ جُوع ".وبما أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أطْلقَ في دُعائه على معاوية فإنّه لا مانعَ أنْ يشملَ الدّعاءُ الدّنيا والآخرةَ، فيكون معاوية من الذين لا يشبعُون في الآخرة،وهُم أهلُ النار.

---

[1] تذكرة الحفّاظ ــ الذهبي ــ ج2ص699

[2] القائل هو الذّهبيّ

ويحتجّ الذّهبيّ لكلامه بحديث مُفترىً على النّبيّ صلى الله عليه وآله لتَبْييض وُجُوه سوّدها الله فيقول " لقول النّبيّ صلى الله عليه وآله اللهمّ مَن لعنتُه أو شتمتُه فاجعلْ ذلك له زكاة ورحمة "،ولا يستحي أن ينسبَ إلى النّبيّ صلى الله عليه و آله أنّه يلعنُ ويشتمُ مَن ليس أهلاً لذلك،وهذا ما يترفّع غنه آحاد المؤمنين ،فكيف بمن هو صاحب الخلق العظيم.نعم، إنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله يلعنُ من يستحقّ اللّعن،ولا يلعنُه إلاّ بعدَ أن يكون قد استحقّ اللّعن في السّماء ومن استحقّ اللعن من الله و رسوله فليس ينفعه ((لعلّ)) من الذّهبيّ.

ثمّ إن الذّهبيّ يذكر بخصوص النّسائيّ[1]ما يلي :

وقال محمّد بن المظفّر الحافظ سمعت مشايخَنا بمصر يصفون اجتهاد النّسائيّ في العبادة بالليل والنّهار وأنّه خرج إلى الغزو مع أمير مصر فوصف من شهامته وإقامته السّنن المأثورة في فداء المسلمين واحترازه عن مجالس السّلطان الذى خرج معه والانبساط في المأكل وأنّه لم يزل ذلك دأبه إلى أن استشهد بدمشق من جهة الخوارج(اهـ).

قلتُ:المعلومُ أنّ الذين قتلوا النّسائيّ هم أهلُ دمشق النّواصب،انتصاراً منهم لمُعاويَة،لأنّ النّسائيّ ألّف كتاب خصائص أمير المؤنين في فضل على بن أبي طالب عليه السلام ،ورفض أن يكتب في معاوية؛والذّهبيّ نفسه يقول بعد ذلك :[قال أبو عبد الله بن منده عن حمزة العقبيّ المصريّ وغيره إنّ النّسائيّ خرج من مصر في آخر عمره إلى دمشق فسُئل بها عن مُعاويَة وما جاء من فضائله،فقال ألا يرضى رأسا برأس حتى يفضّل ؟ قال فما زالوا يدفعون في خصييه حتّى أُخرج من المسجد ثمّ حُمل إلى مكّة فتوفّي بها . كذا

[1] تذكرة الحفّاظ ــ الذهبي ــ ج 2ص 700

في هذه الرّواية إلى مكّة ، وصوابه الرّملة](اهـ) فمتى سكن الخوارج دمشق؟! ومتى كانوا ينتصرون لمعاوية؟!

وقال بعد ذلك [1]:قال الدّار قطنيّ:خرج حاجّاً فامتُحن بدمشق وأدرك الشّهادة فقال احملوني إلى مكّة فحُمل وتوفّي بها وهو مدفون بين الصّفا والمَروَة وكانت وفاته في شعبان سنة ثلاث وثلاثمائة قال وكان أفقه مشايخ مصر في عصره وأعلمهم بالحديث والرّجال(اهـ).

والدّارقطنيّ أقربُ عصراً إلى النّسائي من الذّهبيّ.

أما المزّيّ فإنّه ذكر القصّة في كتابه " تهذيب الكمال " ثم أورد بعدها تعقيبا، قال[2] :قال الحاكم أبو عبد الله الحافظ : سمعتُ عليّ بن عمر يقول:كان أبو عبد الرّحمن النّسائيّ أفقهَ مشايخ مصر في عصره ، وأعرفَهم بالصّحيح والسّقيم من الآثار،وأعلمهم بالرّجال ، فلمّا بلغ هذا المبلغ حسدوه فخرج إلى الرّملة، فسُئل عن فضائل مُعاويَة،فأمسك عنه،فضربوه في الجامع.فقال: أخْرجُوني إلى مكّة،فأخرجُوه إلى مكّة وهو عليل،وتوفّي بها مقتولا شهيداً . قال الحاكم أبو عبد الله: ومع ما جمع أبوعبد الرّحمن من الفضائل رُزقَ الشّهادةَ في آخرعُمره،فحدّثني محمّد بن إسحاق الأصبهاني ، قال:سمعت مشايخَنا بمصريذكرون أنّ أبا عبد الرّحمن فارق مصرفي آخرعمره ، وخرج إلى دمشق ، فسُئل بها عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان وما رُوي من فضائله ، فقال : ألا يرضى مُعاويَة رأساً برأس حتى يُفضّل ؟! فما زالوا يدفعُون في حضنَيْه حتى أُخرج من المسجد ثمّ حُمل إلى مكّة ومات بها سنة ثلاث وثلاث

---

[1] تذكرة الحفاظ ج 2ص 701

[2] تهذيب الكمال ــ المزّي ــ ج 1 ص 338

مئة وهو مدفون بمكّة . قال الحافظ أبو القاسم: وهذه الحكاية لاتدلّ على سوء اعتقاد أبي عبد الرّحمن في مُعاويَة بن أبي سُفْيان وإنّما تدلّ على الكفّ في ذكره بكلّ حال (اهــ).

والذّهبيّ يرى كُفرَ من يكفّرالشّيخين، لكنّه لا يرى ذلك بخصوص من يكفّرُعليّاً عليه السلام ويلعنُه ويسبّه ويشتمه،علماً أنّه قد صحّ أنّ من سبّ عليّاً فقد سبّ النّبيّ صلى الله عليه وآله كما روى الحاكم وغيره.ومعنى هذا أنّ الذّهبيّ يرى كُفر من يسبّ الشيخين ولا يرى كُفر مَن يسبّ النبيّ صلى الله عليه وآله! ويرى الذّهبيّ أنّ من تكلّم في الشّيخين فهو غال مُفتر،وقد ثبتَ أنّ فاطمة بنت النّبيّ صلى الله عليه وآله هَجَرَتْهُما ولمْ تكلّمْهُما وأوصتْ ألاّ يُصلّيا عليها، ولم تكن ــ سلام الله عليهاــ ترى خلافةَ أبي بكر شرعيّةً وهذا أعظم من التكلّم فيهما،ويؤولُ الأمرُإلى أنْ تكونَ فاطمةُ ــ سلام الله عليها ــ في نظر الذّهبيّ غاليةً مفتريةً (مغترة)،نعوذُ بالله تعالى من سوء الظنّ في المطهّرين!

وقال الذّهبيّ في تذكرة الحفاظ ج 2ص 775 في ترجمة أبي عروبة :

وقد ذكره ابن عساكر في ترجمة مُعاويَة فقال:كان أبو عروبة غالياً في التّشيّع شديدَ الميل على بني أُميّة.قلت كلّ مَن أحبّ الشيخين فليس بِغالٍ ، بلى من تكلّم فيهما فهُو غال مغتر فإن كفّرهما والعياذ بالله جاز عليه التّكفير واللّعنة ،وأبو عروبة فمن أين جاءَه التّشيّع المفرط ؟ نعم قد يكون ينال من ظلمة بنى أُميّة كالوليد وغيره (اهــ) !

وللذّهبيّ جولات مع كلّ من يشتمّ منه رائحة الولاء لأهل البيت عليهم السّلام وإن كان راضياً عن الشّيخين.وقد ضاق الذّهبيّ بحديث الطّير المشويّ وخشي أن يأتيَ بعدَه من أهل الفنّ مَن يستدرك عليه وينسبه إلى قلّة الحفظ –

فأقرّ على مَضَض أن يكونَ له أصلٌ.قال في ترجمة الحاكم في تذكرة الحفاظ ج3ص1042:قلتُ ثُمّ تغيّررأيُ الحاكم وأخرج حديث الطّير في مُستَدركه،ولاريب أنّ في المُستَدرك أحاديث كثيرة ليست على شرْط الصحّة بل فيه أحاديث موضوعة شانَ المُستَدرك بإخراجها فيه.وأمّا حديث الطّيرفلَه طرق كثيرة جدّاً قد أفردتُها بمصنّف ومجموعهاهو يوجب أن يكون الحديث له أصل.وأما حديث " من كنت مولاه " فله طرق جيّدة وقد أفردت ذلك أيضاً (اهــ).

وختم الذّهبيّ ترجمةَ الحاكم بكلام أملاهُ عليه هواه الأُمويّ لا غير،فقد قال في تذكرة الحفاظ ج3ص1045 ما يلي:قال ابن طاهر سألت أبا إسماعيل الأنصاريّ عن الحاكم فقال:ثقة في الحديث رافضيّ خبيث – ثمّ قال ابن طاهر:كان شديد التعصّب للشّيعة في الباطن،وكان يُظهر التّسنّن في التّقديم والخلافة،وكان منحرفاً عن مُعاويَة وآله متظاهراً بذلك ولا يعتذرمنه.قلتُ أمّا انحرافه عن خُصوم عليّ فظاهر،وأما أمرُالشّيخين فمُعظّم لهما بكلّ حال فهو شيعيّ لا رافضيّ،وليتَه لم يصنّف المُستَدرك فإنه غضّ من فضائله بسوء تصرّفه . اهــ

إذاً فالذّهبيّ يودّ لو أنّ الحاكم لم يصنّف المُستَدرك حتى يتمّ للبخاريّ ومسلم ما أراداه من إخفاء الحقيقة عن طالبيها.ولاشكّ أنّ الحاكم قد قضى زمناً معتبراً في تصنيف المُستَدرك،والذّهبيّ يعلم ما يلاقيه المحدّث في تصحيح الأسانيد وتنقيح المتون،لكنّ ذلك لا يكون له شأن لديْه إذا لم يكن مشفوعاً بمحبّة آل أُميّة.و لوأنّ المُستَدرك كان حافلاً بمَديح آل أبي سُفْيان وآل مَرْوان وآل زياد لتلقّاه الذّهبيّ بالقبول .

ويربط الذّهبيّ مسألة استحقاق الإمامة بالتخلّف عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، ومن ذلك ما ذكره في سير أعلام النبلاء ج 1ص 122 حيث

يقول: وروى عمر بن الحكم عن عوانة قال دخل سعد على مُعاويَة فلم يسلّمْ عليه بالإمْرة فقال مُعاويَة لو شئتَ أن تقولَ غيرَها لقلتَ قال فنحنُ المؤمنون ولم نؤمّرْك فإنّك مُعجَب بما أنت فيه والله ما يسرّني أنّي على الذي أنت عليه وأنّي هرقت محْجَمَة دَم . قلت اعتزل سعد الفتنةَ فلا حضر الجَمل ولا صفّين ولا التّحكيم ولقد كان أهلا للإمامة كبير الشّأن رضي الله عنه(اهـ).

إذاً فسعدُ بن أبي وقّاص في نظر الذّهبيّ أهل للإمامة كبير الشّأن لأنّه لم يحضر الجمل ولا صفّين ولا التّحكيم.وهذا يعني أنّ الذّهبيّ لا يبالي أين يكون الحقّ،لأنّ القرآن الكريم يقول:" فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله "ولم يستجبْ سعْد بن أبي وقّاص للأمر الإلهيّ ولم يقاتل التي تبغي،فهو مقصّر،ومع ذلك أُعجبَ به الذهبيّ ورآه بذلك التقصير مستحقّاً للإمامة لأنّ من دَيْدَن الذّهبيّ أن يُعجب بكلّ ما فيه مخالفة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام. وللعلْم،فقد ذكرَ القرطبيّ أنّ سعداً واجهَ معاوية بندَمه على عَدَم قتال الفئة الباغية[1].

ومن الأمثلة على انحراف الذّهبيّ عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ما ذكره في ميزان الاعتدال ج1ص428 في ترجمة حابس تحت رقم **1594**:

حابس اليمانيّ [ق].عن أبى بكر الصدّيق.قال الدّارقطنيّ:وقد سأله عنه البرقانيّ فقال:مجهول متروك ، قلتُ:ذا يقالُ له صُحبة.روى عنه أبو الطّفيل وجبير بن نفير،وهو من كبار أمراء مُعاويَة قتل يوم صفّين موصوف بالعلم والتعبّد(اهـ).فالذّهبيّ يصف بالعلْم من يحارب باب مدينة العلم،ويصف بالتعبّد من يحارب سيّد العابدين ويموتُ مُصرّاً على حربه فإنّ الرجل قُتل يوم صفّين.هذا موقف الذّهبيّ من أفراد الفئة الباغية التي شهد عليها النبيّ

---

[1] تفسير القُرطبيّ ج16ص319

صلى الله عليه وآله وسمّاها فرقة القاسطين وقد قال الله تعالى:وأمّا القاسطون فكانوا لجهنّم حطباً.

ومن أمثلة انحراف الذّهبيّ عن عليّ عليه السلام موقفُه من حريز بن عثمان الذي كان عَلَماً في النّصب،وكان يصرّح ببُغْض عليّ ويشتمه.وإليك بعض ما جاء في حريز:

في التاريخ الكبير للبخاريّ ج3ص103 تحت رقم356:حريز بن عثمان أبو عثمان الحمصيّ الرّحبيّ عن راشد بن سعد سمع منه الحكم بن نافع وقال محمّد بن المثنّى حدّثنا معاذ بن معاذ قال حدّثنا حريز بن عثمان أبو عثمان ولا أعلم أني رأيت أحدا من أهل الشام أفضّله عليه وقال أبو اليمان كان حريز يتناول من رجل [!]ثم ترك ذلك وقال يزيد بن عبد ربّه مات حريز سنة ثلاث وستين ومائة ومولده سنة ثمانين (اهـ).

وفي كتاب من تُكُلّم فيه ج1ص66 تحت رقم 84 : حريز بن عثمان الرّحبيّ [خ] ثقة متين تُكُلّم فيه لنصبه(اهـ).

و قال القُرْطبيّ في تفْسيره[1]:وقد بيّنّاهذا الباب في كتاب التّذكرة،وبيّنا هناك من يفتن في قبره ويُسأل فمن أراد الوقوف عليه تأمّله هناك.وقال سهل بن عمّار رأيت يزيد بن هرون في المنام بعد موته فقلت له مافعل الله بك فقال أتاني في قبري ملَكان فظّان غليظان فقالا ماديُنك ومَن ربُّك ومن نبيّك فأخذت بلحيتي البيضاء وقلت ألمثْلي يُقال هذا وقد علّمْتُ النّاس جَوابَكما ثمانين سنة قالا أكتبْتَ عن حريزبن عثمان قلت نعم فقالا إنّه كان **يبغض عليّاً** فأبغضه الله(اهـ).

[1] تفسير القُرْطبيّ ج9ص363[دار الشعب -القاهرة 1373 هـ]

والقرطبيّ في الأندلس، وحريز بن عثمان في الشّام.

والذّهبيّ نفسه يُوردُ أقوالاً في ترجمة حريز فيقول في سير أعلام النبلاء ج7ص79:الحافظ العالم المتقن أبو عثمان الرّحبيّ المشرقيّ الحمصيّ محدّث حمص من بقايا التّابعين الصّغار سمع من عبد الله بن بشر رضي الله عنه وخالد بن معدان وراشد بن سعد وعبد الرحمن بن ميسرة وحبيب بن عبيد وعدّة . حدّث عنه بقيّة بن الوليد ويحيي القطّان ويزيد بن هارون وحجّاج الأعور وأبو اليمان الحكم بن نافع وعليّ بن عيّاش وآدم بن أبي إياس وأبو المغيرة ويحيى بن صالح وعليّ بن الجعد وخَلْق سواهم.حدّث بالشّام وبالعراق وحديثُه نحو المئتين ويُرمَى بالنّصب! وقد قال أبو حاتم لا يصحّ عندي ما يقال في رأيه ولا أعلم بالشّام أحدا أثبت منه. وقال أحمد بن حنبل حريز ثقة ثقة ثقة لم يكن يرى القَدَر وقال أبو اليمان **كان ينال من رجل** ثم ترك ذلك..ورُوي عن عليّ بن عيّاش عن حريز أنّه قال أأنا أشتم علياً والله ما شتمتُه وجاء عنه أنّه قال لا أحبه لأنّه قتل من قومي يوم صفّين جماعة. وقال أحمد بن سليمان الرّهاوي حدّثنا يزيد قال كان حريز يقول : لنا إمامُنا ولكم إمامُكم يعني مُعاويَة وعليا رضي الله عنهما[!!].قال عمرانُ بن أبان سمعت حريزاً يقول لا أحبّه قَتَل آبائي. وقال شبابة سمعت رجلاً قال لحريز بن عثمان بلغني أنّك لا تترحّم على عليّ قال أسكت رحمة الله مئة مرة .وقال عليّ بن عياش سمعت حريز بن عثمان يقول والله ما سببتُ علياً قطّ.

قلت [1]: هذا الشّيخ كان أورعَ من ذلك وقد قال معاذ بن معاذ لا أعلم أنّي رأيت شامياً أفضلَ من حريز وقال يحيى بن معين وجماعة ثقة.اهـ

---

[1] القائل هو الذّهبيّ

هكذا يحكم الذّهبيّ حُكمَه الفَصل، ولا يلتفت إلى أحاديث النّبيّ صلى الله عليه وآله عن مبغضي عليّ عليه السلام،ولو كان حريز ممّن لايقولون بإمامة الشّيخين لطردَه الذّهبيّ من رحمة الله بكلّ سهولة،لكنّه يلتقي معه في الحطّ من شأن عليّ عليه السلام وموالاة عدوّه.

وإذا وجدَ الذّهبيّ في الحديث فضيلةً لعليّ أو الحَسَنَيْن سلام الله عليهم جميعاً فإن همّه قبل كلّ شيء أن يقول عن الحديث إنّه كذب، ومن ذلك :قوله في ميزان الاعتدال ج 1 ص 496 في ترجمة ابن صابر الكسائيّ تحت رقم 1866 : الحسن بن صابر الكسائيّ عن وكيع . قال ابن حبّان : مُنكَر الحديث ، ثمّ ساق له عن وكيع ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة – مرفوعاً : لما خلق الله الفردوس قالت : ربّ زيّنّى . قال : زيّنتك بالحسن والحسين . رواه عنه الفضل بن يوسف القصبانيّ.وهذا كذب (اهـ).

وليس القصد مناقشة الذّهبيّ في مجال تخصّصه،وإن كان له فيه تناقُضات وتضارُبات حتى قيل ما سُمّي الذّهبيّ إلاّ لذهاب عقله " ، ولكنّ الرّجُل دائمُ المُسارعة إلى نقض ما فيه فضيلة لعليّ وأولاده عليهم السلام وقد ردّ عليه بكلّ جدارة وكفاءة الحافظُ شهاب الدّين أحمد بن الصّدّيق الغماريّ المغربيّ في أكثر من موضع من مؤلّفاته. ولوكان الذّهبيّ يعرف حُرمة الحسنيْن ومنزلتَهما عند الله تعالى لما استكثر فيهما هذا الحديث. وكم من حديث ردّه الذهب ونسبَ راويَه إلى الكذب لا لشيء إلا لأنّ فيه فضيلة لأهْل البيت عليهم السّلام،والذّهبيّ قد سخّر وَقْتَه وبَدَنَه وقَلَمَه لمُحَاربة أهْل البيت عليهم السّلام.

وهذا مثال آخر يكشف عن مدى تناقض الذّهبيّ وتهرّبه من الاعتراف بالحقيقة حينما يتعلّق الأمر ببني أُميّة ؛ومَن تَدبّرما كتبه الرّجل في صفحة واحدة يضربُ بعضُه بعضاً وينقُضُ أوّلَه آخرُه لم يخْفَ عليه بعدَها أنّ

الذّهبيّ ممّن أضلّه الله على علم، وأنّه إنّما يُصدرأحكامَه عن هَوىً لا عن إنْصاف. قال الذّهبيّ في ترجمة يزيد بن أبي سُفْيان في سيرأعلام النبلاء ج1ص329 :أخو مُعاويَة من أبيه ويقال له يزيد الخير، وأمّه هي زينب بنت نوفل الكنانيّة وهو أخو أمّ المؤمنين أمّ حبيبة كان من العقلاء الألبّاء والشّجعان المذكورين؛أسلمَ يومَ الفتح ،وحسُن إسلامه وشهد حنيناً فقيل إنّ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم أعطاه من غنائم حنين مئة من الإبل وأربعين أوقية فضّة وهو أحد الأمراء الأربعة الذين ندبهم أبو بكر لغزوالرّوم،عقد له أبو بكر ومشى معه تحت ركابه يسايرُه ويودّعه ويوصيه وما ذاك إلاّ لشرفه وكمال دينه [1]ولما فُتحتْ دمشق أمّره عُمر عليها.له حديث في الوضوء رواه ابن ماجه وله عن أبي بكر.حدّث عنه أبو عبد الله الأشعريّ وجنادة بن أبي أُميّة وله ترجمة طويلة في تاريخ الحافظ أبي القاسم وعلى يده كان فتح قيسارية التي بالشّام.روى عوف الأعرابي عن مهاجر أبي مخلد قال حدّثني أبو العالية قال غزا يزيد بن أبي سُفْيان بالنّاس فوقعت جارية نفيسة في سهم رجل **فاغتصبها** يزيد [!] فأتاه أبو ذرّ فقال رُدَّ على الرّجل جاريته فتلكّأ فقال لئن فعلتَ ذلك لقد سمعتُ النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم يقول أولُ من يبدّل سُنّتي رجُلٌ من بني أُميّة يقال له يزيد فقال نشدتك الله أنا منهم قال لا فردّ على الرجل جاريته أخرجه الروياني في مسنده(اهــ).

---

[1] وجاء في صحيح مسلم 7 ص172 أن أبا سفيان – وهو شيخ قريش – أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر ، فقالوا : والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها . فقال أبو بكر : اتقولون هــذا لشيخ قريش وسيدهم ! ؟ فأتى النبي (صلى الله عليه وآله فأخبره . فقال يا أبا بكر : لعلك أغضبتهم ! لــئن كنت أغضبتهم لقد أغضبت ربك اهــ و الحديث موجود أيضاً في وفي سير سير أعلام النبلاء (الذهبي) ج 1 ص 540و تاريخ دمشق ج 10 ص 463 . قلت : وع ذلك فقد بقي أبو بكر مصرّاً على تعظــيم آل أبي سفيان، ومخالفته للنبيّ صلى الله عغليه و آله في ذلك واضحة.

فأنت ترى أنّ الذّهبيّ وصفه في بداية التّرجمة بأنّه من الألبّاء،والألباء جمع لبيب،واللبيبُ صاحب اللب.ولعلّ الألبّاء هم المقصودون في القرآن الكريم بــ((أولي الألباب))،ولم يذكُرْهم القرآن الكريم إلا بخيْر.ومن بين صفاتهم أنهم يتذكرون " إنما يتذكرأولوالألباب " وأنّهم مُهتدون " أولئك الذين هدى لله وأولئك هم أولوالألباب ".،فهل كان في يزيد بن أبي سُفْيان من هذا شيء؟

حسب الرواية التي أوردها الذّهبيّ فإنّ يزيد بن أبي سُفْيان اغتصب جاريةً وقعتْ في سهم أحد المجاهدين، وهذا معناه أنّ يزيد بن أبي سُفْيان استغلّ منصبه باعتباره قائداً للجيش ليقتطع حق امرئ مسلم ظلماً وعُدواناً.ولا يستطيع الذّهبيّ ومن في الأرض جميعاً نفيَ صفة الظّلم عن هذا العمل الشّنيع، فهل هذا عمل العُقلاء الألبّاء؟!

ثم تقول الرّواية: " فأتاه أبوذرّ فقال: رُدَّ على الرّجُل جاريتَه فتلكّأ .." فما معنى أن يتلكّأ وقد علم الذّهبيّ وغيرُه أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وصفَ أبا ذرّ بصدق اللّهجة ؟! لقد كان الأولى بيزيد بن أبي سُفْيان أن يعتذرإلى أبي ذرّ وإلى الرّجل الذي غصبه حقّه، لكنّه تلكّأ،ولم يُذْعن إلا بعد أن صدع أبو ذرّ بحديث سمعه من النبيّ صلى الله عليه وآله يضعُ يزيد بن أبي سُفْيان أمام الأمرالواقع بحيث يصحّ أن يُقال فيه بعدها إذا لم يُعد الحقّ إلى أهله إنّه " أوّل مَن يغيّر سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله " وهذا عنوان لا يرغبُ فيه أحد!

ويقول الذّهبيّ عن يزيد بن أبي سُفْيان إنّه " كان من العُقلاء الألبّاء "، فما بالُ العقْل واللّبّ لم ينفعاه في المقام فغاب عنْه رشدُه أمام جارية نفيسة

؟!وكيف يصلح لقيادة جيش المسلمين مَن هُو ضعيف أمام الشهوة إلى هذه الدرجة[1]؟!

ويقول عنه الذّهبيّ إنه كان من " الشّجعان المذكورين " ولم يحسّ به أحد ولم يسْمع له ركزا لا في بدْروأُحُد مع المُشركين،ولا يوم حنين مع المسلمين!

ويقول عنه الذّهبيّ "حسُن إسلامُه " و الحقّ أنّ هذه القصّة دليل على حُسن إسلامه على طريقة الذّهبيّ في فهم الإسْلام لا على طريقة أبي ذرّ !!

وإنّما أوردت هذه الأمثلة حتى لا يتوهّم القارئُ إجحافاً في حقّ الرّجل ، وليطّلع عليها من لم يكن مطّلعا عليها من قبل.وأختم الكلام عن الذّهبيّ بما خطّته يدُه بخصوص شيعة أهل البيت عليهم السلام،ولا أدري في أيّ دين يجوز أن يُكتب مثلُ هذا بعد أن قال الله سبحانه و تعالى " ولقد كرّمنا بني آدم..." ! نعم،أختمُه بهذه الكلمة التي يجدها الذّهبيّ في صحيفته يوم يخسرُ المُبطلُون. قال الذّهبيّ في ميزان الاعتدال (ج3ص242)في ترجمة عمران بن مسلم الفزاريّ : كوفيّ . عن مجاهد،وعطية.وعنه الفضل السينانيّ،وأبو نعيم. قال أبو أحمد الزّبيريّ : رافضيّ،كأنّه جرْوُ كلْب.قلت:خراء الكلاب كالرّافضيّ !!

فالنّبيّ صلى الله عليه وآله يقول عن شيعة عليّ عليه السلام إنّهم " خير البريّة " الذين عناهم القرآن الكريم،والذّهبي يقول عنهم ما قال،والقَولان كما ترى.

***

[1] مثل هذه القصة وقعت لخالد بن الوليد الذي كان على رأس الجيش أيضاً من طرف أبي بكر، وانبهر بجمال امرأة مالك بن نويرة فقتله زعما منه أنّه ارتد ،وتبيّن فيما بعد أنّ مالكا بن نورية كان على الإسلام ،ووداه أبة بكر(أي دفع ديته) ولكنّ خالداً احتفظ بامرأة مالك !!

6 ـ ابن حجر الهيتمي

انفرد ابن حجر الهيتميّ عن سابقيه بأنه ألّف كتاباً في الدفاع عن مُعاويَة بن أبي سُفْيان، سماه "*تطهير الجنان واللسان عن الخطور والتّفوّه بثلب سيدّنا مُعاويَة بن أبي سُفْيان* " وليس من شأن هذا البحث أن يتطرّق إلى كلّ تفاصيل هذا الكتاب، وإنّما مِن حقّ القارئ أن يكون لديه صورة إجمالية عمّا ورد فيه،لأنّ ابن حجر الهيتميّ جاء فيه بالغثّ والسّمين فوقع في التناقض والاختلاف وابتعدَ عن الموضوعيّة والإنصاف.و أنا مُوردٌ بعضَ ذلك من كتابه المذكور.

فمن ذلك قولُه بخصوص فئة مُعاويَة[1]: " لكنّهم لا يسمّون قاسطين ولا مارقين،نعم جاء عن عمّارما يُخالف هذا الحمل لكنّ سنده ضعيف،أن عمّاراً قال وهو يريد صفّين أمرني النّبيّ صلى الله عليه وآله بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين،وحينئذ فبتقدير صحّة هذا كالأوّل يؤول بكون مُعاويَة وأصحابه كذلك بأنّهم ناكثون عن متابعة عليّ،ومارقون من طاعته،وقاسطون بانفرادهم عنه، وإن كان لهم تأويل منع إثمهم " (اهـ).

هذا مع ما تسالم عليه علماء الجمهورمن أنّ فئةَ النّاكثين تعني جماعة الجمل،وفئةَ المارقين تعني الخوارج وفئة القاسطين تعني جماعة مُعاويَة.

ويحارُ اللّبيبُ حين يقول ابن حجر الهيتميّ في " تطهير الجنان " ص 25 :ومنها ثناء عليّ كرّم الله وجهه عليه[!] بقوله:" قتلاي وقتلى مُعاويَة في الجنّة "رواه الطّبرانيّ بسند رجاله موثّقون على اختلاف في بعضهم(اهـ).[1]

وقد ذكرُوا أنّ عليّاً عليه السلام كان يقنُت بلعن جماعة منهم مُعاويَة.وكلمات الإمام عليّ عليه السلام بخصوص موقفه من مُعاويَة لا تزال بحمد الله محفوظة في كتب المسلمين.وقد ذكرتُ بعضها في فصل سابق تحت عنوان " أنصار مُعاويَة ".فكيف يلعنُ عليّ عليه السلام معاويةَ إذا كان قتلاه في الجنّة ؟!

ثمّ يقول ابن حجر الهيتميّ بعد ذلك[2]:"فهذا من عليّ صريح لايقبل تأويلا بأنّ مُعاويَة مُجتهد توفّرت فيه شروط الاجتهاد الموجبة لتحريم تقليد الغير[!]إذ لايجوز للمجتهد أن يقلّد مجتهداً بالاتّفاق سواء خالفه في اجتهاده،وهو واضح،أم وافقه لأنّ كلاّ إنّما أخذ ماقاله من الدّليل لاغير "(اهـ).

وهذا استنباط سخيف من جهة رجل مثل ابن حجر الهيتميّ،لأنّ الاجتهاد إنّما يكون عند غموض الأمر وفُقدان الدّليل الواضح ،وليس الشّأن كذلك في قضيّة يحضرها عليّ بن أبي طالب عليه السّلام لأنّه مع الحقّ والحقّ معه

ولأنّه باب مدينة العلم ولأنّه أقضى الأمّة ولأنّه مع القرآن والقرآن معه،وماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال. فإضافةً إلى ضعف الإسناد كما صرّح به

---

[1] سند الحديث كما في المعجم الكبير ج19 ص307 :حدّثنا الحسين بن إسحاق التّستري حدّثنا الحسين بن أبي السّريّ العسقلانيّ حدّثنا زيد بن أبي الزّرقاء عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصمّ قال: قال علي قتلاي وقتلى معاوية في الجنة".

[2] تطهير الجنان ص25

ابنُ حجر نفسُه، فإنّ دعوى اجتهاد مُعاويَة مردودة بأقوال وأفعال عليّ بن أبي طالب عليه السلام الذي لا يفارق القرآن. وابنُ حجر إنّما ينطلق في دعواه ممّا يوحيه إليه النّصب وسوء الاعتقاد ، والدّعاوى إن لم تقيموا عليها***بيّنات أبناؤها أدعياء.

قال ابن حجر في تطهير الجنان (ص 26): " وتأمّل كون عليّ كرم الله وجهه مع اعتقاده حقّيّةَ ماهوَعليه وبطلانَ ماعليه مُعاويَة حَكمَ مع ذلك بإثابة مُعاويَة وأتباعه[!] وأنّهم كلّهم في الجنّة،فعُلم بصحّة ما ذكرتُه أنّ هذا من عليّ صريح لايقبل تأويلاً بأنّ مُعاويَة وأتباعَه مُثابون غيرُ مأثومين بما فعلوه من قتال عليّ،وإنّما قاتلهم مع ذلك لأنّ البغاةَ يجب على الإمام قتالهم،وهؤلاء **بُغاةٌ** إذ ليس من شرط البغْي الإثم بل من شرطه التّأويل غيرالقطعيّ البطلان، ومن ثمّ قال أئمتّنا ليس البغي اسم ذمّ..."(اهـ).

قلتُ:الحمدُ لله الذي أنطقَ الهيتميّ بما يهدمُ بنيانَه،فشهدَ على معاوية وأصحابه أنّهم بُغاة وأوردَ وجوبَ قتالهم.فكيف يجتمع وجوب قتالهم والقطع بأنّهم من أهل الجنّة ؟ويكفي هنا لإبطال تهافُت ابن حجر قول الله تعالى في سورة الأعراف:((قل إنّما حرّم ربّي الفواحشَ ما ظهرَ منْها وما بطنَ والإثمَ والبغْيَ بغيْر الحقّ وأن تُشركوا بالله ما لم ينزلْ به سُلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون))،فالآية تصرّح بتحريم البغي،وتجعله قرينَ الإثم وتاليَه في التّرتيب فالبغي محرّم ، فكيف يقال بعد ذلك عن البغي إنّه ليس بملازم للإثم؟

وعلى هذا النسق قال ابن حجرفي كتابه أقوالاً كثيرة دفعه إلى قولها حبُّه لبني أُميّة وبُغضُه لآل النّبيّ صلى الله عليه وآله ،وهذا الصّنف من النّاس لاجدوى من الإطالة معه إلا بقدرما تقوم به الحُجّة،ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور.وحتّى يكون القارئ على علْم بمَرَامي الرّجُل من كلامه،أُوردُ

هُنا ما ذكره في كتابه تطهير الجنان[1] فقد قال: " ومنها ما جاء عن الأعمش بسند فيه ضعف أنه قال:لورَأيتُم مُعاويَة لقُلتُم هذا المهديّ!والأعمش من أجلاّء التّابعين وعلمائهم.فشهادته بذلك لمُعاويَة تستدعي مدحاً عليّاً لمُعاويَة،وثناء جليلاً عليه "(أهـ).

أقولُ: إلى هذا المستوى هانَ قدرُ المهديّ عليه السلام عندهم،وإلاّ فكيف يشبّهون به من قال عنه صديقُه وحليفُه المغيرةُ بن شُعبة إنّه " أخبث النّاس " ؟ وإنّ الذين يعرفون الأعمش وإجلالَه لعليّ عليه السلام لا يخامرُهم شكٌّ في أنّ هذا وأمثالَه ممّا افتُريَ عليه.ويكفي لذلك أنّ ابن حجر الهيتميّ نفسَه يشهدُ على الإسناد أنّ فيه ضعفا،وليس ضعفاً فقط كما يقول،وإنما هو وَهنٌ،وإنّ أوهنَ البيوت لبيْتُ العنكبوت؛فهذه الرّواية من الرّوايات المفضوحة لأنّ الأعمش وُلدَ عام 61هـ على الأرجح،أي بعدَ موت مُعاوية بسنة[2]!! فكيف أدركَه ومتى رآه حتّى يقول لَوْ رأيتُم معاوية؟! ثمّ هو من شيعة الكوفة،وشيعة الكوفة لا يذكرون معاوية بخيْر،وقد سبق قولُ يحي بن عبد الحميد الحمانيّ الكوفيّ " مات معاوية على غيْرالإسلام ".

وقد غلا أقوام في هَوَى مُعاويَة حتى جَعَلوه علامةً يحكمون من خلالها على صحّة مُعتقَد المرْء أو فساده،وأكثرُ ما كانت هذه الآفة متفشّية في المحدّثين.وليس عجيباً أن يفشوَ فيهم ذلك إذا علمْنا أنّ ترقّيَ المحدّث أيّامها كان متوقّفاً على القدْح في شيعة أهل البيت عليهم السّلام والتّعصب لمُعاويَة،وسيأتي لاحقاً كلامٌ لابْن قيّم الجوزيّة يتبيّن منه أنّ النّاس في زمانه

---

[1] تطهير الجنان ــ ابن حجر الهيتميّ ــ ص35 [دار الكتب العلمية 1420 هـ]

[2] سير أعلام النبلاء ج6ص227 [وقيل ولد سنة 60عاشر محرم يوم قتل الحسين عليه السلام] ومات سنة148.

كانوا يعتقدون أنّ السنّة تكمُن في التّعصّب لمُعاويَة وابنه يزيد.ومن الأمثلة على غلوّهم في ذلك ما ذكره ياقوت الحمويّ في معجم البلدان ج2ص177 قال:جوبر بالرّاء قرية بالغوطة من دمشق وقيل نهْرٌ بها،قال بعضهم:

إذا افتخر القيسيّ فاذكربلاءه **بزراعة الضّحّاك شرْقي جوبرا

وقد نُسب إليها جماعة من المحدّثين وافرةٌ منهم أبو الحسن عبد الرحمن بن محمّد بن يحيى بن ياسر التّيميّ الجوبريّ الدّمشقيّ قال عبد العزيز الكنانيّ مات في سنة425لاثنتي عشرة ليلة خلت من صفر ولم يكن يحسن يقرأ ولا يكتب! وكان أبوه قد سمعه وضبط عليه السّماع وكان يحفظ مُتون الحديث الذي يحدّث به.حدّث عن أبي سنان والزّجّاج وابن مَرْوان وغيرهم ولما مضيتُ إليه لأسمعَ منه وجدتُ له بلاغاً في كتاب الجامع الصّحيح ووجدتُ سماعَه في جميعه فلمّا صرتُ إليه قال قد سمعت الكثيرسمعني والدي وكان والدُه محدّثاً ولكن ماأُحدّثُك أو أدري إيش مذهبك قلت له عن أيّ شيء تسألني من مذهبي قال ما تقول في مُعاويَة قلت وماعسى أن أقول في صاحب النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم فقال الآن أحدّثك وأخرج إليّ كتباً لأبيه كلّها..(اهـ).

المهمّ في نظر هذا المحدّث الكبير الذي لا يحسن القراءة ولا الكتابة أن يكون سائلُه معظّماً لمُعاويَة،هذا هو الشّرط الأوّل والآخر.وللباحث أن يتخيّل خفايا وبواطن مَن يكون تفكيرُه بهذا المستوى.والذي يَحارُ له اللبيب في هذه القصّة ومثيلاتها أنّ معاويةَ وحدَه يشكّلُ معتقداً ومذْهباً،ومُعاوية نفسه لم يكنْ ليطمعَ في هذا ولا عُشْره،وهذا ممّا يقوّي امتداد الأيدي اليهوديّة إلى التراث وصرفها الأنظارَ والعقولَ عمّاهُوَ أصيلٌ مُشارٌإليه في القرآن الكريم إلى مالا أصلَ له.فالموحّدُ لا يُنكرُأنّ مودّة أهل البيت عليهم السلام فرض أوجبه

الله تعالى في كتابه الكريم [1] ومعاوية بن أبي سفيان كان يكفُر بهذا الفرض قولاً وعملاً،وهذا المحدّثُ المسكينُ قد قَلَبَ الأمرَ وحرّف الكلم عن مواضعه فجعلَ مودّةَ مُعاوية مكانَ مودّة أهل البيت،وراح يُحاسب الناس عليها،وتلك الأمثالُ نضربُها للنّاس وما يعقلُها إلاّ العالمون.

***

7 ـ السّاكتون عن الحقّ :

وقد كان في الأمّة ولا يزالُ أناسٌ يصدق أن يُقالَ عنهم إنّهم " السّاكتون عن الحقّ " لأنّهم تردّدوا بين الحقّ والباطل وبقوا في تردّدهم مع تظافر الأدلّة من آي وحديث وسيرة عقلائيّة.فلولم يكنْ سوى قول النّبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام "تقاتلُ بعدي النّاكثين والقاسطين والمارقين " لَكَفى لكنْ ما الحيلة حينما يكون الإنسان " أكثرَ شيْء جدلاً " ويكون المعنيّون بالقضيّة مصداقَ قوله تعالى " وإن يكُنْ لهم الحقّ يأتوا إليْه مذعنين " ؟

لقد طغتْ فكرةُ عدالة جميع الصّحابة على الأذهان حتى منعت النّاس منْ إبْداء الرّأي الموافق للقرآن الكريم والسنّة النّبويّة المطهّرة،وغدا الحقّ أسيرَ المزاج والهوى.وفي اعتقادي أنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان إنّما حَظيَ بما حَظيَ به من حَصَانَة لأنّه تولّى الحُكم وتربّع على الكرسيّ،وإلاّ فلوأنّه اندحَر في صفّين وتفرّقت فلولُه وتبخّرمشْرُوعُه لَكَان أولئك الذين يُدافعون عنه اليوم هم أنفسهم يعلنون البراءة منه ومن أتباعه.لكنّه وصل إلى الحُكم والنّاس مع من غَلَب،فلم يكْتفُوا بتَصْويب فعْله بل جعلُوا تعظيمَه علامةَ التّمسّك بالسّنّة!

---

[1] قل لا أسالكم عليه أجراً إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيهـا حـسناً إنّ الله غفـور شكور (الشورى 23).

وللقضيّة جذورتعود إلى عهد مُعاويَة نفسه،فإنّ قوما من الصّحابة توقّفوا ولم يلتحقُوا بعليّ بن أبي طالب عليه السلام في معاركه ومن بينها صفّين،ثمّ ندمُوا على تخلّفهم وصرّحوا بذلك.وجاء بعدهم من زعم أنّ ترْك الخوض في ذلك أسلمُ وأقرب للتّقوى؛ قال أبو نعيم في حلية الأولياء ج9ص114 : حدّثنا محمد بن عبدالرحمن حدّثنا أحمد بن إبراهيم بن مكويه حدّثنا يونس بن عبد الأعلى حدّثنا الشافعيّ قال قيل لعمر بن عبدالعزيزما تقولُ في أهل صفّين قال:" تلك دماء طهّر الله يدي منها فلا أحبّ أن أخضب لساني فيها". وقال شمس الدين الذّهبيّ [1]: " وقد كان بين الطائفتين من أهل صفّين ما هو أبلغ من السّبّ السيّف، فإن صحّ شيءٌ فسبيلُنا الكفّ والاستغفارُ للصّحابة ولا نحبّ ما شجرَ بيْنَهم ،ونعوذ بالله منْه ونتولّى أميرَ المؤمنين عليّاً ".

والذّهبيّ هذا،الذي يدّعي أنّه يتولّى أميرَ المؤمنين عليّا عليه السلام يتّخذُ من ولاء الآخرين لعليّ عليه السلام جريمةً لا تُغفَر،ويتهجّم على مُحبّي الحسن والحسين بألفاظ يترفّع عن التّفوّه بها كلّ مَن يربأ بنفْسه عن بذيء الكلام وفاحشه،ويرى في كلّ حديث يُشير إلى فضائل الحسنين عليهما السّلام غلُوّا وضلالاً ؛وقد أخذ عليه الحافظ المغربيّ ابن الصّدّيق الغماريّ في ذلك مآخذ لا ينفع معها التّبريروالتوّجيه،ودون تفْنيدها خرط القتاد.

ولا يخفى أنّ موقف مدرسة أهل البيت عليهم السّلام من مُعاويَة بن أبي سُفْيان هو نفس موقف النّبيّ وأهل بيته،لا يزيد ولا ينقص.ومن زعم أنّه صدرَ من أحدهم مدحٌ في حقّ مُعاويَة جَبَهَه الواقع بالرّدّ المُناسب،فهذه كلماتُهم محفوظة في كتب التّاريخ والأدب يرويها المُوالي والمُخالف.وكما لايَضُرُّ المسلمين ما يفتريه عليهم اليهودُ والنّصارى وغيرُهم من خُصوم

[1] سير أعلام النبلاء ـ شمس الدين الذّهبيّ ـ ج3 ص 39

محمّد صلى الله عليه وآله كذلك لا يضرُّ شيعةَ أهل البيْت عليهم السّلام ما يفتريه عليهم خُصومُهم من النّواصب والخوارج ووُعّاظ السّلاطين.لكنّ الأمرعنْد مدرسة الخلفاء مُختلف عن ذلك بناءً على أمورلا تَمتُّ إلى القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة بشيء،وإنّما اعتُمدت فيها أقوالٌ لأُناس زعمُوا أنّ الدّين لا يتمّ إلاّ بالدّفاع عن جميع الصّحابة أحسنوا أمْ أساءُوا.والجواب عن تلك المزاعم أنّ المسلمَ ليس مُلزَماً بأقوال أناس لمُجرّد أنّ لهم أتباعاً،وأنّ أتباعهم يُضفُون عليهم من القداسة ما يستكثرونه في الأنبياء وصالحي المؤمنين.وأوردُ ههنا بعضَ تلك الأقوال التي يصدق فيها ــ في نظري ــ المَثَلُ القائلُ:" رُبّ عُذر أقبحُ من ذَنْب ".

قال الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ج1ص223: أخبرنا محمّد بن أحمد بن رزق [..]أبو عمر وأحمد بن محمّد بن أحمد الحيري قراءة عليه بمكّة قال نا عثمان بن سعيد قال سمعت الرّبيع بن نافع يقول مُعاويَة بن أبي سُفْيان سترُ أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم فإذا كشف الرّجل السّتر اجترأ على ما وراءَه(اهــ).

وقد بلغ بهم التّعصّب أنّهم يروْن مُباينةَ الرّجُل لمُعاويَة مُوجبَةً لإسقاط حديثه،ولوصحّ زعمُهم لوجبَ طرحُ كثير من أحاديث الصّحابة الذين لم يكتفُوا بمباينة مُعاويَة بلْ حاربُوه،ولو تمكّنوا من قتْله لما تردّدُوا في ذلك.قال الخطيب[1]: أخبرني محمّد بن عليّ الأصبهانيّ حدّثنا أبو عليّ الحسين بن محمّد الشّافعيّ بالأهواز حدّثنا أبو عبيد محمّد بن عليّ الآجريّ قال قلت لأبي داود أيّما أعْلى عندك عليّ بن الجعْد أو عمْرو بن مرزوق فقال عمْرُو أعْلَى

عنْدنا،عليّ بنُ الجعْد وُسمَ بمَيْسم سوء قال "ما يَسُوؤني أنْ يعذّبَ الله مُعاويَة " وقال " ابنُ عمر ذاك الصّبيّ "(اهــ).

وقال الخطيب [1]:أخبرني محمّد بن الحسين بن الفضل القطّان أخبرنا محمّد بن عبد الله بن أحمد بن عتاب حدّثنا أحمد بن ملاعب قال حدّثني صديق لي يُقال له يوسف بن حسّان ثقة قال قال أبو نعيم ما كتبت علَيّ الحفظةُ أنّي سببتُ مُعاويَة قال قلت أحْكي هذا عنْك قال نعم احْكه عنّي(اهــ).

قلتُ:إنّ مُعاويَة بن أبي سُفْيان واحدٌ من بني آدم،ولن يَحيفَ الله عليه،فإن كان أهلاً للعذاب وعذّبه الله تعالى فلا مُعقّبَ لحُكم الله ،وكيفَ يعترضُ عبدٌ مُؤمنٌ على حُكم مولاه وقد قال تعالى في سورة المائدة (قل فمن يملك من الله شيئاً إنْ أرادَ أن يُهلك المسيحَ ابنَ مريمَ وأمّه ومن في الأرض جميعاً ولله ملك السماوات والأرض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كلّ شئ قدير).وقال تعالى في نفس السورة[2]على لسان عيسى بن مريم عليهما السلام(إن تعذّبهم فإنّهم عبادك وإن تغفر لهم فإنّك أنت العزيز الحكيم).وإن يكن معاوية من أهل النّجاة فإنّه لا يضرّه ما يُكتب عنه ويُروى من مثالبه وجرائمه.غير أنّنا ننْتمي إلى دين يُمجّد الفضيلة ويندّد بالرّذيلة،ويدعو إلى مكارم الأخلاق وينهى عن سفاسفها؛ولم يمدح المولى سبحانه وتعالى نبيّه صلى الله عليه وآله بكثْرة العبادة،وإنّما مَدَحهُ بالخُلُق العظيم.ولو كانت العبادة وحدها تَصُون صاحبَها وترفعُ مقامَه لكان إبليسُ من أرْفع المصُونين،لكنّ الدّين كلّ الدّين في الأخلاق الحميدة والانقياد للأوامروالنّواهي الإلهيّة وموالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه؛وحين التمعّن في سلوك معاوية تبدونُقْطة الاشتراك

---

[1] تاريخ بغداد ــ الخطيب البغدادي ــ ج 12 ص 347

[2] [المائدة 118]

بينَه وبين إبليس،فإنّ معاوية كان يجسّد كبْرإبْليسَ على الأرض تجسيداً لا يخفَى على من كان له قلْب أوألقى السّمعَ وهو شَهيد.لقد كان معاوية يُظهراستخفافَه بالدّين في كلّ شيء ولا يُبالي بحُرمة النبيّ صلى الله ليه وآله في ذويه وأصحابه والكتاب الذي جاء به والسنّة التي بثّها.وكان حقْدُه على حبيب الله ورسوله لا يُوصف،بل يصحّ أن يُقالَ إنّ صدرَه قد انْطوى على الشّرّ وراح يغذّيه إلى أن صارهُوَنفسه كُتلَةً من الشّرّ.والذين يدافعون عنه على الرّغم من كلّ ما جاء به إنّما يفعلون ذلك لخُلُوّ قلُوبهم من محبّة الله ورسُوله،إذ لوْ كَان فيها من ذلك شيء لأحبّوا حبيب الله ورسوله ولأبغضُوا مَن يُؤذي الله ورسولَه،ولتبرّأوا من معاوية وأخيه وأمّه وأبيه وصاحبته وبنيه وفصيلته التي تؤويه.وعلامةُ الإيمان الصّحيح الحبّ في الله و البغضُ في الله،وما عدالة الصّحابة التي يتذرّعُ بها من يُدافعون عن الجريمة وأصحابها إلاّ صنَمٌ ابتدَعَه من لا حُرمة لله في قلوبهم فضربُوا بالقرآن عرض الحائط وردّوا على الله تعالى مُحكَمَ آياته فزعَمُوا أنّ المؤمنَ والفاسقَ سواءٌ وأنّ الطيّبَ والخبيثَ سواءٌ ونسبوا ذلك إلى الله سبحانه وتعالى وقرآنُه يُدوّي في مسامع الزّمن " أفَمَن كانَ مُؤمناً كمن كانَ فاسقاً لايستوون ".والذين يُدافعون عن معاوية وأضرابه لم يعْرفوا عُلُوّ الهمّة فيطلبُوها ولم يذوقوا لذّة المحبّة في الله ولم يستشعروا النّشوة الرّوحيّة التي تسمُو بصاحبها نحوَ الكمال فيحنّوا إليها ويهفُوا نحوَها،وإنّما رأوا الكمالَ في شُيوخهم وما ورثُوه عن قُلوب أعماها النّصبُ حتى صارت تُنكر ضوءَ الشّمس وتجد الحلاوةَ في الحنظل والمرارةَ في العَسَل،وإلاّ فإنّهم هم أنفسهم حينَما يتعرّضون لقليل الأذى ـ وهو لا يساوي عُشرَالعُشرممّا تعرّض له ضحايا معاوية ـ ينبَرون للحديث عن الكرامة والحُرْمة والعرْض!ويصبحون من دعاة حُقوق الإنسان في كل زمان ومكان!إذاً فما بالهم لايَروْن لحجْربن عديّ وَعمْروبن الحمق وَعبد

الرحمن بن عديس البلويّ وَعبد الرحمن العنزي ومحمد بن أبي بكر حُرْمَةً؟ فإنّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

***

مُعاويَة في عالم الرؤيا

والواقع أنّ المدافعين عن مُعاويَة أجهدوا أنفسَهم في تحصين بُنيان أُسّس على شفا جُرف هار،لذلك فإنهم عمدوا إلى عالم الرؤيا كماهيَ عادتُهم حين تعييهم الحيَلُ في إصلاح ما أفسد الدهر،وتركوا البيّنات الواضحات وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّاً؛ومن ذلك ما ذكره ابن قيّم الجوزية وأذكّر أنّ ابن القيّم وابن كثير وابن تَيْميَة شاميّون،نَمَوا وترعْرعُوا وكَبروا في مجتمع كان يُلعَن فيه علي بن أبي طالب عليه السلام ليل نهار.قال ابن قيّم الجوزيّة في كتاب " الرّوح "[1]: قال سعيد بن أبى عروبة عن عمر بن عبد العزيز رأيت النّبيّ صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعُمرجالسان عنده فسلّمت فبينا أنا جالس إذ أُتى بعليّ ومُعاويَة فأُدخلا بيْتاً وأجيف عليهما الباب وأنا أنظر فما كان بأسرع من أنْ خرجَ عليّ وهو يقول قُضيَ لى وربّ الكعبة وما كان بأسرع من أن خرج مُعاويَة على أثره وهو يقول غُفرلي وربّ الكعبة(اهـ).

قلتُ: للعاقل أن يتساءل لماذا أُجيفَ الباب؟ ومَن الذي أسّس الجلسات المُغلقة على طريقة الدكتاتوريين ودُوَل الحزب الواحد في يوم تُبلى فيه السرائر؟ ومادامت القضيّة قد تمّت بسلام وقُضيَ لعليّ عليه السلام وغُفرَ لمُعاوية

---

[1] الرّوح – ابن قيّم الجوزيّة – ج1ص26

فلماذا لم يَخرجا معاً مُتصافحَين متعانقين يضحكُ أحدُهما إلى الآخروَنزعْنا ما في صُدورهم من غلّ ؟!

والقصة نفسُها في كتاب المنامات ج1ص74،ولا أملكُ هنا إلا أن أُردّدَ ما سبق أن قُلتُه في كتاب(قراءة في سلوك الصحابة):"هؤُلاء قَوْمٌ وَجَدُوا الطُّرُقَ الشّرْعيَّةَ مَسْدُودَةً في وُجُوههمْ بَعْدَ أنْ خَالَفُوا النّبيّ صلى الله عليه و آله مُخَالَفَةً لا عُذْرَ لَهُمْ فيها،فَعمَدُوا إلى عَالَمِ صَعْبِ تَحْديدُ مَعَالمه،وانْتَهَجُوا في ذلك طريقَةَ الدَّرَاويش ".

***

كلامٌ حول " صفّين " :

ما هي أسباب قيام حرب صفّين وما هي نتائجها ؟

ما هي آثارها على الإسلام والمسلمين على مختلف المستويات؟

هذه أسئلة أطرحُها رجاءَ أن يبحث القارئ بنفسه ويصلَ إلى نتيجة يُمليها عليه ضميرُه.وفي اعتقادي – بعد الذي اطّلعت عليه – أنّ الذي يُطالع الكُتب التي اعتنتْ بوقعة صفّين ويتتبّع الأقوال التي وردت بخصوصها معبّرة عن مواقف الفقهاء والمؤرّخين والأصوليّين وغيرهم لا يرتابُ في أنّ القضيّة كانت من الوضوح بحيث يصعُب التّلفيق والتّمويه فيها إلاّ على من حُرم نعمَةَ البصيرة،وإنّما تحكّمت الانتماءاتُ المذهبيّةُ فكمّمت الأفْوَاه وقيّدت الأيدي ومورس الإرهابُ الفكْريُّ باسْم الدّين.ولأنّ " صفين " ذات أهمّية كبيرة في تاريخ المسلمين فقد اهتمّ بها المؤرّخون وغيرهم منذ العصرالأمويّ وأُلّفت فيها كُتب منها " كتاب صفين " للُوط بن يحي و" وقعة صفين " لنصر بن مزاحم المنقريّ ، و" كتاب صفّين " لمحمد بن عمر الواقديّ و " إعلام النّص المبين في المفاصلة بين أهل صفّين " لعمر بن دحية و" وقعة صفين "

لعبد الله بن شبيب البصريّ و" كتاب صفّين " لإسماعيل بن عيسى العطّار و " كتاب صفّين " لابن أبي شيبة المحدّث. وهذه جملة من أقوال كبار العلماء ممّن يخالف مدرسة أهل البيت عليهم السّلام ولا يُتّهَم في الموقف من مُعاويَة.

قال المناويّ[1]:قال الإمام عبد القاهر الجرجانيّ في كتاب الإمامة: " أجمعَ فقهاءُ الحجاز والعراق من فريق الحديث والرّأي منْهُم مالكُ والشافعيّ وأبو حنيفة والأوزاعيّ والجُمهور الأعظم من المتكلّمين والمسلمين أنّ عليّاً مُصيبٌ في قتاله لأهل صفّين كما هو مُصيب في أهْل الجَمل وأنّ الذين قاتلوهُ بُغَاةٌ ظالمون له لكنْ لا يُكفّرون ببَغْيهم وقال الإمام أبو منصور في كتاب الفرق في بيان عقيدة أهل السّنّة أجمعوا أنّ عليّاً مُصيبٌ في قتَاله أهلَ الجَمل طلحة والزّبير وعائشة بالبصرة وأهلَ صفّين مُعاويَة وعسكره .اهـ

وقال ابن كثيرفي البداية والنهاية ج 3 ص 265 : وهذا الحديث [حديث تقتلك الفئة الباغية] من دلائل النّبوّة حيث أخبرَ صلوات الله وسلامه عليه عن عمّار أنّه تقتُله الفئةُ الباغية،وقد قتلَه أهل الشّام في وقعة صفّين،وعمّارمع عليّ وأهل العراق كما سيأتي بيانه وتفصيله في موضعه.وقد كان عليّ أحقّ بالأمرمن مُعاويَة.ولا يلزم من تسمية أصحاب مُعاويَة بغاةً تكفيرُهم كما يحاولُه جهلةُ الفرقة الضّالّة من الشّيعة وغيْرهم لأنهم وإن كانوا بغاةً في نفس الأمر فإنّهم كانوا مُجتهدين فيما تَعاطوْه من القتال [!] وليس كُلّ مُجتهد مصيباً بل المصيبُ له أجران والمُخطئ له أجر،ومن زاد في هذا الحديث بعد تقتلك الفئة الباغية – لا أنالها الله شفاعتي يوم القيامة – فقد افترى في هذه الزّيادة على النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم ، فإنّه لم يَقُلْها إذْ لم تُنْقَل من طريق تُقبل والله

[1] فيض القدير– المناويّ – ج6ص366

أعلم[1].وأما قوله يدعوهم إلى الجنّة ويدعونه إلى النّار،فإنّ عمّاراً وأصحابَه يدْعون أهل الشّام إلى الألفة واجتماع الكلمة،وأهل الشّام يريدون أن يستأثروا بالأمْر دُون مَن هُو أحقُّ به،وأن يكون الناس أوزاعاً على كل قطر إمام برأسه ، وهذا يؤدّي إلى افتراق الكلمة واختلاف الأمّة فهو لازمُ مذْهَبهم وناشئٌ عنْ مَسْلَكهم،وإن كانوا لا يقصدونه والله أعلم.اهـ

أقول:وهذا الكلام وإن كان يصرّح بخطإ مُعاويَة وحزْبه وفئَته الباغيَة ،إلاّ أنّه لم يخْلُ من خلْط وتشْويش؛ فإنّ المجتهدَ إنّما يجتهد في غياب النّصّ ،أمّا في هذا المقام فالأمرُ على غير ما توهّمَه ابنُ كثير والمدرسة الشاميّة،فإنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله قال:"عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ يدور معه حيث دار" وقال أيضاً صلى الله عليه وآله :"عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض".فإذا كان عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ ، وقد شهد القرآن أنّه " ماذا بعد الحقّ إلاّ الضّلال " فأيّ اجتهاد يبقى بعد ذلك ؟! وأيّة إصابة يمكنُ تحقيقها في الضّلال؟! وإذا كان عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ، فأية نتيجَة صالحة يُمكنُ تحصيلُها خارجَ القرآن؟!

ولا يخفى ما في كلام ابن كثيرمن المُغالطة بنفْيه صفةَ البغْي عن فئَة مُعاويَة وإضفاء رتبة المجتهد على الزّعيم والأتباع ،ويأْبَى عليه ذلك أحاديثُ عُدّتْ من دلائل النّبوّة، وكلماتٌ لصحابة عاشُوا الأحداثَ عن كَثَب لا عن كُتُب، بل كانوا في قلْبها،ومن ذلك ما رواهُ الخطيب البغداديّ في تاريخ بغداد

---

[1] هذا خطأ فاحش من طرف ابن كثير إذْ جزم بأنّه لم يقلها دون أن يورد في ذلك دليلا قاطعا ، والجزم لا يكون إلاّ عن يقين ، ثمّ إنّه إن كان يريدُ أن تُنْقَلَ من طريق الذين حاربوا عليّاً وسبّوه وشتموه ولعنوه بعد أن فارق الدنيا فإنّا لله و إنّا إليه راجعون وعلى العقول السّلام.ولاحظْ بعدها اضطرابَه وهو يحاول أن يعطي كلام النّبي (صلى الله عليه وآله معنى غير ما يتبادر، مع أنّ النّبي (صلى الله عليه وآله تكلّم بلسان عربيّ مبين، ومتى كانت الجنّة تعني الألفة واجتماع الكلمة؟!

ج 13 ص188:أخبرني الحسن بن عليّ بن عبد الله المقرئ حدّثنا أحمد بن محمّد بن يوسف أخبرنا محمّد بن جعفر المطيري حدّثنا أحمد بن عبد الله المؤدّب بسرّ من رأى حدّثنا المعلى بن عبد الرحمن ببغداد حدّثنا شريك عن سليمان بن مهران الأعمش قال:حدّثنا إبراهيم عن علقمة والأسود قالا أتينا أبا أيّوب الأنصاريّ عند منصرفه من صفّين فقلنا له يا أبا أيّوب إنّ الله أكرمك بنزول محمّد صلى الله عليه وسلم وبمجيء ناقته تفضّلاً من الله واكراماً لك حتى أناخت ببابك دون النّاس ثمّ جئت بسيفك على عاتقك تضربُ به أهلَ لا إله إلا الله فقال ياهذا إنّ الرّائدَ لا يكذبُ أهلَه وإنّ النّبيّ صلى الله عليه وسلم أمرَنا بقتال ثلاثة مع عليّ بقتال النّاكثين والقاسطين والمارقين فأمّا الناكثُون فقد قابلناهم أهل الجمل طلحة والزّبيروَأمّا القاسطون فهذا منصرفُنا من عندهم يعني مُعاويَة وعمراً وأمّا المارقون فهُم أهل الطرفاوات وأهل السعيفات وأهل النّخيلات وأهل النّهروانات والله ما أدري أينَ هُم ولكنْ لا بدّ من قتالهم إن شاء الله قال وسمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول لعمّار ياعمّار تقتُلُك الفئةُ الباغية وأنت إذ ذاك مع الحقّ والحقّ معك يا عمّاربْن ياسرإنْ رأيت عليّاً قد سلك وادياً وسلك النّاسُ وادياً غيرَه فاسلُكْ مَع عليّ فإنّه لنْ يُدليك في ردىً ولنْ يُخرجك من هُدىً،يا عمّارُمَنْ تقلّد سيفاً أعانَ به عليّاً على عدُوِّه قلّدَهُ الله يومَ القيامَة وشَاحيْن من دُرّ ومَنْ تقلّدَ سيفاً أعانَ به عدوَّ عليّ عليه قلّدَهُ الله يومَ القيامة وشاحيْن من نار،قُلْنا:ياهذا حسبُك رحمك اللهُ حسبُك رحمك الله .اهـ

ولأنّ المُعاندين من مخالفي أهل البيت عليهم السلام لا يستطيعون ردّ الأحاديث المُثبتة ضلالَ الفئةِ الباغيَة فإنّهم راحُوا يستَعينُون بالمَنامَات والتّأويلات التي لا تقبَلُها العقولُ السّليمة،ولم يتورَّعُوا عنْ وضْع أحاديثَ ونسْبَتها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام،ونسُوا أنّ الله لا يخفى عليه شيء في

الأرض ولا في السّماء؛ومنْ ذلك ما جاء في كتاب إيثار الحقّ على الخلق ج1ص410 قال فيه:الحديث السابع عن أبي هُرَيْرَة نحوه رواه الطّبرانيّ في الأوسط من حديث سعيد بن مسلمة الأُمويّ وعضدوا هذه الأخبار بما رواه زيد بن أبي الزّرقاء عن جعفر بن برقان عن يزيد بن الأصمّ قال قال عليّ عليه السلام قتلايَ وقتْلى مُعاويَةَ في الجنّة رواه الذّهبيّ في ترجمة مُعاويَة من النّبلاء وجعفر ويزيد من رجال مُسلم وزيْد من رجال النّسائيّ قال في الكاشف صدوق وكذلك قال في الميزان وفيه عن ابن معين لا بأس به ولم يورد فيه جرحاً إلاّ قول ابن حبّان إنّه يغرب وليس ذلك بجَرْح وقال فيه إنّه صدوق مشهورعابد وإنّ ابن عمار قال ما رأيتُ في الفضل مثله ومثل المعافي وقاسم الجرمي رحمهم الله تعالى وهذا من أحسن ما في الباب وإنّما أخّرته لأنّه موقوف ومع ذلك فله قوّة المرفوع والله أعلم بصحّة ذلك عنه(اهـ).

ومن الأحاديث التي أوردُوها ليصحّحوا بها مواقف مُعاويَة وأهل الشّام غافلين على أنّ في ذلك تكذيباً للنّبيّ صلى الله عليه وآله ،ما أوردَه ابنُ عساكر قال[1]:وأمّا حديث الشعيثيّ فحدّثنيه أبوالفضل محمّد بن محمّد بن محمّد بن عطّاف الموصليّ الهمدانيّ الفقيه ببغداد وأنبأنا أبو جعفر محمّد بن أبي منصور بن أبي علي البزازي بالرّيّ أخبرنا أبو الوليد الحسن بن محمّد بن عليّ بن محمّد البلخيّ الحافظ بالرّيّ أنبأنا أبو بكر محمّد بن رزق الله المقرئ قراءةً عليه بمنين أنبأنا أبو عمرمحمّد بن موسى بن فضالة أنبأنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عمروالقُرَشيّ أخبرنا أبي أخبرنا الوليد بن مسلم أخبرنا محمّد بن عبد الله الشعيثي عن مكحول عن عبد الله بن حوالة الأزديّ وأَمَرَهُ مُعاويَةُ وأبو الدرداء أن يجمع بالنّاس ففعل فقال

---

[1] تاريخ مدينة دمشق ــ ابنُ عساكر ــ ج1ص64

في كلامه ما أنا أبو الخطيب ..ولا أحسن الخطبة ولكنّي سمعت النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول إنّكم ستجندون أجنادا جنداً بالشّام وجنداً بالعراق وجنداً باليمن بعْدي فقلتُ خرْ لي يا رسول الله إن أدركني ذلك قال عليكم بالشّام فمن أبى فليلحق بيمنه وليستق من غدره فإن الله تعالى قد تكفّل لي بالشام وأهله(اهــ).

أقول:تكفّل الله بالشّام الذي اتّخذ لعْنَ حبيبه سُنّةً جاريةً حتى إذا نسيَ الخطيب يوماً ذلك أو تناساه تعالت الهُتافات من جنبَات المسجد " السّنّة ، السّنّة "!

تكفّل الله بالشّام الذي خرج منه جيش استباح المدينة المنوّرة حَرَم النّبيّ صلى الله عليه وآله وفعل فيها ما يندى له الجبين وتنفلق له الأكباد!

تكفّل الله بالشّام الذي خرج منه جيش ليرْميَ الكعبةَ البيت الحرام بالمنجنيق في طاعة بني أميّة!

ومع كلّ المُمارسات التي قام بها أبوهُرَيْرَة والمغيرةُ بن شعبة وعمرُوبنُ العاص والنعمان بن بشيروسمرة بن جندب ومَن مَعهم،فإنّه لم يَفُتْ أهلَ الفطرة السّليمة من الذين صدقوا نيّاتهم وكانوا مع مُعاويَة جهلاً بالحقيقة واندفاعاً تحت تأثيرالدّعاية الكاذبةـ لَمْ يَفُتْهُم ـ أن يستمعوا القول فيتّبعوا أحسنَه.وقد كان قول النّبيّ صلى الله عليه وآله لعمّاربن ياسررضي الله عنهما " تقتلك الفئة الباغية " يتردّد في المسامع،فلما استُشهدَ عمّاربن ياسررضي الله عنهما بيّن الصّبح لذي عيْنيْن والْتحَقَ الذين يحترمُون كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله بالفئة المهتدية.قال ابن عساكر في ترجمة زبيد بن عبد الخولانيّ[1]:زبيد بن عبد

[1] تاريخ مدينة دمشق ــ ابن عساكرــ ج18 ص305 تحت رقم 2232

الخولانيّ المصريّ له ذكر في كتب المصريّين وفد على مُعاويَة وشهد معه صفّين ثمّ لحق بعليّ بن أبي طالب كتب إلي أبو الفضل أحمد بن يوسف بن الحسن بن سليم ثمّ حدثني أبو بكر اللّفتوانيّ عنه أنا أبو بكر الباطرقانيّ حدثنا أبو عبد الله بن مندة قال قال لنا أبو سعيد بن يونس: زبيدُ بن عبد الخولانيّ من بني يعلى شهد الفتح بمصر وكانت معه راية خولان بصفّين فلمّا قُتل عمّار بن ياسر انكفأ إلى عليّ بن أبي طالب.قرأت على أبي محمّد السّلميّ عن أبي نصرْبْن ماكولا قال أمّا زُبَيْد بضمّ الزّاي وفتح الباء المُعجمة بواحدة وسكون الياء التي تليها فهو زُبَيد بن عبد الخولانيّ كانت معه راية خولان بصفّين مع مُعاويَة بن أبي سُفْيان فلمّا قُتل عمار بن ياسر انكفأ إلى عليّ بن أبي طالب قاله ابن يونس(اهـ).

وقال القرطبي[1]: ويروى أنّ مُعاويَة رضي الله عنه لمّا أفضى إليه الأمرعاتب سعداً على ما فعلَ وقال له لم تكن ممّن أصلح بين الفئتين حين اقتتلا ولا ممّن قاتل الفئةَ الباغيةَ فقال له سعد ندمتُ على ترْكي قتالَ الفئة الباغية(اهـ).

وكان عبد الله بن عمروبن العاص أيضاً لا ينفكّ يظهرندَمَه على قتال عليّ عليه السلام في صفّين.قال ابنُ سعد " أخبرنا هشام أبو الوليد الطّيالسيّ قال حدّثنا نافع بن عمرعن ابن أبي مليكة قال قال عبد الله بن عمرو ما لي ولصفّين ما لي ولقتال المسلمين لوددْتُ أنّي متّ قبله بعشرسنين أما والله على ذلك ما ضربتُ بسيْف ولا طعنت برُمْح ولا رميتُ بسهْم وما رجل أجهد مني من رجل لم يفعل شيئاً من ذلك قال نافع حسبته ذكر أنّه كانت بيده الرّاية فقدم النّاس منزلة أو منزلتين " .[2]

---

[1] تفسير القُرْطبيّ ج16ص319

[2] الطبقات الكبرى – محمد بن سعد ج 4 ص 266

الفصل الثاني عشر

يزيد بن معاوية

يزيد بن مُعاويَة

يؤسفني أنّه تعذّرعليّ الحصول على كتابين مُهمّين ذكرهما مصطفى الرّوميّ الحنفيّ في كشف الظّنون وكتاب آخر أُلّفَ حديثاً في الدّفاع عن يزيد قال الرّوميّ [1]: " صنف الشيخ أبو عبد الله محمد بن العبّاس اليزيدي المتوفى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة في أخبار يزيد بن مُعاويَة خاصّة وصنّف أبو منصور محمد بن أحمد الأزهريّ اللغويّ المتوفّى سنة سبعين وثلثمائة في أخباره أيضاً "(اهـ).ولئن فاتتني الفائدة المرجوّة من الكتابين فإنني لم آلُ جُهداً في مُحاولة جمْع ما أمكن جمعُه من الأخبار المتعلّقة بالرّجل المتفرّقة في كتب التاريخ والتّراجم والأدب ؛ولن اتخلّى عن البحث عن الكتابين المذكورين لعلّي أوفق للحصول عليهما في وقت لاحق إن شاء الله تعالى،فإن التّصنيف في أخباررَجُل يَضمَن بُغيَة الباحث ويُسهّل الدّراسة والتّحقيق للوصول إلى ما يطمئن إليه الضّمير.وقد تعالت في أيّامنا أصواتٌ تُنادي بتبْرئَة ساحَة يزيد من أُمُورعظيمة تواترَأنّهُ أقدمَ عليها راغباً غيرَ مُكْرَه،ولم يكترثْ لعَوَاقبها وامتدادَاتها في عمق تاريخ المسلمين،وخرج من الدنيا ولم

[1] كشف الظنون ج 1ص289

يتُبْ منها.وعليه فإنّ النظرفي شخصيّته وسيرته وعرض ذلك على النّاس لا يعدم مساهمة في إثراء النّقاش النّزيه وقراءة التّاريخ قراءة موضوعيّة مُنصفة.

قال الخطيب البغدادي[1]: كتب إليّ عبد الرحمن بن عثمان الدّمشقيّ يذكر أنّ أبا الميمون البجليّ أخبرهم قال أخبرنا أبو زرعة عبد الرّحمن بن عمرو النّصريّ حدّثني عبد الرّحمن بن إبراهيم عن عبد الرّحمن بن بشير عن محمّد بن إسحاق قال وُلد يزيدُ بنُ مُعاويَة وعبدُ الملك بنُ مَرْوان سنة ستّ وعشرين(اهــ).

إذاً،فقد وُلد يزيد بن مُعاويَة في الإسْلام، لكنّ أمّه كانت نصرانيّةً من بني كلب،وهي ميسون بنت بجدل الكلبية،وظاهرُالأمْرأنّها هي التي يَستشهدُ النُّحاةُ ببيْت لها تقُول فيه :

ولُبسُ عَباءَة وتَقرَّ عيني *** أحبُ إليَّ من لُبْس الشّفُوف

ومعلوم أنّ الأمّ النّصرانيّة ــ وإنْ أسلمَتْ ــ تعجزُ عن منْح الطّفل تربيةً إسلاميّةً صحيحةً ،وقد أثْبَتت التّجرية أنّ رواسبَ المُعتقدات السّابقة لا تزول إلاّ بعْد زمن طويل،هذا إذا كان المعنيّ مهتمّا بمُعتقداته الجديدة مُداوماً على التعلّم والاهتمام.وأمّا إن لمْ يكنْ كذلك فإنّ انتماءَه الجديد لا يكون إلاّ شكليّاً قابلاً للزّوال،ولا يؤثّر في سلوكه وتصرّفاته.

وقد ذكرَ الذّهبيّ في سيَرأعلام النّبلاء قصّةً فيها كلامٌ جرى بين أبي ذرّ و يزيد بن أبي سفيان ــ عمّ يزيد بن معاوية ــ فقال أبو ذرّ ليزيد :لئنْ فعلتَ

---

[1] تاريخ بغداد ج10 ص 387

ذلك لقد سمعتُ النّبيّ صلى الله عليه وسلم يقول أوّلُ مَن يُبدّل سُنّتي رجلٌ من بني أُميّة يُقالُ له يَزيد .[1]

وقال محمّد بن سعد في الطبقات[2]: أخبرنا محمّد بن عُمرقَالَ حدّثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزوميّ عن أبيه قال أخبرنا ابن أبي ذئب عن صالح بن أبي حسّان قال حدّثنا سعيد بن محمّد عن عمرو بن يحيى عن عباد بن تميم عن عمّه عبد الله بن زيد وعن غيرهم أيضاً كلّ قد حدّثني قالوا لمّا وثب أهلُ المدينة ليالي الحرّة فأخرجوا بني أُميّة عن المدينة وأظهروا عيْب يزيد بن مُعاويَة وخلافَه أجمَعُوا على عبد الله بن حنظلة فأسنَدوا أمرهم إليه فبايَعَهم على الموْت وقال يا قوْم اتّقوا الله وحدَه لا شريك له فوالله ما خرجْنا على يزيد حتى خفْنَا أن نُرمى بالحجارة من السّماء ! إنّ **رجلاً ينكحُ الأمّهات والبنات والأخوات ويشربُ الخمْر ويَدَع الصّلاة والله لوْ لمْ يكنْ مَعي أحدٌ من النّاس لأبْليْتُ لله فيه بلاءً حسناً**.فتواثب النّاسُ يومئذ يُبايعون من كلّ النّواحي وما كان لعبْد الله بن حنْظلة تلك اللّيالي مَبيتٌ إلاّ المسجد وما كان يزيد على شرْبة من سُوَيْق يُفطر عليها إلى مثْلها من الغد يُؤتَى بها في المسجد يصومُ الدّهر ومَا رُئيَ رافعاً رأسَه إلى السّماء(اهـ).

وقال الخلاّل[3]: قُرئَ على عبد الله بن أحمد وأنا أسمع قال حدّثني أبي قال حدّثنا أبو بكر بن عيّاش قال لم يبايع ابنُ الزّبير ولا حُسين ولا ابنُ عُمر ليزيد بن مُعاويَة في حياة مُعاويَة فتركهم مُعاويَة.رواته أنّه مُرسَل.وقال أخبرني محمّد بن عليّ قال حدّثنا مهنى قال سألت أحمد عن يزيد بن مُعاويَة

---

[1] القصة أوردها الذّهبيّ في ترجمة يزيد بن أبي سُفيان في سير أعلام النبلاء ج1ص329 .

[2] الطبقات الكبرى ــ محمّد بن سعد ــ ج 5ص 66

[3] السّنّة للخلاّل ج 3 ص520 تحت رقم (844) و(845) و (846)

بن أبي سُفْيان قال هو فعَل بالمدينة ما فعَل قلتُ وما فعَل قال قَتل بالمدينة من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم وفعَل قلتُ وما فعَل قال نهبَها قلتُ فيُذكرُعنْهُ الحديثُ قال لا يُذكرعنْه الحديث ولا ينْبغي لأحد أن يكتبَ عنه حديثاً قلتُ ومن كان معه بالمدينة حين فعَل ما فعَل قال أهلُ الشّام قلت له وأهلُ مصر؟ قال لا إنّما كان أهل مصرمَعَهُم في أمْرعُثمان رَحمَه الله؛إسناده صحيح .قال الخلاّل:أخبرَني أحمدُ بن محمّد بن مطر وزكريّا بن يحْيى أنّ أبا طالب حدّثهم قال سألت أبا عبدالله من قال لَعَن الله يزيد بن مُعاويَة قال لا أتكلّم في هذا قلتُ ما تقول فإنّ الذي تكلّم به رجل لا بأس به وأنا صائر إلى قولك فقال أبو عبد الله قال النّبيّ صلى الله عليه وسلم لعنُ المؤمن كقتْله وقال خير النّاس قَرْني ثُم الذين يلُونهم وقد صار يزيدُ فيهم وقال من لعنْتُه أو سببْتُه فاجعلْها له رحمةً فأرى الإمساكَ أحبّ لي ؛إسناده صحيح(اهـ).

وقد ذهبَ من جاء بعدَهم إلى أبعدَ من ذلك فلم يكْتفُوا بالإمْساك عن ذكْر يزيد بل ألّفوا في الدّفاع عنه،ونهوا عن تنقّصه:قال الذّهبيّ في سيرأعلام النبلاء [1]: حكى ابنُ تيمية شيخُنا قال:قيل:إنّ الخليفةَ النّاصرلمّا بلغَهُ نهْي عبد المغيث عن سبّ يزيد،تنكّروقَصدَهُ،وسأله عن ذلك،فتَبَالَهَ [2]عنْه،وقال:يا هذا إنّما قصدت كفّ الألسنة عن لعْن الخُلفاء،وإلاّ فلوفَتحْنَا هذا لكان خليفةُ الوقْت أحقّ باللّعن،لأنّه يفعل كذا،ويفعل كذا،وجعل يعدّد خطاياه،قال:يا شيخ ادْع لي وقام(اهـ).

والذي يبدو لي في هذه المسألة،هو أنّ الذين يدافعون عن يزيد بن معاوية ويتحاشون ذكره لا يُقيمُون لسيّد شباب أهل الجنّة حُرمة،ولا يبالُون

---

[1] سير أعلام النبلاء الذّهبيّ ج 21 ص 161

[2] تظاهر بانّه ابله

بما يُؤذي النّبيّ صلى الله عليه وآله ويجرح شعوره؛ولو كان في قُلوبهم شيء من الصّدق في حبّه وطاعته صلى الله عليه وآله لاعتبروا بقوله لعليّ وفاطمة والحسنين:" سلْمُكُمْ سلْمي وَحَرْبُكُمْ حَرْبي " ،إذ كيف يسوغ الدّفاعُ عمّن هو حربٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله ؟! غيرأنّ كثيرا من النّاس تستهويهم الأسماء البرّاقة والألقاب الرّنّانة،فيتعاملُون مع القائل كأنّما نزل عليه جبريل،وينسون المودّة في القربى،ويفتحون على أنفسهم أبواباً لايستطيعون سدّها فيمابعد،وينتهي بهم المآل إلى جمع المتناقضات والمتضاربات،ويبقون في ريبهم يتردّدون.وقد كنتُ فيما سبق أحاول أن أجد للمدافعين عن يزيد بن معاوية عذراً من باب أن يكونوا مجتهدين أو طالبي وفاق ووئام،فلم يسعْني ذلك بعدَ التّحقيق والتّثبّت،ولم يطُاوعني عليه ضميري،وإنّما استقرّ فيما بيني وبين الله تعالى أنّ يزيد كأبيه مات على غيرملّة النبيّ صلى الله عليه وآله ،لا أشكّ في ذلك طرفة عين،وأنّ الدفاع عنه بمنزلة التهجّم على رسول الله صلى الله عليه وآله.وتحقَق لديّ أنّ الذين يدافعون عنه إنّما يفعلون ذلك ليغيظوا شيعة أهل البيت عليهم السلام،وإلاّ فمن منهم يحبّ أن يكون يزيد أباه أو جدّه؟!وحينما يكون الدافع إلى العمل والحافزعليه مجرّد غيظ الآخرين،تصبح المسألة قضية أمراض نفسية وسلوكات وسواسية،ولا علاقة للباحث بذلك،لأنه لا يزيد عن تضييع الوقت في ما لا طائل تحته؛ولله درّ المتنبي حيث يقول:

ومن البليّة عذل من لا يرعوي ** عن غيّه وخطاب من لا يفهم

أخبار يزيد بن معاوية

جاء في في معجم ما استعجم ما يلي[1]: قال الزّبير كان مُعاويَة وجّه يزيد ابنه لغزْو الرّوم فأقام يزيد بديرسَمْعان وَوَجّهَ الجيوش وتلك غزْوة الطوانة فأصابهم الوباء فقال يزيد بن مُعاويَة :

أهون عليّ بما لاقت جُمُوعُهُمُ   يومَ الطّوانَة من حُمّى ومنْ موم
إذا اتكّأتُ على الأنْمَاط مُرتَفقاً   بديْر سمْعانَ عنْدي أمّ كُلثُوم

قال فبلغ شعرُهُ مُعاويةَ فكتب إليه أقسمُ بالله لتلحقنّ بهم حتى يصيبك ما أصابهم فألحَقَه بهم .

والقصّة رواها ابنُ خَلْدُون باللّفظ التّالي:(ثمّ) بعث مُعاويَة سنة خمسين جيشاً كثيفاً إلى بلاد الرّوم مع سُفْيان بن عوف وندب يزيد ابنَه معَهم فتثاقلَ

---

[1] معجم ما استعجم ج1ص586

فتركَه ثمّ بلغ النّاس أنّ الغزاة أصابهم جوع ومرض وبلغ مُعاويَة أن يزيد أنشد في ذلك :

ما إن أبالى بما لاقتْ جُموعُهمُ * * بفد بيداء من حُمّى ومن شُوم

إذا اتكأت على الانماط مرتفقا * * بدير مران عندي أم كلثوم

وهى امرأتُه بنتُ عبد الله بن عامر،فحلف ليلحقنّ بهم فسارفي جمع كثير جمعهم إليه معاوية فيهم ابن عبّاس وابن عامر وابن الزّبير وأبو أيّوب الأنصاريّ فأوغلوا في بلاد الرّوم وبلغوا القسطنطينيّة وقاتلوا الرّوم عليها فاستُشهد أبو أيّوب الأنصاريّ ودُفن قريبا من سُورها ورجع يزيد والعساكر إلى الشّام ثمّ شتى فضالة بن عبيد بأرض الرّوم سنة إحدى وخمسين وغزا بسرُ بن أرطاة الصّائفة (اهـ).

لكنّ الطّبرانيّ لا يوافق ابن خَلْدُون في العبارة،والفرقُ بين العبارتين ليس طفيفا،بل يكشفُ عن تعمّد ابن خَلْدُون للكذب دفاعاً عن بني أُميّة.قال ياقوت الحمويّ في معجم البلدان[1]:قال الطّبرانيّ حدّثنا أبو زرعة الدّمشقيّ قال سمعت أبا مسهر يقول كان يزيد بن مُعاويَة بديرمران[2] فأصاب المسلمين سباء وقتل بأرض الرّوم فقال يزيد:

وما أبالي بما لاقت جموعهم بالغذقدونة من حُمّى ومن موم

---

[1] معجم البلدان ج2ص534

[2] قال ياقوت : في معجم البلدان ج 2 ص 533: دير مران : بضم أوله ، بلفظ تثنية المر ، والذي بالحجاز مران ، بالفتح ، قال الخالدي : هذا الدير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة ، وبناؤه بالجص وأكثر فرشه بالبلاط الملون ، وهو دير كبير وفيه رهبان كثيرة ، وفي هيكله صورة عجيبة دقيقة المعاني ، والاشجار محيطة به ، وفيه قال أبو بكر الصنوبريّ: أمرّ بدير مرّان فأحيا......الأبيات.

إذا اتكأت على الأنماط مرتفقا بدير مران عندي أم كلثوم

وأمّ كلثوم هي بنت عبد الله بن عامر بن كريز زوجته فبلغ مُعاويَةَ ذلك فقال لا جَرَمَ ليَلحقنّ بهم ويصيبه ما أصابهم وإلاّ خلعتُه فتهيّأ للرّحيل وكتب إليه

تجنى لا تزال تعدّ ذنباً لتقطع حبل وصلك من حبَالي

فيوشك أن يريحك من بلائي نزولي في المَهالك وارْتحالي

فابن خَلْدُون يقول " بلغ النّاس أنّ الغزاة أصابهم جوع ومرض " والطّبرانيّ يقول:" فأصاب المسلمين سباء وقتْل " وأين الجوع من السّباء والقتل ؟!ومعلوم أنّ مَن لمْ يهتمّ بشؤون المسلمين فليس منهم،ويزيد بن مُعاويَة يصرّح أنّه لا يبالي بما أصابهم طالما سلمت له أمّ كلثوم والعيش الرّغيد.وابن خَلْدُون أمويّ الهوى لا يتقبّل مثل هذا الكلام الذي يكشف عن سوء باطن يزيد ويؤكّد انحرافه،لذلك جنح إلى الحديث عن الجوع والمرض،وليست هذه أولى سقطات ابن خَلْدُون ولا آخرها.

وفي الطبقات الكبرى[1]:موسى بن يعقوب عن عمّه قالوا لمّا دخل مسلم بن عقبة المدينة وأنهبها وقتل من قتل دعا النّاس إلى البيعة فكانت بنوأُميّة أوّل من بايعه ثمّ دعا بني أسد بن عبد العزّى وكان عليهم حَنقاً إلى قصْره فقال تبايعون لعبد الله يزيد أميرالمؤمنين ولمَن استخْلفَ بعدَه على أنّ أموالكم وأنفسكم خَولٌ له يقضي فيها ما شاء [!] وقال بعضهم قال ليزيد بن عبد الله خاصة بايع على أنّك عبدُ العصا فقال يزيد أيّها الأميرإنّمانحن نَفَرٌمن المسلمين لنا ما للمسلمين وعلينا ما عليهم أبايع لابن عمّي وخليفتي وإمامي

---

[1] الطبقات الكبرى (القسم المتمم) ج1ص104

على ما يبايع عليه المسلمون فقال الحمد لله الذي سقاني دمك والله لا أقيلُكَها أبداً لعمْري إنّك لطعّان وأصحابك على خلفائك فقدّمه فضرب عنقه(اهــ).

وفي تاريخ خليفة بن خياط ص 183 :

قال أبو الحسن:وقال عوانة:أُتيَ مسلم بيزيد بن عبد الله بن زمعة فقال:بايع فقال:أبايعك على كتاب الله وسنة نبيه فأمر بقتله!

وهكذا يكون في دولة المسلمين التي يرأسها يزيد بن معاوية أنّ من يبايع على كتاب الله وسُنّة نبيّه يستحقّ القتل؛وعليه يكون عبدُ الرّحمن بن عوف وعثمان بن عفّان مستحقّين للقتل،لأنّ عبد الرحمن اشترط على عثمان العمل بكتاب الله و سنّة رسوله.

قال ابن قيّم الجوزية في شرح قصيدته ج2ص4:وكانت وقعة الحرّة يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين ويقال لها حرّة زهرة وكانت الوقعة بموضع يعرف بواقم على ميل من مسجد النّبيّ صلى الله عليه وسلم فقُتلَ بها بقايا المُهاجرين والأنْصاروخيَار التّابعين وهم ألْف وسبعمائة وقُتلَ منْ أخلاط النّاس عشرة آلاف سوى النّساء والصّبيان،وقُتل بها من حَمَلَة القرآن سبعمائة رجل[1]من قُريْش سبعة وتسعون قُتلُوا جهراً ظُلماً في الحرْب وصبراً كذا ذكرالقُرْطبيّ رحمه الله في التذكرة.وفي كتاب آكام المرجان في أحكام الجان للشيخ بدرالدّين محمّد بن عبد الله الشبليّ الصفديّ الحنفيّ قال كانت وقعة الحرّة لثلاث ليال بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وستّين على باب طيبة واستشهد فيها خلق كثيروَجَمَاعةٌ من الصّحابة قال خليفة فجميع مَنْ أصيبَ من قُريْش والأنْصارثلاثمائة وستّون وروي أن النّبيّ صلى الله عليه وسلم

---

[1] قتل هذا العدد الهائل من حفظة القرآن لا يكون من باب الصدفةو إنّما هو تخطيط دقيق من طرف بني أميّة.

وقف على الحرّة وقال ليقتلَنَّ بهذا المكان رجالٌ هم خيارأمّتي بعد أصحابي وكان سَبَبها أنّ أهل المدينة خَلَعُوا يزيد بن مُعاويَة وأخرجوا مَرْوان بن الحكم وبني أُميّة وأمّروا عليهم حنظلة بن عبد الله الغسيل ولم يوافق أهلَ المدينة أحدٌ من أكابر أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وسلم الذين كانوا فيهم فجهّزاليهم يزيد بن مُعاويَة مسلم بن عقبة فأوقع بهم قال السّهيليّ وقُتل في ذلك اليوم من وُجوه المهاجرين والأنصار ألف وسبعمائة وقتل من أخلاط النّاس عشرة آلاف قال شيخنا الحافظ ابو عبد الله الذّهبيّ هذا خسف ومجازفة والحرّة التي تعرف بها هذا اليوم يقال لها حرّة زهرة وعرفت حرّة زهرة بقرية كانت لبني زهرة قوم من اليهود قال الزّبير في فضائل المدينة كانت قرية كبيرة في الزّمن القديم وكان فيها ثلثمائة صائغ وكان يزيد قد أعذر الى أهل المدينة وبذل لهم من العطاء أضعاف اضعاف ما يعطي النّاس واجتهد في استمالتهم الى الطّاعة والتّحْذيرمن الخلاف ولكن أبى الله إلاّ ما أراد والله يحكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون (انتهى) .

وهذا الكلام لا يخلومن مُغالطة في التّعْليق،فإنّه يقول:"ولكن أبى الله إلاّ ما أراد "،وهذا غيرُصحيح فإنّه سبحانه وتعالى نهى عن الظُّلم وأخبرعلى لسان نبيه صلى الله عليه وآله أنّ المدينة حَرَمٌ ما بين عائر وثور[1] والفعل الذي فعله جيش يزيد لا مبرّرَ لهُ لا في الإسْلام ولا في غيرالإسْلام،فإن استباحة أعراض بنات الصّحابة لا يقرّه من في قلبه مثقال حبة خردل من إنسانية فضلاً عن الإيمان؛ولا أدري لماذا يخنس المدافعون عن عدالة الصحابة حيال هذه لواقعة ولا ينبسون ببنت شفة! لأنّهم إن كانوا يحبّون الصحابة فعلاً،ويعظّمون حُرمَتَهم فعليْهم أن يغاروا على أعراضهم وأن يتألّمُوا ــ

[1] حديث " المدينة حرم " متفق عليه .

على الأقل ـ لما جرى لبنات الصحابة من هتْك على يد جُنْد الشّام. ولكن، يبدو أنّ عدالة الصحابة لا تمثّل إلاّ وَرَقَةَ " فيتو" تُستَعْمَلُ ضدّ مدرسة أهل البيْت عليهم السلام ظلماً وعلوّاً،وماعَدَاهُ فلاوُجُودَ لعدالة جميع الصّحابة لا في القلوب ولا في العقول ولا في الوجدان،وسبحان ربك رب العزة عمّا يصفون.

وقد كانت تحدُث بين مُعاويَة وذَويه مُناوشات وخُصومات تُفضي إلى أنْ تبدُرَ من بعْضهم كلماتٌ تكشفُ عمّا أخفته الضّمائر،وعن مواقف بعضهم من بعض بحسب الواقع لا الظاهر.جاء في تاريخ مدينة دمشق ما يلي[1]:طلب سعيد بن عثمان بن عفان من مُعاويَة أن يستعمله على خراسان فقال له: " إنّ بهاعُبيدَ الله بن زياد.فقال:أماوالله لقد اصطنعك أبي ورقّاك حتّى بلغتَ باصطناعه المَدى الذي لا تُجارى إليه ولا تُسامى،فلا شَكرتَ بلاءَه ولا جزيتَه بآلائه،وقدّمتَ هذا - يعني يزيد - وبايعتَ لهُ،فوالله لأنا خيرٌ منه أباً وأُمّاً ونفْساً.فقال له مُعاويَة:أمّا بلاءُ أبيك فقد يحقُّ عليّ الجزاءُ به،وقد كانَ من شُكري لذلك أنّي طلبتُ بدَمِه حتى تكشّفت الأمورُ ولستَ باللاّئم لي في التّشمير،وأما فضلُ أبيك على أبيه،فأبوك والله خيرٌ منّي وأقربُ من النّبيّ وأما فضلُ أمّكَ على أمّه فممّا لا يُنكَرُ:امرأةٌ من قُريْش خيرٌمن امرأة من كلب،وأمّا فضلك عليْه،فوالله ماأُحبُّ أنّ الغُوطة دحستْ لي رجالاً مثلَك.فقال له يزيد:ياأميرَالمؤمنين ابنُ عمّك وأنتَ أحقُّ مَن نظرَ في أمْره،وقد عتب عليك فيَّ ،فأعْتبْه،قال فولاّهُ حربَ خُراسان.... "(اهـ).

فهذا مُعاويَة يصرّحُ أن الغوطة تدحس رجالاً مثل سعيد بن عثمان بن عفّان لا تُساوي يزيد المستخفّ بالحُرُمات،وما على الباحث إلا أن ينظر في

[1] تاريخ مدينة دمشق ـ ابن عساكر ـ ج8ص231

علم الرجال ليطّلع على أقوالهم في سعيد بن عثمان و أقوالهم في يزيد بن مُعاوِيَة!

وفي كتاب خزانة الأدب ج1ص325 ذكرٌ لبعْض ما وصل إليه النّواصب في تقاليدهم الخاصة بيوم عاشوراء،وللقصيدة قصّة بين صاحبها ابن منير الطّرابلسيّ والشّريف الموسويّ نقيب الأشراف ببغداد،وما وردَ فيها يستشهد به الأدباء في باب الهزل الذي يُرادُ به الجدّ ،قال ابن منير :

وأقولُ إنّ يزيدَ ما شربَ الخُمورَ ولا فَجَر

ولجَيْشه بالكفّ عنْ أبْناء فاطمَة أَمَر

وَحَلَقْتُ في عَشْر المُحَرَّم مَا استَطالَ منَ الشَّعَر

ونَوَيتُ صومْمَ نَهَاره وَصيامَ أيّام أُخَر

ولَبستُ فيه أجلَّ ثَوْبٍ للمَلابس يُدَّخَر

ومضمون الأبيات السّابقة موجود في كلام ابن قيّم الجوزيّة في الصواعق المرسلة ج1ص1349،إذ يقول: " ليست السّنّة بحُبّ مُعاويَة ويزيد ولا أنزل حبّ أبي بكر وعمر ولا بإزعاج أعضائك بالصلاة على السّفر ولا بالاكتحال يوم عاشوراء والتّوسعة على العيال.السّنّة تتبّع طريق الرسول واقتفاء آثاره والوقوف عند مراسمه وحدوده من غيرتقصيرولا غُلُوّ وأن لا يتقدم بين يديه"(اهــ).قلتُ:لو لم تكن هذه الشعائرمعمولا بها في زمانه لما ذَكَرها!

وقال البلاذري في الأنساب[1]: قال هشام:وكان موسى شهوات منقطعا إلى [عبد الله] بن جعفر أيضا،وإنّما سُمِّيَ شهوات لأنّه قال في يزيد بن مُعاوية شعراً له : يا مُضيع الصّلاة للشّهوات...

وليَزيد مواقفه من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله ،ومنْ حقّه أن يُصدرَأحْكاماً في حقّهم فيمدح ويذمّ؛فمن ذلك ما ذكره الذّهبيّ في تذكرته[2]:قال ابن أبي مليكة سمعت يزيد بن مُعاويَة يقول إنّ أبا الدّرداء من الفُقَهاء العُلَماء الذين يشفون من الداء(اهـ).وفي الأغاني للأصفهاني ج1ص259: قال فنظروا فإذا هو ابن سريج يتغنى(صوت):أمنْ رَسْم دَارِ بوَادي غدَرْ لِجَاريَةٍ منْ جَوَاري مُضَرْ* خدلّجَة السّاق ممْكُورَة *سلُوس الوِشَاح كمثْل القَمَر* تزينُ النّساءَ إذا ما بَدَتْ *ويبْهَتُ في وَجْهها مَنْ نَظَر.الشعر ليزيد بن مُعاويَة والغناء لابن سريج.وفي البيان والتبيين[3]:وقالوا الدّليل على أنّ مَن سقطَ جميعُ أسنانه أنّ عظمَ اللّسان نافعٌ لَهُ قولُ كعْب بْن جعيل ليزيد بن مُعاويَة حين أمَرَهُ بهجاء الأنْصارفقال أرادّي أنت إلى الكُفر بعد الإيمان لا أهجو قوما نصرُوا النّبيّ وآووْهُ ولكنّي سأدلّك على غلام في الحيّ كَافِركان لسانه لسان ثور يعني الأخطل.

في البيان و التبيين ج1ص79 :وتكلم يوما عند مُعاويَة الخطباء فأحسنوا فقال والله لأرمينهم بالخطيب الأشدق قم يا يزيد فتكلم .

وفي المستطرف ج2ص25 :ونهى أعرابي ابنه عن شرب النّبيّذ فلم ينتَه وقال أمن شربة من ماء كرم شربتها غضبت علي الآن طابت لي الخمر

---

[1] أنساب الاشراف– البلاذري ــ ص 56

[2] تذكرة الحفاظ ــ الذّهبيّ ــ ج 1ص 25

[3] البيان والتبيين ــالجاحظ ج1ص48

سأشرب فاسخط لارضيت كلاهما حبيب إلى قلبي عقوقك والسكر. وقيل قال ذلك يزيد بن مُعاويَة لأبيه حين نهاه عن شرب الخمر(اهــ).وقصة نهي مُعاويَة ابنه يزيد عن شرب الخمرمعلومة لدى المؤرخين وقد حاول ابن خَلْدُون أن يجعل من ذلك فضيلة لمُعاويَة.ومعلوم أيضاً أنّ عُمر بن الخطّاب جلد ابنَه عبد الرّحمن المعروف بأبي شحمة حدّاً ثانياً في شُرب الخمْركان سبب وفاته.

وفي كتاب السير الكبير للشيباني ج **1** ص **158** عن مُجاهد قال:قلت لابن عمر رضي الله عنهما:ما تقول في الغزو،فقد صنع الأمراء ما قد رأيت.قال: أرى أن تغزوَ،فإنه ليس عليك مما أحدثوا شيء.يعني ما أحدثوا ممّا تكرهه . وقد روي أنّه لمّا ولي يزيد بن مُعاويَة قال ابن عمر:إن يكن خيرا شكرنا وإن يكن بلاء صبرنا،ثم قرأ قوله تعالى [من سورة النور] { فإنّما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم } (اهــ).

أقول: هذا الذي يؤلم قلب النبيّ صلى الله عليه وآله ويُؤْذن بمَحْو سنّته.أليس هو القائل:"...فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان؟! " وفي رواية " وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان "؟!

هل يرجو الشّيبانيّ أن يحتجّ الله تعالى على الخلق بعبد الله بن عمر الذي استنكف أن يبايع عليّ بن أبي طالب عليه السلام ثمّ سارع فيمابعد إلى مبايعة الحجّاج بن يوسف؟ولقد كان في وسع ابن عمرأنْ يقول مثل هذا غداة بيعة عليّ بن أبي طالب عليه السلام عوَض أن يخذّل عنه ويثبّط والله سائلُه عن ذلك.

ماالذي استفادته الأمّة من مواقف عبد الله بن عُمَرالمُخْزِيَة؟! وهل يستفيد من مواقفه غير أئمة الجَوْروالفساد؟! على أنّ عبد الله بن عُمَر ذكر في

أكثرمن مناسبة أنّه ندمَ على عدم محاربة الفئة الباغية،وله بعد ذلك موقف يوم القيامة يجيب فيه على خذلانه آل النّبيّ صلى الله عليه وآله و التحاقه بأعدائه،ولن يكون المدافعون عنه اليوم قادرين على الدفاع عنه يوم تأتي كلّ نفس تجادل عن نفسها.وخسر هُنالك المبطلون.

إنّ رفض الظلم لا يشترط فيه الإسلام،وهذه أحداث العالم في أيامنا شاهدة على ذلك، فإنّ الإنسان مجبول على حب ممارسة حريته.والذين يتعدون على حريةالآخرين ويحرمونهم من الاستفادة من نعمة الحياة التي وهبهم الله تعالى إنما يجنون على أنفسهم قبل أن يجنوا على غيرهم،لأنّهم في الحقيقة ينسلخون من إنسانيتهم بذلك المعنى الذي تتجلى فيه القيم،ولا يبقى لهم إلا الشّكل.ولقد ثبت في تاريخنا المعاصرانحداركثيرمن المجتمعات الخاضعة لقُوىً متجبّرة إلى مستويات فظيعة من الانحلال والفوضى،وهي الأمورالتي جاء الإسلام لمحاربتها كيما يعيد الإنسان إلى منزلته،منزلة التكريم[1].

ومع كل ما سبق، لا يتجرّأ ابن قيّم الجوزية أن يشهد شهادة حقّ دفاعاً عن سبط النبيّ صلى الله عليه وآله وإنّما يضمّ صوتَه إلى أصوات المدافعين عن الباطل.وهذه كلماته شاهدة عليه فإنّه يقول[2]:خير هذه الأمة القرن الأول وهم الصحابة رضي الله عنهم وخيرهم العشرة الذين شهد لهم النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم بالجنّة وخيرهؤلاء العشرة أبو بكروعُمر وعُثمان وعليّ رضي الله تعالى عنهم ونعتقد حب آل محمّد صلّى الله عليه وسلّم وأزواجه وسائرأصحابه رضوان الله عليهم

---

[1] إشارة إلى قوله تعالى " ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطّيّبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلا [الإسراء 70].

[2] اجتماع الجيوش الإسلاميّة ــ ابن القيّم ــ ج1ص104

ونذكرُمَحَاسنهم وننشرفضَائلهم ونُمسكُ ألسنتنا وقلوبنا عن التطلّع فيما شجر بينهم[1]ونستغفراللهَ لهم ونتوسّل إلى الله تعالى باتباعهم ونرى الجهاد والجماعة ماضيا إلى يوم القيامة والسمع والطاعة لولاة الأمْرمِن المسلمين واجباً في طاعة الله تعالى دون معصيته لا يجوز الخروج عليهم ولا المفارقة لهم ولا نكفّر أحداً من المسلمين بذنب عمله ولو كبُرولا ندع الصلاة عليهم بل نحكم فيهم بحكم النّبيّ صلى الله عليه وسلم ونترحّم على مُعاويَة[!]ونَكلُ سريرة يزيد إلى الله تعالى(اهــ).

هذا هو اعتقاد ابن قيم الجوزية!! أن يكل سريرة يزيد إلى الله تعالى،ويضرب بأحكام الشّرع عرض الحائط لأن الهالة القدسيّة التي تحيط بكرسيّ الخلافة ذات حصانة دبلوماسية غيرقابلة للنّقض،فلا ينبغي أن تتأثربشيء،والخليفة لا يُسأل عمّا يفعل وهم يُسألون.يقول الله سبحانه وتعالى " قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومَن يقْترفْ حسنةً نزدْ له فيها....." ويؤذي يزيدُ القربى ويقطع الرّحم ويعرّض بنات النّبيّ صلى الله عليه وآله للسّبْي ومع ذلك يَكلُ سريرتَه إلى الله تعالى!

يقول الله جلّ شأنُه بخصوص المسجد الحرام نقطة البداية ومحطّة الانطلاق في الإسراء والمعراج: " ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم " ويضربُ يزيد الكعْبة بالمنجنيق،ويستخفّ بحُرُمات المسلمين،ولا يرى ابن قيّم الجوزيّة إلاّ أن يكل سريرته إلى الله تعلى!

يقول سبحانه وتعالى : " إنّ الذين يؤذون اللهَ ورسولَه لعنَهم الله في الدّنْيا والآخرة " ويسلّط يزيدُ جيشه على المدينة التي هي أحد الحرمين بإجماع المسلمين،ويؤذي النبيّ صلى الله عليه وآله باستباحة الأموال والأعراض

---

[1] أقول :كما يفعل الشيطان الأخرس

و يفْجُرأفرادُ جيْشه ببنات الصّحابة علناً واستخفافاً بالدين،ويقتل من الصحابة والتابعين فيها ومع ذلك لا يجدُ ابنُ قيّم الجوزيّة إلاّ أن يكل سريرته إلى الله!!

لكن حينما يتعلّق الأمرُ بفرْد من أتباع أهل البيت عليهم السّلام لا يرضى أن يتولّى من غضب الله عليه من أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله ،ولا يرضى بسَبِّ مَنْ سَبُّه مُخرج من الملّة،لا يكل ابن القيم سريرته إلى الله تعالى،بل يفتح عليه النّارمنْ كلّ الجهات،ويُنزلُ عليه وابلاً من الكلام الكاشف عن حقْد على رسول الله صلى الله عليه وآله ،فإلى الله المشتكى وعند الله تجتمع الخصوم وخسرهُنالك المبطلون.وكم أنتجت العقائدُ المُدَجّنة من الأفكار المُستَهْجَنَة!

وقد صارحُبّ مُعاويَة ويزيد فيمابعد من السّنّة،وهو صريح في كلام ابن قيّم الجوزيّة في الصواعق المرسلة ج1 ص1349 إذ يقول: " يا أصحاب المخالطات والمعاملات عليكم بالورع ويا أصحاب الزوايا والانقطاع عليكم بحسم موادّ الطّمع ويا أرباب العلم والنّظر إيّاكم واستحسان طرائق أهل العلم والخدع ليست السّنّة بحبّ مُعاويَة ويزيد ولا أنزل حبّ أبي بكر وعمرولا بإزعاج أعضائك بالصلاة على السفر ولا بالاكتحال يوم عاشوراء والتوسعة على العيال السنة تتبع طريق الرسول واقتفاء آثاره والوقوف عند مراسمه وحدوده من غير تقصير ولا غلو وأن لا يتقدم بين يديه ولا تختار لنفسك قولا لم يتبين لك أنه جاء به فالسنة مقابلة أوامره بالامتثال ونواهيه بالانكفاف وأخباره بالتصديق ومجانبة الشبه والآراء وكل ما خالف النقل وإن كانت له حلاوة في السمع وقبول في القلب ...... " (انتهى)

وفي كتاب " صفة المنافق " ص66:حدّثنا عثمان بن أبي شيبة حدّثنا جرير عن منصور عن إبراهيم عن أبي الشعثاء قال دخل نَفَرٌ على عبد الله بن عمر من أهل العراق فوقعوا في يزيد بن مُعاويَة فتناولُوه فقال لهم عبد الله

هذا قولكم لهم عندي أتقولون هذا في وجوههم قالوا لا بل نمدحهم ونثني عليهم فقال ابن عمر هذا النفاق عندنا(اهـ).

وشاهدُنامن هذا أنّ ذمّ يَزيد كان شائعاً مُتداوَلاً حتى في مجلس ابن عمر،وفي هذا ردّ على من ما يدّعيه ابنُ العربيّ في عواصمه وابن خَلْدُون في مقدمته وإن كانت حال يزيد بن مُعاويَة لا تحتاج إلى بيان عند من كان له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد.

وقد شهد على يزيد بن مُعاويَة ابنه مُعاويَة بن يزيد بن مُعاويَة أوّلَ ما بُويعَ فقال كما في حياة الحيوان الكبرى للدّميري:ولقد كان أبـــي يزيد بسوء فعله وإسرافه علـــى نفسه غير خـــليق بالـــخلافة علـــى أمّة مـــحمد فركب هواه واستـــحسن خطاه وأقدم علـــى ما أقدم من جراءته علـــى الله وبغيه علـــى من استـــحل حُرمته من أولاد رسول الله فقلّت مدّته وانقطع أثره وضاجع عمله وصار حلـــيف حفرته رهين خطيئته وبقـــيت أوزاره وتبعاته وحصل علـــى ما قدم وندم حيث لا ينفعه النّدم وشَغَلَنَا الـــحُزنُ له عن الـــحُزن علـــيه فلـــيت شعري ماذا قال وماذا قـــيل له هل عوقب بإساته وجوزي بعمله، وذلك ظنّـــي ...(اهـ).

وشهد عليه عُمربن عبد العزيزبفعله،قال الذهبي في سيرأعلام النبلاء[1]: وروى محمد بن أبي السري العسقلاني،حدثنا يحيى بن عبدالملك ابن أبي غنية،عن نوفل بن أبي الفرات ، قال:كنت عند عمربن عبد العزيز فقال رجل:قال أميرالمؤمنين يزيد،فأمرَ به فضرب عشرين سوطا.توفي يزيد في نصف ربيع الأول سنة أربع وستين .

[1] سير أعلام النبلاء ــ الذهبي ــ ج4ص40

وشهد عليه عبد الله بن حنظلة الغسيل.قال ابن حجر[1]:وقال خليفة بن خياط حدّثنا وهب بن جريرحدّثنا جويرية بن أسماء سمعت أشياخنا من أهل المدينة أن ممّن وفد إلى يزيد بن مُعاويَة عبد الله بن حنظلة معه ثمانية بنين له فأعطاه مائة ألف وأعطى بنيه كل واحد عشرة آلاف فلما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا ما وراءك قال أتيتكم من عند رجل والله لولم أجد إلا بني هؤلاء لجاهدته بهم قال فخرج أهل المدينة بجموع كثيرة(اهـ).

وقال ابن سعد في الطبقات [2]: لما وثب أهل المدينة ليالي الحرة فأخرجوا بني أمية عن المدينة وأظهروا عيب يزيد بن معاوية وخلافه أجمعوا على عبد الله بن حنظلة فأسندوا أمرهم إليه فبايعهم على الموت وقال يا قوم اتقوا الله وحده لا شريك له فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء إن رجلا ينكح الامهات والبنات والاخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة والله لو لم يكن معي أحد من الناس لابليت لله فيه بلاء حسنا فتواثب الناس يومئذ يبايعون من كل النواحي وما كان لعبد الله بن حنظلة تلك الليالي مبيت إلا المسجد وما كان يزيد على شربة من سويق يفطر عليها إلى مثلها من الغد يؤتى بها في المسجد يصوم الدهروما رُئيَ رافعاً رأسه إلى السماء إخباتا.

وشهد عليه الصّحابيّ معقل بن سنان ودفع ثمن ذلك حياته في وقعة الحَرّة قال ابن سعد في ترجمته [3]: كان معقل بن سنان قد صحب النّبيّ صلى الله عليه وسلم وحمل لواء قومه يوم الفتح ،وكان شابّاً ظريفا وبقي بعد ذلك فبعثه

[1] الإصابة ــ ابن حجر ــ ج4ص66

[2] الطبقات الكبرى – محمد بن سعد ج 5 ص 66

[3] الطبقات الكبرى – محمد بن سعد ــ ج 4ص 283

الوليد بن عتبة بن أبي سفيان وكان على المدينة ببيعة يزيد بن معاوية، فقدم الشّام في وفد من أهل المدينة فاجتمع معقل بن سنان ومسلم بن عقبة الذي يعرف بمسرف قال فقال معقل بن سنان لمسرف وقد كان آنَسَه وحادَثَه إلى أن ذكر معقلُ بنُ سنان يزيدَ بنَ معاويةَ بن أبي سفيان فقال إنّي خرجت كرْهاً لبيْعة هذا الرّجل وقد كان من القضاء والقدر خروجي إليه ،رجل يشرب الخمْر وينكح الحُرم ثمّ نال منه فلم يترك ثمّ قال لمسرف أحببت أن أضع ذلك عندك فقال مسرف أمّا أن أذكر ذلك لأمير المؤمنين يومي هذا فلا والله لا أفعل ولكن لله عليّ عهْد وميثاق ألاّ تمكنني يداي منك ولي عليك مقدرة إلاّ ضربت الذي فيه عيناك فلمّا قدم مسرف المدينة أوقع بهم أيّام الحرّة وكان معقل يومئذ صاحبَ المهاجرين فأُتي به مسرف مأسوراً فقال له يا معقل بن سنان أعطشتَ قال نعم أصلح الله الأمير فقال خوضوا له شربةً بلَوْز فخاضوا له فشربَ فقال له أشربت ورويتَ قال نعم قال أما والله لا تستَهْني بها يا مفرج قُمْ فاضربْ عنقَه قال ثمّ قال اجلس ثمّ قال لنوفل بن مساحق قُمْ فاضرب عنقه قال فقام إليه فضرب عنقَه ثمَ قال والله ما كنت لأدَعَكَ بعد كلام سمعته منك تطعن فيه على إمامك .

وقال الدميري في حياة الحيوان في باب " الفهد " :وكبار الفهود أقبل للتأديب من صغارها،وأوّل من اصطاد به كلـيب بن وائل وأول من حمله علـى الـخيل يزيد بن مُعاويَة بن أبـي سُفْيان، وأكثر من اشتهر باللّعب بها أبو مسلـم الـخراسانـي.

وقال أيضاً : وفـي هذه السنة أي سنة ستّـين دعا عبد الله بن الزبـير رضي الله تعالـى عنهما إلـى نفسه بالـخلافة بمكّة، وعاب يزيد بشرب الـخمر واللّعب بالكلاب والتّهاون بالدين وأظهر ثلبه وتنقصه، فبايعه أهل تهامة والـحجاز، فلـمّا بلغ يزيد ذلك ندب له الـحصين بن نمير السكونـي

وروح بن زنباع الـجذامي، وضم إلـى كل واحد جيشاً واستعمل علـى الـجميع مسلـم بن عقبة الـمري وجعله أمير الأمراء...اهـ

وشهد عليه ابن الزبير بشرب الخمر وترك الصلاة كما في تاريخ خليفة [1]:

حدثنا أبوالحسن عن بقية بن عبد الرحمن عن أبيه قال:لما بلغ يزيد بن معاوية أن أهل مكة أرادوا ابن الزبيرعلى البيعة فأبى،أرسل النعمان بن بشيرالأنصاري وهمام بن قبيصة النميريِ إلى ابن الزبير يدعوانه إلى البيعة ليزيد،على أن يجعل له ولاية الحجازوما شاء وما أحبّ لأهل بيته من الولاية،فقدما على ابن الزبير،فعرضا عليه ما أمرهما به يزيد،فقال ابن الزبير أتأمراني ببيعة رجل يشرب الخمرويَدَع الصّلاة ويتّبع الصيد ؟فقال همام بن قبيصة:أنت أولى بما قلت منه،فلطمه رجل من قريش،فرجعا إلى يزيد فغضب وحلف لا يقبل بيعته إلا وفي يده جامعة .

ومن الذين يشهدون على يزيد بالانحراف عن الدين الحافظ أبو القاسم الشيرازي.قال السمعاني[2]:وقال عبد العزيز النخشبي: أبو القاسم الحافظ الشيرازي كان يحفظ الغرائب،حسن الفهم حسن المعرفة،غيرأنّه يَلْعَنُ يزيد بن معاوية،وعبد الملك بن مروان وبني أميّة كلّهم،وجرت بيني وبينه مناظرة في ذلك (اهـ).

ويرى الذّهبيّ أنّ الله تعالى عجّل بهلاك يزيد لما فعله بأهل المدينة، وأمّا ما فعله بآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يخطر ببال الذّهبيّ ولا

---

[1] تاريخ خليفة بن خياط- العصفري ص 193

[2] الأنساب ــ السمعاني ــ ج 3 ص 493

يرى له أثراً؛قال في سيرأعلام النبلاء[1]:عقد له أبوه بولاية العهد من بعده فتسلّم المُلكَ عند موْت أبيه في رجب سنة ستين وله ثلاث وثلاثون سنة فكانت دولتَه أقلّ من أربع سنين ولم يمهله الله على فعله بأهل المدينة لما خلعوه.

[1] سير أعلام النبلاء ج4ص36

خاتمة

كل ما سبق من أخبار معاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد، وبني أميّة إنّما هو لبيان أحوالهم وما كانوا عليه.ولأنّ المسلم معنيٌّ بقوله تعالى " قل لا أسألكم عليه أجراً إلاّ المودّة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حُسْناً إنّ الله غفور شكور "،فإنّه لا مناص من الإتيان بمودّة قربى النّبيّ صلى الله عليه وآله يوم عرض الأعمال؛ويصعب إثبات وجود شيء من مودّة قربى النّبي صلى الله عليه وآله لدى معاوية وابنه ومَن كان معهما،لأنّ ما هو ثابت في كتب التاريخ والآثار،وما هو متواتر من الأخبار يشهد بخلاف ذلك.ولوأنّ عاقلا صنّف معاويةَ بن أبي سفيان في صنف نيرون ونمرود وهتلروستالين ومن على شاكلتهم من الجبابرة المفسدين في الأرض لما كان بذلك متعدّياً ولا مُتجاوزاً ولا مُجحفاً.بل قد يكونُ وصفُه دون ما هي عليه حقيقة

معاوية،فإنّ الرّجل كان مجاهراً بالاستخفاف بسنّة النبيّ صلى الله عليه وآله مصرّاً على مُحاربة أوليائه الطّيّبين ، مقرّباً لأعدائه المُجرمين من الطلقاء

وأبناء الطلقاء والمنافقين.والذي يثيرُالعجبَ في تراث المسلمين هو وجود مدافعين عن مثل معاوية،ولا أرى لذلك داعياً إلاّ ثقافة الكرسيّ التي يغذّيها التملّق! فقد جرت العادة في تراث المسلمين أن يُدَافَعَ عن الحاكم مهما جنى واقترف لأنّه الحاكمُ،برّاً كان أم فاجراً.لذلك نجد الخليفة المتوكل العبّاسيّ يُترحّم عليه مع أنّه قُتِلَ على مائدة الخمر،ونجد أباجعفر المنصورالذي قتل من ذرّية النبيّ صلى الله عليه وآله مالا يُحصى يُسمّى أميرَالمؤمنين ويُكالُ له المديح والتّمجيد من طرف المؤرخين ومن دارفي فَلَكهم،وكذلك الشّان بالنسبة لهارون الرشيد ومن جاء بعده.ولا يزال هذا التعظيم جارياً إلى أيّامنا فترى شوارع وساحات وميادين تحمل أسماء الطغاة الذين لا يشك مَن أخلصَ وصدق في أنّهم يوم القيامة من الخاسرين.ولست أرى عتباً على الذين ينهلون من ثقافة جاهزة ويتشبّعون بما جاء فيها ويحاولون بثّ ما يعتقدون أنّه الصواب،وإنّماالعتب على الذين يدّعون البحث العلميّ والموضوعيّة والنّزاهة ويرفعون شعارات الصّدق والأمانة،حتى إذا جدّ الجدّ انحازوا إلى الباطل وجدّوا وشمّروا في الدفاع عنه، وزعموا أنّ ذلك من الدّين!

في تصوري أنّ ثقافة الكرسيّ قد جنت على التفكير لدى المسلمين،ودجّنت الهمَمَ،وخنَقَت الطموح،ووظّفت الدّين لخدمة الطاغوت،حتى صارمثلُ معاوية يجد من يدافع عنه.ولوأننّا قدّمنا مُعاوية إلى أحد المفكّرين غير المسلمين،وسردْنا له ــ بنزاهة وإنصاف ــ أعماله الإجرامية واحدةً واحدةً وبيّنّا له أنّه مات مُصرّاً عليها،لما وسعَه إلاّ أن يصنّفه في الاستبداديّين المجرمين.وإنّه لَمن العارأن يَسمحُ المسلم لنفسه أن يُدافع عن معاوية وأشباه

معاوية! ما الذي جناه الإسلام والمسلمون من معاوية غيرالعداوات والحزازات وتفريق الصفوف وتشتيت القوة وترسيخ الخلاف؟!ما هي إنجازات معاوية التي يستطيع المسلمون أن يفخروا بها أمام خصومهم ويرفعوا بها هاماتهم؟ ألم يقدّم معاوية لخُصُوم الإسلام ما يحتجون به عليهم في مجال حقوق الإنسان وهوالذي كان يدفن الناس أحياء لمجرّد حبّهم لعليّ بن أبي طالب الذي يحبّ الله ورسوله ويحبه الله ورسوله؟أوليس معاوية هو الذي أسّس لثقافة الحقد والكراهيّة وشرع سبّ الأموات بصورة رسميّة؟ أولَمْ يمنع معاوية المسلمين من تسمية أبنائهم عليّاً وحسناً وحسيناً؟

وأمّا الذي يدافعون عن معاوية باسم الدين وعدالة الصحابة وأمورمن ذلك القبيل،فيُقال لهم بالحرف الواحد ما جاء في سورة النساء : " هاأنتم هؤلاء جادلتُم عنهُم في الحياة الدنيا فمَنْ يُجادل اللهَ عنهُم يومَ القيامة أم مَنْ يكونُ عليهم وكيلا "[1].وأستبعدُ أن يكون المتديّنُ حقيقةً الملتزمُ باحترام شعائرالدين مستعداً للدّفاع عن معاوية وقبول ما اجترحته يداه،فإنّ التّديّنَ إذا كان صحيحاً يمنعُ صاحبَه من قَبول الباطل تحت التبريرات والتوجيهات التي لا يكون المرءُ مقتنعاً بها فيما بينه وبين ضميره.أمّا حينما يكون التديّن شكليّا لا يتعدّى اللحيةَ والقميصَ وعودَ السواك، وخُطىً متباطئة وابتسامات مصطَنَعة،فإنّ البصيرة سرعان ما تعمى ويحلّ محلّها التعصّب المقيت والتشدُّدُ في غير محلّه،وردّ الآيات المحكمات والبراهين الواضحات بأقاويل المشايخ ووصفات وعّاظ السلاطين، إلى أن يكتمل العناد ويحقّ على صاحبه قوله تعالى " وإن يروا كلّ آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرّشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغيّ يتّخذوه سبيلا ذلك بأنّهم كذّبوا بآياتنا

[1] سورة النساء .الآية 109

وكانوا عنها غافلين "[1].ولو أننا حاسبنا رؤوس الحركات الإسلاميّة في أيّامنا،وحاكمناهم إلى ما تبنّوه في مواجهة الحُكّام،لألزمناهُم بالقَبُول بسيرة هؤلاء الحُكّام ومبايعَتهم والانضواء تحت راياتهم،لأنّ من يقبَلُ بمعاوية يتعيّن عليه من باب أولى أن يقبل بمن هو دون معاوية.لكنّه التّقليد الأعمى حين يتحكّم في النّفوس ويغذّيها بالأوهام ويُعفيها من مُحاسبة الضمير،يُجبرهاعلى قبول المتناقضات والمتضاربات ويصوّرلها تعدُدَ الصّواب وسعةَ الاجتهاد.أمّا الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه فإنّهم لا يحفلون بالمكان والزمان حينما يتعلّق الأمربالقيَم التي حدّها الله تعالى وبيّن معالمها ورسم خطوطها،وهُوَجلَّ شأنُه أكرمُ من أن يعذّبَ أحداً من خلقه على ما يُثيب عليه غيرَه.وينبغي الإشارة إلى أنّ كثيرا من المذاهب الإسلامية غيّبت الحقيقةَ عن نفسها بتغييب العدل الإلهي بمفهومه الصحيح وتهميش القائلين به ومعارضتهم والتّهوين من شأنهم.وإنّه من واجبات المثقفين والمفكّرين الإسلاميين في زماننا أن يلتفتوا إلى هذا ويعيدوا قراءة وكتابة التاريخ على ضوئه،فإنّ في تراثنا من الثغرات ما يفتح أبواب الانحراف ويسدّ أفاق التفكير الصحيح،ومن أنصفَ نفسه لم يخْفَ عليه وجه الشبه بين سيرة الخوارج في بداية الإسلام وبين سيرة إرهابيّي زماننا.

في النهاية،أذكّرُ بما قلته في بداية الكتاب من أنّ الحديث عن مُعاويَة يمثّل الصّراعَ القائم بين أنصار القيم والمبادئ السّامية وبين أنصار المنافع والمصالح الشخصيّة.ولا أتصوّرأن يكون مُعاويَة لدى العقلاء صالحاً ليكون نموذجاً للمسلم المعتدل المؤتمَن على الدّين،وقد تحقّقَ عندي – وعند كثير ممّن عرفت – أنّ الرّجل مع تأخّر إسلامه لم يترك حرمة من حرمات

[1] سورة الأعراف. الآية 146

الإسلام إلا وهتكها أو مهّد لهتكها،وأظهر استخفافه بأحاديث النّبيّ **صلى الله عليه وآله** في كثيرمن المواطن،وإنما شفع له عند كثيرين كونه استلم القيادة وتربّع على كرسيّ الحكم.

((إنّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيَعاً يستضعفُ طائفةً منهُم يذبّح أبناءَهم ويستحيي نساءَهم إنّه كان من المفسدين)).[1]

[1] سورة القصص .الآية 4

مصـــادر الكتاب

تاريخ الأمم والملوك / الطبري / دار الكتب العلمية / بيروت /1407الطبعة الأولى
العبر في خبر من غبر / الذهبي / مطبعة حكومة الكويت / الكويت 1948
تاريخ الخلفاء / السيوطي / مطبعة السعادة / مصر 1371هـ - 1952م
البداية والنهاية / ابن كثير/ مكتبة المعارف بيروت دار إحياء التراث العربي//1408
تاريخ بغداد / أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي / دار الكتب العلمية بيروت
الإصابة في تمييز الصحابة/ابن حجر العسقلاني/دار الجيل بيروت 1412 ط 1
الدررالكامنة /ابن حجر/مطبعةمجلس دائرة المعارف العثمانية حيدرأباد/الهند 1972
الرياض النضرة /محب الدين الطبري/دار الغرب الإسلامي بيروت 1996
الطبقات / النسائي / دار الوعي حلب 1369 - الطبعة الأولى
طبقات الحفاظ / السيوطي / دار الكتب العلمية بيروت 1403 هـ
طبقات الشافعية ابن قاضي شهبة / عالم الكتب / بيروت 1407 هـ
طبقات الشافعية الكبرى/السبكي هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان الجيزة 1992
طبقات الفقهاء / أبو إسحاق الشيرازي/ دار القلم/ بيروت تحقيق : خليل الميس
طبقات المفسرين / السيوطي / مكتبة وهبة / القاهرة - 1396 هـ

طبقات المفسرين / الأدنروي / مكتبة العلوم والحكم /المدينة المنورة 1997

عيون الأنباء في طبقات الأطباء موفق الدين السعدي / دار مكتبة الحياة / بيروت

العواصم من القواصم/ المعافري المالكي / دار الجيل بيروت 1407 ط 2

أحسن التقاسيم محمد المقدسي / وزارة الثقافة والارشاد القومي /دمشق 1980

أخبار مكة /الفاكهي / دار خضر / بيروت /1414

الآحاد والمثاني / الشيباني / دار الراية / الرياض 1411 هـ- 1991

الألفاظ المختلفة في المعاني المؤتلفة/الطائي الجياني دارالجيل/بيروت1411ط 1

الأوائل/ابن أبي عاصم /دارالخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت/ تحقيق محمد بن ناصر العجمي

الأوائل /سليمان بن أحمد الطبراني/مؤسسة الرسالة،دار الفرقان بيروت 1403 ط 1

التوقيف على مهمات التعاريف/المناوي دارالفكرالمعاصر/دارالفكربيروت/ دمشق1410

التعريفات / الجرجاني / دار الكتاب العربي / بيروت 1405 الطبعة : الأولى

الحدود الأنيقة /محمد بن زكرياالأنصاري دار الفكر المعاصر/بيروت1411الطبعة الأولى

طبقات خليفة / خليفة بن خياط العصفري / دار طيبة / الرياض 1402 - 1982

الطبقات الكبرى (القسم المتمم)/محمد بن سعد مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة 1408

العبر في خبر من غبر / الذهبي مطبعة حكومة الكويت الكويت1948

الفائق في غريب الحديث / الزمخشري دار المعرفة لبنان الطبعة الثانية

الفتنة ووقعة الجمل /سيف بن عمر الضبي الأسدي /دار النفائس بيروت 1391

الفهرست / ابن النديم / دار المعرفة بيروت 1398 هـ

الكامل في التاريخ / محمد بن محمد الشيباني/ دار الكتب العلمية بيروت 1415 هـ

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / ابن الجوزي / دار الكتب العلمية بيروت 1412 هـ

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم / ابن الجوزي / دار صادر بيروت 1358 هـ

تاريخ الأمم والملوك / الطبري / دار الكتب العلمية بيروت 1407 هـ

تاريخ خليفة بن خياط /العصفري/دار القلم،مؤسسة الرسالة/دمشق، بيروت 1397 هـ

حلية الأولياء وطبقات الأصفياء/أبو نعيم الأصبهاني/دار الكتاب العربي/بيروت 1405

سير أعلام النبلاء الذهبي / مؤسسة الرسالة / بيروت 1413 هـ

شذرات الذهب في أخبار من ذهب / عبد الحي الدمشقي دار الكتب العلمية بيروت

صفوة الصفوة /ابن الجوزي / دار المعرفة - بيروت 1399 هـ

فتوح البلدان / البلاذري / دار الكتب العلمية / بيروت1403 هـ

فضائل الصحابة / أحمد بن حنبل /مؤسسة الرسالة - بيروت 1403 الطبعة الأولى

فضائل الصحابة / النسائي/ دار الكتب العلمية/بيروت 1405 هـ الطبعة الأولى

فضائل المدينة / المفضل الجندي / دار الفكر- دمشق 1407 هـ الطبعة الأولى

فضائل بيت المقدس / المقدسي / دار الفكر- بيروت 1405هـ 1985 الطبعة الأولى

لسان العرب / ابن منظور / دار صادر - بيروت الطبعة الأولى

مختار الصحاح /الرازي/مكتبة لبنان ناشرون/بيروت1415 هـ- 1995 طبعة جديدة

مشاهير علماء الأمصار / ابن حبان / دار الكتب العلمية - بيروت 1959

معجم البلدان/ياقوت الحموي/دار الفكر /دار إحياء التراث العربي بيروت 1979

معجم الصحابة/ابن قانع/مكتبة الغرباء الأثرية ـ المدينة المنورة 1418 هـ ط 1

معجم ما استعجم / البكري الأندلسي /عالم الكتب - بيروت 1403هـ الطبعة الثالثة

معرفة القراء الكبار / الذهبي / مؤسسة الرسالة – بيروت 1404 هـ ط 1

التمهيد والبيان /المالقي الأندلسي/دار الثقافة/ الدوحة – قطر 1405 هـ ط 1

المقدمة / ابن خلدون / دار القلم – بيروت 1984 الطبعة الخامسة

وفيات الأعيان / ابن خلكان / دار الثقافة – بيروت – 1968

السيرة النبوية/ابن هشام /مكتبة محمد علي صبيح و أولاده 1383هـ

شرح نهج البلاغة/ ابن أبي الحديد /دار إحياء الكتب العربية 1378 هـ 1959

النهاية في غريب الحديث / ابن الأثير /مؤسسة إسماعليان – إيران 1364هـ

الإصابة/ ابن حجرالعسقلاني /دار الكتب العلمية-بيروت/ دار الجيل /بيروت 1992

الصواعق المحرقة/ابن حجر الهيتمي/دار الكتب العلمية /مؤسسة الرسالة/ بيروت199

تاريخ مدينة دمشق/ابن عساكر/دارالفكرللطباعة والنشر والتوزيع/ بيروت 1415 هـ

صفوة الصفوة/ ابن الجوزي / دار المعرفة بيروت 1979

أسد الغابة/ ابن الأثير / انتشارات اسماعيليان طهران

تهذيب التهذيب/ابن حجر / دار الفكر بيروت 1404 هـ 1984

تهذيب الكمال./. المزي مؤسسة الرسالة 1406

مقاتل الطالبيين/ ابو الفرج الأصفهاني / مؤسسة دار الكتاب /

اختلاف الحديث./ الإمام الشافعي/ مؤسسة الكتب الثقافية بيروت 1405هـ

فضائل الصحابة/ أحمد بن حنبل /دار الكتب العلمية/مؤسسة الرسالة بيروت 1403هـ

مسند احمد/ الإمام أحمد بن حنبل / دار صادر /بيروت / مؤسسة قرطبة /مصر

صحيح البخاري/البخاري/دار الفكر بيروت/ دار ابن كثيراليمامة بيروت 1407هـ

السنن الكبرى/ البيهقي / دار الفكر بيروت / مكتبة دار الباز مكة 1414هـ
فتح الباري/ ابن حجر العسقلاني/ دار المعرفة بيروت 1379هـ
الجهاد /عبد الله بن المبارك/دار المطبوعات الحديثة /الدار التونسية تونس 1972
المصنف / عبد الرزاق الصنعاني المكتب الإسلامي بيروت 1403 هـ
غريب الحديث / ابن قتيبة الدينوري دار الكتب العلمية بيروت 1408 هـ
تأويل مختلف الحديث ابن قتيبة الدينوري دار الكتب العلمية /دار الجيل بيروت 1393
كتاب الأوائل. ابن أبي عاصم / دار الخلفاء للكتاب الإسلامي الكويت
الآحاد والمثاني / ابن أبي عاصم دار الدراية 1411هـ
كتاب الفتن/ نعيم بن حماد /مكتبة التوحيد القاهرة 1412/ دارالفكر بيروت 1414هـ
السنن الكبرى.... أحمد بن شعيب النسائي / دار الكتب العلمية بيروت 1411هـ
صحيح بن خزيمة/ محمّد بن إسحاق بن خزيمة /المكتب الإسلامي بيروت 1970
صحيح ابن حبان......... محمّد بن حبان/ مؤسسة الرسالة بيروت 1414هـ
سر السلسلة العلوية/ أبو نصر البخاري / انتشارات الشريف الرضي 1413هـ
الفائق في غريب الحديث/جار الله الزمخشري/دار الكتب العلمية بيروت 1417 هـ
المناقب / الموفق الخوارزمي /مؤسسة النشر الإسلامي قم غيران 1411هـ
النهاية في غريب الحديث ابن الأثير/ مؤسسة إسماعيليان 1364 هـ
أبجد العلوم القنوجي دار الكتب العلمية بيروت 1978
مختارالصحاح/ الرازي/مكتبة لبنان ناشرون/ دارالكتب العلمية بيروت 1415 هـ
أبجد العلوم /القنوجي/دار الكتب العلمية/بيروت 1978 /اسم المحقق عبد الجبار زكار

معجم البلدان/ ياقوت الحموي/ دار الفكر بيروت / دار إحياء التراث العربي 1399هـ

كشف الظنون..... مصطفى الرومي الحنفي دار الكتب العلمية بيروت 1413هـ

تاج العروس .... الزبيدي منشورات مكتبة الحياة بيروت

فتوح الشام / الواقدي / دار الجيل بيروت

فهرس المواضيع

فهرس المواضيع

الفصل الرابع (أخبار معاوية)

الفصل الخامس (أعمال معاوية المنافية للإسلام)

الفصل السادس (أوائل مُعاويَة)

الفصل السابع (أقوال في مُعاويَة)

الفصل الثامن (معاوية وسبّ عليّ عليه السلام)

الفصل التاسع (أثر معاوية في الحديث النبوي)

الفصل العاشر (عقائد معاوية)

الفصل الحادي عشر (المدافعون عن معاوية)